إعراب القرآن الكريم

وبيانه

تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

المجلد السادس

الجزء الحادي والعشرون - الجزء الثاني والعشرون - الجزء الثالث والعشرون - الجزء الرابع والعشرون

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - بيروت

إعراب القرآن الكريم
وبيانه

الطبعة السابعة
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
طبعة منقحة ومصححة ومفهرسة
(تنضيد جديد)

دار ابن كثير
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا - بناء الجابي
ص. ب: ٣١١ - هاتف: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠ - فاكس: ٢٢٤٣٥٠٢
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص. ب: ١١٣/٦٣١٨ - تلفاكس ٠١٨١٧٨٥٧ - ٠٣٢٠٤٤٥٩

اليمامة
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - برامكة - جانب الهجرة والجوازات
ص. ب: ٢٧٧ - هاتف: ٢١٢٢٠٥٩ - فاكس: ٢١٢٣٢٤٥
بيروت - برج أبي حيدر - خلف دبوس الأصلي - بناء الحديقة
ص. ب: ١١٣/٥٤٨٨ - هاتف: ٠١٧٠٢٩٥٩ - ٠٣٨٥٢٥٨٦

إعراب القرآن الكريم وبيانه

تأليف الأستاذ

محيي الدين الدرويش

المجلد السادس

الجزء الحادي والعشرون - الجزء الثاني والعشرون - الجزء الثالث والعشرون - الجزء الرابع والعشرون

دار ابن كثير
دمشق - بيروت

دار اليمامة
دمشق - بيروت

دار الإرشاد للشؤون الجامعية
حمص - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

لسان العرب

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ كلام مستأنف مسوق للحث على تلاوة الكتاب، وتدبر منطوياته، والعمل بأحكامه، وإقامة الصلاة المكتوبة، المؤداة بالجماعة؛ لتوحيد الكلمة، وتصفية النفس من أدران الشوائب. واتل: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت؛ أي: يا محمد، والخطاب له ليشمل كلَّ فرد من أفراد أمته، وما: مفعول به، وجملة أوحي: صلة، وإليك: متعلقان بأوحي ومن الكتاب: حال، وأقم: فعل أمر معطوف على اتل، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت أيضاً، والصلاة: مفعول به. ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ الجملة تعليل للأمر بإقامة الصلاة، وإنَّ، واسمها، وجملة: تنهى عن الفحشاء والمنكر: خبرها، والواو: استئنافية، واللام: لام الابتداء، وذكر الله: مبتدأ، وأكبر: خبر، والله: الواو: عاطفة، والله: مبتدأ، وجملة يعلم: خبر، وفاعله: مستتر،

تقديره: هو، وما: مفعول به، وجملة تصنعون: صلة. ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان إرشاد أهل الكتاب، وكيفية مجادلتهم. ولا: ناهية، وتجادلوا: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو: فاعل، وأهل الكتاب: مفعول به، وإلا: أداة حصر، وبالتي: متعلقان بتجادلوا، وموصوف الموصول محذوف، أي: بالمجادلة التي، وهي: مبتدأ، وأحسن: خبر، والجملة: صلة التي، وإلا: أداة استثناء، والذين: استثناء من الجنس، وفي المعنى وجهان أوردهما أبو البقاء قال: أحدهما: إلا الذين ظلموا منهم فلا تجادلوهم بالحسنى، بل بالغلظة؛ لأنهم يغلظون لكم، فيكون مستثنى من التي هي أحسن، لا من الجدل، والثاني: لا تجادلوهم البتة، بل حكّموا فيهم السيف؛ لفرط عنادهم.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، وقولوا: فعل أمر، وفاعل، وجملة آمنا: مقول القول، وبالذي: متعلقان بآمنا، وجملة أنزل: صلة، وإلينا: متعلقان بأنزل، وأنزل إليكم: عطف على أنزل إلينا، ففي الكلام حذف الموصول الإسمي، أي: والذي أنزل إليكم، وإلهنا: الواو: عاطفة، وإلهنا: مبتدأ، وإلهكم: عطف على إلهنا، وواحد: خبر، ونحن: مبتدأ، وله: متعلقان بمسلمون، ومسلمون: خبر نحن، وفي هذا القول منتهى المناصحة، والنصفة، والإقناع. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾ الكاف: نعت لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الإنزال أنزلنا، وأنزلنا: فعل، وفاعل، وإليك: متعلقان بأنزلنا، والكتاب: مفعول به، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ﴾ الفاء: تفريعية، والذين: مبتدأ، وجملة آتيناهم: صلة، وهو فعل، وفاعل، ومفعول به، والكتاب: مفعول به ثان، وجملة يؤمنون به: خبر الذين. ﴿وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ الواو: عاطفة، ومن هؤلاء: خبر مقدم، ومَنْ: مبتدأ مؤخر، وجملة يؤمن به: صلة، وهذا من

قبيل الإخبار بالمغيبات، وهي إحدى ميزات القرآن الكريم، والواو: حالية، وما: نافية، ويجحد: فعل مضارع مرفوع، وبآياتنا: متعلقان به، وإلا: أداة حصر، والكافرون: فاعل يجحد. ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ كلام مستأنف للشروع في إيراد الدليل على إعجاز القرآن. وما: نافية، وكنت: كان، واسمها، وجملة تتلو: خبرها، وفاعل تتلو: مستتر، تقديره: أنت، ومن قبله: حال لأنه كان صفة لكتاب، ويجوز تعليقه بتتلو، ومن: حرف جر زائد، وكتاب: مجرور بِمِنْ لفظاً، منصوب محلاً، على أنه مفعول تتلو، والواو: حرف عطف، ولا: نافية، وتخطه: فعل مضارع معطوف على تتلو، وبيمينك: متعلقان بتخطه، وإذاً: حرف جواب وجزاء مهمل، وقد تضمن معنى الجواب لشرط محذوف، أي: لو كان شيء من ذلك؛ أي: من التلاوة والخط، ولارتاب: اللام: واقعة في جواب إذاً، وارتاب المبطلون: فعل ماض، وفاعل.

﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ ﴾ بل: إضراب عن ارتيابهم، أي: ليس فيه ما يدعو إلى الارتياب فيه، وهو محفوظ في الصدور، وهو: مبتدأ، وآيات: خبر، وبينات: صفة لآيات، وفي صدور: متعلقان بمحذوف خبر ثان لهو، أي: هو مثبت محفوظ في صدورهم، والذين: مضاف إليه، وجملة أوتوا العلم: صلة، والعلم: مفعول به ثان لأوتوا. ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ تقدم إعراب نظيرها قريباً.

□ البلاغة:

الإطناب:

في قوله ﴿ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ ﴾ إطناب لا بد منه، فذكر اليمين، وهي الجارحة التي يزاول بها الخط فيه زيادة في التصوير، واستحضار لنفي كونه كاتباً، وقد قدَّمنا: أنَّ الإطناب يرد حقيقة ومجازاً، وهذا من النوع الأول، ومثله قولهم: رأيته بعيني، وقبضته بيدي، ووطئته بقدمي، وذقته بفمي. وكلُّ هذا يظنه الظان المبتدىء والسطحي: أنَّه من قبيل الزيادة والفضول،

وأنه لا حاجة إليه، ويقول: إن الرؤية لا تكون إلا بالعين، والقبض لا يكون إلا باليد، والوطء لا يكون إلا بالقدم، والذوق لا يكون إلا بالفم. وليس الأمر كما توهم، بل هذا يقال في كل شيء يعظم مناله، ويعز الوصول إليه، وهو كثير في القرآن الكريم، وقد تقدم بعضه، وسيأتي الكثير منه أيضاً.

* الفوائد:

١ ـ أثارت دائرة المعارف إشكالاً في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ فتقول: إنها تدل: على أنه تعلم القراءة في الكبر، أي: بعد نزول القرآن، وإن كان التعبير غامضاً أيضاً. وليس التعبير غامضاً، ولكن التخريج الذي خرجته دائرة المعارف الإسلامية فاسد من أساسه، إذ أن لفظ الآية صريح كل الصَّراحة في الدلالة على أن أهل مكة عرفوا عن النَّبيِّ قبل نزول الوحي: أنه لم يكن يتلو كتاباً، ولا يكتب بيمينه، ولو أنه كان كذلك إذاً لارتاب المبطلون؛ بأن يذكروا للناس أنَّه كان يخلو إلى نفسه، فيكتب القرآن، ويعده ثم يخرج للناس فيتلوه عليهم، ولم تقف دائرة المعارف الإسلامية عند هذا الحد، فأوردت آية الفرقان وهي: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ وواضح أن مفهوم هذه الآية لا يدل على شيء مما تخرصت به دائرة المعارف الإسلامية؛ إذ أنها تدل في بساطة تامة على أن كفار قريش كانوا يدَّعون أنَّ رسول الله ﷺ يكتب ما يملى عليه من أساطير الأولين، وليس كل ما يدعي الكفار صواباً، بل هو هجوم يقصد منه تجريح القرآن، وإضعاف شأنه، ويدل على مغالطة دائرة المعارف الإسلامية: أنَّها تغافلت عن الآية السابقة إذ يقول تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ . . . الآية وقد أوردنا حملة فقهاء الشرق والغرب على أبي الوليد الباجي لزعمه: أنَّه عليه السلام كتب يوم الحديبية.

٢ ـ كيف تمَّ تدوين القرآن:

ورد في كتاب «الإتقان» للسيوطي عن زيد بن ثابت قال: قُبض النَّبيُّ ﷺ، ولم يكن القرآن جمع في شيء. وعن زيد بن ثابت أيضاً قال: كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرِّقاع. قال الخطابي: إنما لم يجمع النبي ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته؛ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بعهده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر.

وأخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن» وعلق السيوطي على هذا الحديث بقوله: لا ينافي ذلك؛ لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة، وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ﷺ؛ لكن غير مجموع في موضع واحد، ولا مرتب السور.

وقال الحارث المحاسبي في كتاب «فهم السنن»: كتابة القرآن ليست بمحدثة، فإنه ﷺ كان يأمر أصحابه بكتابته، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع، والأكتاف، والعسب، فإنَّما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله فيها القرآن منتشراً، فجمعها جامع، وربطها بخيط لا يضيع منها شيء.

قال السيوطي: وقد تقدم في حديث زيد: أنه جمع القرآن من العسب، واللخاف، وفي رواية: والرقاع، وفي أخرى: وقطع الأديم، وفي أخرى: الأكتاف، وفي أخرى: والأضلاع، وفي أخرى: والأقتاب، والعسب. جمع: عسيب، وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص، ويكتبون في الطرف العريض، واللخاف: جمع لخفة، وهي الحجارة الرقاق. وقال الخطابي: صفائح الحجارة، والرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من جلد، أو ورق، أو كاغد، والأكتاف: جمع كتف، وهو العظم [العريض يكون في أصل كتف

الحيوان من الناس والدواب، كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس عندهم. والأقتاب: جمع قتب، وهو الإكاف][1] الذي للبعير ليركب عليه.

وروى البخاري في تفسيره في ذلك رواية له: قال علي رضي الله عنه: أن رسول الله أوصاني إذا واريته في حفرته أن لا أخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله، فإنه في جرائد النخل، وفي أكتاف الإبل. والذي نراه ونستخلصه من مجموع هذه الأقوال: أنَّ النبي كان يبيح للمسلمين كتابة القرآن لمن كان يستطيع الكتابة منهم، وأنَّه كان يأمر كُتَّابه بتدوينه، ولكن التدوين لم يكن وفق نظام مقرر؛ بحيث يقطع إلى أنَّ النَّبيَّ خلف القرآن كله مدوناً، مرتب السور، مجموعاً.

ولما قبض الرسول ﷺ بدأ التفكير في جمع المصحف، وفي البخاريِّ عن زيد بن ثابت: أنَّه قال: أرسل إليَّ أبو بكر عقب مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر:

ـ إنَّ عمر أتاني فقال: إنَّ القتل قد استحر بالمواطن، فيذهب كثير من القرّاء، وإنِّي أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقال زيد لعمر:

ـ كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله؟ قال عمر:

ـ هذا والله خير.

فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، قال أبو بكر:

ـ إنك رجلٌ شاب عاقلٌ لا نتَّهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله، فتتبع القرآن، فاجمعه. قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال؛ حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ

(١) ما بين حاصرتين مستدرك من لسان العرب.

أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ﴾ إلى آخر براءة.

وواضح من هذا: أنَّ أبا بكر، وعمر، وغيرهما خشوا ـ وقد اندفع المسلمون في حروب الردة ثم في حروب الفتح ـ أن يهمل أمر القرآن، وهو معجزة رسول الله الكبرى، ودعامة الإسلام الأولى، فاتفقوا على جمعه من هذه الصحائف المتفرقة التي كان يكتبها عارفو الكتابة من الصحابة، ومن صدور الناس، فكتب القرآن، أو على الأصح نقل ما كان منه مكتوباً، وأكمل بما كان محفوظاً في صدور الرجال.

وعلى الرغم من كثرة النصوص التي نقلنا بعضها، لا يزال هناك بعض الغموض يحيط بالطريقة التي اتبعها زيد بن ثابت في جمع صحف القرآن، فقد ذكر: أنه كان يحفظ القرآن كله، ومن المرجح: أن عدداً من الصحابة كانوا يحفظون القرآن، منهم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وربما أبو بكر، وعمر، فلماذا لم يجتمع هؤلاء ويتموا عملهم مستعينين بالصحف التي أملاها النَّبيُّ ﷺ وبذاكرتهم؟ ويظهر لنا: أن هذه الطريقة الطبيعية التي اتبعت حتى تم لهم جمع المصحف بطريقة هادئة؛ لا ارتجال فيها، وهو ما عنته الآية الكريمة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ولما كان عهد عثمان بن عفان جدَّ من المناسبات ما دعا إلى إعادة النظر في أمر هذه الصحف التي كتبها زيد بن ثابت.

روى البخاري عن أنس: أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا، فأرسل عثمان إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب، وزوج رسول الله ﷺ أن أرسلي إلينا هذه الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت من شيء من القرآن فاكتبوه

بلسان قريش، فإنه إنما أنزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل عثمان إلى كل أفقٍ بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال زيد:

ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، وقد كنت أسمع رسول الله يقرأ بها، فالتمسناها، فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري، وهي: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ فألحقناها مع سورتها في المصحف.

ترتيب المصحف:

أما بصدد ترتيب المصحف فيقول السيوطي: الإجماع والنصوص على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك، وذلك: أنَّ رسول الله كان يدل على مكان كل آية في سورتها، ويؤيد هذا الرأي قول عثمان بن أبي العاص: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ؛ إذ شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: أتاني جبريل، فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ إلى آخرها، وقد التزم عثمان في تدوين المصحف ما علم: أنّه رأي رسول الله في ترتيب الآيات.

وأما ترتيب السور فهو متروك لاجتهاد المسلمين ولكننا نثبت رواية عن ابن عباس: روى ابن عباس قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموهما في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله ﷺ تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء؛ دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك

قرنت بينهما، ولم أكتب سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطوال.

وفي كتاب «الإتقان» طائفة هامة جداً من الترتيبات حسب أسباب النزول وفيما يلي الترتيب التاريخي كما رواه ابن عباس:

السور المكية

١ ـ اقرأ، ٢ ـ ن، ٣ ـ المزمل، ٤ ـ المدثر، ٥ ـ تبت، ٦ ـ الشمس، ٧ ـ الأعلى، ٨ ـ الليل، ٩ ـ الفجر، ١٠ ـ الضحى، ١١ ـ ألم نشرح، ١٢ ـ العصر، ١٣ ـ العاديات، ١٤ ـ الكوثر، ١٥ ـ التكاثر، ١٦ ـ الماعون، ١٧ ـ الكافرون، ١٨ ـ الفيل، ١٩ ـ الفلق، ٢٠ ـ الناس، ٢١ ـ الإخلاص، ٢٢ ـ النجم، ٢٣ ـ عبس، ٢٤ ـ القدر، ٢٥ ـ الضحى، ٢٦ ـ البروج، ٢٧ ـ التين، ٢٨ ـ قريش، ٢٩ ـ القارعة، ٣٠ ـ القيامة، ٣١ ـ الهمزة، ٣٢ ـ المرسلات، ٣٣ ـ ق، ٣٤ ـ البلد، ٣٥ ـ الطارق، ٣٦ ـ الساعة، ٣٧ ـ ص، ٣٨ ـ الأعراف، ٣٩ ـ الجن، ٤٠ ـ يس، ٤١ ـ الفرقان، ٤٢ ـ الملائكة، ٤٣ ـ مريم، ٤٤ ـ طه، ٤٥ ـ الواقعة، ٤٦ ـ الشعراء، ٤٧ ـ النمل، ٤٨ ـ القصص، ٤٩ ـ بني إسرائيل، ٥٠ ـ يونس، ٥١ ـ هود، ٥٢ ـ يوسف، ٥٣ ـ الحجر، ٥٤ ـ الأنعام، ٥٥ ـ الصافات، ٥٦ ـ لقمان، ٥٧ ـ سبأ، ٥٨ ـ الزمر، ٥٩ ـ المؤمنون، ٦٠ ـ السجدة، ٦١ ـ الشورى، ٦٢ ـ الزخرف، ٦٣ ـ الدخان، ٦٤ ـ الجاثية، ٦٥ ـ الأحقاف، ٦٦ ـ الذاريات، ٦٧ ـ الغاشية، ٦٨ ـ الكهف، ٦٩ ـ النحل، ٧٠ ـ نوح، ٧١ ـ إبراهيم، ٧٢ ـ الأنبياء، ٧٣ ـ المؤمنون، ٧٤ ـ السجدة، ٧٥ ـ الطور، ٧٦ ـ تبارك، ٧٧ ـ الحاقة، ٧٨ ـ المعارج، ٧٩ ـ النبأ، ٨٠ ـ النازعات، ٨١ ـ الانفطار، ٨٢ ـ الانشقاق، ٨٣ ـ الروم، ٨٤ ـ العنكبوت، ٨٥ ـ المطففين.

السور المدنية

٨٦ ـ البقرة، ٨٧ ـ الأنفال، ٨٨ ـ آل عمران، ٨٩ ـ الأحزاب، ٩٠ ـ الممتحنة، ٩١ ـ النساء، ٩٢ ـ الزلزلة، ٩٣ ـ الحديد، ٩٤ ـ القتال، ٩٥ ـ الرعد، ٩٦ ـ الرحمن، ٩٧ ـ الإنسان، ٩٨ ـ الطلاق، ٩٩ ـ البينة، ١٠٠ ـ الحشر، ١٠١ ـ النصر، ١٠٢ ـ النور، ١٠٣ ـ الحج، ١٠٤ ـ المنافقون، ١٠٥ ـ المجادلة، ١٠٦ ـ الحجرات، ١٠٧ ـ التحريم، ١٠٨ ـ الجمعة، ١٠٩ ـ التغابن، ١١٠ ـ الصف، ١١١ ـ الفتح، ١١٢ ـ المائدة، ١١٣ ـ براءة.

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

○ **الإعراب:**

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ كلام مستأنف لتقرير نوع آخر من أنواع لجاجهم ومكابرتهم. وقالوا: فعل ماض، والواو: فاعل، يعود على كفار مكة، ولولا: حرف تحضيض بمنزلة هلا، وأنزل: فعل ماض مبني للمجهول، وعليه: متعلقان بأنزل، وآيات: نائب فاعل، ومن ربه: صفة لآيات، أو: متعلقان بأنزل. ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

إنما: كافة ومكفوفة، والآيات: مبتدأ، وعند الله: ظرف متعلق بمحذوف؛ هو الخبر؛ أي: ينزلها كيف يشاء؛ من غير دخل لأحد في ذلك قطعاً، وإنما: الواو: عاطفة، أو: حالية، وإنما: كافة ومكفوفة، وأنا: مبتدأ، ونذير: خبر، ومبين: صفة. ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التقريري، والواو: عاطفة على محذوف مقدر يقتضيه المقام، أي: أقصّر محمد ولم يكفهم، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويكفهم: فعل مضارع مجزوم بلم، والهاء: مفعول به، وأنَّ، وما بعدها: فاعل يكفهم، وأنَّ، واسمها، وجملة أنزلنا عليك الكتاب: خبر أن، وجملة يتلى عليهم: حالية. ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ إن: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، ورحمة: اسمها المؤخر، وذكرى: عطف على رحمة، ولقوم: صفة لذكرى، وجملة يؤمنون: صفة لقوم. ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ كفى: فعل ماض، والباء: حرف جر زائد، ولفظ الجلالة: مجرور بالباء لفظاً فاعل كفى المرفوع محلاً، وبيني: ظرف متعلق بشهيداً، وبينكم: عطف على شهيداً، وشهيداً: تمييز، وجملة يعلم: حال، وما: مفعول يعلم، وفي السموات: صلة، والأرض: عطف على السموات.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ الذين: مبتدأ، وجملة آمنوا: صلة، وبالباطل: متعلقان بآمنوا، وكفروا بالله: عطف على آمنوا بالباطل، وأولئك: مبتدأ، وهم: مبتدأ، أو: ضمير فصل، والخاسرون: خبر هم، أو: خبر أولئك، والجملة: خبر الذين. ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ كلام مستأنف مسوق للتعجب أو الاستهزاء بهم. ويستعجلونك: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل، والكاف: مفعول به، وبالعذاب: متعلقان بيستعجلونك، ولولا: حرف امتناع لوجود، وأجل: مبتدأ، ومسمى:

صفته، والخبر: محذوف، واللام: رابطة للجواب، وجاءهم العذاب: فعل، ومفعول به، وفاعل، والجملة: لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، ويأتينهم: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: مستتر، تقديره: هو، والهاء: مفعول به، وبغتة: حال، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وجملة لا يشعرون: خبر، وجملة هم لا يشعرون: حالية.

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يستعجلونك بالعذاب: تقدم إعرابها، وكرر الجملة للتعجب من حماقاتهم؛ لأن من هدد بشيء التمس أسباب الوقاية منه، أما هؤلاء فيستعجلونه. والواو: حالية، وإن، واسمها، واللام: المزحلقة، ومحيطة: خبر إن، وبالكافرين: متعلقان بمحيطة، وعبر بالحال، وأراد الاستقبال، أي: ستحيط بهم، وذلك للدلالة على التحقق والمبالغة، ويجوز أن يراد بجهنم: أسبابها المؤدية إليها، فلا تأويل في قوله: محيطة.

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ الظرف: متعلق بمحيطة، وجملة يغشاهم العذاب: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ومِنْ فوقهم: حال، ومِنْ تحت أرجلهم: عطف على مِنْ فوقهم.

﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الواو: عاطفة، ويقول: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: هو يعود على الموكل بالعذاب، وقرىء: ونقول، وعلى كل حال الجملة معطوفة على يغشاهم، وجملة ذوقوا: مقول القول، وهو فعل أمر، وفاعل، وما: مفعول به على تقدير مضاف؛ أي: جزاء ما، وجملة كنتم: صلة، وجملة تعملون: خبر كنتم.

□ البلاغة:

خص سبحانه وتعالى نار جهنم بالجانبين الأعلى والأسفل، ولم يذكر

اليمين، ولا الشمال، ولا الخلف، ولا الأمام لإظهار الفرق بينها وبين نار الدنيا التي تحيط بجميع الجوانب، فنار جهنم لا تطفأ بالدوس عليها، ولكنها تنزل من فوق.

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝٥٨ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٥٩ ﴾

○ الإعراب:

﴿ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ يا: حرف نداء، وعبادي: منادى مضاف لياء المتكلم، والذين: صفة لعبادي، وجملة: آمنوا صلة، وإنَّ، واسمها، وخبرها، والفاء: الفصيحة، أي: إن ضاق بكم موضع فإياي فاعبدوا، وإياي: مفعول لفعل محذوف، تقديره اعبدوا إياي، فاستغنى بأحد الفعلين عن الفعل الثاني، فاعبدوني: الفاء: عاطفة على الفاء الأولى، وجملة اعبدونِ: مفسرة، وهي: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وهي الياء المحذوفة. ﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾ كل نفس: مبتدأ، وذائقة الموت: خبرها، والمراد: مرارته، ومشقته، ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وإلينا: متعلقان بترجعون، وترجعون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل. ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ والذين: مبتدأ، وجملة آمنوا: صلة، وجملة عملوا الصالحات: عطف على جملة آمنوا، واللام: موطئة للقسم، ونبوئنهم: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والهاء: مفعول به، وجملة القسم: خبر الذين، ولك أن تنصب الذين بفعل محذوف دل

عليه الفعل المذكور بعده، وهو نبوئنَّهم، ومن الجنة: حال، وغرفاً: مفعول به ثان؛ لأنَّ بوَّأ يتعدى لاثنين، وقد مرّ نظيره في يونس والحج، وجملة تجري من تحتها الأنهار: صفة لغرفاً، وخالدين فيها: حال، ونعم: فعل ماض جامد لإنشاء المدح، وأجر العاملين: فاعل نعم، والمخصوص بالمدح محذوف؛ أي: أجرهم.

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الذين: نعت للعاملين، ولك أن تقطعه فترفعه على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أو تنصبه على أنه منصوب على المدح بفعل محذوف، تقديره: أمدح، وجملة صبروا: صلة، وعلى ربهم: متعلقان بيتوكلون، ويتوكلون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعله، والصبر هنا عام يشمل الهجرة، ومفارقة الوطن، وأذى المشركين، وغير ذلك مما استهدف له المسلمون في مستهل أمرهم، وتجري أحكامه على كل من امتحنته نوائب الأيام، وحدثان الزمان.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق ويقتر، ولهذا الفعل خصائص عجيبة فهو يتوزع على طائفة من المعاني سنتناولها فيما يلي:

يقال: قدر الرزق: قسمه، من باب: نصر، وضرب، وقَدَرَ، وقدَّر على عياله: ضيق، وقتَّر، قال في «الأساس»: وقدر عليه رزقه، وقدّر: قتَّر. وقدر يقدر، من باب: علم، قَدْراً، وقُدْرةً، ومقدرةً، ومقدَرَة، ومَقْدُرة، ومقداراً، وقدارة، وقُدورة، وقدوراً، وقدراناً وقَداراً، وقِدَاراً على الشيء: قوي عليه، وقدر، يقدر، من باب: ضرب، قدْراً الأمر: دبره، وقدر الشيء بالشيء: قاسه به، وجعله على مقداره، وقدر، يقدُر، ويقدر ـ من بابي: نصر وجلس ـ الله: عظمه، وقدر الرجل: فكر في تسوية أمره وتدبيره، وقدر، يقدر، من باب: تعب، قدراً بفتحتين: قصرت عنقه، وقدر على الشيء: اقتدر.

﴿ٱلْحَيَوَانُ﴾: مصدر حي، وقياسه: حييان، فقلبت الياء الثانية واواً، كما قال سيبويه، سمي ما فيه حياة حيواناً، قالوا: اشتر الموتان، ولا تشتر الحيوان، أي: اشتر الأرض، والدور، ولا تشتر الرقيق، والدواب، وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحياة، وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب، كالنزوان، واللهبان، وما أشبه ذلك، والحياة حركة، كما أنَّ الموت سكون، فمجيئه على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة، ولذلك اختيرت على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة.

○ **الإعـراب:**

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير التوكل على الله، وعدم الجزع، وكأين: تقدَّم إعرابها مفصلاً، وهي هنا: مبتدأ، ومن دابة: تمييزها المجرور بمن، وجملة لا تحمل رزقها: صفة لدابة، وقوله: ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ هو الخبر، والله: مبتدأ، وجملة يرزقها: خبر الله، وإياكم: عطف على الهاء، والواو: عاطفة، وهو: مبتدأ، والسميع: خبر أول، والعليم: خبر ثان. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ الواو: استئنافية، واللام: موطئة للقسم، وإن: شرطية، وسألتهم: فعل ماض، والتاء:

فاعل، والهاء: مفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، ومَنْ: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة خلق السموات والأرض: خبر مَنْ، والجملة: في محل نصب مفعول ثان لسألتهم المعلقة للاستفهام، وسخر الشمس والقمر: عطف على خلق السموات والأرض، واللام: واقعة في جواب القسم، ويقولن: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة للالتقاء الساكنين: فاعل، والنون المشددة: نون التوكيد الثقيلة، والله: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو، أو مبتدأ، والخبر: محذوف، تقديره الله خلق السموات، والفاء: الفصيحة، وأنى: اسم استفهام في محل نصب حال، ويؤفكون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل. ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ الله: مبتدأ، وجملة يبسط الرزق: خبر، ولمن: متعلقان بيبسط، وجملة يشاء: صلة، ومن عباده: حال، ويقدر: فعل مضارع معطوف على يبسط، وله: متعلقان بيقدر، والضمير راجع لِمَنْ، وإنَّ، واسمها، وعليم: خبرها، وبكل شيء: متعلقان بعليم.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ عطف على الجملة السابقة، وهي مماثلة لها في إعرابها. ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحمد: مبتدأ، ولله: خبر، والجملة: مقول القول، وبل: حرف إضراب، وأكثرهم: مبتدأ، وجملة لا يعقلون: خبر. ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ الواو: استئنافية، وما: نافية، وهذه: مبتدأ، والحياة: بدل، والدنيا: نعت للحياة، وإلا: أداة حصر، ولهو: خبر هذه، ولعب: عطف على لهو. ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ الواو: عاطفة، وإنَّ، واسمها، والآخرة: نعت للدار، واللام المزحلقة، وهي: مبتدأ، والحيوان: خبر، والجملة: خبر إنَّ، ولو: شرطية، وكان، واسمها، وجملة يعلمون: خبرها، وجواب لو: محذوف، أي: ما آثروا الحياة الدنيا.

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا
هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا
أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ
يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ
فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾

○ **الإعراب:**

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ الفاء: الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن محذوف دلَّ عليه ما وصفهم، وشرح من أمرهم هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد، ولا يبعد أن تكون استئنافية، ليتطرق إلى نمط آخر من عنادهم. وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ركبوا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وفي الفلك: متعلقان بركبوا، وجملة دعوا الله: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ومخلصين: حال، وله: متعلقان بمخلصين، والدين: مفعول به لمخلصين؛ لأنه اسم فاعل. ﴿ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة، ونجاهم: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلى البر: جار ومجرور، متعلقان بنجاهم، وإذا: فجائية، وهي مع مدخولها: جملة لا محل لها من الإعراب؛ لأنها جواب لما، وهم: مبتدأ، وجملة يشركون: خبر هم. ﴿ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ اللام: لام كي، ويتمتعوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام كي، وبما: متعلقان بيكفروا، وجملة آتيناهم: صلة ما، وليتمتعوا: عطف على ليكفروا، فهي مثلها، ويجوز أن تكون اللام فيهما: لام العاقبة، والمآل، ويحتمل أن تكون اللام فيهما: لام الأمر، وقرىء: وَلْيتمتعوا بسكون اللام، أمر تهديد، وسيأتي بحث وافٍ عن

معنى الأمر في باب البلاغة، كما سيأتي بحث الخليل بن أحمد عن أقسام اللام في اللغة العربية في باب الفوائد، والفاء: الفصيحة، وسوف: حرف استقبال، ويعلمون: فعل مضارع، وفاعل. ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري المفيد للتقرير؛ لأن همزة الاستفهام الإنكاري إذا دخلت على النفي أفادت التقرير؛ لأن الكلام يصير إيجاباً، والواو: عاطفة على محذوف تقديره: لقد جعلنا هم آمنين قارين في مكة، ولم يعلموا ذلك، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، وأنَّ، وما بعدها: سدت مسد مفعولي يروا، وأنَّ، واسمها، وجملة جعلنا: خبرها، ومفعول جعلنا الأول: محذوف، أي: جعلنا بلدهم مكة، وحرماً: مفعول به ثان، وآمناً: صفة والواو: حالية، ويتخطف: فعل مضارع مبني للمجهول، والناس: نائب فاعل، ومِنْ حولهم: حال.

﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة على محذوف، وبالباطل: متعلقان بيؤمنون، وبنعمة الله يكفرون: معطوف على ما قبله. ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥ ﴾ الواو: استئنافية، ومَنْ: اسم استفهام متضمن معنى النفي في محل رفع مبتدأ، وأظلم: خبر، وممن: متعلقان بأظلم، وجملة افترى على الله: صلة، وكذباً: مفعول به، وأو: حرف عطف، وكذب: عطف على افترى، وبالحق: متعلقان بكذب، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة، وجاءه: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به. ﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري، وليس: فعل ماض ناقص، وفي جهنم: خبر ليس المقدم، ومثوى: اسمها المؤخر، وللكافرين: صفة لمثوى، وسيأتي معنى التقرير في باب البلاغة. ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ والذين: مبتدأ، وجملة جاهدوا: صلة، ومفعول جاهدوا: محذوف، وسيأتي سر حذفه في باب البلاغة، وفينا: متعلقان بجاهدوا، أي:

في حقنا، ومن أجلنا، ولوجهنا خالصاً، واللام: موطئة للقسم، وجملة نهدينهم: خبر الذين، سبلنا: مفعول به ثان، أو: منصوب بنزع الخافض، وإن، واسمها، ومع المحسنين: ظرف متعلق بمحذوف خبر إنَّ.

□ البلاغة:

١ ـ معنى الأمر:

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف جاز أن يأمر الله بالكفر، وبأن يفعل العصاة ما شاؤوا، وهو ناهٍ عن ذلك، ومتوعد عليه؟ قلت: هو مجاز عن الخذلان، والتخلية، وإن ذلك الأمر متسخط إلى غاية، ومثاله: أن ترى الرجل قد عزم على أمر؛ وعندك أن ذلك الأمر خطأ، وأنه يؤدي إلى ضرر جسيم، فتبالغ في نصحه، واستنزاله عن رأيه، فإذا لم تر منه إلا الإباء والتصميم حردت عليه (أي: غضبت) وقلت: أنت وشأنك، وافعل ما شئت، فلا تريد بهذا حقيقة الأمر، وكيف والآمر بالشيء مريد له، وأنت شديد الكراهة متحسِّر، ولكنك كأنك تقول له: فإذا قد أبيت قبول النصيحة؛ فأنت أهل ليقال لك: افعل ما شئت؛ ليتبين لك إذا فعلت صحة رأي الناصح، وفساد رأيك.

٢ ـ الاستفهام التقريري:

قلنا: إن همزة الإنكار إذا دخلت على النفي صار إيجاباً، فيرجع إلى معنى التقرير، ومنه في الشعر قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان:

أَلسْتُم خيْرَ من ركِبَ المطايا وأنْـدَى العـالمين بُطُـوْنَ رَاحِ

قال بعضهم لو كان استفهاماً ما أعطاه الخليفة مئة من الإبل. وقيل: لما بلغ جرير هذا البيت في القصيدة كان عبد الملك متكئاً، فاستوى جالساً فرحاً، وقال: هكذا مدحنا، وأعطاه مئة من الإبل.

٣ ـ الحذف:

تقدم القول في حذف المفعول به للإيجاز، وهو هنا في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ

جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ فقد أطلق المجاهدة، ولم يقيدها بمفعول، لتتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الأمارة بالسوء، والشيطان، وهذا أحسن من تقدير مفعول به خاص، كما فعل الكثيرون من المفسرين، ليتناول جميع الطاعات والمزدلفات.

*** الفوائـــد:**

ذكر اللامات للخليل بن أحمد الفراهيدي:

ذكر الخليل بن أحمد شيخ سيبويه في مصنف صغير له: أن عدد اللامات إحدى وأربعون لاماً، ونوردها مع إلماع يسير إلى أحكامها، كما أوردها الخليل، ثم نعلق على بعض ما نراه جديراً بالتعليق منها:

١ ـ لام القسم، وهي مفتوحة، وبعدها نون مشددة، وذلك مثل قوله عز وجل: ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ .

٢ ـ لام جواب القسم، وهي تشبه لام القسم، وتقوم مقامها.

٣ ـ لام الأمر، وهي لا تأتي أبداً إلا بعد واو، أو فاء، مثل قوله تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ ﴿ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ﴾ وما أشبه ذلك، فإن عدمت واو أو فاء كانت اللام مكسورة، نحو قوله عز وجل: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ .

٤ ـ لام جواب الأمر، وهي تشبه لام الأمر. وأنا لا أعرف إلا حرفاً واحداً، وهو قوله عز وجل: ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ لا غير.

٥ ـ لام الوعد، وهي تشبه لام الأمر، وتقوم مقامها. وأنا لا أعرف في القرآن إلا حرفين، وهما في قوله تعالى: ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ .

٦ ـ لام الوعيد، وهي تشبه لام الأمر، وتقوم مقامها. وأنا لا أعرف في القرآن إلا أربعة أحرف، وهي في قوله عز وجل: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ومثلها: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا﴾ لا غير.

٧ ـ لام التوكيد، وهي مفتوحة، وقبلها نون مشددة، لا تأتي إلا بعد إنَّ، وإنَّا، وأئنَّك، وإنكم، وإنهم، وإنهما، وإنه، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ و﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ و﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ﴾ و﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾.

٨ ـ لام العماد، وهي مفتوحة ولا تأتي إلا بعد الكيد، أعني: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ وما أشبه ذلك.

٩ ـ لام الجحد، وهي مكسورة في ذاتها، ناصبة للفعل، ولا تأتي إلا بعد كان، وما كنا، وما كانوا، أعني بذلك: الكون، وذلك مثل قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ وما أشبه ذلك.

١٠ ـ لام كي، وهي مكسورة في ذاتها، ناصبة للفعل، ولا تأتي أبداً إلا بعد فعل قد مضى، وذلك مثل قوله عز وجل: ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ﴾ وما أشبه ذلك.

١١ ـ لام إن الخفيفة، وهي مكسورة، وتشبه لام كي، وتقوم مقامها، مثل قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾.

١٢ ـ لام الغاية، وهي تشبه لام كي، وتقوم مقامها، وذلك مثل قوله عز وجل ﴿لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ﴾.

١٣ ـ لام الترجي، وهي مفتوحة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ ﴿لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾.

١٤ ـ لام التمني، وهي مفتوحة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾.

١٥ ـ لام التحذير، فلم أعرف في القرآن إلا حرفاً واحداً، وهو قوله عز وجل: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا غير ذلك.

١٦ ـ لام المدح، وهي مفتوحة، ومن ذلك: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ .

١٧ ـ لام الذم، وهي مفتوحة أيضاً، ومن ذلك ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ﴾ .

١٨ ـ لام كما، وهي مفتوحة، وأنا لا أعرف في القرآن إلا حرفاً واحداً، وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ والمعنى كما آتيتكم.

١٩ ـ لام المنقول، وهي مفتوحة، وذلك مثل قوله عز وجل: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ المعنى: مَنْ يضره ومَنْ يصبر.

٢٠ ـ لام الجزاء، وهي مفتوحة أبداً، ولا تأتي إلا بعد لو، ولولا، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ وما أشبه ذلك.

٢١ ـ لام الإيجاب، وهي مفتوحة، ولا تأتي أبداً إلا بعد إن الخفيفة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ وما أشبه ذلك.

٢٢ ـ لام الشفاعة، وهي مكسورة في ذاتها، وأنا لا أعرف في القرآن إلا حرفاً واحداً، وهو قوله عز وجل: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ .

٢٣ ـ لام الاستغاثة، فهي لام الخفض الزائدة، نحو: يا لزيد.

٢٤ ـ لام الجر، وهي مكسورة في ذاتها، خافضة لغيرها، وذلك مثل: للمؤمنين، للعالمين، وما أشبه ذلك.

٢٥ ـ لام الصفة، وهي مفتوحة في ذاتها، خافضة لغيرها، ومثل ذلك: ولنا، ولكم، ولك، وله، وما أشبه ذلك، وإنما فتحت هذه اللام، وكسرت لام الجر؛ للفرق بين الضمير والظاهر.

٢٦ ـ لام الأصل، وهي ساكنة نحو: الحسنة، والسيئة، والوالدات، وما أشبه ذلك.

٢٧ ـ لام المعرفة، وهي ساكنة، وزائدة، وتكون للتعريف، وذلك مثل: الرَّجل، والغلام، والجارية، والمؤمنين، والمتقين، وما أشبه ذلك.

٢٨ ـ لام التكثير، وهي مفتوحة، وهي لام أصلية، وذلك مثل: أولئك، أولئكم، وأولات حمل، وما أشبه ذلك، وإنما سميت لام التكثير؛ لأنك تخاطب الواحد بلفظ الجمع.

٢٩ ـ لام الابتداء، وهي مفتوحة، نحو ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

٣٠ ـ لام التفضيل، وهي تشبه لام الابتداء، وتقوم مقامها، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ ومثله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ وما أشبه ذلك.

٣١ ـ لام ليس، وهي مفتوحة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ وما أشبه ذلك.

٣٢ ـ لام النفي، وهي مفتوحة، تشبه لام ليس، وتقوم مقامها، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ والمعنى: ولا أقول لكم.

٣٣ ـ لام غير، وهي مفتوحة، وتعطف ما بعدها على ما قبلها، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ وما أشبه ذلك.

٣٤ ـ لام التبرئة، وهي مفتوحة، وتنصب النكرات، نحو قوله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ﴿لَآ إِكْرَاهَ﴾ ﴿لَا تَثْرِيبَ﴾ ﴿لَا جَرَمَ﴾ وما أشبه ذلك.

٣٥ ـ لام الصلة، وهي مفتوحة، ولا تأتي إلا بعد الجحد، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ وما أشبه ذلك.

٣٦ ـ لام النهي، وهي مفتوحة في ذاتها، جازمة لغيرها، وذلك مثل

قوله: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ وما أشبه ذلك.

٣٧ ـ لام الدعاء، وهي تشبه لام النهي، وتقوم مقامها، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

٣٨ ـ لام الاستحقاق، وهي مضمومة في آخر الكلام، وذلك مثل: ويل، حيث وقعت. قال الخليل: تمت اللام والحمد لله رب العالمين.

ملاحظـات:

١ ـ هذا ولم يذكر في الشرح لام الإلحاق، ولام الفصاحة، وقد عدّها أولاً.

٢ ـ عدّ «لا» لاماً، وهذا خلاف ما درج عليه النحاة.

أما ابن هشام فقد قسم اللام المفردة إلى ثلاثة أقسام: عاملة للجر، وعاملة للجزم، وغير عاملة، وليس في القسمة أن تكون عاملة للنصب خلافاً للكوفيين، فالعاملة للجر مكسورة مع كل ظاهر، نحو: لزيد، ولعمرو؛ إلا مع المستغاث المباشر لها فمفتوحة، نحو: يا لله، ومفتوحة مع كل مضمر، نحو: لنا، ولكم، ولهم: إلا مع ياء المتكلم فمكسورة.

وللاَّم الجارة اثنان وعشرون معنى ذكرها في كتاب المغني فليرجع إليه من شاء.

ثم تكلم عن اللام العاملة للجزم، وأما اللام غير العاملة فسبع:

لام الابتداء، واللام الزائدة، ولام الجواب، واللام الداخلة على أداة شرط للإيذان بأن الجواب بعدها مبني على قسم قبلها، لا على الشرط، ومن ثمَّ تسمى: اللام الموطئة للقسم، ولام أل، واللام اللاحقة لأسماء الإشارة للدلالة على البعد، ولام التعجب غير الجارة، والتفاصيل في كتاب المغني.

* * *

سُورَةُ الرُّومِ

آياتها ٦٠ ترتيبها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلرُّومُ﴾ : سيأتي ما يقوله التاريخ عنهم في باب الفوائد.

﴿بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ : تقدم معنى البضع في سورة يوسف، واختلاف العلماء في عدده، واختار الأصمعي: أنه من الثلاث إلى العشر.

○ **الإعراب:**

﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ الم: تقدم القول في إعرابها، وغلبت: فعل ماض مبني للمجهول، والروم: نائب فاعل. ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ

﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ في أدنى: متعلقان بغلبت، والواو: عاطفة، وهم: مبتدأ، ومن بعد غلبهم: الجار والمجرور: متعلقان بقوله: سيغلبون، وغلبهم: مصدر الفعل المبني للمجهول، وقد أضيف إلى مفعوله، وجملة سيغلبون: خبر المبتدأ. ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ في بضع سنين: متعلقان بقوله: سيغلبون أيضاً، وسيأتي سر إبهام عدد السنين في باب البلاغة، ولله: خبر مقدم، والأمر: مبتدأ مؤخر، والجملة: مستأنفة، كأنه جواب لسؤال مقدر، وهو: أي فائدة في ذكر قوله من بعد غلبهم لأن قوله: سيغلبون لا يكون إلا بعد الغلبة؟ فأجيب: بأن فائدته إظهار تمام القدرة، وبيان: أن ذلك بأمر الله تعالى وحده، ومن قبل: متعلقان بمحذوف حال، ومن: حرف جر، وقبل، وبعد: ظرفان بنيا على الضم لقطعهما عن الإضافة لفظاً لا معنى، ثم جرّا بمن، وبقيا على ضمهما، أي: من قبل غلب الروم، ومن بعده ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الواو: عاطفة، ويومئذ: ظرف أضيف إلى مثله، وهو متعلق بيفرح، والتنوين: عوض عن جملة، كما تقدم؛ أي: يوم تغلب الروم، وبنصر الله: متعلقان بيفرح أيضاً، وجملة ينصر من يشاء: مستأنفة؛ لإظهار صدق المؤمنين، ومَنْ: اسم موصول مفعول لينصر، وجملة يشاء: صلة، وهو: مبتدأ، والعزيز: خبر أول، والرحيم: خبر ثان.

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعد الله: مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي تقدمت، وهي قوله سيغلبون، ويفرح المؤمنون، وجملة لا يخلف الله وعده: إما مفسرة مقررة لمعنى المصدر، فلا محل لها، وإما حالية من المصدر، والواو: حالية، ولكنَّ، واسمها، وجملة لا يعلمون: خبرها. ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ جملة يعلمون: قيل هي مستأنفة، وهو قول سليم لا اعتراض عليه، وقال الزمخشري: بدل من قوله: لا يعلمون، وفي هذا الإبدال من النكتة: أنه أبدله منه، وجعله بحيث يقوم مقامه، ويسدّ مسدّه؛ ليعلمك: أنه لا فرق بين عدم

العلم الذي هو الجهل، وبين وجود الجهل الذي لا يتجاوز الدنيا، وقوله: ﴿ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يفيد: أن للدنيا ظاهراً وباطناً، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها، والتنعم بملاذها. وباطنها وحقيقتها: أنها مجاز إلى الآخرة، يتزود منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة. وقول الزمخشري أقعد بالفصاحة، وأملى بالبلاغة، ولكن إبدال المثبت من المنفي لا يصح، كما تنص عليه قواعد النحو. وهم: مبتدأ، وعن الآخرة: متعلقان بغافلون، وهم: تأكيد لهم الأولى، وغافلون: خبر هم الأولى، ويجوز أن تكون هم الثانية مبتدأ ثانياً خبره غافلون، والجملة: خبر هم الأولى.

□ البلاغة:

١ ـ الإبهام:

في قوله: ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ إبهام، وفائدته: التفخيم، وإدخال الرهبة في قلوب المشركين في كل وقت، والإشعار بأن زهوهم بأنفسهم، واعتدادهم بقوتهم، ليس إلا إلى حين يطول، أو يقصر، ولكنه آيل إلى الانتهاء، ومفض إلى العاقبة الحتمية، وهي الارتداد، والانتكاس، وقد تقدم ذكر الإبهام كثيراً.

٢ ـ التنكير:

وذلك في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وفائدته: تقليل معلومهم، وتقليله يقربه من النفي حتى يطابق المبدل منه، وهو قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهذا ما يرجح البدلية، ولله درّ الزمخشري ما أبعد غوره، وأصقل ذهنه. وعن الحسن: أنه قال في تلاوته هذه الآية: بلغ من صدق أحدهم في ظاهر الحياة الدنيا: أنه ينقر الدينار بإصبعه، فيعلم أجيد هو أم رديء، وفي هذا تعليل للعلم الذي بلغ أبعد آماده، فغاص في الدأماء، وحلّق في أجواز الفضاء، وفطن إلى أبعد السرائر، ومكنون الضمائر، ولكنه حين يعرض لما استسرّ من أسرار الكون، كالمبدأ، والمعاد، والمنتهى، وقف ضئيلاً لا يبدىء ولا يعيد.

٣ ـ التعطف:

في قوله: ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ فن التعطف، وهو: إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام، أو البيت من الشعر، فقد ردد ﴿هُمْ﴾ للمبالغة في تأكيد غفلتهم عن الآخرة.

* **الفوائد:**

ما يقوله التاريخ:

﴿ٱلرُّومُ﴾ اسم أطلقه العرب على البيزنطيين، ويطلق اليوم على المسيحيين الشرقيين الملكيين من كاثوليك، وأرثوذكس، والإمبراطورية الرومانية الشرقية عرفت بالبيزنطية نسبة إلى بيزنطية اسم القسطنطينية القديم، سمى العرب سكانها الروم، وأول أباطرة البيزنطين قسَّم أبوه ثيودوسيوس الإمبراطورية إلى غربية وعاصمتها: روما، وإلى شرقية، وعاصمتها: القسطنطينية. وسبب نزول الآية: أنه كان بين فارس والروم قتال، فاحتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى، فغلبت فارس الروم، فبلغ الخبر مكة، فشق على النبي والمسلمين؛ لأن فارس مجوس، لا كتاب لهم، والروم أهل الكتاب، وفرح المشركون، وشمتوا، وقالوا للمسلمين: إنكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون وفارس أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، ولنظهرن عليكم. فنزلت، فقال لهم أبو بكر: لا يقرر الله أعينكم، فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين! فقال له أبيّ بن خلف: كذبت، فقال له الصديق: أنت أكذب يا عدو الله! فقال اجعل بيننا أجلاً أناحبك عليه. والمناحبة. بالحاء المهملة: المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحدٍ منهما، وجعلا الأجل ثلاث سنين، فأخبر أبو بكر رسول الله ﷺ فقال: «ما هكذا ذكرت، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر، وماده في الأجل». فجعلاها مئة قلوص إلى تسع سنين، فلما خشي أبيّ بن خلف أن يخرج أبو بكر أتاه ولزمه وقال: إني

أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلاً، فكفله له ابنه عبد الله بن أبي بكر، فلما أراد أبيّ أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله فلزمه وقال: لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً، ثم خرج إلى أحد، ثم رجع إلى مكة، ومات بها من جراحته التي جرحه إيّاها النّبيُّ حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك على رأس سبع سنين من مناحبتهم، فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبيٍّ، وجاء به إلى رسول الله فقال له: تصدَّق به.

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويتفكروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، وفي أنفسهم: متعلقان بيتفكروا، وما: نافية، وخلق الله السموات: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة مستأنفة لا تعلق لها بما قبلها، وقيل: هي في محل نصب معلقة للتفكر، فتكون في محل نصب على إسقاط الخافض، وإلا: أداة حصر، وبالحق: حال؛ أي: مصحوبة بالحق، قال الزمخشري: والباء في قوله إلا بالحق مثلها في قولك: دخلت عليه بثياب السفر، واشترى الفرس بسرجه ولجامه، تريد: اشتراه وهو متلبس بالسرج

واللجام، غير منفك عنهما، وكذلك المعنى: ما خلقها إلا وهي متلبسة بالحق، مقترنة به. وأجل: عطف على الحق، ومسمى: نعت لأجل. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ الواو: حالية، وإنَّ، واسمها، ومن الناس: صفة لكثيراً، وبلقاء ربهم: متعلقان بكافرون، واللام: المزحلقة، وكافرون: خبر إنَّ. ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والواو: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق، أي: أقعدوا في أماكنهم، ولم يسيروا، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويسيروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، وفي الأرض: متعلقان بيسيروا، فينظروا: الفاء: عاطفة على يسيروا، ولك أن تجعل الفاء: سببية، ويسيروا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان، وعاقبة: اسمها، والذين: مضاف إليه: ومن قبلهم: صلة الذين. ﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ﴾ جملة كانوا: إمَّا تفسيرية لا محل لها، ولك أن تجعلها تابعة على البدلية وكان، واسمها، وأشدَّ: خبرها، ومنهم: متعلقان بأشد، وقوة: تمييز، وأثاروا الأرض: عطف على كانوا، وعمروها: عطف أيضاً، وهو فعل، وفاعل، ومفعول به، وأكثر: نعت لمصدر محذوف، أي: عمارةً أكثر من عمارتهم، ومما: متعلقان بأكثر، وما: مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بمن

﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وجاءتهم رسلهم: فعل، ومفعول به، وفاعل، وبالبينات: متعلقان بجاءتهم، والفاء: عاطفة، وما: نافية، وكان، واسمها، واللام: لام الجحود، ويظلمهم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود والجار والمجرور: متعلقان بالخبر المحذوف، وقد تقدم تقريره، ولكن: الواو: حالية، ولكن: حرف استدراك مهمل، وكانوا: فعل ماض ناقص، والواو: اسمها، وأنفسهم: مفعول مقدم ليظلمون، وجملة يظلمون: خبر

كانوا. ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ ثم: عاطفة للتراخي والشروع في بيان هلاكهم في الآخرة بعد هلاكهم في الدنيا، وكان: فعل ماض ناقص، وعاقبة: خبر كان المقدم، والذين: مضاف إليه، وجملة أساؤوا: صلة، والسوءى: نعت لمصدر أساؤوا.

﴿ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ أن، وما في حيزها: اسم كان المؤخر، ولك أن تجعل السوءى: هي الإسم، وأن، وما في حيزها: نصب بإسقاط الخافض، أو هي: بدل من السوءى، وفيما يلي نص إعراب أبي البقاء، وهو أوضح الأعاريب: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ يقرأ بالرفع والنصب، فمن رفع جعله اسم كان، وفي الخبر وجهان، أحدهما: السوءى، وأن كذبوا: في موضع نصب مفعولاً لـه، أي: لأن كذبوا، أو: بأن كذبوا، أو في موضع جر بتقدير الجار على قول الخليل، والثاني: أن كذبوا، أو في موضع جر بتقدير الجار على قول الخليل، والثاني: أن كذبوا؛ أي: كان آخر أمرهـم التكذيب، والسوءى على هذا: صفة مصدر. ومن نصب جعلها: خبر كان، وفي الاسم وجهان، أحدهما: السوءى، والآخر: أن كذبوا على ما تقدم، ويجوز أن نجعل أنْ كذبوا بدلاً من السوءى، أو: خبر مبتدأ محذوف، والسوءى فُعلى من الأسوأ، وهي صفة لمصدر محذوف، والتقدير: أساء الإساءة السوءى. وإن جعلتها اسماً أو خبراً كان التقدير: الفعلة السوءى، أو: العقوبة السوءى. وكانوا: كان، واسمها، وبها: متعلقان بيستهزئون، وجملة يستهزئون: خبر كانوا.

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ

بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآيِ ٱلۡأَخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يُبۡلِسُ﴾ : أبلس فلان، فهو مبلس: إذا سكت عن يأس. ويقال: أبلس الرجل: انقطعت حجته، فسكت، فهو لازم لا يتعدى، وفي الكشاف: الإبلاس: أن يبقى ساكناً يائساً متحيراً. يقال: ناظرته فأبلس: إذا لم ينبس، ويئس من أن يحتج، ومنه: الناقة المبلاس: التي لا ترغو. وفي القاموس: وأبلس: يئس وتحير، ومنه: إبليس، أو هو أعجمي. فقول صاحب المنجد: إنه يقال: «أبلسه» غلط فظيع، وقد علل علماء التصريف قراءة: يبلس ـ بالبناء للمفعول ـ بأن القائم مقام الفاعل مصدر الفعل، ثم حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه؛ إذ الأصل: يبلس إبلاس المجرمين.

﴿ رَوۡضَةٖ﴾ : الروضة: كل أرض ذات نبات، وماء، ورونق، ونضارة. وفي أمثالهم: أحسن من بيضة في روضة، يريدون بيضة النعامة. وفي الأساس واللسان: بأرضه روضة، وروضات، ورياض، وروَّض الغيثُ الأرضَ، وأراض المكانُ، واستراض، أي: كثرت رياضه. ومن المجاز: أنا عندك في روضة وغدير، ومجلسك روضة من رياض الجنة.

﴿ يُحۡبَرُونَ﴾ : يسرون، يقال: حبره: إذا سره سروراً تهلّل له وجهه فيه أثره، وفي الأساس: وحبره الله: سره ﴿ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾ وهو محبور: مسرور. قال ابن الرومي يصف العنب:

ثُـمَّ جَلَسْنـا مَجْلِسَ المَحْبُـورِ على حِفَـافَـيْ جـدولٍ مَسْجُـورِ

وفي الكشاف: ثم اختلفت فيه الأقاويل، لاحتماله وجوه جميع المسار، فعن مجاهد رضي الله عنه: يكرمون، وعن قتادة: ينعمون، وعن ابن كيسان: يحلون، وعن أبي بكر بن عياش: التيجان على رؤوسهم، وعن وكيع: السماع في الجنة، وعن النبي ﷺ: أنه ذكر الجنة وما فيها من النعيم، وفي آخر القوم أعرابي فقال: يا رسول الله! هل في الجنة سماع؟ قال: «نعم يا أعرابي!

إن في الجنة لنهراً حافتاه الأبكار، من كل بيضاء خوصانية، يتغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها قط فذلك أفضل نعيم الجنة». قال الراوي: فسألت أبا الدرداء بم يتغنين؟ قال: بالتسبيح. وروي: أن في الجنة لأشجاراً عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش، فتقع في تلك الأشجار، فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعتها أهل الدنيا لماتوا طرباً. هذا ويأتي فصل ممتع عن السماع وأثره في باب الفوائد.

○ الإعراب:

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ لفظ الجلالة: مبتدأ، وجملة يبدأ الخلق: خبره، ثم يعيده: عطف على يبدأ. ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ الظرف متعلق بيبلس، وجملة تقوم: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والساعة: فاعل تقوم، ويبلس المجرمون: فعل، وفاعل. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ الواو: عاطفة، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويكن: فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، ولهم: خبر يكن المقدم، ومن شركائهم: حال؛ لأنه صفة لشفعاء في الأصل، وتقدم عليه. وشفعاء: اسم يكن، وكانوا: كان، واسمها، وبشركائهم: متعلقان بكافرين، وكافرين: خبر كانوا. ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ الظرف: متعلق بيتفرقون، وقد تقدم إعراب نظيرها، ويومئذ: تأكيد لفظي للظرف. ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ الفاء: تفريعية، وأمَّا: حرف شرط، وتفصيل، والذين: مبتدأ، وجملة آمنوا: صلة، وجملة عملوا الصالحات: عطف على الصلة، والفاء: رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وهم: مبتدأ، وفي روضة: متعلقان بيحبرون، وجملة يحبرون: خبر هم، والجملة: خبر الذين.

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ عطف على الجملة السابقة، ونظيرها في الإعراب، ومعنى محضرون؛ أي: لا يغيبون عنه، ولا يخفف عنهم.

* الفوائـد:

الغناء في الجنة وغناء الحور العين:

روي عن عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين، يرفعن بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها، يقلن: نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ في الجنة نهراً طولَ الجنة، حافتاه العذارى قيام متقابلات، يغنين بأحسن أصوات يسمعها الخلائق، حتى ما يرون: أنّ في الجنة لذة مثلها، قلنا: يا أبا هريرة! وما ذاك الغناء؟ قال: إن شاء الله التسبيح، والتحميد، والتقديس، وثناء على الرب عز وجل.

لمحة عن تاريخ الغناء:

لم يكن الغناء في غابر العصور على ما نعهده اليوم من ضبط القواعد والروابط، بل كان ساذجاً، وأول من جعل له قواعد وضوابط ـ على ما قيل ـ بطليموس، وهو فيلسوف رياضي، اشتغل بالرياضيات والموسيقى، وإليه ينسب أول سلم موسيقي، وكان أول من غنى في العرب من النساء قينتان لعاد، يقال لهما: الجرادتان ومن غنائهما:

ألا يا قينُ وَيْحَكَ قُمْ وهَيْنِمْ لَعَلَّ الله يُصْبِحُنا غماما

وأول من غنى من الرجال في اليمن ذو جدن، وهو قَيْلٌ من أقيال حمير، وهكذا كان غناء العرب في جاهليتهم ساذجاً، كتغني الحداة في حداء إبلهم، والفتيان بالقمر، والنجم، والفلاة، والخيل. وقد ورد ذكر الغناء في شعرهم، قال طرفة بن العبد:

إذا نحنُ قلنا: أَسْمِعينا انْبَرَتْ لنا
على رِسْلها مطروفةٌ لم تردّد

أي: لم تتكلف، وقوله: مطروفة، هي التي أصيب طرفها بشيء، أي:

كأنها أصيب طرفها لفتور نظرها، ويروى: مطلوقة، ومطروقة.

قال ابن رشيق القيرواني في كتاب «العمدة»: غناء العرب قديماً على ثلاثة أوجه: النصب، والسناد، والهزج، فأما النصب: فغناء الركبان، والفتيان، قال إسحاق بن إبراهيم: وهو الذي يقال له: المرائي، وهو الغناء الجنابي، اشتقه رجل من كلب يقال له: جناب بن عبد الله بن هبل، فنسب إليه، ومنه كان أصل الحداء، وكله يخرج من أصل الطويل في العروض، وأمَّا السناد: فالثقيل ذو الترجيع، الكثير النغمات والنبرات، وهو على ست طرائق: الثقيل الأول، وخفيفه، والثقيل الثاني، وخفيفه، والرَّمل وخفيفه، وأما الهزج: فالخفيف الذي يرقص عليه، ويمشي بالدف والمزمار، فيطرب ويستخف الحليم.

قال إسحاق: هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالإسلام، وفتحت العراق، وجلب الغناءَ الرقيقُ من فارس والروم، فغنوا الغناء المجزَّأ المؤلف بالفارسية والرومية، وغنوا جميعاً بالعيدان، والطنابير، والمعازف والمزامير.

وقال الجاحظ: العرب تقطِّع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة، والعجم تمطّط الألفاظ، فتقبض، وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن، فتضع موزوناً على غير موزون.

ولم يزالوا على طريقتهم هذه حتى جاء الإسلام، فكانوا إذ ذاك لا يطربون إلا بالقراءة، والشعر الحماسي، لتمكن الدين منهم، ولأنهم في دور تأسيس وفتوح، فلما استتب لهم الأمر غلب عليهم الرفه والترف، فمالوا إلى الدَّعة، ورقت طبائعهم، ولانت جوانبهم، وتفرق المغنون من الفرس والروم، فوقعوا إلى الحجاز، وصاروا موالي لهم، وغنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف، وسمع العرب تلحينهم للأصوات، فلحنوا عليها أشعارهم.

تأثير الغناء:

قال الغزالي في «الإحياء»: لله سر في مناسبة النغمات الموزونة للأرواح،

حتى أنها لتؤثر فيها تأثيراً عجيباً، فمن الأصوات ما يفرح، ومنها ما ينوم، ومنها ما يضحك ويطرب، ومنها ما يستخرج من الأعضاء حركات على وزنها باليد، والرجل، والرأس، ولا ينبغي أن يظنَّ: أن ذلك لفهم معاني الشعر، بل هذا جار في الأوتار، حتى قيل: من لم يحركه الربيع وأزهاره، والعودُ وأوتاره، فهو فاسد المزاج، ليس له علاج، وكيف يكون ذلك لفهم المعنى؛ وتأثيره مشاهد في الصَّبي في مهده؟ فإنَّه يسكنه الصوت الطيب عن بكائه، وتنصرف نفسه عما يبكيه إلى الإصغاء إليه، والجمل مع بلادة طبعه يتأثر بالحداء تأثراً يستخف معه الأحمال الثقيلة، ويستقصر ـ لقوة نشاطه في سماعه ـ المسافات الطويلة، وينبعث فيه من النشاط ما يسكره، ويولهه، فترى الجمال إذا طالت عليها البوادي؛ واعتراها الإعياء، والكلال تحت المحامل والأحمال؛ إذا سمعت منادي الحداء تمدّ أعناقها، وتصغي إلى الحادي ناصبة آذانها، وتسرع في سيرها؛ حتى تتزعزع عليها أحمالها ومحاملها، وربما تتلف أنفسها من شدة السير، وثقل الحمل، وهي لا تشعر به لنشاطها. ثم ذكر الغزالي دليلاً على ما قاله قصة العبد الذي أهلك الجمال بطيب صوته؛ إذ جعلها تقطع مسيرة ثلاثة أيام في ليلة واحدة، وبعد ذلك قال: فإن تأثير السماع في القلب محسوس، ومن لم يحركه السَّماع فهو ناقص مائل عن الاعتدال، بعيد عن الروحانية، زائد في غلظ الطبع وكثافته على الجمال والطيور، بل على جميع البهائم، فإنَّ جميعها تتأثر بالنغمات الموزونة، ولذلك كانت الطيور تقف على رأس داود عليه السلام لاستماع صوته، ومهما كان النظر في السَّماع باعتبار تأثيره في القلب لم يجز مطلقاً أن يحكم فيه بإباحة ولا تحريم، بل يختلف ذلك بالأحوال، والأشخاص، واختلاف طرق النغمات، فحكمه حكم ما في القلب.

ومن غريب ما ينقل في تأثير الغناء: خرج مخارق المغني مع بعض أصحابه إلى بعض المتنزّهات، فنظر إلى قوسٍ مذهبة مع أحد من خرج معه، فسأله إياها، فكأنَّ المسؤول ضنَّ بها، وسنحت ظباء بالقرب منه، فقال لصاحب

القوس: أرأيت إن تغنيت صوتاً فعطفت عليك خدود هذه الظباء؛ أتدفع إليَّ هذه القوس؟ قال نعم، فاندفع يغني:

مـــاذا تقـــولُ الظِّبـــاءُ أَفُـــرْقـــةٌ أَمْ لِقَـــاءُ؟
أَمْ عَهْـــدُهـــا بسليمـــى وفي البيـــانِ شِفَـــاءُ
مـــرتْ بنـــا سـانحـــاتٍ وقَـــدْ دنـــا الإِمْسَـــاءُ
فَمَـــا أَحَـــارَتْ جـــوابـــاً وطَـــالَ فيهـــا الغِنَـــاءُ

فعطفت الظباء راجعة إليه؛ حتى وقفت بالقرب منه مستشرفة، تنظر إليه مصغية على صوته، فعجب من حضر من رجوعها، ووقوفها، وناوله الرجل القوس، فأخذها، وقطع الغناء، فعاودت الظباء نفارها، ومضت راجعة على سننها.

قصة المليحة صاحبة الخمار الأسود:

وقصة المليحة صاحبة الخمار الأسود مشهورة، وهي من خير ما يتمثّل به، ويرويها الأصمعي فيقول: قدم أعرابي بعدلٍ من خُمُر العراق، فباعها كلَّها إلا السُّود، فشكا ذلك إلى الدَّارمي (وهو مسكينَ الدارمي الشاعر) وكان قد تنسَّك، وترك الشِّعر، ولزم المسجد، فقال: ما تجعل لي؟ على أن أحتال لك بحيلة حتى تبيعها كلَّها على حكمك. قال: ما شئت. قال: فعمد الدارمي إلى ثياب نسكه، فألقاها عنه، وعاد إلى مثل شأنه الأول، وقال شعراً، ورفعه إلى صديقٍ له من المغنين، فغنَّى به، وكان الشعر:

قُلْ للمليحةِ في الخِمارِ الأَسْوِدِ مـاذا فعلـتِ بنـاسـكٍ متعبِّـدِ
قَـدْ كـان شمَّـر للصـلاةِ ثيـابَـهُ حتى خَطَرْتِ له بباب المسْجِدِ
ردِّي عليـه صـلاتَـهُ وصِيـامَـهُ لا تَقْتُلِيـه بحـقِّ دِيْـنِ مُحَمَّـدِ

فشاع هذا الغناء في المدينة، وقالوا: قد رجع الدراميُّ، وتعشَّق صاحبة الخمار الأسود، فلم تبق مليحة في المدينة إلا اشترت خماراً أسود، وباع التاجر جميع ما كان معه، فجعل إخوان الدَّارمي من النُّساك يمرون فيقولون: ما صنعت؟ فيقول: ستعلمون بعد حين، فلما أنفد العراقي جميع ما كان

معه؛ رجع الدارمي إلى نسكه، ولبس ثيابه.

هذا ولو أردنا استقصاء ما ورد في هذا الباب من التأثير العجيب؛ لطال بنا البحث، ولكنَّا اكتفينا بما أوردناه؛ لئلا نخرج عن الموضوع.

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الفاء: الفصيحة، كأنها أبانت وأفصحت عما تقدم من عظمته في الخلق ابتداء، وقيام الساعة انتهاء، فإذا تبين لك ذلك فسبح الله واحمده على كل حال؛ لأن التسبيح والتقديس هما الذريعتان إلى النجاة، وقيل: أشار إلى الصلوات الخمس في هذه الآية لما روي عن ابن عباس عندما سئل: هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال: نعم. وتلا هذه الآية. ففي تمسون: صلاتا المغرب والعشاء، وفي تصبحون: صلاة الفجر، وفي العشي: صلاة العصر، وفي تظهرون: صلاة الظهر، أي: تدخلون في الظهيرة. وسبحان الله: مفعول مطلق لفعل محذوف، وحين تمسون: ظرف متعلق بسبحان، وجملة تمسون: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وتمسون: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل؛ لأنها تامة، ومعناها: تدخلون في المساء، وسيأتي بحث التمام في باب الفوائد، وحين تصبحون:

عطف على حين تمسون. ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الواو: اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه، وفيه نكتة أوردها الرازي، وستأتي في باب الفوائد، وله: خبر مقدم، والحمد: مبتدأ مؤخر، وفي السموات: حال، والأرض: عطف على السموات، والجملة: معترضة، وعشياً: عطف على حين تمسون، وكذلك قوله: وحين تظهرون. ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ الجملة مستأنفة، أو: حالية، ويخرج: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، يعود على الله، والحي: مفعول به، ومن الميت: متعلقان بيخرج، أي: كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة، ويخرج الميت من الحي: عطف على ما سبق، أي: كالنطفة من الإنسان، والبيضة من الطائر.

﴿وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ الواو: عاطفة ويحيي الأرض: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبعد موتها: الظرف متعلق بيحي، وإحياؤها: إخراج النبات منها، وكذلك: نعت لمصدر محذوف أي: مثل ذلك الإخراج تخرجون، وتخرجون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، وقرىء بالبناء للمعلوم، فالواو: فاعل.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ الواو: عاطفة، ومن آياته: خبر مقدم، وأن، وما في حيزها: مبتدأ مؤخر، ومن تراب: جار ومجرور، متعلقان بخلقكم، وثم: حرف عطف للتراخي، وإذا: فجائية، وأنتم: مبتدأ، وبشر: خبر، وجملة تنتشرون: حال، وسيأتي وقوع إذا الفجائية بعد ثم في باب الفوائد.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ الواو: عاطفة، والجملة: معطوفة على سابقتها، وقد ذكر سبحانه ست آيات من آياته، وأزواجاً: مفعول خلق، واللام: للتعليل، وتسكنوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وإليها: متعلقان بتسكنوا. ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وجعل: عطف على

خلق، وبينكم: ظرف في موضع المفعول الثاني لجعل، ومودة: هو المفعول الأول، ورحمة: عطف على مودة، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وآياتٍ: اسمها المؤخر، ولقوم: صفة لآيات، وجملة يتفكرون: صفة لقوم. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ عطف أيضاً على ما تقدم، وستأتي حكمة الاختلاف بين الألسنة والألوان في باب الفوائد.

* الفوائد:

١ ـ معنى التمام في أفعال النقصان عند سيبويه والجمهور: هو دلالتها على الحدث والزمان، ومعنى النقصان عندهم: هو سلب الدلالة على الحدث، والتجرد للدلالة على الزمان، وذهب ابن مالك، وابن هشام: إلى أن معنى التمام: هو الاستغناء بالمرفوع عن المنصوب. قال ابن مالك في الخلاصة: «وذو تمام ما برفع يكتفي» ومعنى النقصان: هو عدم الاستغناء بالمرفوع عن المنصوب. وقد أورد ابن مالك عشرة أمور ليبطل بها مذهب الجمهور، وهي مذكورة في شرحه على التسهيل، فليرجع إليها هناك من يحبُّ الاستقصاء، إذا عرفت هذا فاعلم أن لـ «أصبح، وأمسى، وأضحى» ثلاثة معان:

١ ـ أن تقرن مضمون الجملة بالأوقات الخاصة التي هي: الصباح، والمساء، والضحى على طريقة كان.

٢ ـ أن تفيد معنى الدخول في هذه الأوقات، كأظهر، وأعتم، وهي في هذا الوجه تكون تامة، يسكت على مرفوعها، قال حميد الأرقط:

فأصبحوا والنَّوى عالي مُعَرَّسِهِمْ
وليس كلَّ النَّوى تُلْقي المساكينُ

وقبله:

باتوا وجُلَّتُنا الصُّهباءُ بينهم
كأنَّ أظفارَهُم فيها السَّكاكِيْنُ

والجلَّةُ: قفة التمر، تتخذ من سعف النخل وليفه، ولذلك وصفها بالصهبة يقول: لما أصبحوا ظهر على معرسهم وهو موضع نزولهم نوى التمر وعلاه لكثرته على أنهم لحاجتهم لم يلقوا إلا بعضه.

٣ ـ أن تكون بمعنى صار، كقولك: أصبح زيد غنياً، وأمسى فقيراً، تريد: أنه صار كذلك مع قطع النظر عن وقت مخصوص، قال عدي بن زيد:

ثُمَّ أَضْحَوا كأنَّهم ورق جفّ
فألوتْ به الصَّبا والدَّبور

٢ ـ الاعتراض:

تقدم القول في الجمل المعترضة، والواو الاعتراضية، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الجملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه لنكتة أوردها الرازي وهي: أن تسبيحهم لنفعهم، لا له، فعليهم أن يحمدوه إذا سبَّحوه؛ لأجل نعمة هدايتهم إلى التوفيق.

٣ ـ الفاء قبل إذا الفجائية:

تقدم القول في إذا الفجائية. ونقول هنا: إنَّ الغالب فيها أن تقع بعد الفاء لأنها تقتضي التعقيب، ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة إلى ما يليق بالحالة الخاصة، أي: بعد تلك الأطوار التي قصها علينا في مواضع أخر، من كوننا نطفة، ثم مضغة، ثم عظماً مجرداً، ثم عظماً مكسواً لحماً، فاجأ البشرية بالانتشار، أي: أنَّهم إنَّما يصيرون بشراً بعد أطوار كثيرة.

٤ ـ الحكمة في اختلاف الألوان والألسنة:

خالف سبحانه بين الألوان والألسنة، حتى ما تكاد تسمع منطقين متفقين في جرس واحدٍ، ولا جهارة واحدة، وحتى ما تكاد ترى صورتين متشابهتين تمام التشابه في الألوان، والسمات، والقسمات؛ لحصول التعارف، وإلا فلو

كانت على مسلاخ واحدٍ، وبلونٍ واحدٍ، وتقاسيم، وتقاطيع واحدٍ؛ لحصل الخلل، والالتباس، ولانعدم التمييز بينها جميعاً، حتى أن التوءمين مع توافق موادهما، وأسبابهما، والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيءٍ من ذلك محالة، مهما يتقاربا في وجوه الشبه.

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ الواو: عاطفة، ومن آياته: خبر مقدم، ومنامكم: مبتدأ مؤخر، وبالليل: متعلقان بمنامكم، وابتغاؤكم: عطف على منامكم، ومن فضله: متعلقان بابتغاؤكم. ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ إنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وآيات: اسمها المؤخر، ولقوم: صفة لآيات، وجملة يسمعون: صفة لقوم. ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ من آياته: خبر مقدم، ويريكم: مبتدأ مؤخر؛ على أنه فعل مضارع مؤول مع أنْ المصدرية المحذوفة، والأصل: أن يريكم، وسيأتي المزيد من هذا المبحث الهام في باب الفوائد، ويريكم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، يعود على الله، والكاف: مفعول به أول، والبرق: مفعول به ثان، وخوفاً، وطمعاً: نصب على أنهما مفعول لأجله، وقد اعترض على هذا الإعراب بأن من حق المفعول له أن يكون فعلاً لفاعل الفعل المعلل، والخوف والطمع ليسا كذلك. والجواب عن هذا الاعتراض يأتي من جهتين: إمَّا أنَّ المفعولين فاعل في المعنى؛

لأنهم راؤون، فكأنه قيل: يجعلكم رائين البرق خوفاً وطمعاً، والثاني: أن يكون على تقدير حذف المضاف، أي: إراءة خوف، وإراءة طمع، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، ويجوز أن يكونا حالين؛ أي: خائفين طامعين، وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب الفوائد.

﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ وينزل: عطف على يريكم، ومن السماء: جار ومجرور متعلقان بينزل، وماء: مفعول به، فيحيي: عطف على ينزل، وبه: متعلقان بيحيي، والأرض: مفعول به، وبعد موتها: الظرف متعلق بمحذوف حال. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ تقدم إعرابه. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ عطف على ما تقدم. ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة دعاكم: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ودعاكم: فعل ماض، وفاعل مستتر، ومفعول به، ودعوة: مفعول مطلق، ومن الأرض: متعلقان بدعاكم، يقال: دعوته من أسفل الوادي، فطلع إلي، وإذا: الفجائية، وهي تقوم مقام الفاء في جواب الشرط، وأنتم: مبتدأ، وجملة تخرجون: خبر. ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾ له: خبر مقدم، ومَنْ: مبتدأ مؤخر، وفي السموات والأرض: صلة، وكلٌّ: مبتدأ، وله: متعلقان بقانتون، وقانتون: خبر كل، أي: مطيعون طاعة انقياد.

□ البلاغة:

في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فن اللف، وقد تقدم بحثه كثيراً، قال الزمخشري: هذا من باب اللف، وترتيبه: ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار. إلا أنه فصل بين القرينتين الأولين بالقرينتين الأخريين؛ لأنهما زمانان، والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع إعانة اللف على الاتحاد، ويجوز أن يراد: منامكم في الزمانين، وابتغاؤكم فيهما، والظاهر هو الأول؛ لتكرره في القرآن، وأشدُّ

المعاني ما دل عليه القرآن يسمعونه بالآذان الواعية. أقول: ما الزمخشري مشكل من جهة الصناعة النحوية، لأنه إذا كان المعنى ما ذكره ر النهار معمول ابتغاؤكم، وقد تقدم عليه، وهو مصدر، وذلك لا يجو ، يلزم العطف على معمولي عاملين، فالتركيب لا يسوغ.

وشجب ابن هشام قول الزمخشري فقال: قول الزمخشري: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ إنَّه من اللف والنشر، وأن المـ ى: منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار، وهذا يقتضي أن يكون ! ـهار معمولاً للابتغاء مع تقديمه عليه، وعطفه على معمول منامكم، وهو بالليل، وهذا لا يجوز في الشعر، فكيف في أفصح الكلام؟.

أقول: إنَّ الزمخشري لم يرد العمل الذي قاله ابن هشام، بل مراده: أن الليل مرتبطٌ معنى بالمنام، والنهار مرتبط معنى بالابتغاء.

وبالليل: خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: وذلك كائن بالليل والنهار، والجملة: معترضة، حقها التأخير.

* الفوائـد:

١ ـ شرط اتحاد الفاعل في المفعول لأجله:

أشرنا في الإعراب إلى الاعتراض الموجه إلى إعراب ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ مفعولاً لهما، والرد على الاعتراض، وشرط اتحاد الفاعل قاله المتأخرون من النحاة، وخالفهم ابن خروف، فأجاز النصب مع اختلاف الفاعل محتجاً بهذه الآية، قائلاً: إن فاعل الإراءة هو الله تعالى، وفاعل الخوف والطمع المخاطبون. وأجاب عنه ابن مالك في شرح التسهيل فقال: معنى يريكم: يجعلكم ترون، ففاعل الرؤية على هذا هو فاعل الخوف والطمع.

ومن أمثلة حذف: أَنْ وإنزال الفعل منزلة المصدر المثل المعروف: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه. وهذا المثل يضرب لمن خبره خير من مرآه، أول من قاله المنذر بن ماء السماء، وكان يسمع بمشقة بن ضمرة المعيدي، ويعجبه

ما يبلغه عنه، فلما رآه، وكان كريه المنظر، قال هذا المثل، فخير: خبر للمصدر المنسبك من أَنْ المضمرة في تسمع، أي: سماعك، ومنه قول طرفة بن العبد:

ألا أيُّهذا الزاجريُّ أَحْضُرَ الوغى
وأَنْ أَشْهَدَ اللَّذاتِ هل أنت مُخْلدي

وقد روى أحضر بالنصب والرفع، ووجه النَّصب: بأن مضمرة، ويؤيده: وأن أشهد، وقول الآخر:

وقالوا: ما تَشَاءُ؟ فقلتُ ألهو
إلى الإِصْبَاحِ آثَرَ ذي أثير

وهذا البيت لعروة بن الورد العبسي من جملة أبيات منها:

أَرِقْتُ وصحبتي بمضيقِ عِمْق لبرقٍ مِنْ تِهامةَ مُسْتَطِيرِ
سَقُوني الخَمْرَ ثمَّ تَكَنَّفُوني عُداةُ الله من كذبٍ وزورِ
وقالوا ما تشاء... البيت.

وأرقت: سهرت، والواو: للمعية، والمضيق: المكان الضيق، وعمق بكسْر فسكون: شجر ببلاد الحجاز، وبضم ففتح: موضع منخفض عند مكة، ولعلَّه سكن هنا للوزن، والبرق: متعلق بأرقت، أي: سهرت في هذا الموضع لأجل برق من تهامة جهة محبوبتي، ويحتمل أنَّ الواو: حالية وصحبتي: مبتدأ خبره: بمضيق عمق، وإذا كان أصحابه فيه فهو فيه، فرجع إلى الأول، ومستطير: منتشر، وتكنفوني: أحاطوا بي، وعداة: جمع عاد بمعنى: عدو، وقيل: جمع عدو، أي: هم أعداء الله من أجل كذبهم وزورهم، وهي جملة اعتراضية، ويحتمل: أنَّ عداة: بدل من ضمير الفاعل، أي: أحاطوا بي وقالوا: ما الذي تريده؟ فقلت: ألهو، أي: هو أن ألهو، فأَنْ: مقدرة معنى وإن ولم ينتصب الفعل لفظاً، وقال الجوهري في «الصحاح»: يقال: افعل هذا آثر ذي أثير؛ أي: أول كل شيء. فأشار إلى أنَّ آثر: نصب على الظرفية المجازية، أو: الحالية، أي: افعله حال كونه أول كل

شيء يؤثر، فهو أفعل تفضيل بمعنى المفعول.

٢ ـ خاض المعربون كثيراً في إعراب هذه الآية، وقد لخص أبو البقاء أقوالهم جميعاً في ثلاثة نوردها فيما يلي بنص كلامه:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ ﴾ فيه ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن من آياته: حال من البرق؛ أي: يريكم البرق كائناً من آياته، إلا أنَّ حق الواو أن تدخل هنا على الفعل، ولكن لما قدم الفعل، وكانت من جملة المعطوف؛ أولاها الواو، وحسن ذلك: أنَّ الجار والمجرور في حكم الظرف، فهو كقوله: ﴿ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾. والوجه الثاني: أن أَنْ محذوفة؛ أي: ومن آياته أن يريكم، وإذا حذفت أَنْ في مثل هذا؛ جاز رفع الفعل. والثالث: أن يكون الموصوف محذوفاً، أي: ومن آياته آية يريكم فيها البرق، فحذف الموصوف، والعائد، ويجوز أن يكون التقدير: ومن آياته شيء، أو سحاب، ويكون الفاعل ضمير شيء المحذوف. والوجه الثاني هو الذي اخترناه، وهو الظاهر، والأبعد عن التكلف، وهو الموافق لأخواته التي ذكر فيها الحرف المصدري.

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾ الواو: عاطفة،

وهو: مبتدأ، والذي: خبر، وجملة يبدأ الخلق: صلة الذي، والخلق في الأصل مصدر، ولكنَّ إعادة الضمير في يعيده عليه صار بمعنى المخلوق، فهو استخدام، وسيأتي بحث هذا الفن الرفيع في باب البلاغة، وهو: الواو حالية، أو: عاطفة، وهو: مبتدأ، وأهون: خبره، وعليه: متعلقان بأهون، وسيأتي السر في تذكير الضمير في قوله: وهو؛ مع أن المراد به: الإعادة، كما سيأتي معنى: أهون عليه، وسر تأخير الجار والمجرور، وهو: عليه. ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الواو: عاطفة، وله: خبر مقدم، والمثل: مبتدأ مؤخر، والأعلى: صفة، وفي السموات: حال، والأرض: عطف على السموات، وهو: مبتدأ، والعزيز: خبر أول، والحكيم: خبر ثان. ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ﴾ ضرب: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، ومعنى ضرب هنا: جعل، ولكم: في محل نصب مفعول ثان، ومثلاً: هو المفعول الأول، ومن أنفسكم: صفة لمثلاً؛ أي: كائناً من أنفسكم، فمِنْ معناه: الابتداء، كأنه قال: أخذ مثلاً، وانتزعه من أقرب شيءٍ منكم. ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ هل: حرف استفهام، ولكم: خبر مقدم، ومما: حال من شركاء؛ لأنه في الأصل: نعت نكرة، فقدم عليها، وجملة ملكت: صلة، وأيمانكم: فاعل ملكت، ومن: حرف جر زائد، وشركاء: مبتدأ مؤخر، وفيما رزقناكم: متعلقان بشركاء، وما في مما ملكت: بمعنى النوع، والتقدير: هل شركاء فيما رزقناكم كائنون من النوع الذي ملكت أيمانكم مستقرون لكم، فكائنون: هو الوصف المتعلق به مما ملكت، فلما قدم صار حالاً، ومستقرون هو الخبر الذي تعلق به ولكم.

﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الفاء: واقعة في جواب الاستفهام، وأنتم: مبتدأ، وفيه: متعلقان بسواء، وسواء: خبر، وجملة تخافونهم: خبر ثان لأنتم، أو: في موضع الحال من ضمير الفاعل في سواء؛ أي: فتساووا خائفاً بعضكم من

بعض مشاركته له في المال، وكخيفتكم: نعت لمصدر محذوف، أي: خيفة مثل خيفتكم، والمصدر: مضاف لفاعله، وأنفسكم: مفعول به للمصدر، وكذلك: نعت لمصدر محذوف أيضاً، ونفصل الآيات: فعل مضارع، وفاعل مستتر، تقديره: نحن والآيات: مفعول به، ولقوم: متعلقان بنفصل، وجملة يعقلون: صفة لقوم.

﴿ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ حرف اضراب، وعطف، واتبع: عطف على طريق الالتفات، والذين: فاعل اتبع، وجملة ظلموا: صلة الذين، وأهواءهم: مفعول به، وبغير علم: حال. ﴿ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ الفاء: الفصيحة، ومن: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة يهدي: خبر، ومَنْ: مفعول يهدي، وجملة أضل الله: صلة، والعائد: محذوف، أي: أضله الله، والواو: حرف عطف، وما: نافية، ولهم: خبر مقدم، ومن: حرف جر زائد، وناصرين: مجرور لفظاً مبتدأ مؤخر محلاً، ويجوز أن تجعل ما: حجازية عند من يجيز تقديم خبرها على اسمها.

□ البلاغة:

١ ـ فن الاستخدام:

في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ فن الاستخدام، كما قررنا في الإعراب، وهو فن دقيق غامض المسلك، وفيه قولان؛ الأول: أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنين اشتراكاً أصلياً متوسطة بين قرينتين، أو متقدمة عليهما، أو متأخرة عنهما، يستخدم كل قرينة منهما في معنى من معنيي تلك الكلمة المشتركة، وهذا مذهب ابن مالك، سواء كان الاستخدام بضمير، أو بغير ضمير. قال الله تعالى: ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ فإن لفظة كتاب تحتمل الأجل المحتوم، والكتاب المكتوب، وقد توسطت بين لفظي أجل، ويمحو؛ إذا استخدمت أحد مفهوميها وهو

الأجل بقرينة ذكر الأجل، واستخدمت المفهوم الآخر وهو المكتوب بقرينة يمحو.

والقول الثاني: إنه إطلاق لفظ مشترك بين معنيين مطلقاً، فيريد بذلك اللفظ أحد المعنيين، ثم يعيد عليه ضميراً يريد به المعنى الآخر، أو يعيد عليه ضميرين يريد بأحدهما أحد المعنيين، وبالآخر المعنى الآخر بعد استعماله في معناه الثالث، وهذا هو المذهب المشهور في الاستخدام، وهو طريقة صاحب الإيضاح ومن تبعه، ومنه الآية التي نحن بصددها، فقد أعاد الضمير وهو قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ على الخلق بمفهومه الآخر، وهو المخلوق، لا بمفهومه الأول، وهو المصدر، ومنه قول البحتري:

فسقى الغَضا والسَّاكِنيه وإنْ هُمُ
شَبُّوهُ بَيْنَ جَوانِحي وضُلُوعي

فقد أعاد ضمير شبوه على الغضا بمفهومه الآخر، وهو الشجر تكون ناره قوية، وبها يضرب المثل، فيقال: جمر الغضا، مع أنه يريد مكاناً معيناً تنزل فيه محبوبته.

٢ ـ وفي هذه الآية أيضاً فن «المذهب الكلامي» وقيل: إن أول من اخترعه الجاحظ، وزعم: أنه لا يوجد منه شيء في القرآن الكريم، وهو مشحون به، وتعريفه: أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له على طريقة أرباب الكلام، ومنه نوع منطقي، تستنتج فيه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، وقد ساق الرماني في إعجازه المترجم بالنكت، وفي تفسيره الجامع الكبير في الضرب الخامس من باب المبالغة من الإعجاز: إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل للاحتجاج.

٣ ـ سر تذكير الضمير:

تذكير الضمير في قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ﴾ مع أنه عائد على الإعادة باعتبار كونها رداً وإرجاعاً، أو مراعاة للخبر: وهو أهون، قال الكرخي: وذكر الضمير فيه مع أنه راجع إلى الإعادة المأخوذة من لفظ يعيده نظراً إلى المعنى دون

اللفظ، وهو رجعه، أو رده، كما نظر إليه في قوله: ﴿ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ﴾ أي: مكاناً ميتاً، أو تذكيره باعتبار الخبر.

٤ ـ تأخير الصلة:

وتأخير الجار والمجرور، وهو ﴿عليه﴾ مع أنه مقدم في قوله: ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾ لأن المقصود مما نحن فيه هنا خلاف المقصود هناك، فإنه اختصاص الله بالقدرة على إيلاد الهرم والعاقر، وأما المقصد هنا فلا معنى للاختصاص فيه، كيف والأمر مبني على ما يعتقدونه في المشاهد؛ من أن الإعادة أسهل من الابتداء، فلو قدمت الصلة لتغير المعنى، وهذا سؤال مشهور تعورف بينهم، وهو: أنه كيف قال تعالى: ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ والأفعال كلها بالنسبة إلى قدرته تعالى متساوية في السهولة؟ وإيضاحه: أنَّ الأمر مبني على ما ينقاس على أصولكم، ويقتضيه معقولكم من أن الإعادة للشيء أهون من ابتدائه؛ لأن من أعاد منكم صنعة شيء؛ كانت أسهل عليه، وأهون من إنشائها، فالإعادة محكوم عليها بزيادة السهولة. وهناك جواب آخر، وهو: أن تكون أهون ليست للتفضيل، بل هي صفة بمعنى هين، كقولهم: الله أكبر، أي: كبير.

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾
۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ
ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ حِزْبٍ ﴾: الحزب: الجماعة من الناس، السلاح، جند الرجل وأصحابه الذين على رأيه، النصيب، القسم من القرآن، أو غيره، والجمع: أحزاب، كل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم أحزاب، وإن لم يلق بعضهم بعضاً.

○ الإعـراب:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾ الفاء: الفصيحة، وأقم: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ووجهك: مفعول به، وللدين: متعلقان بأقم، وحنيفاً، حال من فاعل أقم، أو: من مفعوله، أو من الدين ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ مفعول به لفعل محذوف، أي: الزموا فطرة الله، أي: خلقته، وإنما أضمرناه على خطاب الجماعة؛ لقوله فيما بعد: منيبين إليه، كما سيأتي، وقيل: هي مصدر لفعل محذوف، أي: فطركم فطرة، والتي: صفة للفطرة، وجملة فطر الناس: صلة، وعليها: متعلقان بفطر ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ الجملة تعليل للأمر بلزوم فطرته، ولا: نافية للجنس، وتبديل: اسمها المبني على الفتح، ولخلق الله: خبر ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ذلك: مبتدأ، والدين: خبره، والقيم: صفة، والواو: حالية، أو: استئنافية، ولكنَّ، واسمها، وجملة لا يعلمون: خبرها ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ منيبين: حال من فاعل الزموا المضمر، كما أشرنا إليه آنفاً، وهو أحسن من جعله حالاً من فاعل أقم، واتقوا الله: عطف على الزموا المضمرة، وكذلك قوله: وأقيموا الصلاة، ولا: ناهية، وتكونوا: فعل مضارع ناقص مجزوم بلا الناهية، والواو: اسمها، ومن المشركين: خبرها ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ من الذين: بدل من قوله من المشركين بإعادة العامل، وجملة فرقوا دينهم: صلة، وكانوا شيعاً: كان، واسمها، وخبرها ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ كل حزب: مبتدأ، وبما: متعلقان بفرحون، ولديهم الظرف: متعلق بمحذوف صلة للموصول، وفرحون: خبر كل، والجملة: مفسرة مقررة لما قبلها.

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ

تَعۡلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ
أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ
يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ
يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ سُلۡطَٰنٗا ﴾ : السلطان: الحجة، تقول: له سلطان مبين؛ أي: حجة، والملك، وعبارة القاموس: والسلطان: الحجة، وقدرة المَلِك، وتُضم لامه، والوالي، مؤنث؛ لأنه جمع سليط للدهن كأن به يضيء المُلْك، أو لأنه بمعنى الحجة وقد يُذكَّر ذهاباً إلى معنى الرجل. وفي الأساس: وله عليهم سلطان، ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ ﴾ وله سلطان مبين: حجة، وسنابك سَلِطات: طوال قال الجعدي يصف فرساً:

مُـدِلاًّ على سَلِطـات النُّسـو رِشـمّ السنـابـكِ لَـمْ تُقلَـبِ

وروَّى ذُباله بالسليط، وهو الزيت الجيد. وقال أبو البقاء: والسلطان يذكَّر؛ لأنه بمعنى الدليل، ويؤنث؛ لأنه بمعنى الحجة، وقيل: هو جمع سليط، كرغيف، ورغفان.

﴿ يَقۡنَطُونَ ﴾ : ييأسون من الرحمة، وفي المصباح: هو بفتح النون وكسرها سبعيتان، وبابه: ضرب، وتعب، وفي القاموس: قنط، كنصر، وضرب، وحسب، وكرم، قنوطاً، وكفرح، قُنطاً، وقناطة، وكمنع، وحسب، وهاتان على الجمع بين اللغتين: يئس، فهو قنط، كفرِح، وقنّطه، تقنيطاً: آيسه، والقَنْط: المنع، وزُبَيْبُ الصَّبي.

○ **الإعراب:**

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتصوير طبائع الناس المتقلبة، وترجحهم بين الرجاء والقنوط، وإذا: ظرف مستقبل

متضمن معنى الشرط، وجملة مس: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والناس: مفعول به مقدم، وضر: فاعل مؤخر، وجملة دعوا ربهم: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وربهم: مفعول به، ومنيبين: حال من فاعل دعوا، وإليه: متعلقان بمنيبين ﴿ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب والتراخي، وإذا: شرطية، وجملة أذاقهم: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ومنه: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لرحمة، ورحمة: مفعول به ثان، وإذا: الفجائية، وهي رابطة لجواب إذا الأولى بشرطها، فهي تخلف الفاء في الربط، وفريق: مبتدأ، ومنهم: صفة، وبربهم: متعلقان بيشركون، وجملة يشركون: خبر ﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ اللام: للتعليل، أو: العاقبة، والصيرورة، وقيل: هي لام الأمر، والمراد بالأمر: التهديد، والوعيد، ويكفروا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وبما: متعلقان بيكفروا، وجملة آتيناهم: صلة، فتمتعوا: الفاء: عاطفة، وتمتعوا: فعل أمر التفت فيه من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في زجرهم، والفاء: واقعة في جواب الأمر، وسوف: حرف استقبال، وتعلمون: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعل ﴿ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ﴾ أم: حرف عطف منقطعة، فهي بمعنى: بل، وأنزلنا: فعل، وفاعل، وعليهم: متعلقان بأنزلنا، وسلطاناً: مفعول به، والفاء: حرف عطف، وهو: مبتدأ، وجملة يتكلم: خبر، وبما: جار ومجرور متعلقان بيتكلم، وجملة كانوا: صلة، ويجوز أن تكون ما: مصدرية، وكان، واسمها، وبه: متعلقان بيشركون، وجملة يشركون: خبر كانوا.

﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا﴾ عطف على ما تقدم، وجملة فرحوا بها: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة أذقنا: في محل جر بإضافة الظرف إليها ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ عطف أيضاً، وتصبهم: فعل الشرط، وسيئة: فاعل، والباء: سببية، وما: اسم

موصول في محل جر بالباء، والجار والمجرور: متعلقان بتصبهم، وجملة قدمت: لا محل لها، وإذا الفجائية، وقد نابت عن الفاء في ربط الجواب بالشرط، وهم: مبتدأ، وجملة يقنطون: خبر، وجملة إذا هم يقنطون: في محل جزم جواب الشرط ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري المفيد للتقرير، والواو: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويروا: فعل مضارع مجزوم بلم، وأنَّ، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي يروا، وأنَّ، واسمها، وجملة يبسط الرزق: خبرها، ولمن: متعلقان بيبسط، وجملة يشاء: صلة، ويقدر: عطف على يبسط ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ تقدم إعراب نظائرها كثيراً.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ مجاز عقلي، كما تقول: كتابه ناطق بكذا، وهذا مما نطق به القرآن، ومعناه: الدلالة والشهادة، فهو يشهد بشركهم، أو بالذي يشركون به.

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ
ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟
عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ
مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ﴾ الفاء: الفصيحة لأنها أفصحت عن مقدر تقديره: إن عرفت أن السيئة أصابتهم بما قدمت أيديهم

فآت. وآت: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وذا القربى: مفعول به أول، وحقه: مفعول به ثان. وقد احتج أبو حنيفة بهذه الآية على وجوب النفقة للمحارم إذا كانوا محتاجين وعاجزين عن الكسب، والشافعي قاس القرابات على ابن العم؛ لأنه لا ولادة بينهم. والمسكين: عطف على ذا القربى، وكذلك ابن السبيل ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ذلك: مبتدأ، وخير: خبر، وللذين: متعلقان بخير، وجملة يريدون: صلة، والواو: فاعل، ووجه الله: مفعول به، أي: ثوابه، وأولئك: مبتدأ، وهم: مبتدأ ثان، والمفلحون: خبر هم، والجملة: خبر أولئك ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ الواو: عاطفة، وما: شرطية في محل نصب مفعول به مقدم لآتيتم، وآتيتم: فعل، وفاعل، ومن رباً: حال، وليربوا: اللام: للتعليل، ويربو: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور: متعلقان بآتيتم، وفي أموال الناس: متعلقان بيربو، وسيأتي معنى الظرفية في باب البلاغة، والفاء: رابطة لجواب الشرط، ولا: نافية، ويربو: فعل مضارع مرفوع، والجملة: في محل جزم جواب الشرط، وعند الله: متعلق بيربو ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ عطف على ما تقدم، ومعنى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ذوو الإضعاف من الثواب، وسيأتي سر الالتفات في باب البلاغة.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ الله: مبتدأ، والذي خلقكم: خبره، وجملة خلقكم: صلة، وما بعده: عطف عليه. ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هل: حرف استفهام، ومن شركائكم: خبر مقدم، ومن: للتبعيض، ومن يفعل: مبتدأ مؤخر، ومن ذلكم: متعلق بمحذوف حال من شيء؛ لأنه كان في الأصل صفة له، ومن: حرف جر زائد وشيء: مجرور بمن لفظاً مفعول به ليفعل محلاً، وزيدت له لأن النكرة في حيز الاستفهام المتضمن معنى النفي،

وسبحانه: مفعول مطلق لفعل محذوف، وتعالى: فعل ماض، وعما: متعلقان بتعالى، وما: مصدرية، أو: موصولية.

□ البلاغة:

١ ـ الكناية:

في قوله: ﴿لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾ كناية؛ لأن الزيادة التي يأخذها المرابي من أموال الناس لا يملكها أصلاً، فالظرفية هي موضع الكناية.

٢ ـ الالتفات:

في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ التفات عن الخطاب إلى الغيبة للتعظيم، فهو أمدح من أن يقول لهم: فأنتم المضعفون، وفيه حذف المفعول به، أي: ثوابهم.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

○ الإعراب:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير ما عم في مختلف الأنحاء من البرِّ والبحر من مفسدة، وظلم، ولهو، ولعب، وسائر ما يطلق عليه الفساد الذي هو ضد الصلاح. وظهر الفساد: فعل، وفاعل، وفي البر والبحر: متعلقان بظهر، أو بمحذوف حال، ولعله أرجح، وبما: متعلقان بظهر، أي: بسبب كسبهم، فما:

مصدرية، أو: بسبب الذي كسبوه، فهي موصولية، وأيدي الناس: فاعل كسبت ﴿ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ اللام: لام التعليل، ويذيقهم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة، والأولى أن يعلق الجار والمجرور بمحذوف، أي: عاقبهم بذلك، وقيل: اللام ليست للتعليل بل للصيرورة، لأن ذلك هو مآلهم وصيرورتهم، وأجاز أبو البقاء تعليقه بظهر، والهاء: مفعول به أول ليذيق، وبعض الذي عملوا: مفعوله الثاني، ولعل، واسمها، وجملة يرجعون: خبرها ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ﴾ جملة سيروا في الأرض: مقول القول، فانظروا: عطف على سيروا، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم، وكان، واسمها، والجملة: في محل نصب بانظروا المعلقة بالاستفهام، ومن قبل: متعلقان بمحذوف صلة الذين ﴿ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان: أن ما أصابهم كان لفشو الشرك في أكثرهم، والفساد والمعاصي في أقلهم ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ الفاء: الفصيحة، وأقم: فعل أمر، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: أنت، يعود على الرسول ﷺ، والمراد: أمته، ووجهك: مفعول به، وللدين: متعلقان بأقم، والقيم: صفة للدين، أي: اجعل وجهتك اتباع الدين القيم البليغ الاستقامة، وقد تقدم تفسير هذه الكلمة.

﴿ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴾ من قبل: متعلقان بمحذوف حال، وأن وما بعدها: في تأويل مصدر مضاف إليه، ويوم: فاعل يأتي، ولا: نافية للجنس، ومرد: اسمها، وله: خبرها، والجملة صفة ليوم، ومن الله: لك أن تعلقه بيأتي، أي: يأتي من الله يوم لا يرده أحد، ولك أن تعلقه بمحذوف يدل على المصدر المنسبك من أن ويأتي، ولا يجوز تعليقه بمرد؛ لأنه يصبح عندئذ شبيهاً بالمضاف فيعرب، ويومئذٍ: ظرف أضيف لمثله، متعلق بيصدعون، والتنوين: عوض عن جملة، ويصدعون: مضارع حذفت إحدى تاءيه، أي: يتفرقون يوم إذ يأتي هذا اليوم، يقال: تصدع

القوم: إذا تفرقوا، ومنه: الصداع؛ لأنه يفرق شعب الرأس، وقال الشاعر:

وكُنَّا كنَدْماني جُذَيمةَ حُقْبَةً ... من الدَّهرِ حتى قِيْلَ لَنْ يَتَصَدَّعا

﴿ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ الجملة مفسرة، لا محل لها، مسوقة لتفسير قوله: يصدعون، ومَنْ: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وكفر: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء: رابطة للجواب، وعليه: خبر مقدم، وكفره: مبتدأ مؤخر، والجملة: في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه: خبر مَنْ، ومَنْ عمل صالحاً: عطف على ما سبقه مماثل له في إعرابه، وقوله: صالحاً يجوز أن يكون مفعولاً به، وأن يكون نعتاً لمصدر، أي: عملاً صالحاً، والفاء: رابطة، ولأنفسهم: متعلقان بيمهدون، والجملة: جواب الشرط، أي: يمهدون فرشهم الوثيرة، ويوطئونها لئلا تنبو بهم، فتتجافى مضاجعهم، ويتنغص عيشهم﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ اللام: للتعليل، ويجزي: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور: متعلقان بيمهدون، أو: بيصدعون، أو: بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، أي: ذلك كائن ليجزي، والذين: مفعول يجزي، وجملة آمنوا: صلة، وعملوا الصالحات: عطف على يجزي، ومن فضله: متعلقان بيجزي، وإنَّ، واسمها، وجملة لا يحب: خبرها، والكافرين: مفعول به، والجملة: لا محل لها من الإعراب؛ لأنها تعليلية.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ ﴾ جناس المناسبة اللفظي؛ لأن للجناس أصلين، وهما: جناس المزاوجة، وجناس المناسبة، وقد تقدم ذكر هذا مستوفى.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ

بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ
فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى
ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن
كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ
كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

☆ اللغة:

﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ : أحد جموع الريح، والريح مؤنثة، وتجمع أيضاً على: أرواح، وأرياح، وريح، وجمع الجمع: أراويح، وأراييح، والرياح أربع: الجنوب، وهي القبلية، والشمال، وهي الشمالية، والصبا، وهي الشرقية، والدبور، وهي الغربية، والثلاثة الأول رياح الرحمة، والرابعة هي ريح العذاب، وقد تقدم: أن لفظ الريح لم يأت في القرآن إلا في الشر، وجاء الجمع في الخير، ومن ذلك نرى أن العربية غنية بمدلولاتها، وإننا إذا أوغلنا في الألفاظ المخصصة لبعض الأمور استنبطنا مفاهيم ربما كنا لا نعيرها التفاتاً في كتابتنا الحديثة.

﴿كِسَفًا﴾ : بكسر ففتح، ويجوز تسكين السين، جمع: كسفة، أي: قطعة، وفي القاموس: الكسفة بالكسر: القطعة من الشيء، والجمع كِسَف، وكِسْف، وجمع الجمع: أكساف، وكسوف، وكسفه، يكسفه: قطعه.

﴿ٱلْوَدْقَ﴾ : المطر.

○ الإعراب:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ كلام مستأنف، مسوق لعرض آياته تعالى، ومن آياته: خبر مقدم، وأن وما في حيزها: مبتدأ مؤخر، والرياح: مفعول به، ومبشرات: حال، وهذا هو الغرض الأول في إرسالها.

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الواو: عاطفة، والجملة: عطف على قوله: ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ لأن الحال والصفة تتعاوران في إفهام العلة، فكأن التقدير: ليبشركم، وليذيقكم، وعبارة الزمخشري بهذا الصدد: فإن قلت: بم يتعلق ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ قلت: فيه وجهان: أن يكون معطوفاً على مبشرات على المعنى، كأنه قيل: ليبشركم، وليذيقكم، وأن يتعلق بمحذوف، تقديره: وليذيقكم، وليكون كذا وكذا أرسلناها ومن رحمته: متعلقان بيذيقكم، وسيأتي معنى هذا المجاز في باب البلاغة، ولتجري الفلك: عطف أيضاً، وبأمره: حال، ولتبتغوا من فضله: عطف أيضاً، ولعلكم تشكرون: لعلَّ، واسمها، وجملة تشكرون: خبرها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسليته ﷺ، وتأنيساً له، وإيذاناً بالنصر، واللام: موطئة للقسم، وقد: حرف تحقيق، وأرسلنا: فعل، وفاعل، ومن قبلك: حال، ورسلاً: مفعول به، وإلى قومهم: جار ومجرور متعلقان بأرسلنا، فجاؤوهم: عطف على أرسلنا، وبالبينات: متعلقان بجاؤوهم، أو: بمحذوف حال ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، تقديره: فكذبوهم، فانتقمنا، ومن الذين: متعلقان بانتقمنا، وجملة أجرموا: صلة، وكان: الواو: استئنافية، وكان: فعل ماض ناقص، وحقاً: خبرها المقدم، وعلينا متعلقان: بحقاً، أو: بمحذوف صفة له، ونصر المؤمنين: اسمها المؤخر، وهذا هو الإعراب المستقيم، وقد تكلف بعض المعربين، فأجازوا أن يكون حقاً: مصدراً، وعلينا: الخبر، وأن يكون في كان ضمير الشأن، وحقاً: مصدر، وعلينا نصر: مبتدأ، وخبراً في موضع نصب خبر كان، وفي هذا الكلام من تعظيم أمر المؤمنين، وتأهيلهم للكرامة، واستحقاق الإثابة والنصر ما فيه، وفي تعريف المؤمنين تنويه بهم، وإلماع إلى أن من تخلّف عن مراتبهم لا يستحق هذه المنّة الكبرى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ كلام مستأنف أيضاً لتفصيل ما أجمله من ذكر

الرياح وأحوالها، والله: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة يرسل الرياح: صلة فتثير: عطف على يرسل، وسحاباً: مفعول به، والفاء: عاطفة، ويبسطه: عطف على تثير أيضاً، وفي السماء: متعلقان بيبسطه، وكيف: أداة شرط وتعليق كقولهم: كيف تصنع أصنع، وكيف تكون أكون، إلا أنه لا يجزم بها، وجوابها محذوف لدلالة ما قبلها عليه، وكذلك مفعول يشاء، وقد تقدم: أنَّ المفعول بعد يشاء يكون محذوفاً في الغالب، والتقدير: كيف يشاء بسطه يبسطه، فحذف بسطه؛ لأنه مفعول يشاء، وحذف يبسطه لدلالة يبسطه الأول عليه، وكيف: منصوب على الحال بالفعل بعده، والمعنى: على أيِّ حال شاء أن يبسطه يبسطه، وسيأتي مزيد بحث عن كيف الشرطية في باب الفوائد﴿ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ ويجعله: عطف على يبسطه، والهاء: مفعول يجعل الأول، وكسفاً: مفعوله الثاني، فترى: عطف على ما تقدم، وفاعل ترى: مستتر، تقديره: أنت، والودق: مفعول به، وجملة يخرج: حالية؛ لأن الرؤية هنا بصرية، ومن خلاله: متعلقان بيخرج.

﴿ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة أصاب: في محل جرٍّ بإضافة الظرف إليها، وبه: متعلقان بأصاب، ومن يشاء: مفعول أصاب، ومن عباده: حال، وإذا: فجائية واقعة في جواب إذا الأولى، وهم: مبتدأ، وجملة يستبشرون: خبر﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾ الواو: حالية، أو: عاطفة، وإنْ: مخففة من الثقيلة مهملة، أو: عاملة في ضمير شأن محذوف، وكان، واسمها، ومن قبل: متعلقان بمحذوف حال وأَنْ، وما في حيزها: مصدر مؤول مضاف لقبل، وينزل: فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن، وعليهم: متعلقان به، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: هو، واللام: الفارقة، ومبلسين: خبرها، ومن قبله الثانية: قيل: هي تكرير، وتوكيد لمن قبل الأولى، قال الزمخشري: من باب التكرير والتوكيد، كقوله

تعالى: ﴿فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ﴾ . ومعنى التوكيد فيه: الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول، وبعد، فاستحكم يأسهم، وتمادى إبلاسهم، فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك. وقال ابن عطية: وفائدة هذا التأكيد الإعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الإبلاس إلى الاستبشار، وذلك أن قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ يحتمل الفسحة في الزمان، أي: من قبل أن ينزل بكثير، فجاء قوله: ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ بمعنى: أن ذلك متصل بالمطر، فهو تأكيد مفيد.

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إذا أردت أن تعرف ما يترتب على إنزال المطر فانظر، وانظر: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإلى آثار رحمة الله: متعلقان بانظر، وكيف: اسم استفهام في محل نصب على الحال، وهي معلقة لانظر عن العمل، والأرض: مفعول به، وبعد موتها: ظرف متعلق بيحيي، والجملة: بدل من آثار، فهي في حيز النصب بنزع الخافض، والمعنى بعد كل هذا: فانظر إلى إحيائه البديع للأرض بعد موتها، والمراد: التنبيه على عظيم قدرته، وسعة رحمته ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إنَّ، واسمها، أي: إن ذلك القادر، واللام: المزحلقة، ومحيي الموتى: خبرها، وهو: مبتدأ، وعلى كل شيء: متعلقان بقدير، وقدير: خبر هو.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ استعارة ومجاز، فالاستعارة في قوله: ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ وقد تقدمت كثيراً، وهي استعارة مكنية، والمجاز المرسل في قوله: ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ وهو مجاز مرسل، علاقته الحالية، لأن الرحمة تحل في الخصب والمطر، فأطلق الحال، وأريد المحل، وفسر بعضهم الرحمة بقوله: أي: من نعمته من المياه العذبة، والأشجار الرطبة، وصحة الأبدان، وما يتبع ذلك من أمور، لا يحصيها إلا الله.

* الفوائـد:

كيف أيضاً:

جاء في المغني ما نصه: وتستعمل على وجهين: أحدهما: أن تكون شرطاً، فيقتضي فعلين، متفقي اللفظ والمعنى، غير مجزومين، نحو: كيف تصنع أصنع. ولا يجوز: كيف تجلس أذهب باتفاق، ولا كيف تجلس أجلس بالجزم عند البصريين، إلا قطرباً لمخالفتها لأدوات الشرط بوجوب موافقة جوابها لشرطها كما مرَّ، وقيل: يجوز مطلقاً، وإليه ذهب قطرب والكوفيون، وقيل: يجوز بشرط اقترانها بما، قالوا: ومن ورودها شرطاً ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ وجوابها في ذلك كله محذوف لدلالة ما قبلها، وهذا يشكل على إطلاقهم: أن جوابها يجب مماثلته لشروطها وقد استدرك بعض المعلقين على المغني فقال: أجاب بعضهم بأنه يمكن أن يقدر الجواب موافقاً للشرط؛ بأن يقدر الجواب فعل مشيئته متعلقة بالفعل السابق، وهو دال عليه؛ لأن الفعل الاختياري يستلزم المشيئة، والأصل: كيف يشاء أمراً يشاء التصوير في الأرحام. كيف يشاء أمراً يشاء الإنفاق. كيف يشاء أمراً يشاء بسطه. غاية الأمر: أنَّ متعلق الفعلين مختلف. وهذا جواب بعيد؛ لأنهم قالوا: لدلالة ما قبلها؛ لأن المتبادر: أنَّه دال على الجواب، وعلى دفع الإشكال، فيكون ما قبلها دالاً على متعلق جوابها، لا على نفس جوابها، وقد علمت دفع هذا، بأنَّ الفعل الاختياري، وهو الفعل الواقع قبلها، يستلزم المشيئة، وهو الجواب المحذوف.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ
ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن
ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن

ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، دخلت على حرف الشرط، وأرسلنا: فعل، وفاعل، في محل جزم فعل الشرط، وريحاً: مفعول أرسلنا، فرأوه: عطف على أرسلنا، وهو: فعل، وفاعل، ومفعول به، ومصفراً: حال، ولظلوا: اللام واقعة في جواب القسم، وظلوا: فعل ماض ناقص، والواو: اسمها، والجملة لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وقد أغنت عن جواب الشرط حسب القاعدة المشهورة:

واحذِفْ لدى اجْتماعِ شرطٍ وَقَسَمْ
جوابَ ما أَخَّرْتَ فَهو مُلْتَزَمْ

ومن بعده: حال، وجملة يكفرون: خبر ظلوا﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ الفاء: تعليلية، والجملة: تعليل لمحذوف؛ أي: لا تجزع، ولا تحزن على عدم إيمانهم؛ فإنهم موتى، صمٌّ، عميٌ، وإنَّ، واسمها، وجملة لا تسمع الموتى: خبرها، ولا تسمع الصم الدعاء: عطف على الجملة السابقة، والصم: مفعول تسمع الأول، والدعاء: مفعول تسمع الثاني، وإذا: ظرف مستقبل متعلق بتسمع، وجملة ولوا: مضاف إليها الظرف، وولَّوا: فعل، وفاعل، ومدبرين: حال من الواو.

﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية حجازية، وأنت: اسمها، والباء: حرف جر زائد، وهادي: مجرور لفظاً، منصوب محلاً؛ لأنه خبر ما، والعمي: مضاف إليه، وعن ضلالتهم: متعلقان بالعمي، أو: بهادي، على تضمين هادي معنى صارف، وقد تقدم نظيره. ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ إن: نافية، وتسمع: فعل مضارع

مرفوع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإلا: أداة حصر، ومَنْ: مفعول به، وجملة يؤمن: صلة مَنْ، وبآياتنا: متعلقان بيؤمن، فهم: الفاء: عاطفة على المعنى، وهم: مبتدأ، ومسلمون: خبر﴿ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ الله: مبتدأ، والذي: خبر، وجملة خلقكم: صلة، ومن ضعف: متعلقان بخلقكم ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ ثم: حرف عطف، وتراخ، وجعل: فعل ماض، ومن بعد ضعف: مفعول جعل الثاني، أو: متعلق بجعل، وقوة: مفعول جعل﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ثم، وما بعدها: عطف على ما تقدم، وجملة يخلق ما يشاء: حالية، وهو: مبتدأ والعليم: خبر أول، والقدير: خبر ثان.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ السَّاعَةُ﴾ : القيامة، سميت بذلك؛ لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا، أو: لأنها تقع بغتة، وبديهة، وجرت علماً لها، كالنجم للثريا، والكوكب للزهرة، وفي القاموس: والساعة: جزء من أجزاء الجديدين، والوقت الحاضر، والجمع: ساعات، وساعٌ، والقيامة، أو: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، والهالكون، كالجاعة للجياع. والساعة أيضاً: آلة يعرف بها

الوقت بحسب الساعات (مولدة) ومنها: الساعة الرملية، والساعة الشمسية.

﴿ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾: يطلب منهم العتبى، أي: الرجوع، من قولك: استعتبني فلان، فأعتبته، أي: استرضاني فأرضيته، وذلك إذا كنت جانياً عليه، وحقيقة أعتبته، أزلت عتبه، ألا ترى إلى قوله:

غَضِبَتْ تَمِيْمُ أَنْ تَقْتُلَ عَامِراً
يَوْمَ النِّسَارِ فَأُعْتِبُوا بِالصَّيْلَمِ

كيف جعلهم غضاباً، ثم قال: فأعتبوا، أي: أزيل غضبهم، والغضب في معنى العتب، والصَّيلم: ماء لبني عامر، والصيلم: الداهية، والسيف، كما في الصحاح. وفي المصباح: عتب عليه، عتباً، من بابي: ضرب، وقتل، ومعتباً أيضاً: لامه في سخط، فهو عاتب، وعتاب، مبالغةً، وبه سمي، ومنه «عتّاب بن أسيد» وعاتبه، معاتبة، وعتاباً، قال الخليل: حقيقة العتاب: مخاطبة الإدلال، ومذاكرة الموجدة، وأعتبني: الهمزة للسلب، أي: أزال الشكوى، والعتاب، واستعتب: طلب الإعتاب، والعتبى: اسم من الإعتاب.

﴿ يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾: يحملنك على الخفة، والطيش، بترك الصبر.

○ الإعـراب:

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ الظرف: متعلق بيقسم، وجملة تقوم الساعة: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ويقسم المجرمون: فعل، وفاعل، وما: نافية، ولبثوا: فعل، وفاعل، والجملة لا محل لها؛ لأنها واقعة في جواب القسم، وغير ساعة: ظرف متعلق بلبثوا ﴿ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴾ كذلك: نعت لمصدر محذوف، أي: يصرفون عن الحق وهو الصدق، كما صرفوا عن الحق، وهو البعث، وكان، واسمها، وجملة يؤفكون: خبرها، ويؤفكون: فعل مضارع مبني للمجهول ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ﴾ الواو: عاطفة، وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة أوتوا: صلة، والعلم: مفعول به ثان لأوتوا، والإيمان: عطف على العلم، وجملة لقد لبثتم: مقول القول، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، ولبثتم: فعل، وفاعل، وفي كتاب الله: حال، أي: محسوبة في علم الله وقدره، وإلى يوم البعث: متعلقان بلبثتم ﴿فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ الفاء: الفصيحة، لأنها أفصحت عن شرط مقدر، كأنه قال: إن كنتم منكرين للبعث؛ فهذا يوم البعث؛ أي: فقد تبين بطلان قولكم. ولكنكم: الواو: حالية، ولكنَّ، واسمها، وجملة كنتم: خبرها، وجملة لا تعلمون: خبر كنتم ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ الفاء: تفصيل لما قبلها مما يفهم من أنه تقليل مدة اللبث، فهي الفصيحة أيضاً، ويومئذٍ ظرف أضيف إلى مثله، وهو متعلق بينفع، والتنوين: عوض عن جملة محذوفة، أي: يوم إذ قامت الساعة، وحلف المشركون كاذبين، ورد عليهم الذين أوتوا العلم والإيمان من الملائكة وغيرهم، ولا: نافية، وينفع: فعل مضارع، والذين ظلموا: مفعوله المقدم، ومعذرتهم: فاعل ينفع، وقرىء ينفع بالياء والتاء، لأن معذرتهم مؤنث غير حقيقي، أو بمعنى العذر، والواو: حرف عطف، ولا: نافية، وهم: مبتدأ، وجملة يستعتبون: خبر، ويستعتبون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ الواو: استئنافية، واللام: موطئة للقسم، وقد: حرف تحقيق، وللناس: متعلقان بضربنا، وفي هذا القرآن: متعلقان بمحذوف حال، ومن كل مثل: صفة لمفعول به محذوف، أي: موعظة، أو: قصة من كل مثل، أو تكون مِنْ: للتبعيض، ويكون الجار والمجرور في موضع نصب على أنه مفعول ضربنا، أي: وصفنا لهم كل صفة؛ كأنها مثل في غرابتها وطرافتها. ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم،

وإن: شرطية، وجئتهم: فعل، وفاعل، ومفعول به، في موضع فعل الشرط، وبآية: متعلقان بجئتهم، وليقولن: اللام: واقعة في جواب القسم، ويقولن: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، فاللام مفتوحة باتفاق القراء، والفاعل: هو الاسم الموصول، من باب إقامة الظاهر مقام المضمر، وقد تقدم ذكره كثيراً، وجملة كفروا: صلة، وإن نافية، وأنتم: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، ومبطلون: خبر أنتم، والجملة: مقول القول. ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الكاف: نعت لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة الذين لا يعلمون، وجملة لا يعلمون: صلة الذين. ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إذا علمت أن حالهم بهذه المثابة فاصبر، واصبر: فعل أمر، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، وجملة إنَّ وعد الله حق: تعليل للأمر بالصبر، ولا: الواو: عاطفة، ولا: ناهية، ويستخفنك: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم بلا الناهية، والكاف: مفعول به مقدم، والذين: فاعل يستخفنك المؤخر، وجملة لا يوقنون: صلة.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ ﴾ جناس تام، وقد تقدم البحث في هذا الفن، ونريد الآن أن نستوفي أبحاثه، فهو ضروب كثيرة، منها: المماثلة، وهي: أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى، نحو قول زياد الأعجم، وقيل: الصلتان العبدي، يرثي المغيرة ابن المهلب:

فانْعَ المغيرةَ للمغيرةِ إذْ بَدَتْ
شَعْواءَ مشعلة كنبحِ النَّابِح

فالمغيرة الأولى: رجل، والمغيرة الثانية: الفرس، وهي: ثانية الخيل التي تغير، وقال أبو نواس في ابن الربيع:

عبَّاسُ عبَّاسٌ إِذا احتدم الوغى
والفضْلُ فَضْلٌ والرَّبْيعُ رِبِيْعُ

وقال أبو تمام:

ليالينا بالرُّقْمَتَيْنِ وأهلنا سقى العَهْدَ مِنْكَ العَهْدُ والعَهْدُ والعَهْدُ

فالعهد الأول المسقى: هو الوقت، والعهد الثاني: هو الحفاظ من قولهم: فلان ماله عهد، والعهد الثالث: الوصية من قولهم: عهد فلان إلى فلان، وعهدت إليه، أي: وصّاني ووصيّته، والعهد الرابع: المطر، وجمعه: عهاد، واستثقل قوم هذا التجنيس، وحق لهم.

هذا وقد ولع أبو تمام بالتجنيس كثيراً، فأجاد في بعضه، وأسفَّ في بعضه الأخر، وقد أوردنا فيما سبق من هذا الكتاب نماذج من حسناته وسيئاته، ويبدو التكلف ظاهراً فيه.

أما ابن الرومي فليس من هواة الصناعة اللفظية، ولم يكن يشغل باللفظ كثيراً، وإنما كان يجانس لمعنى يراه هو، ولا يجانس لتزويق فارغ، ولهو سخيف، ومن مليح ما جاء له:

للسُّودِ في السُّودِ آثارٌ تَرَكْنَ بها
لمعاً من البيضِ تَثْنِيْ أَعْيُنَ البِيْضِ

فالسود الأول: الليالي، والسود الأخر، شعرات الرأس، واللحية، والبيض الأول الشيبات والبيض الأخر النساء.

وقوله:

فَيَسْبِيْكَ بالسِّحر الذي في جُفونه
ويُصْبِيْك بالسِّحر الذي هو نافثه

أو مثل هذا البيت:

تُصِيْبُ إذا حَكَمْتَ وإنْ طَلَبْنَا
لَدَيْكَ العرفَ كُنْتَ حَيّاً تصوب

أو مثل هذا البيت:

ليس ينفكُّ طَيْرُها في اصطحاب
تحت أظلالِ أَيْكِها واصْطِخابِ

وهكذا كان في كل تجنيسه الذي لا تعسف فيه، وليس هو بالكثير البارز في ديوانه الكبير، فإذا جنس في غير ذلك فهو عابث متعمد للعبث، وليس بملفق محسّنات، ولا بطالب تزويق، كما قال:

لو تَلَفَّفْتَ في كساء الكسائي وتلبَّسْتَ فروة الفرّاء
وتخلَّلْتَ بالخليلِ وأضحى سيبويه لديكَ رَهْنَ سِباء
وتكوّنْتَ من سوادِ أبي الأسو دِ شخصاً يُكْنَى أبا السَّوداء
لأبى اللهُ أَنْ يَعُدَّكَ أهلُ العلـ ـم إلا من جُمْلةِ الأغْبِيَاء

ومن علماء البيان من جعل له اسماً سماه به، وهو الترديد، أي: أن اللفظة الواحدة رددت فيه، وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسم منه، قال أبو تمام

خفَّت دموعُك في إِثر القطين لدن
خفَّتْ من الكُثُب القُضْبان والكُثُب

الترديد في خفت، ولو جعلت الكثب ترديداً لجاز.

وقال أبو الطيب المتنبي، وأحسن ما شاء:

أمير أمير عليه النَّدى جواد بخيل بأن لا يجودا

والترديد في أول البيت، والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النميريِّ في قوله:

ألا حيِّ مِنْ أجْلِ الحبيبِ المغانِيَا
لبِسْن البِلى مِمّا لبِسْنَ اللياليا
إذا ما تقاضى المرءُ يوماً وليلةً
تقاضَاهُ شيءٌ لا يملُّ التقاضِيا

وما أجمل قول أبي نواس:

دعْ عنك لَوْمِي فإنَّ اللومَ إغراءُ
وداوِنيْ بالتي كانَتْ هِيَ الدَّاء
صفراءُ لا تنزلِ الأكدارُ ساحَتَها
لو مسَّها حجر مستها سَرَّاء

وكذلك قول أبي تمام:

راحٌ إذا ما الرَّاحُ كنَّ مطيَّها
كانَتْ مطايا الشَّوقِ في الأحشاءِ

ردد مطيّها ومطايا الشوق.

ونعود للآية الكريمة، فنذكر: أن ابن أبي الحديد قد نازع في كتابه المسمى بالفلك الدائر على المثل السائر في هذا قال:

إنَّ المعنى واحد في الآيةِ، فإنَّ يوم القيامة وإن طال فهو عند الله تعالى كالساعة الواحدة عند أحدنا، وحينئذٍ فاطلاق الساعة عليه مجاز، كقولنا: رأيت أسداً، وزيد أسد، وأردنا بالأول حيواناً، وبالثاني الرجل الشجاع.

ولم نر أحداً نازع فيما ذكرناه غير ابن أبي حديد، فتدبر.

* * *

سُورَةُ لُقْمَان

ترتيبها ٣١ — آياتها ٣٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ (١) تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ (٢) هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ (٣) ٱلَّذِينَ
يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن
رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ (٥) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (٦) وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ
ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ
أَلِيمٖ (٧) ﴾

☆ **اللغة:**

﴿لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ اللهو: كل باطل ألهى عن الخير، يقال: لهوت لهواً، وفلان مشتغل بالملاهي، وفيهن ملهى وملعب، قال زهير:

وَفيهِـنَّ مَلْهـى للصَّـديـقِ ومنْظَـرٌ
أنيـقٌ لِعَيْـنِ النَّـاظِـرِ المتـوسِّـمِ

الملهى: اللهو، أو: موضعه. يقول: وفي هؤلاء النسوان لهو، أو موضع

لهو للمتأنق الحسن المنظر، ومناظر معجبة لعين الناظر المتتبع محاسنهن، وسمات جمالهن.

﴿وَقْرًا﴾ : صمماً.

○ الإعراب:

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الم: تقدم إعرابها، وتلك: مبتدأ، وآيات الكتاب: خبر، والحكيم: صلة للكتاب، وسيأتي معنى إسناد الحكمة إليه في باب البلاغة، وهدى، ورحمة: حالان من الآيات والعامل فيهما ما في «تلك» من معنى الإشارة، وقرأ حمزة بالرفع على أنهما خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو هدى ورحمة، وللمحسنين: متعلقان بمحذوف صفة، أو: بنفس المصدر. ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ الذين: نعت للمحسنين، وجملة يقيمون الصلاة: صلة، ويؤتون الزكاة: عطف عليها داخل في حيز الصلة، وهم: مبتدأ، وبالآخرة: متعلقان بيوقنون، وهم الثاني: تأكيد للأول، وجملة يوقنون: خبر هم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ تقدمت الآية بلفظها في سورة البقرة. ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير حال اللاهين؛ الذين يستنزفون أوقات فراغهم باللهو، ومضاحيك الكلام، ولغو الحديث، وباطله، وسيأتي في باب الفوائد ما قالوه في أسباب نزولها. ومن الناس: خبر مقدم، ومَنْ: اسم موصول مبتدأ مؤخر، ومَنْ: مفرد لفظاً جمع معنى، وروعي لفظها أولاً في ثلاثة ضمائر: يشتري، ويضل، ويتخذ، وروعي معناها في موضعين، وهما: أولئك، لهم، ثم رجع إلى اللفظ في خمسة ضمائر، وهي: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ. . .﴾ إلى آخر الآية، كما سيأتي، وجملة يشتري لهو الحديث: صلة، وليضل: اللام: للتعليل، ويضل: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بيشتري، وعن سبيل الله: متعلقان بيضل، وبغير علم: حال من فاعل يشتري، أي: يشتري غير عالم بحال ما يشتريه، وقد

تقدم تقرير الاستعارة في الاشتراء في سورة البقرة. ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ويتخذها بالنصب: عطفاً على ليضل، وقرىء بالرفع: عطفاً على يشتري، والضمير للسبيل؛ لأنها مؤنثة، ويتخذها: فعل مضارع، وفاعل مستتر، تقديره: هو والهاء: مفعول يتخذ الأول، وهزواً: مفعوله الثاني، وأولئك: مبتدأ، ولهم: خبر مقدم، وعذاب: مبتدأ مؤخر، ومهين: صفة، والجملة: خبر أولئك.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل، متضمن معنى الشرط، وجملة تتلى: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وتتلى: فعل مضارع مبني للمجهول، وعليه: متعلقان بتتلى، وآياتنا: نائب فاعل، وجملة ولّى: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ومستكبراً: حال. ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ كأن: مخففة من الثقيلة، واسمها: ضمير الشأن المحذوف، وجملة لم يسمعها: خبرها، والجملة: نصب على الحال من فاعل ولّى، وكأنَّ: حرف تشبيه، ونصب، وفي أذنيه: خبر كأنَّ المقدم، ووقراً: اسم كأنَّ المؤخر، والجملة: حال أيضاً من فاعل لم يسمعها، أو: بدل من جملة: كأن لم يسمعها، وأجاز الزمخشري أن تكون جملتا التشبيه استئنافيتين. فبشره: الفاء الفصيحة، وبشره: فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر، تقديره: أنت، والهاء: مفعول به والأمر بالبشارة هو للتهكم، وبعذاب: متعلقان ببشره، وأليم: صفة.

□ **البلاغة:**

١ ـ الإسناد المجازي:

في قوله تعالى: ﴿الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ إسناد مجازي، ويجوز أن يكون بمعنى ذي الحكمة، وقال الزمخشري: ويجوز أن يكون الأصل: الحكيم قائله، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، فبانقلابه مرفوعاً بعد الجر استكن في الصفة المشبهة بعد. وهذا من أروع التعليل.

٢ ـ الإيجاز:

في قوله: ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ إيجاز بليغ، أي: الذين يعملون الحسنات، وهي لا تحصى، ولكنَّه خص منها هذه الثلاث، ونظير هذا الإيجاز قول أوس بن حجر في مرثاته لفضالة بن كلدة:

الألمعيّ الذي يظنُّ بك الظنَّ
كأنْ قَدْ رأى وقَدْ سَمِعا

حكي عن الأصمعي أنه سئل عن الألمعي؛ فأنشده ولم يزد. وهذه المرثاة من أفضل ما سمع في الرثاء وأولها:

أيَّتُها النَّفْسُ أجملي جَزَعا إنَّ الذي تَحْذَرين قَدْ وقعا
إنَّ الذي جمع السَّماحةَ والنَّجْـ ـدَةَ والبِرَّ والتُّقى جُمعا

الألمعيّ الذي يَظُنُّ... إلى آخره

أَوْدَى فلا تنفع الإشاحةُ مِنْ أمرٍ لِمَنْ يُحَاوِلُ البِدَعا

يقول: يا نفس! احتملي جزعاً عظيماً، إنَّ الذي تخافين منه قد حصل، وبيّنه بقوله إن الذي جمع.... وأودى: هلك، وجُمعاً بالضم توكيد للصفات قبله، والألمعي: نصب على النعت للذي، وفسره بأنه الذي يظن بك، يعني: كل مخاطب، أي: يظن الظنَّ الحق، كأنه قد رأى وسمع ما ظنه، أو: يظن الظن، فيصيب، كأنه قد رآه إن كان فعلاً، أو سمعه إن كان قولاً، وفيه نوع من البديع يسمى التفسير، وهو: أن يؤتى بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفته دون تفسيره.

* الفوائد:

١ ـ قصة النضر بن الحارث:

اعلم أنَّ المقصود بآيات الله أن يتوجه الخطاب فيها إلى العموم، ولكنَّ أسباب النزول خاصةٌ، ثم تسري أحكامها فيما بعد على العموم، وقد ذكروا في أسباب نزول قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾... الآية: أن

النضر بن الحارث كان يأتي الحيرة، فيتجر، ويشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة، ويقول: إنَّ محمداً يحدثكم بأحاديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بأحاديث فارس والروم، فيستملحون حديثه، ويتركون استماع القرآن. والحيرة بكسر الحاء: مدينة بقرب الكوفة.

٢ ـ معنى الإضافة:

إضافة اللهو إلى الحديث معناها: التبيين، وهي: الإضافة بمعنى: مِنْ، وضابطها: أن يكون المضاف بعد المضاف إليه صالحاً للإخبار به عنه؛ كخاتم فضة، وقد مر هذا البحث في مكان آخر من هذا الكتاب.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٖ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان حال المؤمنين، وإنَّ، واسمها، وجملة آمنوا: صلة، وعملوا الصالحات: عطف على آمنوا، ولهم: خبر مقدم، وجنات النعيم: مبتدأ مؤخر، والجملة الإسمية: خبر إن. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ خالدين: حال مقدرة من المجرور باللام في لهم، أي: مقدراً لهم الخلود فيها إذا دخلوها، وفيها: متعلقان بخالدين، ووعد الله حقاً: مصدران مؤكدان، الأول: مؤكد لنفسه، والثاني: مؤكد لغيره؛ لأن معنى: ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴾ وعدهم الله بها، فأكد معنى الوعد بالوعد، وحقاً: دال على معنى الثبات، أكد به معنى الوعد، وعاملها مختلف، فتقدير الأولى: وعد الله ذلك وعداً،

وتقدير الثانية: وحقه حقاً، ومؤكدهما جميعاً واحد، وهو قوله: ﴿ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾ وهو: مبتدأ، والعزيز: خبر أول، والحكيم: خبر ثان. ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للتدليل على قدرته وعزته سبحانه. وخلق: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، والسموات: مفعول به، وبغير عمد: في موضع نصب على الحال، أي: حالية من عمد، وقد مر نظيره في الرعد، وجملة ترونها: صفة لعمد، أي: بغير عمد مرئية. ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ وألقى: عطف على خلق، وفاعله: مستتر، تقديره: هو يعود على الله، وفي الأرض: متعلقان بألقى، ورواسي: صفة مفعول به محذوف، أي: جبالاً رواسي، وأن، وما في حيزها: في محل نصب مفعول لأجله، أي: ألا تميد بكم، أو كراهة أن تميد بكم، وبكم: متعلقان بتميد، وبثّ: عطف على ألقى، وفيها: متعلقان ببث، ومن كل دابة: صفة لمفعول به محذوف، أي: حيوانات من كل دابة.

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ وأنزلنا: عطف على طريق الالتفات عن الغيبة إلى التكلم، وأنزلنا: فعل، وفاعل، ومن السماء: متعلقان بأنزلنا، وماء: مفعول به، فأنبتنا: عطف على أنزلنا وفيها: متعلقان بمحذوف حال، ومن كل زوج: متعلقان بأنبتنا، أو: صفة لمفعول محذوف، أي: نباتاً من كل زوج، وكريم: صفة لزوج. ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ هذا: مبتدأ، والإشارة إلى ما ذكر من مخلوقاته، وخلق الله: خبر، والخلق بمعنى المخلوق، فأروني: الفاء الفصيحة، وأروني: فعل أمر يحتاج لثلاثة مفاعيل: الياء: أولها، وجملة الاستفهام المعلقة: سدت مسد المفعولين الباقين، ويجوز أن تكون أروني بمعنى: أخبروني، فتتعدى لمفعولين، الأول: مفرد صريح، وهو ضمير المتكلم، والثاني: الجملة الإستفهامية، وماذا: اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لخلق، أو: ما: اسم استفهام مبتدأ، وذا: اسم موصول خبر، وخلق الذين: فعل، وفاعل، ومن دونه: صلة الذين. ﴿ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بل: إضراب انتقالي،

والظالمون: مبتدأ، وفي ضلال: خبر، ومبين: صفة لضلال.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان الشرك، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وآتينا: فعل، وفاعل، ولقمان: مفعول به أول، والحكمة: مفعول به ثان، وسيأتي الكلام مفصلاً عن لقمان وترجمته. ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾ يجوز أن تكون أنْ: هي المفسرة، لأن الإيتاء فيه معنى القول، أي: قلنا له: اشكر، ويجوز أن تكون على بابها، فهي في تأويل مصدر في موضع نصب، كما حكى سيبويه: كتبت إليه أن قم، والأول أظهر، ولله: متعلقان باشكر، ومَنْ: الواو: استئنافية، ومَنْ: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويشكر: فعل الشرط، والفاء: رابطة، وإنما: كافة ومكفوفة، والجملة: في محل جزم جواب الشرط، ومَنْ كفر: عطف على ومن يشكر، داخلة في حيزها، والجملة: خبر مَنْ. ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ ﴾ الظرف: متعلق بمحذوف، أي: اذكر، وجملة قال لقمان: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولابنه: متعلقان بقال، والواو: واو الحال، وهو: مبتدأ، وجملة يعظه: خبر، والجملة: حالية. ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ الجملة: مقول القول، ولا: ناهية، وتشرك: فعل مضارع مجزوم بلا، وبالله: متعلقان بتشرك، وجملة إن الشرك: تعليل للنهي لا محل لها، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وظلم: خبرها، وعظيم: صفة.

* الفوائـــد:

لقمان وترجمته ولمح من أخباره:

قيل: هو اسم أعجمي، فهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. وقيل: عربي، فهو ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون. والأول أظهر، وأورده صاحب القاموس في مادة لقم، وقال: ولقمان الحكيم اختلف في نبوته، وأكثر الأقاويل: أنه كان حكيماً، ولم يكن نبياً. ولطرافة شخصيته، وما نسج حولها من الأساطير، نورد الأقوال السبعة فيه باختصار:

١ ـ قال قتادة: خيَّره الله بين النبوة والحكمة، فاختار الحكمة، فقذفت عليه وهو نائم، فأصبح ينطق بالحكمة، فسئل عن ذلك، فقال: لو أرسل الله إليَّ النبوة عزمة لرجوت الفوز بها، ولكنه خيرني، فخفت أن أضعف عن النبوَّة.

وقيل: كان من النوبة قصيراً أفطس الأنف، وقيل: كان حبشياً.

٢ ـ قال سعيد بن المسيّب: كان أسود من سودان مصر، ذا مشفر، حكمته من حكمة الأنبياء، وقيل: كان خيّاطاً، وقيل: راعياً، فرآه رجل كان يعرفه قبل ذلك، فقال: ألست عبد بني فلان؟ كنت ترعى بالأمس؟ قال: بلى، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: وما يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك، وغشيانهم بابك، ورضاهم بقولك، قال: يا بن أخي! إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك، قال: وما أصنع؟ قال: غضُّ بصري، وكفُّ لساني، وعفة طمعي، وحفظ فرجي، وقيامي بعهدي، ووفائي بوعدي، وتكرمة ضيفي، وحفظ جاري، وترك ما لا يعنيني. فذلك الذي صيرني كما ترى، ويروى أنه قال: قدر الله، وأداء الأمانة، وصدق الحديث، وترك ما لا يعنيني.

٣ ـ وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «الحكمة تزيد الشرف شرفاً وترفع

المملوك حتى يجلس مجالس الملوك، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾».

٤ ـ وقال الثعالبي المفسر: اتفق العلماء على أنَّ لقمان لم يكن نبياً؛ إلا عكرمة تفرد بأنه نبي.

٥ ـ وقال وهب بن منبه: كان لقمان ابن أخت داود عليه السلام، وقيل: ابن خالته، وكان في زمنه، وكان داود يقول له: طوبى لك، أوتيت الحكمة، وصرفت عنك البلوى، وأوتي داود الخلافة، وبلي بالبلية، وكان داود يغشاه ويقول: انظروا إلى رجلٍ أوتي الحكمة، ووقي الفتنة.

٦ ـ وقال عبد الوارث: أوتي لقمان الحكمة في قالة قالها، فقيل: وهل لك أن تكون خليفة فتعمل بالحق؟ فقال: إن تختر لي فسمعاً وطاعة، وإن تخيرني أختر العافية، وإنه من يبع الآخرة بالدنيا يخسرهما جميعاً، ولأن أعيش حقيراً ذليلاً أحبُّ إليّ من أن أعيش قوياً عزيزاً. وقيل: كان عبداً نجاراً، فقال له سيده: اذبح شاة، وائتني بأطيب مضغتين. فأتاه بالقلب واللسان، ثم أمره بمثل ذلك وأن يخرج أخبث مضغتين، فأخرج القلب واللسان، فقال له: ما هذا؟ فقال: ليس شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

٧ ـ وقال أبو إسحاق الثعالبي: كان لقمان من أهون مماليك سيده عليه، فبعثه مولاه مع عبيد له إلى بستانه يأتونه بشيء من ثمر، فجاؤوه وما معهم شيء، وقد أكلوا الثمر، وأحالوا على لقمان، فقال لقمان لمولاه: ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً، فاسقني وإياهم ماء حميماً، ثم أرسلنا لنعدو، ففعل فجعلوا يتقيؤون تلك الفاكهة، ولقمان يتقيأ ماءً، فعرف مولاه صدقه وكذبهم. وروي: أنه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع، فأراد أن يسأله، فأدركته الحكمة، فسكت فلما أتمها لبسها، وقال: نعم لبوس الحرب أنت، فقال: الصمت حكمة، وقليل فاعله، فقال له داود: بحق ما سميت حكيماً.

هذا وأخبار لقمان وحكمته أكثر من أن تستوعبها ترجمة، فحسبنا ما تقدم.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَهْنًا﴾: الوهن: الضعف. وفي المختار: الوهن: الضعف، وقد وهن، من باب: وعد، ووهنه غيره، يتعدى، ويلزم، ووهن بالكسر، يهن، وهناً: لغة فيه، وأوهنه غيره، ووهنه، توهيناً، والوهن، والموهن: نحو من نصف الليل، قال الأصمعي: هو حين يدبر الليل.

﴿ وَفِصَٰلُهُۥ﴾: فطامه. وفي القاموس: الفصال: فطم الولد. وفيه أيضاً: وفصل الولد عن الرضاع، وبابه: ضرب.

○ **الإعراب:**

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ كلام معترض على سبيل الاستطراد في أثناء وصية لقمان، مؤكد لما اشتملت عليه من النهي عن الشرك. ووصينا: فعل، وفاعل والإنسان: مفعول به، وبوالديه: متعلقان بوصينا، وجملة حملته أمه: اعتراضية بين المفسِّر والمفسَّر، وحملته أمه: فعل ماض، ومفعول به، وفاعل، ووهناً على وهن: حال من أمه، أي: ذات وهن، أو: مصدر مؤكد لفعل، هو الحال، أي: تهن وهناً، وعلى وهن: صفة للمصدر، أي: كائناً على وهن، وقيل: منتصب بنزع الخافض، أي: حملته بضعف على ضعف، وقال الزجاج: المعنى: لزمها

بحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة، وقال الزمخشري: أي: حملته أمه تهن وهناً على وهن، كقولك: رجع عوداً على بدء، وهو في موضع الحال، والمعنى: أنها تضعف ضعفاً فوق ضعف، أي: يتزايد ضعفها، ويتضاعف، لأن الحمل كلما ازداد، وعظم؛ ازدادت ثقلاً وضعفاً. والواو: عاطفة، وفصاله: مبتدأ، وفي عامين: خبر. ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ أن: مفسرة، والجملة: تفسير لوصيّنا، كما تقدم، اختار الزجاج أن تكون على بابها، أي: مصدرية، ومحل المصدر: النصب بنزع الخافض، والجار والمجرور: متعلقان بوصينا، وليس قوله ببعيد، واشكر: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ولي: متعلقان باشكر، ولوالديك: عطف على لي، وإليّ: خبر مقدم، والمصير: مبتدأ، والجملة: استئنافية. ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ الواو: عاطفة، وإن: شرطية، وجاهداك: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، وعلى: حرف جر، وأن تشرك: المصدر المؤول مجرور بعلى، والجار والمجرور: متعلقان بجاهداك، وبي: متعلقان بتشرك، وما: موصول مفعول به، وجملة ليس: صلة، ولك: خبر ليس المقدم، وبه: متعلقان بعلم، وعلم: اسم ليس المؤخر، فلا: الفاء: رابطة، ولا: ناهية، وتطعهما: فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، والهاء: مفعول به، والميم والألف: حرفان دالان على التثنية، وجملة فلا تطعهما: في محل جزم جواب الشرط.

﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ الواو: عاطفة، وصاحبهما: فعل أمر، وفاعل مستتر، تقديره: أنت، ومفعول به، وفي الدنيا: حال، ومعروفاً: صفة لمصدر محذوف، أي: صحاباً معروفاً، واختار بعضهم أن ينصب بنزع الخافض، أي: بالمعروف. ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ واتبع: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وسبيل: مفعول به، ومن: مضاف إليه، وجملة أناب: صلة من، وإليّ: متعلقان بأناب، ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وإليّ: خبر مقدم،

ومرجعكم: مبتدأ مؤخر، فأنبئكم: الفاء: عاطفة، وأنبئكم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به، وبما: متعلقان بأنبئكم، وكنتم تعملون: كان، واسمها، وجملة تعملون: خبرها.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ فن عكس الظاهر، أو: نفي الشيء بإيجابه، وقد تقدم القول فيه مراراً، فقد أراد بنفي العلم نفيه، أي: لا تشرك بي ما ليس بشيء، يريد: الأصنام، على حد قوله: على لاحبٍ لا يهتدى بمناره. أي: ما ليس بإله، فيكون لك علم بالإلهية.

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

☆ اللغة:

﴿ خَرْدَلٍ ﴾: الخردل: نبات له حب صغير جداً، أسود، مقرّح، الواحدة: خردلة، ويقال: خردل الطعام: أكل خياره، وخردل اللحم: قطع أعضاءه وافرةً صغاراً، ولحم خراديل: مقطع، ومفرد، ويضرب بها المثل في الضآلة، وقد تقدم هذا في الأنبياء.

﴿ وَلَا تُصَعِّرْ ﴾: لا تمل وجهك تكبراً، قال أبو عبيدة: وأصل الصعر: داء يصيب البصير ويلتوي عنقه، ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التي لا تدوم؛ أشار إلى المقصود به بقوله: للناس، بلام العلة، أي: لا تفعل ذلك لأجل الإمالة عنهم. وفي المصباح: الصعر بفتحتين: ميل في العنق،

وانقلاب في الوجه إلى أحد الشدقين، وربما كان الإنسان أصعر خلقة، أو: صعره غيره بشيء يصيبه، وهو مصدر من باب: تعب، وصعر خدّه بالتثقيل، وصاعره: أماله عن الناس إعراضاً وتكبراً. وفي الأساس: في عنقه وخده صَعَر: ميل من الكبر، يقال: لأقيمنّ صَعَرَك، ويقول: في عينه صَوَر، وفي خده صَعَر، وهو أصعر، وصعّر خده، وصاعره، ولا تصاعر خدك، وفلان متصاعر، وقد تصاعر، قال حسان:

أَلَسْنا نَذُودُ المعْلَمَيْنِ لَدَى الوَغى
ذِيَاداً يسلِّي نَخْوةَ المتَصاعِرِ

والنَّعام: صعر خلقة، والإبل تَصَاعَرُ في البُرى، وفي الحديث: «يأتي على الناس زمان ليس فيهم إلا أصعر أو أبتر».

وللصاد مع العين فاءً وعيناً للكلمة خاصة الصَّلف، والاستعلاء، يقال: أمر صعب، وخطة صعبة، وعقبة صعبة، وهي من العقاب الصعاب، ووقع في خطط صعاب، ولا يخفى ما في ذلك من الصلف والاستعلاء، وأصْعب الجمل: لم يُركب، ولم يمسسه حبل، فهو مُصْعَب، ومن مجاز هذه المادة: فلان مُصْعبٌ من المصاعب، كما تقول: قرم من القروم ويقال: صَعِد السطحَ، وصعد إلى السطح، وصعد في السلم، وفي السماء، وتصعد، وتصاعد، وصعد في الجبل، وطال في الأرض تصويبي وتصعيدي، وأصعد في الأرض: ذهب مستقبل أرضٍ أرفع من الأخرى، وأصعدت السفينة: مُدّ شراعها، فذهبت بها الريح، وعليك بالصعيد، أي: اجلس على الأرض، وصعيد الأرض: وجهها، وتنفسّ الصعداء: إذا علا نفسه، وذهب السهمُ صعُداً، وكأن قامته صَعْدة، وهي: القناة النابتة مستقيمة، قال الأحنف:

إنَّ على كلِّ رئيسٍ حقّا
أَنْ يَخْضِبَ الصَّعدةَ أو تَنْدَقّا

ومن المجاز: له شرف صاعد، وجد مساعد، ورتبته بعيدة المصعد

والمصاعد، وعنق صاعد: طويل، وجارية صَعْدَة: مستقيمة القامة، وجَوَارٍ صَعْدات بالسكون، وأخذ مئة فصاعداً، بمعنى: فزائداً، وأرهقته صَعُوداً: حملته مشقّة.

والصعافقة: هم الذين يحضرون السوق بغير رأس مال، فإذا اشترى أحد شيئاً دخلوا معه فيه. وصعقتهم السماء، وأصعقتهم: أصابتهم بصاعقة، وهي: نار لا تمر بشيء إلا أحرقته مع وقع شديد، والصعلكة معروفة، وهي: الفقر، والذهاب في الأرض بعيداً، قال أبو داود:

مثلِ عَيْرِ الفلاة صَعْلَكُه البقـ ـلُ مشيـحٍ بـأربـعٍ عَسِراتِ

أربع أتن.

وقال ذو الرمة:

تَخَيَّـل فـي المـرْعَـى لَهُـنَّ بِشَخْصِـهِ
مُصَعْلَـكُ أعلـى قُلَّـةِ الـرأس نِقْنِـقُ

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾: أي: توسط فيه. قال الزمخشري: واعدل فيه حتى يكون مشياً بين مشيين: لا تدب دبيب المتماوتين، ولا تثب وثب الشطار. قال رسول الله ﷺ: «سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن» وأما قول عائشة في عمر رضي الله عنهما: كان إذا مشى أسرع. فإنما أرادت السرعة المرتفعة على دبيب المتماوت.

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾: وانقص منه، واقصر، من قولك: فلان يغض من فلان: إذا قصر به، ووضع منه، وفي الأساس: واغضض من صوتك: اخفض منه، وغُضَّ طرفك، وطرف غضيض، وغُضَّ من لجام فرسك، أي: صوبه وطأ منه لتنقص من غَربه، واغضُض لي ساعة، أي: احبس عليَّ مطيتك، وقف عليّ، قال الجعدي:

خَلِيْلَيَّ غُضّا ساعةً وتَهَجَّرا

أي: احبسا عليَّ ركابكما ساعة، ثم ارتحلا متهجّرين. وفلان غضيض:

ذليلٌ بين الغضاضة. وعليك في هذا غضاضة فلا تفعل. ولحقته من كذا غضاضة، أي: نقص وعيب.

○ الإعراب:

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ يا بني: تقدم إعرابه كثيراً، وهذا من تتمة وصية لقمان، وإنَّ، واسمها، وإنْ: شرطية، وتك: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه فعل الشرط، وعلامة جزمه: السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف، واسم تك: مستتر، يعود إلى الخطيئة، وذلك أن ابن لقمان قال: يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يعلمها أحد؛ كيف يعلمها الله؟ فقال: يا بني إنها إن تك مثقال حبة من جنس الخردل. ومثقال: خبر تك، وحبة: مضاف إليه، ومن خردل: صفة لحبة، أي: فكانت مثلاً لحبة الخردل في الصغر، والقماءة. ﴿ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ فتكن: عطف على تك، واسم تكن: مستتر، تقديره: هي، أي: الخطيئة، والهنة، وفي صخرة: خبر تكن، أو في السموات أو في الأرض: عطف على في صخرة، أي: في أخفى مكان من الثلاث المذكورات، ويأت: جواب الشرط، وعلامة جزمه: حذف حرف العلة، وبها: متعلقان بيأت، والله: فاعل، وإنَّ، واسمها، وخبراها.

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ أقم: فعل أمر، وفاعله: مستتر وجوباً، تقديره: أنت، والصلاة: مفعول به، وأؤمر بالمعروف: عطف، وكذلك: وانه عن المنكر. ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ إنَّ، وخبرها المقدم، واسمها المؤخر، ومعنى عزم الأمور: من معزوماتها، فهو مصدر بمعنى المفعول، أو بمعنى الفاعل، أي: من عازمات الأمور، أي: مما جعله الله عزيمة، وأوجبه على عباده.

﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾ الواو: حرف عطف، ولا: ناهية، وتصعر: فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وللناس: متعلقان بتصعر، ولا تمش: عطف على ولا تصعر، وفي الأرض:

متعلقان بتمش، ومرحاً: مصدر وقع موقع الحال، أو: نعت لمصدر محذوف، أي: مشياً مرحاً، أو: مفعول لأجله، أي لا تمش لأجل المرح، والأشر.

وعبارة الزمخشري: أراد: ولا تمش تمرح مرحاً، أو: أوقع المصدر موقع الحال بمعنى مرحاً، ويجوز أن يراد لأجل المرح والأشر.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة لا يحب: خبرها، وكل: مفعول يحب، وفخور: عطف على مختال. ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ الواو: عاطفة، واقصد: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وفي مشيك: متعلقان باقصد، واغضض من صوتك: عطف على ما تقدم. ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ الجملة تعليل للأمر بخفض الصوت بصورة مؤكدة، كما سيأتي في باب البلاغة، وإنَّ، واسمها، والأصوات: مضاف إليه، واللام: المزحلقة للتأكيد، وصوت الحمير: خبر إن.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ . . . الآية فن التمام أو التتميم، وقد تقدمت الإشارة إلى الفن في مواطن من هذا الكتاب، والمعنى: أنه تمم خفاء الهنة، أو الخطيئة في نفسها بخفاء مكانها من الصخرة، والأخفى من الصخرة؛ كأن تكون في صخرة مستقرة في أغوار الأرض السحيقة، أو في الأعالي من أجواز الفضاء، ومنه في الشعر قول الخنساء:

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ به ... كأنَّه عَلَمٌ في رأسِه نَار

فقولها: «في رأسه نار» تتميم جميل، لا بدَّ منه لتجسيد الظهور، والشهرة للسارين والغادين.

وقول عنترة العبسي:

أَثْني عليَّ بِما علمتِ فإنَّني
سهلٌ مخالقتي إذا لَمْ أُظْلَمِ

فقوله: «لم أظلم» تتميم حسن.

ومن التتميم الحسن قول امرىء القيس يصف الفرس:

عَلى هَيْكَلٍ يُعطيكَ قَبْلَ سؤالِه
أفانينَ جريٍ غَيْرَ كَزٍّ ولا وَاني

فقوله: «قبل سؤاله» تتميم عجيب لقوله «أفانين جري» وما أجمل قول زهير بن أبي سلمى في هذا الباب:

مَنْ يَلْقَ يوماً على علاته هرماً
يَلْقَ السَّماحةَ مِنْه والنَّدى خُلُقا

والتتميم هنا في قوله: «على علاته»، وهو تتميم عجيب تضمن مبالغة أعجب. ويجري على هذا المنوال قول ابن محكان السَّعدي حين قدم إلى القتل:

وَلَسْتُ ـ وإنْ كانَتْ إليَّ حبيبةٌ ـ
بِبَاكٍ على الدُّنيا إذا ما تَوَلَّتِ

قال أبو العباس المبرد: فاستثنى: «وإن كانت إليَّ حبيبة» استثناء مليحاً، ونوى التقديم والتأخير، فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدَّماً على مظهره.

٢ ـ التأكيد بإنَّ وفنون أخرى:

ومن بديع هذه الآية ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ فنون عديدة نشير إليها:

أ ـ فقد أتى بالتمثيل مؤكداً بإنَّ أولاً، وعزز هذا التأكيد باللام فصار الكلام خبراً إنكارياً، كأنَّ التمثيل أمر مبتوت فيه لا يتطرق إليه الشك، فقد تدخل إن في الجملة، فترى الكلام بها مستأنفاً غير مستأنف، مقطوعاً موصولاً معاً، واستخدامها على هذا الوجه يحتاج إلى تدبر، وروية معاً، وقد خفي سر هذا الاستخدام حتى على أفراد العلماء؛ روي عن الأصمعي: أنه قال: كنت أسير مع أبي عمرو بن العلاء، وخلف الأحمر، وكانا يأتيان بشاراً، فيسلمان عليه بغاية الإعظام، ثم يقولان: يا أبا معاذ! ما أحدثت؟ فيخبرهما،

وينشدهما، ويسألانه، ويكتبان عنه متواضعين له، حتى يأتي وقت الزوال، ثم ينصرفان، وأتياه يوماً، فقالا: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سَلَم بن قتيبة؟ قال: هي التي بلغتكم. قالوا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب، قال: نعم، بلغني: أن سلم بن قتيبة يتباصر بالغريب، فأحببت أن أرد عليه ما لا يعرف. قالا: فأنشدناها يا أبا معاذ! فأنشدهما:

بَكِّـرا يـا صـاحبـيَّ قَبْـلَ الهَجِيْـر
إنَّ ذاكَ النجـــاحَ في التَّبْكِيْـــر

حتى فرغ منها، فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ! مكان «إن ذاك النجاح في التبكير»: «بكّرا فالنجاح في التبكير» كان أحسن فقال بشار: إنما بنيتها أعرابية وحشية فقلت: «إن ذاك النجاح في التبكير» كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: بكرا فالنجاح كان هذا من كلام المولدين، ولا يشبه ذاك الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة، قال: فقام خلف فقبل بين عينيه.
قال عبد القاهر في تعليقه على هذه القصة: فهل كان هذا القول من خلف، والنقد على بشار إلا للطف المعنى في ذلك وخفائه؟.

ومضى عبد القاهر في تحليله لبيت بشار فقال: أما إن الجملة مستأنفة، مع إنّ فلأنها غير معطوفة على ما قبلها بالواو، وهي واقعة في جواب سؤال مقدر، فكأن سائلاً سأل: ولماذا يطلب إلى صاحبيه أن يبكرا قبل الهجير؟ فكان الجواب: إنَّ ذاك النجاح في التبكير، وأما أنها تصل جملتها بالجملة السابقة، فالدليل عليه: أنك لو أسقطت «إنَّ» من الجملة؛ لرأيت الجملة الثانية لا تتصل بالأولى، ولا تكون منها بسبيل، حتى تجيء بالفاء، فتقول: بكرا صاحبي قبل الهجير، فذاك النجاح في التبكير، ولعل ذلك هو سر لطفها، ودقتها، وجزالة التعبير بها، وهو سمة البناء الأعرابي الوحشي، على عكس ما لو قال: بكرا فالنجاح في التبكير. فهو بناء سهل واضح الترابط بالفاء، وذلك سمة بناء الجمل عند المولّدين، وإذا كانت الفاء تفيد الربط؛ فإنها

لا تفيد التوكيد الذي تدل عليه «إن»، وهذا البناء الجزل هو الذي جاء في القرآن إلى درجة لا يدركها الإحصاء.

ويروي عبد القاهر في دلائل الإعجاز حديث يعقوب بن إسحاق الكندي المتفلسف، إذ ركب إلى أبي العباس، وقال له: إني لأجد في كلام العرب حشواً. فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: عبد الله قائم، ثم يقولون: إنَّ عبد الله قائم، ثم يقولون: إن عبد الله لقائم. فالألفاظ متكررة، والمعنى واحد. فقال أبو العباس بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: عبد الله قائم إخبار عن قيامه، وقولهم: إنَّ عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل. وقولهم: إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر قيامه. فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني.

وإنما أطلنا في الاقتباس لدقة هذا البحث وخفائه، وهو في الآية التي نحن بصددها واقع أجمل موقع وألطفه، موضح؛ لتعليل الأمر بخفض الصوت، مبني على تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير، وتمثيل أصواتهم بالنهيق، وإفراط في التنفير عن رفع الصوت، وقد أجاد الخطيب في تعليله لهذا التعليل، وننقل فصله بطوله لروعته، وإبداعه، قال:

فإن قيل: لم ذكر المانع من رفع الصوت، ولم يذكر المانع من سرعة المشي؟ أجيب بأن رفع الصوت يؤذي السامع، ويقرع الصماخ بقوته، وربما يخرق الغشاء الذي في داخل الأذن، وأما سرعة المشي؛ فلا تؤذي، وإن آذت؛ فلا تؤذي غير من في طريقه، والصوت يبلغ مَنْ على اليمين، وعلى اليسار، ولأن المشي يؤذي آلة المشي، والصوت يؤذي آلة السمع، وآلة السمع على باب القلب، فإنَّ الكلام ينقل من السمع إلى القلب، ولا كذلك المشي، وأيضاً: فلأن قبيح القول أقبح من قبيح الفعل، وحسنه أحسن، لأن اللسان ترجمان القلب، ولما كان رفع الصوت فوق الحاجة منكراً، كما أنَّ خفضه دونها يعتبر تماوتاً وتكبراً، وكان قد أشار إلى النهي عن هذا بمن فأفهم: أن الطرفين مذمومان، علَّل النهي عن الأول

بقوله: إن أنكر؛ أي: أفظع، وأشنع الأصوات برفعها فوق الحاجة لصوت الحمير، أي: هذا الجنس؛ لما له من العلو المفرط من غير حاجة، فإنَّ كل حيوان قد يفهم من صوته: أنه يصيح من ثقل، أو تعب، كالبعير، أو لغير ذلك، والحمار لو مات تحت الحمل لا يصيح، ولو قتل لا يصيح، وفي بعض أوقات عدم الحاجة يصيح، وينهق بصوت أوله شهيق، وآخره شهيق.

ب ـ توحيد الصوت:

وقال الزمخشري: لمَ وحّد صوت الحمير ولم يجمع؟ قلت: ليس المراد أنْ يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع، وإنما المراد: أنَّ كل جنس من الحيوان الناطق له صوت، وأنكر أصوات هذه الأجناس صوت هذا الجنس، فوجب توحيده».

الاستعارة التصريحية:

وفي هذه الآية الاستعارة التصريحية، حيث أخلي الكلام من لفظ التشبيه، وأخرج مخرج الاستعارة، فجُعلوا حميراً، وجعل صوتهم نهاقاً، مبالغة في الذم والتهجين، وإفراط في النهي عن رفع الصوت، والحمار مثل في الذم البليغ، والشتيمة الموجعة، وكذلك نهاقه.

ومن استفحاشهم لذكره مجرداً، وتفاديهم من اسمه: إنهم يكنون عنه، ويرغبون عن التصريح به، فيقولون: الطويل الأذنين، وعن عبد الحميد الكاتب أنه قال: لا تركب الحمار فإنه إنْ كان فارهاً أتعب يدك، وإن كان بليداً أتعب رجلك. وقال أعرابي: بئس المطية الحمار؛ إن وقفته أدلى، وإن تركته ولى، كثير الروث، قليل الغوث، سريع إلى الفرارة، بطيء في الغارة، لا توقى به الدماء، ولا تمهر به النساء، ولا يحلب في الإناء. ومن العرب من لا يركبه أبداً، ولو بلغت به الحاجة والجهد.

الصوت مصدر:

وفي القرطبي: لصوت الحمير: اللام للتأكيد، ووحد الصوت وإن كان

مضافاً إلى الجماعة؛ لأنه مصدر، والمصدر يدل على الكثرة، وهو مصدر: صات، يصوت، صوتاً، فهو صائت، ويقال: صوَّت، تصويتاً، فهو مصوِّت، ورجل صات؛ أي: شديد الصوت، بمعنى: صائت.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَأَسْبَغَ﴾: وأتمَّ، يقال: أسبغ الله عليه النعمة: أتمها. وأسبغ الثوب: أوسعه، وأطاله، وأسبغ الرجل: لبس درعاً سابغة. وأسبغ له النفقة: وسّع عليه، وأنفق تمام ما يحتاج إليه. وفي المصباح: وسَبَغت النعمة، سبوغاً: اتسعت. وأسبغها الله: أفاضها، وأتمها. وأسبغت الوضوء: أتممته. وقرىء بالسين وبالصاد، وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء والقاف، تقول في سلخ: صلخ، وفي سقر: صقر، وفي سالغ: صالغ. ومعنى سالغ: من سلغت البقرة، والشاة: إذا أسقطت السنَّ التي خلقت السديس. والسلوغ في ذوات الأظلاف بمنزلة البزول في ذوات الأخفاف.

﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾: جاء في القاموس ما يلي: العروة من الدلو، والكوز: المقبض. ومن الثوب: أخت زره، كالعُري، ويكسر، ومن الفرج: لحم ظاهره، يَدِقُّ، فيأخذ يمنة ويسرة مع أسفل البظر، وفرج معرّىً، والجماعة

من العضاة، والحمض يُرْعى في الجدب، والأسد، والشجر الملتفّ تشتو فيه الإبل، فتأكل منه، أو: ما لا يسقط ورقه في الشتاء، والنفيس من المال، كالفرس الكريم، وحوالي البلد. وفي الأساس واللسان: وتستعار العروة لما يوثق به، ويعوَّل عليه، فيقال للمال النفيس، والفرس الكريم: لفلان عروة، وللإبل عروة من الكلأ، وعلقة: لبقية تبقى منه بعد هيج النبات، تتعلق بها؛ لأنها عصمة لها تراغم إليها وقد أُكل غيرها، قال لبيد:

خَلَعَ الملوكَ وسارَ تحتَ لوائِه شجرُ العُرا وعُراعرُ الأَقوامِ

أي هم عِصَم للناس كالعِضاه التي تعتصم بها الأموال، ويقال لقادة الجيش: العُرا، والصحابة رضوان الله عليهم عرى الإسلام، وقول ذي الرّمة:

كـأنَّ عُـرا المـرجـان منهـا تعلَّقَـتْ

على أمِّ خشـف مِـنْ ظبـاءِ المشـاقِـرِ

أراد بالعرا: الأطواق... والعروة من أسماء الأسد.

○ الإعـراب:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف للرجوع إلى ما سلف قبل قصة لقمان ووصيته من خطاب المشركين. والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتروا: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه: حذف النون، والواو: فاعل، والرؤية قلبية، وأنَّ، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي تروا، وأن، واسمها، وجملة سخر: خبرها، ولكم: متعلقان بسخر، وما: مفعول به، وفي السموات: متعلقان بمحذوف، هو صلة ما، وما في الأرض: عطف على ما في السموات. ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ وأسبغ: عطف على سخر، وعليكم: متعلقان بأسبغ، ونعمه: مفعول به، وظاهرة: حال، وباطنة: عطف على ظاهرة، وسيأتي معنى الظاهرة والباطنة في باب البلاغة. ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ الواو: استئنافية، ومن اللناس: خبر مقدم، ومَنْ: مبتدأ مؤخر، وجملة يجادل: صلة

مَنْ إذا كانت موصولة، أو: صفة لها إذا كانت نكرة تامة بمعنى ناس، وفي الله: متعلقان بيجادل، أي: في توحيده، وصفاته، وبغير علم: حال، ولا هدى: معطوفة، ولا كتاب منير: عطف على علم. ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة قيل: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولهم: متعلقان بقيل، وجملة اتبعوا: مقول القول، وما: مفعول به، وجملة أنزل الله: صلة، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وبل: حرف إضراب، وعطف، ونتبع: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، وما مفعول به، وجملة وجدنا: صلة، وعليه: متلعقان بوجدنا، أو: بمحذوف، هو مفعول وجدنا الثاني، وآباءنا: هو مفعول وجدنا الأول، أي: وجدنا آباءنا عاكفين عليه.

﴿أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والواو: فيها وجهان. أحدهما: أن تكون عاطفة على محذوف. وثانيهما: أنها حالية، وعلى كل حال لا بد من تقدير محذوف، معناه: أيتبعونه ولو كان الشيطان يدعوهم، ولو: شرطية، وجوابها: محذوف، أي: يدعوهم، فيتبعون، ومحل الجملة: النصب على الحال، وكان الشيطان: كان، واسمها، وجملة يدعوهم: خبرها، وإلى عذاب السعير: متعلقان بيدعوهم. ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ الواو: عاطفة، ومَنْ: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويسلم: فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، ووجهه: مفعول به، وإلى الله: متعلقان بيسلم، ويسلم يتعدى باللام، ولكنه عدي هنا بإلى ليكون معناه: أنه سلم نفسه؛ كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه، والمراد: التوكل عليه، والتفويض إليه، والواو: واو الحال، وهو: مبتدأ، ومحسن: خبر، فقد: الفاء: رابطة للجواب، وقد: حرف تحقيق، واستمسك: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، وبالعروة: جار

ومجرور، متعلقان باستمسك، والوثقى: صفة للعروة، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط وجوابه: خبر مَنْ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ إلى الله: خبر مقدم، وعاقبة الأمور: مبتدأ مؤخر. ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ الواو: حرف عطف، والجملة: معطوفة على سابقتها، ولا: ناهية، ويحزنك: فعل مضارع مجزوم بلا، والجملة: في محل جزم جواب الشرط. ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ إلينا: خبر مقدم، ومرجعهم: مبتدأ مؤخر، فننبئهم: الفاء: عاطفة، وننبئهم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، تقديره: نحن، ومفعول به، وبما: متعلقان بننبئهم. وجملة عملوا: صلة ما، وإنَّ، واسمها، وعليم: خبرها، وبذات الصدور: متعلقان بعليم. ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ جملة نمتعهم: يجوز أن تكون حالية من فاعل نمتعهم، وأن تكون مستأنفة، وقليلاً: ظرف، أو: صفة لمصدر محذوف، أي: زماناً قليلاً، أو: متاعاً قليلاً، ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، ونضطرهم: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلى عذاب: متعلقان بنضطرهم، وغليظ: صفة لعذاب.

□ البلاغة:

١ ـ الطباق:

في قوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ طباق وقد مرَّ بحثه؛ والمراد بالنعم الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة، والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل، وجميل قوله ﷺ لابن عباس، وقد سأله عن هذه الآية: «الظاهرة: الإسلام، وما حسن من خلقك، والباطنة: ما ستر عليك من سيىء عملك» وقد أفاض المفسرون فيها مما يرجع إليه في المطولات.

٢ ـ الاستعارة التمثيلية:

وذلك في قوله: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ فقد مثلت حال المتوكل

بحال من أراد أن يتدلى من جبل شاهق، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه. وقيل: هو تشبيه تمثيلي، لذكر طرف التشبيه.

٣ ـ الاستعارة المكنية:

وفي قوله ﴿ ثُمَّ نَضۡطَرُّهُمۡ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ استعارة مكنية فقد شبه إلزامهم التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه، أي: يثقل عليهم ثقل الأجرام الغلاظ، والغلظ مستعار من الأجرام الغليظة، والمراد: الشدة، والثقل على المعذَّب.

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٧﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان تناقضهم مع أنفسهم، واعترافهم بما لا يسع المكابرين إنكاره من دلائل التوحيد الساطعة. واللام: موطئة للقسم، وإن: شرطية، وسألتهم: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وفاعل، ومفعول به، ومَنْ: اسم استفهام مبتدأ، وجملة خلق السموات والأرض: في محل رفع خبر، والجملة الاسمية: في محل نصب مفعول به ثان لسألتهم، واللام: واقعة في جواب القسم، ويقولن: فعل مضارع حذفت منه نون الرفع لتوالي الأمثال، وواو الضمير لالتقاء الساكنين، والله: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو الله، أو: مبتدأ حذف خبره: أي: الله خالقها. ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ الحمد: مبتدأ، ولله: خبر، والجملة: مقول قول، والأمر للإلزام لهم على

قرارهم بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون الحمد والشكر مصروفين له، وبل: حرف إضراب انتقالي، للتنبيه بأنهم إذا ألزموا بذلك لم يلتزموا به، ولم ينتبهوا، وأكثرهم: مبتدأ، وجملة: لا يعلمون خبر. ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ لله: خبر مقدم، وما: مبتدأ مؤخر، وفي السموات والأرض: صلة، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، ولفظ الجلالة: اسمها، وهو: ضمير فصل، والغني: خبرها الأول، والحميد: خبرها الثاني. ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق للتنبيه على أن معاني كلامه سبحانه لا تنفد، ولو: حرف شرط غير جازم، وسيأتي مزيد بحث عنها في باب الفوائد، وأنَّ، وما بعدها: فاعل لفعل محذوف، أي: لو ثبت، وأنَّ، واسمها، وفي الأرض: صلة ما، ومن شجرة: في موضع الحال من ضمير الاستقرار، أو: من ما، وأقلام: خبر أنَّ.

﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ والبحر: الواو: حالية، أو: عاطفة والبحر: مبتدأ، خبره جملة يمده، أو: معطوف على موضع أنَّ ومعمولها؛ إذ هو مرفوع على الفاعلية كما تقدم، وقرىء: والبحر بالنصب: عطف على اسم أنَّ، ويمده: فعل مضارع، ومفعول به مقدم، ومن بعده: حال، وسبعة أبحر: فاعل يمده، وجملة ما نفدت: جواب لو، فلا محل لها، وإنَّ، واسمها، وعزيز: خبرها الأول، وحكيم: خبرها الثاني.

* الفوائـد:

١ ـ تكلمنا فيما سبق عن «لو» ووعدناك بأن ننقل لك الخلاف الذي شجر بين النحاة والمعربين حول هذه الآية التي طال حولها الجدل، وسنقدم لك خلاصة لأقوالهم لتقف على ما يذهلك من براعة الاستنتاج، ودقة المنطق.

قال الشيخ شهاب الدين القرافي: «قاعدة «لو»: أنها إذا دخلت على ثبوتين كانا منفيين، وعلى نفيين كانا ثبوتين، وعلى نفي وثبوت، فالنفي ثبوت،

والثبوت نفي. تقول: لو جاءني لأكرمته. فهما ثبوتان، فما جاءك ولا أكرمته، ولو لم يستدن لم يطالب. فهما نفيان، وقد استدان، وطولب، ولو لم يؤمن أريق دمه: التقدير: أنه آمن، ولم يرق دمه، وبالعكس: لو آمن لم يقتل. وإذا تقررت هذه القاعدة؛ فيلزم أن تكون كلمات الله قد نفدت، وليس كذلك؛ لأن «لو» دخلت على ثبوت أولاً، ونفي آخراً، فيكون الأول نفياً، وهو كذلك، فإن الشجرة ليست أقلاماً، ويلزم أن يكون النفي الأخير ثبوتاً، فتكون نفدت، وليس كذلك. ونظير هذه الآية قوله عليه الصلاة والسلام: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه» إذ يقتضي: أنَّه خاف وعصى مع الخوف، وهو أقبح، فيكون ذلك ذنباً، لكنَّ الحديث سبق، وعادة الفضلاء الولوع بالحديث كثيراً، أما الآية: فقليل من يتفطن لها، وقد ذكروا في الحديث وجوهاً، وأما الآية فلم أر لأحد فيها شيئاً، ويمكن تخريجها على ما قالوه في الحديث، غير أنه ظهر لي جواب عن الحديث والآية جميعاً، وسأذكره فيما بعد، وقال ابن عصفور: «لو» في الحديث بمعنى: «إنْ» لمطلق الربط وإنْ لا يكون نفيها ثبوتاً، ولا ثبوتها نفياً، فيندفع الإشكال. وقال الشيخ شمس الدين الخسروشاهي: إنَّ «لو» في أصل اللغة لمطلق الربط، وإنما اشتهرت في العرف بانقلاب ثبوتها نفياً وبالعكس، والحديث إنما ورد بمعنى اللفظ في اللغة. وقال الشيخ ابن عبد السلام: الشيء الواحد قد يكون له سبب واحد، فينتفي عند انتفائه، وقد يكون له سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدمه؛ لأن السبب الثاني يخلف الأول، كقولنا في زوج، هو ابن عم: لو لم يكن زوجاً لورث، أي: بالتعصيب فإنهما سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدم الآخر، كذلك ها هنا؛ إذ الناس في الغالب إنما لم يعصوا لأجل الخوف، فإذا ذهب الخوف عصوا؛ لاتحاد السبب في حقهم، فأخبر ﷺ: أن صهيباً رضي الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه من المعصية، وهذا مدح جليل، وكلام حسن. وأجاب غيرهم: بأن الجواب محذوف، تقديره: لو لم يخف الله عصمه الله، ويدلّ على ذلك قوله: لم يعصه. وهذه الأجوبة تتأتى في الآية غير الثالث، فإن عدم نفاد كلمات الله تعالى، وإنها غير متناهية أمر ثابت لها لذاتها،

وما بالذات لا يعلَّل بالأسباب، فتأمل ذلك. هذا كلام الفضلاء الذي اتصل بي.

ويتابع القرافي: والذي ظهر لي: أن «لو» أصلها أن تستعمل للربط بين شيئين نحو ما تقدم، ثم إنها أيضاً تستعمل لقطع الرابط، فتكون جواباً لسؤال محقّق ومتوهم وقع فيه ربط، فتقطعه أنت لاعتقادك بطلان ذلك الربط، كما لو قال القائل: لو لم يكن ذلك زوجاً لم يرث. فتقول أنت: لو لم يكن زوجاً لم يحرم. تريد: أن ما ذكرته من الربط بين عدم الزوجية وعدم الإرث ليس بحق، فمقصودك قطع ربط كلامه، لا ربط كلامه، وتقول: لو لم يكن زيداً عالماً لأكرم. أي: لشجاعته، جواباً لسؤال سائل يتوهمه، أو سمعته يقول: إنه إذا لم يكن عالماً لم يكرم. فيربط بين عدم العلم وعدم الإكرام فتقطع أنت ذلك الربط، وليس مقصودك أن تربط بين عدم العلم والإكرام؛ لأن ذلك غير مناسب، ولا من أغراض العقلاء، ولا يتجه كلامك إلا إلى عدم الربط، فكذلك الحديث: لما كان الغالب على الناس أن يرتبط عصيانهم بعدم خوف الله تعالى، وأنَّ ذلك في الأوهام، قطع رسول الله ﷺ هذا الربط، وقال: لو لم يخف الله لم يعصه. وكذلك: لما كان الغالب أنَّ الأشجار كلها إذا صارت أقلاماً، والبحر الملح مع غيره يكتب به الجميع، والواهم يقول: ما يكتب بهذا شيء إلا نفد، وما عساه أن يكون قطع الله هذا الربط، وقال: ما نفدت الخ. . . وهذا الجواب أصلح من الأجوبة المتقدمة لوجهين. أحدهما: شموله لهذين الموضعين وبعضها لم يشمل كما تقدم. وثانيهما: أن لو بمعنى خلاف الظاهر. وما ذكرته من الجواب ليس مخالفاً لعرف أهل اللغة، فإنهم يستعملون ما ذكرته، ولا يفهمون غيره في تلك الموارد، ونعم هذا الجواب الواجب لذاته لصفات الله تعالى وكلماته، والممكن القابل للتعليل، كطاعة صهيب رضي الله عنه» انتهى كلام شهاب الدين.

أما ابن هشام فبعد أن ذكر: أنَّ «لو» المستعملة عل خمسة أوجه؛ قال: «الثاني: أنها تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعاً. وهذا هو القول الجاري

على ألسنة المعربين، ونص عليه جماعة من النحويين، وهو باطل بمواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ وقول عمر رضي الله عنه: نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه. وبيانه: أنَّ كل شيء امتنع ثبت نقيضه. فإذا امتنع «ما قام» ثبت «قام» وبالعكس، وعلى هذا فيلزم على هذا القول في الآية الأولى ثبوت إيمانهم مع عدم نزول الملائكة، وتكليم الموتى لهم، وحشر كل شيء عليهم. وفي الثانية: نفاد الكلمات مع عدم كون كل ما في الأرض من شجرة أقلاماً تكتب الكلمات، وكون البحر الأعظم بمنزلة الدواة، وكون السبعة الأبحر مملوءة مداداً، وهي تمد ذلك البحر، ويلزم في الأثر ثبوت المعصية مع ثبوت الخوف، وكل ذلك عكس المراد، والثالث: أنها تفيد امتناع الشرط خاصة ولا دلالة لها على امتناع الجواب، ولا على ثبوته، ولكنه إن كان مساوياً للشرط في ا لعموم، كما في قولك: لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً، لزم انتفاؤه، لأنه يلزم من انتفاء السبب المساوي انتفاء مسببه، وإن كان أعم، كما في قولك: لو كانت الشمس طالعة كان الضوء موجوداً فلا يلزم انتفاؤه، وإنما يلزم انتفاء القدر المساوي منه للشرط، وهذا قول المحققين» إلى أن يقول:

«ويتلخص على هذا أن يقال: إن «لو» تدل على ثلاثة أمور: عقد السببية والمسببية، وكونهما في الماضي، وامتناع السبب، ثم تارة يعقل بين الجزأين ارتباط مناسب، وتارة لا يعقل، فالنوع الأول على ثلاثة أقسام:

ما يوجب فيه الشرع أو العقل انحصار مسببية الثاني في سببية الأول، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ ونحو: لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجوداً، وهذا يلزم فيه من امتناع الأول امتناع الثاني قطعاً. وما يوجب أحدهما فيه عدم الانحصار المذكور، نحو: لو نام لانتقض وضوءه. وهذا لا يلزم فيه من امتناع الأول امتناع الثاني كما قدمنا.

وما يجوز فيه العقل ذلك نحو: لو جاءني زيد أكرمته. فإن العقل يجوز انحصار سبب الإكرام في المجيء، ويرجحه: أن ذلك هو الظاهر من ترتيب الثاني على الأول، وأنه المتبادر إلى الذهن، واستصحاب الأصل. وهذا النوع يدل فيه العقل على انتفاء المسبب المادي لانتفاء السبب لا على الانتفاء مطلقاً، ويدل الاستعمال والعرف على الانتفاء المطلق، والنوع الثاني: (وهو ما لا يعقل فيه بين الجزأين ارتباط مناسب) قسمان: أحدهما ما يراد فيه تقرير الجواب؛ وُجد الشرط؛ أو فقد، ولكنه مع فقده أولى، وذلك كالأثر المروي عن عمر في صهيب رضي الله عنهما: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه» فإنه يدل على تقرير عدم العصيان على كل حال وعلى انتفاء المعصية مع ثبوت الخوف أولى، وإنما لم تدل «لو» على انتفاء الجواب لأمرين:

أحدهما: أن دلالتها على ذلك إنما هو من باب مفهوم المخالفة، وفي هذا الأثر دل مفهوم الموافقة على عدم المعصية، لأنه إذا انتفت المعصية عند عدم الخوف فعند الخوف أولى، وإذا تعارض هذان المفهومان قدم مفهوم الموافقة.

الثاني: أنه لما فقدت المناسبة انتفت العليّة، فلم يجعل عدم الخوف علة عدم المعصية، فعلمنا: أن عدم المعصية معلل بأمر آخر، وهو الحياء، والمهابة، والإجلال، والإعظام، وذلك مستمر مع الخوف، فيكون عدم المعصية عند عدم الخوف مستنداً إلى ذلك السبب وحده، وعند الخوف مستنداً إليه فقط، أو إليه وإلى الخوف معاً، وعلى ذلك تتخرج آية «لقمان» السابقة؛ لأن العقل يجزم بأن الكلمات إذا لم تنفد مع كثرة هذه الأمور؛ فلأن لا تنفد مع قلتها، وعدم بعضها أولى».

هذا ومن نسب الأثر بهذا اللفظ إلى النبي ﷺ فقد وهم، وإنما الوارد ما رواه أبو نعيم في الحلية: أن النبي قال في سالم مولى أبي حذيفة: إنه شديد الحب لله تعالى لو كان لا يخاف الله ما عصاه.

٢ ـ لماذا وحد الشجرة؟:

وقال الزمخشري: «فإن قلت لم قيل: ﴿مِن شَجَرَةٍ﴾ على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر؟ قلت: أريد تفصيل الشجر، وتقصيها: شجرة، شجرة، حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة إلا قد بريت أقلاماً».

ووحد الشجرة لما تقرر في علم المعاني: أن استغراق المفرد أشمل، فكأنه قال: كل شجرة شجرة، حتى لا يبقى من جنس الشجرة واحدة إلا وقد بريت أقلاماً، وجمع الأقلام لقصد التكثير، أي: لو أن يعد كل شجرة من الشجر أقلاماً.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ
يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ
مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى
فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى
ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿كَٱلظُّلَلِ﴾ : الظلل: جمع ظلة بضم الظاء: كل ما أظلك من جبل، أو سحاب، أو شجر، أو غيرها؟

﴿خَتَّارٍ﴾ : مبالغة من الختر، وهو أشد الغدر، ومنه قولهم: إنك لا تمد لنا شبراً من الغدر إلا مددنا لك باعاً من ختر، قال:

وإنـكَ لَـوْ رأيـتَ أبـا عُمَيْـرٍ ملأتَ يديكَ مِنْ غَدْرٍ وخَتْرِ

وقوله: ملأت يديك من غدر وختر: شبه المعقول بالمحسوس على سبيل الاستعارة المكنية. وملء اليدين: تخييل، وروي: أن رسول الله ﷺ رأى

رجلاً عدّ بأصابع يده اليمنى : سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبأصابع اليسرى: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني واجبرني فقال رسول الله : مَلأْتَ يديك خيراً.

○ الإعراب:

﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ ما : نافية، وخلقكم : مبتدأ، ولا بعثكم : عطف على خلقكم، وإلا : أداة حصر، والكاف: خبر خلق، أو: الجار والمجرور: خبر خلق، ولا بد من تقدير مضاف، أي : إلا كخلق نفس واحدة، وما بعثكم إلا كبعث نفس واحدة، والكلام مستأنف، مسوق للرد على المتشككين؛ الذين قالوا للنبي ﷺ: إن الله خلقنا أطواراً: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم تقول: إنا نبعث خلقاً جديداً جميعاً في ساعة واحدة. وإنَّ، واسمها، وسميع: خبرها الأول، وبصير: خبرها الثاني. ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التقريري، ولم حرف نفي وقلب وجزم وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تر وأن، واسمها، وجملة يولج الليل في النهار: خبرها، وجملة يولج النهار في الليل: عطف عليها. ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ الواو: عاطفة، وسخر: عطف على يولج، وستأتي علة المخالفة في الصيغة في باب البلاغة، والشمس: مفعول سخر، والقمر: عطف على الشمس، وكل: مبتدأ، وجملة يجري: خبر، وإلى أجل: متعلقان بيجري، وسيأتي سر هذا الحرف في باب البلاغة. وإنَّ، واسمها، وبما تعملون: متعلقان بخبير، وخبير: خبر إن. ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ ﴾ ذلك: مبتدأ، وخبره: بأن الله، وأنَّ، واسمها، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والحق: خبر أن، أو: خبر هو، والجملة: خبر أن، وأن: عطف على بأنَّ، وأن، واسمها، وجملة يدعون: صلة ما، ومن دونه: حال، والباطل: خبر أن. ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ عطف على ما تقدم.

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التقريري أيضاً، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتر: فعل مضارع مجزوم بلم، وأن، وما بعدها: في محل نصب مفعول تر، وأن، واسمها، وجملة تجري في البحر: خبرها، وبنعمة الله: حال، أي: مصحوبة بنعمته. ﴿ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ اللام: للتعليل، ويريكم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، ومن آياته: في محل نصب مفعول به ثان ليريكم، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبر إن المقدم، واللام: المزحلقة، وآيات: اسم إن، ولكل: صفة لآيات، وصبار: مضاف لكل، وشكور: صفة لصبار. ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة غشيهم: في محل جر بإضافة الظرف إليه، وغشيهم: فعل ماض، ومفعول به، وموج: فاعل، وكالظلل: صفة لموج، وجملة دعوا الله: لا محل لها، لأنها جواب شرط غير جازم، ومخلصين: حال، وله: متعلقان بمخلصين، والدين: مفعول لمخلصين؛ لأنه اسم فاعل. ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: حينية ظرفية، أو: رابطة، ونجاهم: فعل ماض، ومفعول به، وفاعل مستتر، تقديره: هو، وإلى البر: متعلقان بنجاهم، والفاء: تفريعية، ومنهم: خبر مقدم، ومقتصد: مبتدأ مؤخر، أي: متوسط في الكفر والظلم؛ لأنه انزجر بعض الانزجار، وقيل: المقتصد: المتوسط بين السابق بالخيرات، والظالم لنفسه، وفي الكلام إيجاز سيأتي في باب البلاغة. ﴿ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ الواو: استئنافية، وما: نافية، ويجحد: فعل مضارع مرفوع، وبآياتنا: متعلقان بيجحد، وإلا: أداة حصر، وكل: فاعل، وختار: مضاف إليه، وكفور: صفة لختار.

□ البلاغة:

المخالفة في الصيغة وفي حرفي الجر:

في قوله: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ مخالفة في الصيغة بين (سخر) المعطوف، و(يولج) المعطوف عليه؛ لأن إيلاج أحد الملوين[١] في الآخر متجدد كل حين، فعبر عنه بالصيغة التجددة حيناً بعد حين، وأما تسخير النيرين فهو أمر لا يتجدد، ولا يتعدد، بل هو ديمومة متصلة متتابعة، فعبر عنه بالصيغة الماضية الكائنة.

وفي قوله: ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مخالفة بين حرف الجر «إلى» المستعمل هنا وحرف الجر «اللام» المستعمل في مكان آخر، فليس هو من تعاقب الحرفين، فالأول للانتهاء، والثاني للاختصاص، وكل واحد منهما واقع موقعه، ملائم لصحة الغرض الذي هدف إليه، لأن قولك: ﴿يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، معناه: يبلغه وينتهي إليه. وقولك: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾، معناه: يجري لإدراك أجل مسمى، فما ينتهي هنا غاية ما ينتهي إليه الخلق، فناسب ذكر ﴿إِلَىٰٓ﴾، وما في فاطر، والزمر ليس من هذا الوادي، فناسب ذكر اللام، وهذا من الدقائق البديعة فتأمل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

○ الإعراب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ اتقوا ربكم:

---

(١) «الملوان»: الليل والنهار.

فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، واخشوا: عطف على اتقوا، ويوماً: مفعول به، وجملة لا يجزي والد عن ولده: صفة ليوماً. ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ﴾ ولا مولود: عطف على والد وهو: مبتدأ، وجاز: خبر، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجملة: صفة ليوماً، وشيئاً: مفعول جازٍ، أو يجزي، فالمسألة من باب التنازع، وإن وعد الله حق: إنَّ، واسمها، وخبرها. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الفاء: الفصيحة، ولا: ناهية، وتغرنكم: فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بلا الناهية، والحياة: فاعل تغرنكم، والكاف: مفعوله، والدنيا: صفة للحياة، ولا يغرنكم بالله الغرور: عطف على ما تقدم، مماثل له في إعرابه، والغرور بفتح الغين: كل ما يسبب الانخداع، والافتتان. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِۖ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير تفرد الله بالإحاطة بالمغيبات، وسبب نزولها: أنَّ الحارث بن عمرو بن حارثة أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله! أخبرني عن الساعة متى قيامها؟ وإنِّي قد ألقيت حياتي في الأرض، وقد أبطأت عنا السماء؛ فمتى تمطر؟ وأخبرني عن امرأتي فقد اشتملت ما في بطنها أذكر أم أنثى؟ وإني عملت ما عملت أمس فما أعمل غداً؟ وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت؟.

وإنَّ، واسمها، وعنده: ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وعلم الساعة: مبتدأ مؤخر، والجملة: خبر إنَّ، وينزل الغيث: عطف على عنده علم الساعة، فهو بمثابة خبر ثان، ويعلم ما في الأرحام: عطف أيضاً. ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ﴾ الواو: حرف عطف، وما: نافية، وتدري: فعل مضارع، ونفس: فاعله، وماذا: اسم استفهام مركب في محل نصب مفعول مقدم لتكسب، وجملة تكسب: سادة مسد مفعولي تدري المعلقة بالاستفهام، وغداً: ظرف متعلق بتكسب، ويجوز أن تكون ما: مبتدأ وذا: اسم موصول في محل رفع خبر، وقد تقدم القول في ماذا. ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ

أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الواو: حرف عطف، وما: نافية، وتدري: فعل مضارع مرفوع، ونفس: فاعل، وبأي أرض: متعلق بتموت، وهو معلق للدراية، فالجملة: في محل نصب، والباء: ظرفية بمعنى: في أي أرض، وإنَّ، واسمها، وخبرها.

□ البلاغة:

للضمائر شأن كبير في الفصاحة والبلاغة، ولها تأثير في قوة الكلام وضعفه، أو توكيده، وعدم توكيده، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ فقد ورد الضمير بعد مولود، ولم يرد بعد والد في قوله ﴿لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾ وذلك لسر يتجاوز الإعراب، وقد أجاب الإمام الزمخشري بجواب في غاية الدقة، ولكنه أغفل أمراً هاماً يرد عليه، وفيما يلي نص قوله:

«فإن قلت: قوله: ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وارد على طريق من التوكيد، لم يرد عليه ما هو معطوف عليه؟ قلت الأمر كذلك؛ لأنَّ الجملة الاسمية آكد من الفعلية، وقد انضم إلى ذلك قوله: ﴿هو﴾ وقوله: ﴿مَوْلُودٌ﴾ والسبب في مجيئه على هذا السنن: أن الخطاب للمؤمنين، وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر، وعلى الدين الجاهلي، فأريد حسم أطماعهم وأطماع الناس فيهم أن ينفعوا آباءهم في الآخرة، وأن يشفعوا لهم، وأن يغنوا عنهم من الله شيئاً، فلذلك جيء به على الطريق الآكد». وواضح من هذا التعليل الجميل أنه يتمشى على الموجودين في زمن النبي ﷺ، أو أنه خاص بهم، والصحيح: أنه عام لهم، ولكل من ينطبق عليهم اسم الناس، فالأولى أن يقال في جواب السؤال: إن الله تعالى لما أكد الوصية على الآباء، وقرن شكرهم بوجوب شكره عز وجل، وأوجب على الولد أن يكفي والده ما يسوءه بحسب نهاية إمكانه، وغاية طوقه؛ قطع هنا وهم الوالد في أن يكون الولد في القيامة مظنة لأنه يجزيه حقه عليه، ويكفيه ما يلقاه من أهوال القيامة، كما أوجب الله عليه في الدنيا ذلك في حقه، ولما كان إجزاء الولد عن الوالد مظنة

الوقوع، وموطن الأمل؛ لأن الله حضه عليه في الدنيا؛ كان جديراً بتأكيد النفي لإزالة هذا الوهم، وهذا غير وارد في حق الولد على الوالد، وهذا من الحسن بمكان فتأمله.

* * *

سورة السجدة

آياتها ٣٠ ترتيبها ٣٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ
ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ
يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا
تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾

○ **الإعراب:**

﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الٓم: خبر لمبتدأ محذوف، وقد تقدم القول مفصلاً في ذلك، وتنزيل الكتاب: مبتدأ، ولا: نافية للجنس، وريب: اسمها، وفيه: خبرها، والجملة: حال من الكتاب، ومن رب العالمين: خبر تنزيل، وهناك أعاريب أخرى ضربنا صفحاً عنها، وقد تقدم في أول البقرة ما يشبه هذا. ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن

رَّبِّكَ﴾ أم: هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل الإضرابية، وهمزة الإستفهام الإنكارية، ويقولون: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل، وجملة افتراه: مقول القول، وافتراه: فعل، ومفعول به، والفاعل مستتر، تقديره: هو، يعود على محمد، وبل: إضراب ثانٍ، يفيد إبطال قولهم، وهو: مبتدأ، والحق: خبر، ومن ربك: حال. ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ اللام: للتعليل، وتنذر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، وفاعل تنذر: مستتر، تقديره: أنت، وقوماً: مفعول به أول، والمفعول الثاني: محذوف، إذ التقدير: لتنذر قوماً العقاب، وما: نافية، وآتاهم: فعل، ومفعول به، ومن: حرف جر زائد، والجملة: صفة لقوماً، ومن قبلك: صفة لنذير، ويجوز أن يتعلق بآتاهم، وجملة ما آتاهم المنفية: في محل نصب صفة لقوماً، ويجوز العكس، ومفعول تنذر الثاني: محذوف، أي: لتنذر قوماً العقاب، وجوز بعضهم أن تكون ما: موصولة، والتقدير: لتنذر قوماً العقاب الذي أتاهم من نذير من قبلك، ومن نذير: متعلقان بأتاهم، أي: أتاهم على لسان نذير من قبلك، وبواسطته، فما: مفعول به ثان، وانذر يتعدى إلى اثنين قال تعالى: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾. ولعلَّ، واسمها، وجملة يهتدون: خبرها، وجملة التراخي: حال من فاعل لتنذر، أي: لتنذرهم راجياً لاهتدائهم.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ الله: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة خلق السموات والأرض: صلة، وما: عطف على السموات، وبينهما: ظرف متعلق بمحذوف صلة لما، وفي ستة أيام: متعلقان بخلق. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ثم: حرف عطف وتراخ، واستوى: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو يعود على الله، وعلى العرش: متعلقان باستوى، وما: نافية، ولكم: خبر مقدم، ومن دونه: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لولي، ومن: حرف جر زائد، وولي: مجرور لفظاً مرفوع محلاًّ على أنه مبتدأ مؤخر، ولا شفيع: عطف

على ولي، ويجوز أن تكون ما حجازية على رأي بعض النحاة، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق، ولا: نافية، وتتذكرون: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ الجملة: حالية، والأمر: مفعول يدبر، ومن السماء: متعلقان بيدبر، وإلى الأرض: متعلقان بيدبر أيضاً، ومن: ابتدائية، وإلى: انتهائية، ثم: حرف عطف وتراخ، ويعرج: فعل مضارع، وفاعله مستتر، تقديره: هو، أي: الأمر، أي: يرجع إليه، وإليه متعلقان بيعرج، وفي يوم: حال من فاعل يعرج، أي: كائناً في يوم، وجملة كان، واسمها، وخبرها: صفة ليوم، وسيأتي مزيد بيان لمعنى هذا الزمان في باب البلاغة، ومما: صفة لألف سنة، وجملة تعدون: صلة.

□ البلاغة:

قال النحاس: اليوم في اللغة بمعنى الوقت، فاندفع الإشكال الذي أورده بعضهم مع قوله تعالى في سورة سأل﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فالعرب تعبر عن مدة العصر باليوم، ويوم القيامة فيه أياماً متباينة الأوقات، فمنها ما هو مقداره ألف سنة، ومنها ما مقداره خمسون ألف سنة، فالمراد من ذكر الألف والخمسين: التنبيه على طوله، والتخويف منه، لا العدد بخصوصه، ومن شواهد التعبير باليوم عن المدة قول الشاعر:

يومانِ: يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الأعداء تأويبُ

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ

رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ذلك: مبتدأ، والإشارة إلى الله الخالق المدبر، وعالم الغيب والشهادة: خبر أول، والعزيز: خبر ثان، والرحيم: خبر ثالث. ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ يجوز في اسم الموصول أن يكون خبراً رابعاً، أو: نعتاً، أو: خبراً لمبتدأ مضمر، وأن يكون منصوباً على المدح، وجملة أحسن: صلة، وكل شيء: مفعول به، وخلقه: فعل ماض، ومفعول به والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: هو يعود على الله، وجملة خلقه: صفة لشيء في محل جر، أو: صفة لكل، فهي في محل نصب، وقرىء خلْقه بسكون اللام، فيكون بدل اشتمال من كل شيء، والضمير: عائد على كل شيء. ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ وبدأ: عطف على أحسن، وخلق. الإنسان: مفعول به، ومن طين: متعلقان بخلق، والمراد بالإنسان: آدم. ﴿ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وجعل نسله: فعل، وفاعل مستتر، يعود على الله، ومفعول به، ومن سلالة: متعلقان بجعل، أو: في محل نصب على أنه مفعول ثان، وسميت الذرية نسلاً لأنها تنسل منه، كما سميت النطفة سلالة لأنها تسل منه، وفي الصحاح: النجل: النسل، ونجله أبوه؛ أي: ولده، فالولد سليل، ونجل، ومن ماء: صفة لسلالة، ومهين: صفة لماء، وهي النطفة الضعيفة. ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ثم: حرف ترتيب، وتراخ، وسواه: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، والمراد بالتسوية: تقويمه في أحسن تقويم، ونفخ: عطف على سواه، وفيه: متعلقان بنفخ، ومن روحه: متعلقان بنفخ أيضاً، وجعل: عطف، ولكم: متعلقان بجعل، والسمع: مفعول به، والأبصار والأفئدة: معطوفان على السمع، وقليلاً: مفعول مطلق، وما: زائدة مؤكدة للقلة،

وتشكرون: فعل مضارع مرفوع. ويجوز أن يعرب قليلاً: ظرف زمان، فعلى الأول يكون التقدير: شكراً قليلاً، وعلى الثاني: زماناً قليلاً.

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان ضروب من أباطيلهم، وسيأتي سر الالتفات في باب البلاغة، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بمحذوف، تقديره: نبعث، وهو جواب إذا، أو: نخرج بدلالة خلق جديد عليه، وجملة ضللنا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وفي الأرض: متعلقان بضللنا، والهمزة للاستفهام الإنكاري أيضاً، وأنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وفي خلق: خبرها، وجديد: صفة لخلق. ﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ إضراب انتقالي من بيان كفرهم بالبعث إلى ما هو أطم وأدل على سوء ما هم مترددون فيه. وهم: مبتدأ، وبلقاء ربهم: متعلقان بكافرون، وكافرون: خبر هم. ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ يتوفاكم: فعل مضارع، والكاف: مفعول به مقدم، وملك الموت: فاعل، والذي: نعت لملك الموت، وجملة وكل بكم: صلة، ثم: حرف عطف وتراخ وإلى ربكم: متعلقان بترجعون، وترجعون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل.

* الفوائـــد:

التفعيل والاستفعال:

قال الزمخشري: والتوفي: استيفاء النفس، وهي الروح، قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ ومعلوم: أن التفعل والاستفعال يلتقيان في مثل: تقضيته، واستقضيته، وتعجلته، واستعجلته. وللتفعل معانٍ أخرى، ندرجها فيما يلي:

١ ـ مطاوعة الرباعي المضعف، نحو: نبّهته، فتنبّه، وجمعته، فتجمّع.

٢ ـ التكلف، نحو: تصبرّ، وتكرّم، أي: تكلّف الصبر والكرم.

٣ ـ الاتخاذ، نحو: توسّد ذراعه، أي: اتخذه وسادة، وتورّك البعير، أي: اتخذ وركه مطية.

٤ ـ التجنّب، نحو: تأثّم، أي: تجنب الإثم، وتهجّد: أي، تجنب الهجود، وهو النوم.

٥ ـ التدريج، نحو: تحفَّظت الدرس، أي: حفظته قسماً بعد قسم، وتجرعت الدواء، أي: أخذته جرعة بعد جرعة.

وأشهر معاني الاستفعال ما يأتي:

١ ـ الطلب، نحو: استقدمت فلاناً، أي: طلبت قدومه، واستخرجت حل المسألة، أي: حصلت عليه بعد طلب.

٢ ـ الصيرورة، نحو: استحجر، أي: صار حجراً، واستنوق الجمل، أي: صار كالناقة، واسترجلت المرأة، أي: صارت كالرجل.

٣ ـ النسبة، نحو: استصوبت رأيه، أي: نسبت إليه الصواب، واستقبحت فعله، أي: نسبت إليه القبح.

٤ ـ اختصار اللفظ، نحو: استرجع القوم، أي: قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

٥ ـ القوة، نحو: استهتر، أي: اشتد هتاره، واستكبر، أي: قوي كبره.

وقد تأتي هذه الصيغة بمعنى أفعل، نحو: استجاب، وأجاب، وقد تكون مطاوعاً له، نحو: أحكمت البناء، فاستحكم، وأقمت اعوجاجه، فاستقام.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا
وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ
هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟

عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا
خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ
عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ
مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ تَتَجَافَىٰ﴾ : تجافى: تنحى، ولم يلزم مكانه، يقال: تجافى السرج عن ظهر الفرس، وتجافى جنبه عن الفراش، وقال في الأساس: جفاني فلان: فعل بي ما ساءني، واستجفيته، والأدب صناعة مجفوّ أهلها، وجفت المرأة ولدها، فلم تتعاهده، وثوب جاف: غليظ، وقد جفا ثوبه، وهو من جُفاة العرب، وجفا السرج عن ظهر الفرس، وجنب النائم عن الفراش، وتجافى ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ وأجفاه صاحبه، وجافاه، قال:

وتَشْتَكِي لَوْ أنَّنا نَشْكِيها غمزَ حَوايا قلَّما نُجْفِيها

ومن المجاز: أصابته جفوة الزمان، وجفاوته. وللجيم مع الفاء خاصة الانكماش، والجفاف، يقال: جف، يجف، من باب تعب، جفافاً، وجفوفاً: يبس، ونشف، والانكماش واضح في هذا المعنى، واجتف ما في الإناء: أتى عليه، وجفأ، يجفأ من باب فتح، النهر: رمى بالزبد، والقذى، وجفجف الإبل: ساقها بشدة؛ حتى ركب بعضها بعضاً؛ أي: انكمش بعضها على بعض، وجفخ: تكبر، والمتكبر منكمش عن الناس ترفعاً وتيهاً منه، وجفل القوم، وأجفلوا: هربوا مسرعين، ووقعت في الناس جَفْلَة: إذا خافوا، فانجفلوا، وليس مثل الخائف في الانكماش، والإسراع، وجفن الناقة، نحرها، وأطعم لحمها في الجفان، وجفن نفسه: كفها عن الخبائث، وتجفّن الكرم: صار له أصل، والجفنة، بفتح الجيم: القصعة الكبيرة، والخمرة، والبئر الصغيرة، فما تطلقه العامة على جفنة الكرم له أصل صحيح.

○ الإعـراب:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق لاستحضار صورة المجرمين عامة يوم القيامة، والخطاب لمحمد ﷺ، أو لكل أحد ممن يصلح له، ولتجسيد الفظاعة التي حلت بهم. ولو: شرطية، وترى: فعل مضارع، فاعله: مستتر، تقـديره: أنت، وإذ: ظرف لما مضى من الزمن متعلق بترى، وإنما جاز ذلك لترقب وقوعه، وتحققه، نحو: أتى أمر الله، وجعله أبو البقاء مما وقعت فيه إذ موقع إذا، والمجرمون: مبتدأ، وناكسو رؤوسهم: خبر، وسيأتي سر التعبير بالجملة الاسمية في باب البلاغة، وعند ربهم: ظرف متعلق بمحذوف حال، ومفعول ترى: محذوف؛ لأن الرؤية بصرية، أي: لو ترى المجرمين، وقد أغنى عن ذكره المبتدأ، وجواب لو: محذوف، أي: لرأيت أمراً فظيعاً لا يمكن وصفه، وأجاز الزمخشري أن تكون لو للتمني، والمضي فيها وفي إذ؛ لأن الثابت في علم الله بمثابة الواقع، وناكسو رؤوسهم: اسم فاعل مضاف إلى مفعوله. ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الكلام مقول قول محذوف في موضع الحال، أي: قائلين، وربنا: منادى مضاف، حذف منه حرف النداء، وأبصرنا: فعل، وفاعل، والمفعول: محذوف، أي: أبصرنا صدق وعدك ووعيدك، وسمعنا منك تصديق رسلك، وسمعنا: عطف على أبصرنا، ويجوز عدم تقدير مفعول، أي: صرنا ممن يبصر ويسمع، وكنا من قبل صماً وعمياناً، وهو جميل، فارجعنا: الفاء: الفصيحة، وارجعنا: فعل أمر، المقصود منه الدعاء، ومفعول به، ونعمل: مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الطلب، وصالحاً: مفعول به، أو مفعول مطلق، وإن، واسمها، وخبرها.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ الواو: عاطفة، ولو: شرطية وشئنا: فعل، وفاعل، ولآتينا: اللام: واقعة في جواب لو، وآتينا: فعل، وفاعل، وكل نفس: مفعول آتينا الأول، وهداها: مفعول آتينا الثاني.

﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ الواو: حالية، ولكن: مخففة مهملة، فهي لمجرد الاستدراك، وحق القول: فعل، وفاعل، ومني: حال، ولأملأنّ: اللام موطئة للقسم، وأملأن: فعل مضارع مبني على الفتح، والفاعل: مستتر، تقديره: أنا، وجهنم: مفعول به، ومن الجنة: متعلقان بأملأن، والناس: عطف على الجنة، وقدم الجن لأن المقام مقام تحقير لهم، وأجمعين: تأكيد، وسيأتي القول في معنى أجمعين هنا في باب الفوائد. ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إن نسيتم هذا كله فذوقوا، وذوقوا: فعل أمر، وفاعله، وبما: الباء حرف جر للسببية، وما: مصدرية، والمصدر المؤوّل مجرور بالباء، والجار والمجرور: متعلقان بذوقوا، ومفعول ذوقوا: محذوف، تقديره: العذاب، ولقاء يومكم: مفعول نسيتم، وهذا: صفة ليومكم، أي: المشار إليه. ﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كلام مستأنف لزيادة إيلامهم، ومقابلة نسيانهم اللقاء بنسيان أمضى، وأنكى، وإنَّ، واسمها، وجملة نسيناكم: خبرها، وذوقوا: فعل أمر، والواو: فاعل، والجملة: مقول قول محذوف، أي: ونقول: ذوقوا، وعذاب الخلد: مفعول ذوقوا، وكرر الذوق مع مفعوله للتأكيد، وتبيين المفعول المطوي للذوق، وبما: جار ومجرور، متعلقان بذوقوا، وقد مرَّ قريباً، وكنتم: كان واسمها، وجملة تعملون: خبرها. ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان الذين إذا قرىء عليهم القرآن خروا سجداً، وإنما: كافة ومكفوفة، ويؤمن: فعل مضارع مرفوع، وبآيتنا: متعلقان به والذين: فاعل، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ذكروا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والواو: نائب فاعل، وبها: متعلقان بذكروا، وجملة خروا: جواب إذا، وسجداً: حال من فاعل خروا.

﴿وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩﴾ وسبحوا: عطف على خروا، وبحمد ربهم: حال، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وجملة

لا يستكبرون: خبر، والجملة: في محل نصب على الحال. ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ الجملة مستأنفة، أو: حالية أيضاً، وجنوبهم: فاعل، وعن المضاجع: متعلقان بتتجافى. ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ جملة يدعون: إما: مستأنفة، وإما: حالية أيضاً، ويدعون ربهم: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، وخوفاً، وطمعاً: إما: مفعول لأجله، وإما حالان، وإما: مصدران لفعل محذوف، ومما: متعلقان بينفقون، وجملة رزقناهم: صلة ما، ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ يجوز أن تكون الفاء عاطفة، أي: تتجافى جنوبهم، ويدعون ربهم فلا، ويجوز أن تكون فصيحة، أي: إن حاول أحد أن يعلم مصيرهم وما أعد الله لهم من قرة أعين فلا تعلم. ولا: نافية، وتعلم نفس: فعل مضارع، وفاعل، وما: اسم موصول مفعول تعلم، أي: لا تعلم الذي أخفاه الله، ويجوز أن تكون استفهامية في محل رفع مبتدأ، وأخفي لهم: خبره، وعلى قراءة أخفي بسكون الياء تكون ما: مفعول أخفي، لأنه فعل مضارع، وفاعله: أنا، وتكون ما الاستفهامية معلقة لتعلم، ولهم: متعلقان بأخفي، ومن قرة أعين: حال من ما، وجزاء: مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: جوزوا جزاء، أو: مفعول لأجله، أي: أخفي لهم لأجل جزائهم، وبما: متعلقان بجزاء، وكان، واسمها، وجملة يعملون: خبرها.

□ البلاغة:

العدول عن الفعلية إلى الاسمية:

في قوله: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ ﴾ عدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية، لتقرير ثباتهم على نكس رؤوسهم خجلاً، وحياءً، وخزياً عندما تبدو مثالبهم وهناتهم بصورة دميمة شوهاء، تبعث على الهزء بهم، والسخرية منهم، كأنما استمر ذلك منهم، لا يرتفع لهم رأس، ولا يمتد منهم طرف.

وكذلك عدل عن الفعلية إلى الاسمية المؤكدة في قوله ﴿ إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ أي:

إنهم ثابتون على الإيقان، راغبون فيه بعد أن ظهرت لهم المغابّ[١] منادية عليهم بالويل والثبور.

* الفوائد:

التوكيد بأجمعين:

يجوز إذا أريد تقوية التوكيد أن يتبع كله: بأجمع، وكلها: بجمعاء، وكلهم: بأجمعين، وكلهن: بجمع، فتقول: جاء الجيش كله أجمع، والقبيلة كلها جمعاء، والقوم كلهم أجمعون، والنساء كلهن جمع، وقد يؤكد بهن، وإن لم يتقدم كل، نحو الآية المتقدمة، وقوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، ومَنْ: مبتدأ، وجملة كان: صلة، واسمها: مستتر، تقديره: هو، ومؤمناً: خبرها، وكمن: خبر مَنْ، وجملة كان: صلة مَنْ الثانية، وفاسقاً: خبر كان، وجملة لا يستوون: مستأنفة لا موضع لها من الإعراب، ويستوون: فعل مضارع مرفوع،

(١) «المغاب»: جاء في المعجم المدرسي: المَغَبَّةُ من كل شيء: عاقبتُه وآخِرُه.

وفاعل، ومتعلقه محذوف، أي: في المآل. وروي: أنه ﷺ كان يتعمَّد الوقف على قوله: ﴿ فَاسِقًاۚ ﴾ ثم يبتدىء بقوله: ﴿ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴾ قال الزجاج: جعل الاثنين جماعة، حيث قال: لا يستوون، لأجل معنى مَنْ. وقيل: لكون الاثنين أقل الجمع ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ أمَّا: حرف شرط وتفصيل، والذين: مبتدأ، وجملة آمنوا: صلة، وجملة عملوا الصالحات: معطوفة على الصلة، داخلة في حيزها، فلهم: الفاء: رابطة، ولهم: خبر مقدم، وجنات المأوى: مبتدأ مؤخر، والمأوى: المكان تلجأ إليه: ويقال: المأواة، والمأوي، ونزلاً: حال من جنات المأوى، أي: حالة كونها مهيأة، ومعدة لهم، والنزل بضمتين عطاء النازل ثم صار علماً فاستعماله بمعنى الفندق لا غبار عليه، بل لعله أولى بالنسبة للفنادق الرفيعة، لأن الفندق، كقنفذ هو الخادم، كما في القاموس، ويقال فيه: الفنتق، قال ابن عباد: هو خان السبيل لغة في الفندق وأنكره الخفاجي في شفاء الغليل، قال شارح القاموس: وهو ـ أي كلام الخفاجي ـ غير متجه فقد قال الفراء: سمعت أعرابياً من قضاعة يقول: فتق الفندق وهو الخان. وبما: صفة لنزلاً وما: مصدرية، أو موصولية وكان، واسمها: وجملة يعملون: خبرها ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ ﴾ الواو: عاطفة، وأما: شرطية تفصيلية كما تقدم، والغالب تكريرها، وسيرد في باب الفوائد إلماع إليها، والذين: مبتدأ، وفسقوا: صلة، والفاء رابطة، ومأواهم النار: ابتداء، وخبر، والجملة: خبر الذين.

﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ كلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط، وقد تقدم القول في كلما كثيراً، وأرادوا: فعل، وفاعل، والجملة: مستأنفة لبيان كيفية مأواهم فيها، وأنْ، وما في حيزها: مفعول أرادوا، ومنها: متعلقان بيخرجوا، وجملة أعيدوا: لا محل لها، وفيها: متعلقان بأعيدوا، وقيل: عطف على أعيدوا، والواو نائب فاعل، ولهم: متعلقان بقيل، وجملة ذوقوا عذاب

النار: مقول القول، والذي: صفة لعذاب، وجملة كنتم: صلة، وبه: متعلقان بتكذبون، وجملة تكذبون: خبر كنتم ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، ونذيقنهم: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: مستتر تقديره: نحن، والهاء: مفعول به ومن العذاب: جار ومجرور متعلقان بنذيقنهم، والأدنى: صفة للعذاب، والمراد بالأدنى: عذاب الدنيا، وما يستهدفون له من محن ونكبات، ودون: ظرف زمان بمعنى قبل، متعلق بمحذوف حال، والعذاب: مضاف إليه، والأكبر: نعت، والمراد بالأكبر: عذاب الآخرة، ولعل، واسمها، وخبرها، وجملة الترجي: حالية، والمراد بها: ترجي المخاطبين، كما قال سيبويه في تفسيرها ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان حال من قابل النعمة بالإعراض، والإشاحة عنها، ومَنْ: اسم استفهام معناه النفي؛ مبتدأ وأظلم: خبر، وممن: متعلقان بأظلم، وجملة ذكر: صلة لَمنْ، وبآيات ربه: متعلقان بذكر، وثم: حرف عطف وتراخ، وأعرض: عطف على ذكر، وعنها: متعلقان بأعرض، وسيأتي معنى التراخي في باب البلاغة، وإنا: إنَّ، واسمها، ومن المجرمين: متعلقان بمنتقمون، ومنتقمون: خبر إن.

□ البلاغة:

١ ـ ذكرنا فيما سبق: أن لحروف العطف أسراراً لا يدركها إلا المبين، فلا يصح وضع بعضها موضع بعض للفوارق بينها، وكلمة «ثم» خاصة بالاستبعاد، والتطاول في المدة، وقد ناسب ذكرها في قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ﴾ لأن الإعراض عن الآيات مع غاية وضوحها وإشراقها مستبعد في حكم البداهة الثابتة، وموازين العقول الراجحة. وقد رمق الشعراء سماء هذه البلاغة، فقال جعفر بن علبة الحارثي فيما يرويه ديوان الحماسة:

ولا يكشـفُ الغمَّـاءَ إلا ابـنُ حُـرَّةٍ
يـرى غمـراتِ المـوتِ ثُـمَّ يـزورُهـا
نُقـاسِمُهـم أسيـافَنـا شـرَّ قِسْمَـةٍ
فَفِينـا غَـواشيهـا وَفيهـم صُـدورُهـا

فقد شبه الداهية الغماء بأمر محسوس يغشى الناس، ويغطيهم على طريق الاستعارة المكنية، وقال: ابن حرة؛ ليكون حفزاً للسامع، وتهييجاً له على خوض الهيجاء. وغمرات الموت: شدائده وأهواله، والشاهد في قوله: ثم يزورها، استبعد أن يزور غمرات الموت بعد أن رآها واستيقنها، لأن بين رؤية الأهوال المفزعة وبين الانحدار إليها برغبة تشبه الرغبة في لقاء المحبوب بوناً بعيداً في العادة والعقل، وشبه السيوف ممتدة متوسطة بينهم بشيء تجري فيه المقاسمة على طريق الاستعارة المكنية، ثم فرع على تلك المقاسمة: أن لهم غواشيها، أي: ما يغشاهم منها، وهي: مقابضها، أو لأنها زائدة على النصل، فهي غاشية له، ولأعدائه صدورها، أي: أطرافها المتقدمة منها، وصدر كل شيء مقدمه، وعبر بفي دون اللام؛ لأن «في» تفيد مجرد اشتمال الأعداء على الصدور، لدخولها في أجسامهم، واللام تفيد التملك، وليس مراداً، وإن كان مقتضى القسمة؛ فلعله دفع توهمه بالعدول إلى «في» وذكرها أولاً تمهيداً للثانية.

٢ ـ في قوله ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ الآية، فن من فنون البديع لم يذكره أحد من الذين كتبوا في فنون البديع ما عدا ابن أبي الإصبع، وهو الشماتة، وهو ذكر ما أصاب عدوك من آفات ومحن جزاء ما اقترفت يداه، مع المبالغة في تصوير غمائه، وما يتخبط به من أهوال، وإظهار اغتباطك بما أصابه شماتة به، وتشفياً منه، وفي هذه الآية من ضروب التشفي والشماتة ما لا يخفى، وهو شائع في القرآن، وفي الشعر، ومنه قصيدة «فتح الفتوح» لأبي تمام.

* الفوائـد :

عود على أمّا :

﴿ أَمَّا﴾ بفتح الهمزة وتشديد الميم : حرف شرط وتوكيد، وتفصيل غالباً، ويدل على معنى الشرط مجيء الفاء بعدها غالباً، ويدل على معنى التفصيل استقراء مواقعها، وعطف مثلها عليها، ولا بد لها من فاء تالية لتاليها، إلا إن دخلت الفاء على قول قد طرح استغناء عنه بالمقول فيجب حذفها منه.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

☆ اللغة:

﴿ ٱلْجُرُزِ﴾ : يقال : جرزه الزمان : اجتاحه، قال تبع :

لا تسْقِنـي بيـديـك إنْ لـمْ ألفهـا
جُـرُزاً كـأن أشـاءهـا مجـروز

وأرض مجروزة وقد جُرزت : قطع نباتها وأرض جُرُز، وأرضون أجراز، وسنون أجراز : جدبة، ومفازة مِجْراز. قال الراعي :

وغبراء مجـــراز يبيـــت دليلهـــا
متيحـــاً عليهـــا للفـــراقـــد راعيـــا

وسيف جُرَز و«لن ترضى شانئة إلا بجَرْزة» مثل في العداوة، وأن البغض لا يرضى إلا باستئصال من يبغضه وضربه بالجُرْز، وخرجوا بأيديهم الجرْزة، وجاء بجُرْزة من قت، وبجُرَز منه، وهي: الحزمة، والعامة تستعمل هذه الكلمة كثيراً، ولا غبار عليها، كما ترى، ومن المجاز: رجل جَرُوز: أكول لا يدع على المائدة شيئاً، وامرأة جارز: عاقر. وفي المختار: أرض جُرُز، وجُرْز، كعسر: لا نبات بها أي: قطع، وأزيل بالمرة، وقيل: هو اسم موضع باليمن، وفي المصباح: الجرزة: القبضة من القت، ونحوه، أو الحزمة، والجمع: جرز كغرفة، وغرف، وأرض جُرُز بضمتين: قد انقطع الماء عنها، فهي يابسة لا نبات فيها.

○ الإعـراب:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسليته ﷺ، وإنما اختار موسى؛ لأن اليهود والنصارى كانوا مؤمنين به، فتمسك بالمجمع عليه، ليكون ألزم لإيقاع الحجة عليهم. واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وآتينا: فعل، وفاعل، وموسى: مفعول به أول لآتينا، والكتاب: مفعول به ثان، والفاء: الفصيحة، ولا: ناهية، وتكن: فعل مضارع ناقص مجزوم بلا، واسمها: ضمير مستتر، تقديره: أنت، وفي مرية: خبرها، أي: شك، ومن لقائه: صفة لمرية، والضمير في لقائه: يعود على موسى، فيكون المصدر ـ وهو: لقاء ـ مضافاً إلى مفعوله، أو على الكتاب، وحينئذ تكون الإضافة للفاعل، أي: من لقاء الكتاب لموسى، وهناك أقوال كثيرة في عودة الضمير ضربنا عنها صفحاً لتهافتها ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وجعلناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، والضمير: يعود على موسى، والكتاب أيضاً، وهدى: مفعول به ثان، ولبني إسرائيل: متعلقان بهدى، أو صفة له ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ

بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ وجعلنا: عطف على جعلنا الأول، ومنهم: مفعول جعلنا الثاني، وأئمة: مفعول جعلنا الأول، وجملة يهدون: صفة لأئمة، وبأمرنا: حال، ولما: ظرف بمعنى حين متعلق بجعلنا، أي: جعلناهم أئمة حين صبروا، وجواب لما: محذوف دل عليه ما قبله، والتقدير: ولما صبروا جعلنا منهم أئمة، وكانوا: عطف على صبروا، وبآياتنا: متعلقان بيوقنون، ويوقنون: خبر كانوا ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ إن، واسمها، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، وجملة يفصل: خبر إن، أو: خبر هو، والجملة خبر إنَّ، وبينهم: ظرف متعلق بيفصل، ويوم القيامة: متعلق بمحذوف حال، وفيما: متعلقان بيفصل، وجملة كانوا: صلة، وفيه: متعلقان بيختلفون، وجملة يختلفون: خبر كانوا.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْۚ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: للعطف على مقدر يقتضيه السياق، أي: أغفلوا ولم يهد لهم، أي: يتبين، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويهد: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل: ما دل عليه «لم يهد»، لأن كم لا تقع فاعلة، والتقدير: أولم يهد لهم كثرة إهلاكنا القرون، وللك أن تقدره بهذا الكلام، وكم: خبرية في محل نصب مفعول به مقدم لأهلكنا، ومن قبلهم: حال من القرون، ومن القرون: حال أيضاً من كم، وجملة يمشون: إمَّا أن تكون استئنافية مسوقة لبيان وجه هدايتهم، وإما أن تكون حالاً من الضمير في لهم، والتقدير: يمشون، أي: يمرون في أسفارهم للتجارة على ديارهم، وبلادهم، ويشاهدون آثار هلاكهم، وفي مساكنهم: متعلقان بيمشون ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍۚ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ إنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وآيات: اسم إن المؤخر، والهمزة، للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة على مقدر يقتضيه أسلوب الحديث، أي: أصموا فلا يسمعون؟ ولا: نافية، ويسمعون: فعل مضارع مرفوع ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ

ٱلۡجُرُزِ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: عاطفة على مقدر أيضاً، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، وأنَّ، وما في حيزها: سدت مسد مفعول يروا، وأنَّ، واسمها، وجملة نسوق: خبرها، والماء: مفعول به، وإلى الأرض: متعلقان بنسوق، والجرز: نعت للأرض.

﴿فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۚ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ فنخرج: عطف على نسوق، وفاعل نخرج: ضمير مستتر، تقديره: نحن، وبه: متعلقان بنخرج، وزرعاً: مفعول به، وجملة تأكل: صفة لزرعاً، ومنه: متعلقان بتأكل، وأنعامهم: فاعل تأكل، وأنفسهم: عطف على أنعامهم، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، أفلا يبصرون: تقدم إعراب نظيره ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ كلام مستأنف، مسوق للردِّ على استهزائهم، فقد كانوا يسخرون من المسلمين الذين يقولون: إن الله سيفتح لنا على المشركين، ويفصل بيننا وبينهم، فيقولون: متى هذا الفتح؟ ومتى: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية، وهو متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهذا: مبتدأ مؤخر، والفتح: بدل من اسم الإشارة، وإنْ: شرطية، وكنتم: كان واسمها في محل جزم فعل الشرط، وصادقين: خبر كان، وجواب الشرط: محذوف، دل عليه ما قبله ﴿قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ يوم الفتح: مبتدأ، وجملة لا ينفع: خبره، والذين كفروا: مفعول ينفع المقدم، وإيمانهم: فاعل ينفع المؤخر، والواو: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة ينظرون: خبر، وينظرون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، أي: يمهلون ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ الفاء: الفصيحة، وأعرض: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وعنهم: متعلقان بأعرض، وانتظر: فعل أمر، وفاعل مستتر، تقديره: أنت، ومفعوله: محذوف، تقديره: النصر عليهم، وإنَّ، واسمها، ومنتظرون: خبرها، ومفعول منتظرون ـ الذي هو اسم الفاعل ـ: محذوف أيضاً، تقديره: النصر عليكم.

□ **البلاغة:**

في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ . . الآية، فن المناسبة. والمناسبة قسمان: إما مناسبة في المعاني، وإما مناسبة في الألفاظ؛ أما الأولى؛ فهي: أن يبتدىء المتكلم بمعنى، ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ، وقد مرت أمثلته في الأنعام، والقصص، وهذه الآية، فقد قال تعالى في صدرها: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ وهي موعظة سمعية؛ لكونهم لم ينظروا إلى القرون الهالكة، وإنما سمعوا بها، فناسب أن يأتي بعدها بقوله: ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ أما بعد الموعظة المرئية، وهي قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ فقد ناسب أن يقول: ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ لأن الزرع مرئي لا مسموع، ليناسب آخر كل كلام أوله، وأما المناسبة اللفظية فهي: الإتيان بألفاظ متزنات مقفاة، وغير مقفاة، فالمقفاة مع الاتزان مناسبة تامة، وغير المقفاة مع الاتزان مناسبة ناقصة، وشيوع هذه في الكلام الفصيح أكثر لعدم التكلف، ولأن التقفية غير لازمة فيها، فإن وقعت مندرجة في الكلام من غير تكلف ساغت، وكانت آية في الجمال، وستأتي أمثلتها في القرآن الكريم، وسبق مثالها في قوله في يونس: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ومن شواهد التامة في الحديث قوله ﷺ فيما روي عنه من الدعاء، مما كان يرقي به الحسن والحسين: «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامّة» ولم يقل: ملمة، وهي القياس لمكان المناسبة، ومما ورد من المناسبة اللفظية التامة قول ابن هانىء الأندلسي من أبيات:

وعوانس وقوانس وفوارس وكوانس وأوانس وعقائل

ومن المناسبة اللفظية غير التامة:

مها الوحش إلاَّ أنَّ هاتا أوانسٌ
قنا الخط إلاَّ أنَّ تِلك ذَوابلُ

فقد ناسب بين مها وقنا مناسبة غير تامة، وبين الوحش والخط، وأوانس وذوابل.

سُورَةُ الأَحْزَابِ

ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا (١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢)
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (٣) مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ
وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ
ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ
لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ
وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٥) ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ تُظَاهِرُونَ ﴾ : مضارع ظاهر، ومصدره: الظِهار بكسر الظاء، وهو ـ كما في القاموس ـ: قول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي، وقد ظاهر منها، وتظهَّر، وظهَّر، وخصوا الظهر دون غيره لأنه موضع الركوب، والمرأة

مركوب الزوج، ففي قول المظاهر: أنت عليَّ كظهر أمي كناية تلويحية؛ لأنه ينتقل من الظهر إلى المركوب، ومن المركوب إلى المرأة؛ لأنها مركوب الزوج، فكأنَّ المظاهر يقول: أنت محرمة عليَّ لا تركبين؛ كتحريم ركوب أمي.

ومن المفيد أن نورد ما قاله الزمخشري في معنى: أنت عليَّ كظهر أمي. قال: أرادوا أن يقولوا أنت عليَّ حرام كبطن أمي، فكنوا عن البطن بالظهر؛ لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج، وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر؛ لأنه عمود البطن، ومنه حديث عمر رضي الله عنه: يجيء به أحدهم على عمود بطنه. أراد: على ظهره. ووجه آخر، وهو: أن إتيان المرأة وظهرها إلى السماء كان محرماً عندهم محظوراً، وكان أهل المدينة يقولون: إذا أتيت المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحول، فلقصد المطلِّق منهم إلى التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر، ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر أمه، فلم يترك ظهر الأم. وأحكام الظهار مبسوطة في كتب الفقة.

﴿أَدْعِيَآءَكُمْ﴾: جمع: دعي، وهو من يدعى لغير أبيه، فعيل بمعنى مفعول، ولكن جمعه على أدعياء غير مقيس؛ لأن أفعلاء إنما يكون جمعاً لفعيل والمعتل، اللام إذا كان بمعنى فاعل، نحو: تقي، وأتقياء، وغني، وأغنياء، وهذا وإن كان فعيلاً معتل اللام إلا أنه بمعنى مفعول، فكأن القياس جمعه على فعلى، كقتيل، وقتلى، وجريح وجرحى.

○ الإعراب:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ يا: حرف نداء، وأيُّ: منادى نكرة مقصودة، مبني على الضم في محل نصب يا، والهاء: للتنبيه، والنبي: بدل، واتق: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، ولفظ الجلالة: مفعول به، ولا: الواو: حرف عطف، ولا: ناهية، وتطع: فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعل تطع: ضمير مستتر، تقديره: أنت، والكافرين: مفعول به، والمنافقين: عطف على الكافرين، وجملة إن الله: تعليل للأمر والنهي لا محل

لها، وإنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها، واسم كان: مستتر، تقديره: هو، وعليماً: خبر كان الأول، وحكيماً: خبرها الثاني ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ واتبع: عطف على اتق، وما: مفعول به، وجملة يوحى: صلة، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: هو، وإليك: متعلقان بيوحى، ومن ربك: حال، وجملة إنَّ الله: تعليل للأمر أيضاً، وقد تقدم إعرابها قريباً.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ عطف على ما تقدم، وعلى الله: متعلقان بتوكل، وكفى: فعل ماض، والباء: حرف جر زائد، والله: فاعل كفى محلاً، ووكيلاً: تمييز، وأجازوا إعرابه حالاً ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ ﴾ كلام مستأنف مسوق للرد على مزاعم المشركين بأن لبعضهم قلبين، فهو أعقل من محمد، وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب الفوائد. وما: نافية، وجعل الله: فعل وفاعل، ولرجل: متعلقان بمحذوف مفعول جعل الثاني، أو بنفس جعل، وقلبين: مفعول جعل محلاً مجرور بمن الزائدة لفظاً، وفي جوفه: صفة لقلبين ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وجعل: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على الله، وأزواجكم: مفعول جعل الأول، واللائي: اسم موصول صفة، وجملة تظاهرون: صلة، ومنهن: متعلقان بتظاهرون، وإنما عدي بمن لأنه ضمن معنى التباعد، كأنه قيل: متباعدين من نسائهم بسبب الظهار، وأمهاتكم: مفعول جعل الثاني ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ ﴾ عطف على ما تقدم، وأدعياءكم: مفعول جعل الأول، وأبناءكم: مفعول جعل الثاني، وستأتي قصة زيد بن حارثة في باب الفوائد، وذلكم: مبتدأ، والإشارة للنسب، وقولكم: خبر، وبأفواهكم: حال، أي: كائناً بأفواهكم فقط من غير أن تكون له حقيقة.

﴿ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴾ الواو: للحال، أو: للاستئناف، والله: مبتدأ، وجملة يقول: خبر، والحق: صفة لمصدر محذوف، أي: القول

الحق، وهو: مبتدأ، وجملة يهدي السبيل: خبر، والسبيل: منصوب بنزع الخافض، أو: مفعول ثان ليهدي، كما تقدم ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ ﴾ كلام مستأنف لبيان أن نسبة كل مولود إلى والده أقوم وأعدل. وادعوهم: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، ولآبائهم: متعلقان بادعوهم، وهو: مبتدأ، وأقسط: خبر، وعند الله: ظرف متعلق بمحذوف حال ﴿ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ ﴾ الفاء: عاطفة، وإن: شرطية، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتعلموا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعله، وآباءهم: مفعوله، فإخوانكم: الفاء: رابطة للجواب، وإخوانكم: خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهم إخوانكم، وفي الدين: حال، ومواليكم: عطف على إخوانكم، أي: أبناء عمومتكم، والمولى يطلق على عدة معانٍ، منها: ابن العم.

﴿ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ ﴾ الواو: عاطفة، وليس: فعل ماض ناقص، وعليكم: خبر ليس المقدم، وجناح: اسمها المؤخر، وفيما: صفة لجناح، وجملة أخطأتم: صلة، وبه: متعلقان بأخطأتم ﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾ الواو: عاطفة، ولكن: حرف استدراك مهمل لأنه خفف، وما: عطف على ما في قوله فيما، فمحله: الجر، ويجوز أن يكون مبتدأ، خبره: محذوف، أي: تؤاخذون به، أو: عليكم الجناح فيه، وجملة كان الله: حالية، أو: استئنافية.

* **الفوائد:**

اشتملت هذه الآيات على فوائد كثيرة، نوردها فيمايلي على سبيل الاختصار، ونحيل من أراد المزيد منها على المطولات.

١ ـ معنى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ ﴾

قال الزمخشري: لا تساعدهم على شيء، ولا تقبل لهم رأياً، ولا مشورة، وجانبهم، واحترس منهم، فإنهم أعداء الله، وأعداء المؤمنين، لا يريدون إلا

المضارَّة، والمضادّة، وروي: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لما هاجر إلى المدينة، وكان يحب إسلام اليهود: قريظة، والنضير، وبني قينقاع، وقد بايعه ناس منهم على النفاق، فكان يلين لهم جانبه، ويكرم صغيرهم، وكبيرهم، وإذا أتى منهم قبيح تجاوز عنه، وكان يسمع منهم، فنزلت. وروي: أنَّ أبا سفيان بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وأبا الأعور السلمي؛ قدموا المدينة، فنزلوا على عبد الله بن أبيٍّ رأس المنافقين بعد قتال أحد، وقد أعطاهم النَّبيُّ ﷺ الأمان على أن يكلموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي وعنده عمر بن الخطاب: أرفض ذكر آلهتنا، وقل: إن لها شفاعة لمن عبدها، وندعك وربّك. فشقَّ ذلك على النَّبيِّ، فقال عمر: يا رسول الله! ائذن لنا في قتلهم. فقال: «إني أعطيتهم الأمان». فقال عمر: أخرجوا في لعنة الله وغضبه. فأمر النَّبيُّ أن يخرجوا من المدينة.

٢ ـ معنى جمع القلبين:

قام النبي ﷺ يوماً يصلي، فخطر خطرة، فقال المنافقون الذين يصلون معه: ألا ترى أن له قلبين: قلباً معكم، وقلباً معهم. وروى ابن جرير، وابن أبي حاتم عن الحسن قال: كان رجل من قريش يسمى: ذا القلبين يقول: لي نفس تأمرني، ونفس تنهاني، فأنزل الله فيه ما تسمعون. وروي: أنه وجد من المشركين من ادعى أن له قلبين يفهم بكل منهما، أو يعقل أفضل من عقل محمد، وأنه هو أو غيره كان يدعى ذا القلبين، وأنَّ الآية ردت هذا الزعم، كما أبطلت مزاعم التبني والظهار من ضلالات العرب. ومعنى القلب اللحمي غير مراد على كل حال.

هذا ويطلق لفظ القلب اسماً لمضغة من الفؤاد معلقة بالنياط، أو بمعنى الفؤاد مطلقاً، ويقول بعضهم: إنَّ القلب هو العلقة السوداء في جوف هذه المضغة الصنوبرية الشكل المعروفة، كأنه يريد أن هذا هو الأصل، ثم جعله بعضهم اسماً لهذه المضغة، وبعضهم توسع فسمى هذه اللحمة كلها حتى شحمها وحجابها: قلباً، ويطلق اسماً لما في جوف الشيء وداخله، واسماً

لشيءٍ معنوي، وهو النفس الإنسانية التي تعقل، وتدرك، وتفقه، وتؤمن، وتكفر، وتنقي، وتزيغ، وتطمئن، وتلين، وتقسو، وتخشى، وتخاف. وقد نسبت إليه كل هذه المعاني في القرآن، والأصل في هذا: أن أسماء الأشياء المعنوية مأخوذة من أسماء الأشياء الحسِّيّة، وقد أطلق على الشيء الذي يحيا به الإنسان، ويدرك العقليات، والوجدانيات، كالحب، والبغض، والخوف، والرجاء، عدة أسماء منها: القلب، والروح، والنفس، واللب. وهناك مناسبة أخرى للقلب، وهي: أن قلب الحيوان هو مظهر حياته الحيوانية، ومصدرها، وللوجدانات النفسية والعواطف تأثير في القلب الحسِّيِّ يشعر به الإنسان، ومهما كانت المناسبة التي كانت سبب التسمية فلفظ القلب يطلق في القرآن بمعنى النفس المدركة، والروح العاقلة التي يموت الإنسان بخروجها منه. قال تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ أي: الأرواح، لا هذه المضغ اللحمية التي لا تنتقل من مكانها. وقال: ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ أي: نفوس، وأرواح، وليس المراد أنَّ القلب الحسي آلة العقل، وقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ أي: على نفسك الناطقة، وروحك المدركة، وليس المراد بالقلب هنا: المضغة اللحمية، ولا العقل، لأن العقل في اللغة: ضرب خاص من ضروب العلم والإدراك، ولا يقال: إنَّ الوحي نزل عليه، ولكن قد نسمي النفس العاقلة: عقلاً، كما تسمى: قلباً، وقد يعزى إلى القلب ويسند إليه ما هو من أفعال النفس، أو انفعالاتها التي يكون لها أثر في القلب الحسِّيِّ، كقوله تعالى: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وقوله: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ وقوله: ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾.

وقد افتتحت السورة بالأمر بتقوى الله، والنهي عن طاعة الكافرين والمنافقين، واتباع الوحي المنزل خاصة، وجاء بعد ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ﴾ فكان المراد منه: أنَّ الإنسان لا يمكن أن يكون له قلبان يجمع بهما بين الضدين، وهما ابتغاء مرضاة الله، وابتغاء مرضاة الكافرين والمنافقين، بل له قلب واحد إذا صدق في التوجه إلى شيءٍ لا يمكنه

أن يتوجه إلى ضدِّه بالصدق، والإخلاص، فيكون في وقت واحد مخلصاً لله، ومخلصاً لأعداء دينه، ومن هذا الباب قول الشاعر، وقد رمق سماء هذا المعنى:

لَوْ كانَ لي قلبانِ عِشْتُ بواحدٍ
وتركتُ قلباً في هواك يُعَذَّبُ

وخلاصة القول: أن أشد ما ذكر فيه من التأويلات: أنهم كانوا يدعون لابن خطل قلبين، فنفى الله صحة ذلك، وقرنه بما كانوا يقولونه من الأقاويل المتناقضة، كجعل الأدعياء أبناء، والزوجات أمهات، وهذه الأمور الثلاثة متنافية، أما الأول: فإنه يلزم من اجتماع القلبين قيام أحد المعنيين بأحدهما، وضده في الآخر، وذلك كالعلم والجهل، والأمن والخوف، وغير ذلك، وأما الثاني: فلأن الزوجة في مقام الامتهان، والأم في محل الإكرام، فنافى أن تكون الزوجة أماً، وأما الثالث: فلأن البنوّة أصالة، وعراقة في النسب، والدعوة لاصقة، عارضة به، فهما متنافيان، وذكر الجوف ليصور به صورة اجتماع القلبين فيه، حتى يبادره السامع بالإنكار.

هذا وقد قال تعالى هنا: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ فاستعمل الجوف في الأولى، والبطن في الثانية، ولم يستعمل الجوف موضع البطن، ولا البطن موضع الجوف، واللفظتان سواء في الدّلالة، وهما ثلاثيتان في عدد واحد، ووزنهما واحد أيضاً، فانظر إلى سبك الألفاظ كيف يفعل فعله؟

٣ ـ قصة زيد بن حارثة:

أجمع أهل التفسير على أن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ أنزل في زيد بن حارثة، وكان من أمره ما رواه أنس بن مالك، وغيره: أنه سبي صغيراً، فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد، فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته خديجة لرسول الله ﷺ، فأعتقه، وتبناه، فأقام عنده مدة، ثم

جاء عنده أبوه وعمه في فدائه، فقال لهما رسول الله: خيّراه، فإن اختراكما فهو لكما دون فداء، فاختار زيد الرق مع رسول الله على حريته، فقال النبي عند ذلك: يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني. ولما تزوج النبي زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه، فكذبهم الله في ذلك. وسترد القصة مع مناقشتها قريباً في هذه السورة.

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ النبي: مبتدأ، وأولى بالمؤمنين: خبر، ومن أنفسهم: متعلقان بأولى أيضاً ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وأزواجه: مبتدأ، وأمهاتهم: خبر، وسيأتي معنى هذا التشبيه في باب البلاغة، وأولو الأرحام: مبتدأ أيضاً، والأرحام: جمع رحم، وهي القرابة، وبعضهم: مبتدأ ثان، أو: بدل من أولو، وأولى ببعض: خبر، ولا بد من تقدير مضاف محذوف، أي: بإرث بعض، وفي كتاب الله: متعلقان بأولى، أو: بمحذوف حال من الضمير في أولى، ومن المؤمنين: جار ومجرور متعلقان بأولى أيضاً، أي: الأقارب بعضهم أولى بإرث بعض من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب، ولك أن تعلقها بمحذوف على أنها حال؛ لأنها بمثابة

البيان لقوله: أولو الأرحام ﴿ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴾ إلا: أداة استثناء، وأن تفعلوا: مصدر مؤول مستثنى من أعم العام، لأنه استثناء من غير الجنس، أي: إلا في الوصية، وهي المعنية بفعل المعروف، وإلى أوليائكم: متعلقان بتفعلوا بعد تضمينها معنى تؤدوا، أو: تسدوا، ومعروفاً: مفعول به، وكان، واسمها، ومسطوراً: خبرها، وفي الكتاب: متعلقان بمسطوراً ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ ﴾ الظرف: متعلق بمحذوف، أي: اذكر والكلام مستأنف، ولك أن تعطفه على محل في الكتاب، فيتعلق بمسطوراً، والأول أولى، وجملة أخذنا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ومن النبيين: متعلقان بأخذنا، وميثاقهم: مفعول به، والمراد به تبليغ الرسالة، وما بعده عطف على من النبيين، من عطف الخاص على العام، كما سيأتي في باب البلاغة.

﴿ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾ عطف على أخذنا السابقة، وسيأتي سر وصف الميثاق بالغلظ في باب البلاغة ﴿ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ اللام: للتعليل، ويسأل: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور: متعلقان بأخذ على طريق الالتفات، والفاعل: مستتر يعود على الله، والصادقين: مفعول به، وعن صدقهم: متعلقان بيسأل، وأعد للكافرين: عطف على أخذنا من النبيين، وللكافرين: متعلقان بأعد، وعذاباً: مفعول به، وأليماً: صفة.

□ البلاغة:

١ ـ التشبيه البليغ:

في قوله: ﴿ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ تشبيه بليغ، ووجه الشبه متعدد، يتعلق ببعض الأحكام، وهي: وجوب تعظيمهن، واحترامهن، وتحريم نكاحهن، ولذلك قالت عائشة: لسنا أمهات النِّساء. تعني: أنهن إنما كنَّ أمهات

الرجال؛ لكونهن محرمات عليهم، كتحريم أمهاتهم، ولهذا كان لا بد من تقدير أداة التشبيه فيه.

٢ ـ عطف الخاص على العام:

وفي قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ . . . الآية، عطف الخاص على العام، لأن هؤلاء الخمسة المذكورين هم أصحاب الشرائع والكتب، وأولو العزم من الرسل، فآثرهم بالذكر للتنويه بإنافة فضلهم على غيرهم، وقدم النبي محمداً ﷺ مع أنه مؤخر عن نوح ومن بعده؛ لأنه هو المخاطب من بينهم، والمنزل عليه هذا المتلو، فكان تقديمه لهذا السبب، لا لأن التقديم في الذكر مقتض لكونه أفضلهم، فقد ورد في الشعر قوله:

بهاليلُ منهم جعفرُ وابنُ أمِّه ... عليٌّ ومنهم أحمدُ المتخَيَّرُ

فأخر ذكر النبي ليختم به تشريفاً.

٣ ـ الاستعارة المكنية:

وفي وصف الميثاق بالغلظ استعارة مكنية، شبَّه الميثاق بجرم محسوسٍ، واستعار له شيئاً من صفات الأجرام، وهو الغلظ؛ للتنويه بعظم الميثاق، وجلاله، وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ . . . الآية.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ

يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلۡحَنَاجِرَ﴾: جمع حَنْجَرَة، وهي: الحلقوم، أو رأس الغلصمة، وهي منتهى الحلقوم. وعبارة الزمخشري: قالوا: إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع، أو الغضب، أو الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة، ومن ثمة قيل للجبان: انتفخ سحره، ويجوز أن يكون ذلك مثلاً في اضطراب القلوب ووجيبها، وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة.

﴿زِلۡزَالٗا﴾ بكسر الزاي، وهي القراءة العامة، ويجوز فتحها؛ إذ هما لغتان في مصدر الفعل المضعف إذا جاء على فعلال، نحو: زلزال، وقلقال، وصلصال، وقد يراد بالمفتوح: اسم الفاعل، صلصال بمعنى: مصلصل، وزلزال بمعنى: مزلزل.

﴿يَثۡرِبَ﴾ في القاموس: يثرب، وأثرب: مدينة النَّبيِّ ﷺ، وهو يثربي، وأثربي، بفتح الراء، وكسرها فيهما. قيل: سميت باسم رجل من العمالقة كان نزلها في قديم الزمان، وقيل يثرب: اسم لنفس المدينة، وقد نهى النَّبيُّ أن تسمى بهذا الاسم؛ لما فيه من التثريب، وهو: التقريع، والتوبيخ، فذكروها بهذا الاسم مخالفة للنبي، وفي المختار: التثريب: التعيير، والاستقصاء في اللوم، وثرب عليه تثريباً، قبَّح عليه فعله.

○ **الإعراب:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾ اذكروا: فعل أمر، وفاعل، ونعمة الله: مفعول به، وعليكم: متعلقان بنعمة، أو: بمحذوف حال، وإذ: ظرف لما مضى من الزمن متعلق باذكروا، فهو بمثابة بدل اشتمال من نعمة الله، والمراد بنعمة: نصره في غزوة الأحزاب، وسيأتي حديثها في باب الفوائد، وجملة جاءتكم جنود: في محل جر بإضافة الظرف

إليها ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ فأرسلنا: عطف على جاءتكم، وعليهم: متعلقان بأرسلنا، وريحاً: مفعول به، وجنوداً: عطف على ريحاً، وجملة لم تروها: صفة لجنوداً، وكان الله: كان، واسمها، وبما: متعلقان ببصيراً، وجملة تعلمون: صلة، وبصيراً: خبر كان ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ الظرف: بدل من إذ جاءتكم، وجملة جاؤوكم: مضاف إليها، ومن فوقكم: متعلقان بجاؤوكم، ومن أسفل منكم: عطف على: مِنْ فوقكم.

﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ عطف على إذ السابقة، وكذلك بلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا، والظنونا: مفعول مطلق، والألف: مزيدة تشبيهاً للفواصل بالقوافي، سيأتي سر الجمع مع أقوال النحاة في جمع المصدر في باب الفوائد.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ هنالك: اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، واللام: للبعد، والكاف، للخطاب، وهو: متعلق بابتلي، ويجوز أن يكون ظرف زمان، وابتلي: فعل ماض مبني للمجهول، والمؤمنون: نائب فاعل، وزلزلوا: عطف على ابتلي، والواو: نائب فاعل، وزلزالاً: مصدر مبين للنوع، وشديداً: صفة ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ الظرف: متعلق باذكر محذوفاً، وجملة يقول: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والذين: عطف على المنافقون، وفي قلوبهم: خبر مقدم، ومرض: مبتدأ مؤخر، وجملة ما وعدنا: مقول القول، والله: فاعل، ورسوله: عطف عليه، وإلا: أداة حصر، وغروراً: صفة لمفعول مطلق محذوف، أي: إلا وعد غرور. ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ﴾ عطف على ما تقدم، وقالت طائفة: فعل وفاعل، ومنهم: صفة لطائفة، ويا: حرف نداء، وأهل يثرب: منادى مضاف، ويثرب: منعت من الصرف للعلمية ووزن الفعل، وفيها التأنيث أيضاً، ولا: نافية للجنس، ومقام: اسمها المبني على الفتح، ولكم: خبرها،

ومقام: بضم الميم وفتحها، أي: لا إقامة، ولا مكانة، فارجعوا: الفاء: الفصيحة، أي: إن سمعتم نصحي فارجعوا، والقائل هو: أوس بن قيظي ـ بكسر الظاء ـ من رؤساء المنافقين.

﴿وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ويستأذن: الواو: استئنافية، ويستأذن فريق: فعل مضارع، وفاعل، ولك أن تعطف على ما تقدم، فتكون صيغة المضارع لاستحضار الصورة، ومنهم: صفة لفريق، والنبي: مفعول به، وجملة يقولون: حالية، أو: مفسرة ليستأذن، وهو قول جميل، وجملة إنَّ، وما في حيزها: مقول القول، وإنَّ، واسمها، وخبرها، والمراد، بعورة: الخلل الذي يجعلها مستهدفة للعدو؛ لأنها تكون غير حصينة، والواو: للحال، وما: نافية حجازية، وهي: اسمها، والباء حرف جر زائد، وعورة: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، وإنْ: نافية، ويريدون: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل، وإلا: أداة حصر، وفراراً: مفعول به.

* **الفوائـد:**

١ ـ غزوة الأحزاب:

كانت غزوة الأحزاب في شوال سنة أربع، وقيل: سنة خمس المصادف لآذار سنة ٦٢٧م، حيث تحرك إلى المدينة جيش مؤلف من حوالي عشرة آلاف رجل، بينهم أربعة آلاف قرشي بقيادة أبي سفيان، وكانت حركة هذا الجيش سريعة فوق العادة، هذه المرة، وسببها فيما يذكر المؤرخون: أنَّه لما وقع إجلاء بني النضير من أماكنهم؛ سار منهم جمع من أكابرهم، بينهم حيي بن أخطب سيدهم إلى أن قدموا مكة على قريش، فحرضوهم على حرب رسول الله، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه؛ حتى نستأصله. فقال أبو سفيان: مرحباً، وأهلاً، وأحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد. ثم قالت قريش لأولئك اليهود: يا معشر اليهود! إنكم أهل الكتاب الأول، فأخبرونا: أنحن

على الحق أم محمد؟ فقالوا: بل أنتم على الحق. وفي موقف اليهود هذا من قريش، وتفضيلهم وثنيتهم على محمد يقول الدكتور إسرائيل ولغنسون في كتابه: «تاريخ اليهود في بلاد العرب»: كان من واجب هؤلاء اليهود أن لا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش، وأن لا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي، ولو أدّى بهم الأمر إلى عدم إجابة مطلبهم؛ لأن بني إسرائيل الذين كانوا منذ عدة قرون حاملي راية التوحيد في العالم بين الأمم الوثنية باسم الآباء الأقدمين، والذين نكبوا بنكبات لا تحصى من تقتيل واضطهاد بسبب إيمانهم بإله واحد في عصور شتى من أدوار التاريخ؛ كان من واجبهم أن يضحوا بحياتهم، وكل عزيز لديهم في سبيل أن يخذلوا المشركين، هذا فضلاً عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام إنما كانوا يحاربون أنفسهم بأنفسهم، ويناقضون تعاليم التوراة التي توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام، والوقوف منهم موقف الخصومة.

تحريض القبائل وتأليبها:

لم يكْف حيي بن أخطب واليهود الذين معه هذا الذي قالوا لقريش في تفضيل وثنيتها على توحيد محمد حتى تنشط لمحاربته، بل خرج أولئك اليهود إلى غطفان من قيس عيلان، ومن بني مرة، ومن بني فزارة، ومن أشجع، ومن سليم، ومن بني سعد، ومن أسد، ومن كل من لهم عند المسلمين ثأر، وما زالوا يحرضونهم على الأخذ بثأرهم، ويذكرون لهم متابعة قريش إياهم على حرب محمد، ويحمدون لهم وثنيتهم، ويعدونهم النصر لا محالة، وخرجت الأحزاب التي جمع اليهود لحرب محمد وأصحابه.

ما عسى أن يصنع المسلمون لمقابلة الألوف المؤلفة من رجال، وخيل، وإبل، وأسلحة، وذخيرة؟ لم يكن لهم غير التحصن بيثرب العذراء سبيل ولكن؟! أفيكفي هذا التحصن أمام تلك القوة الساحقة، وكان سلمان الفارسي يعرف من أساليب الحرب ما لم يكن معروفاً في بلاد العرب، فأشار

بحفر الخندق حول المدينة، وتحصين داخلها، وسارع المسلمون إلى تنفيذ نصيحته، فحفر الخندق، وعمل فيه النبي بيده، فكان يرفع التراب، ويشجع المسلمين بذلك أعظم تشجيع، وأقبلت قريش وأحزابها، وهي ترجو أن تلقى محمداً بأحد، فلم تجده عند أحد، فجاوزته إلى المدينة؛ حتى فاجأها الخندق، فعجبت؛ إذ لم تتوقع هذا النوع من الدفاع المجهول منها، وبلغ منها الغيظ حتى زعمت الاحتماء وراءه جبناً، لا عهد للعرب به، ورأت قريش والأحزاب معها أن لا سبيل إلى اجتياز الخندق، فاكتفت بتبادل الترامي بالنبال عدة أيام.

وأيقن أبو سفيان، والذين معه: أنهم مقيمون أمام يثرب وخندقها طويلاً دون أن يستطيعوا اقتحامها، وكان الوقت آنئذ شتاء قارصاً برده، عاصفة رياحه، يخشى في كل وقت مطره، وإذا كان يسيراً أن يحتمي أهل مكة وأهل غطفان فالخيام التي ضربوا أمام يثرب لا تحميهم منه فتيلاً، وهم بعد جاؤوا يرتجون نصراً ميسوراً، لا يكلفهم غير يوم كيوم أحد، ثم يعودون أدراجهم، ويستمتعون باقتسام الغنائم والأسلاب، وماذا عسى يمسك غطفان على أن تعود أدراجها، وهي إنما اشتركت في الحرب؛ لأن اليهود وعدتها متى تم النصر ثمار سنة كاملة من ثمار مزارع خيبر وحدائقه، وهذه هي ترى النصر غير ميسور، أو هو على الأقل غير محقق، وهو يحتاج من المشقة في هذا الفصل القارص إلى ما ينسيها الثمار والحدائق.

فأما انتقام قريش لنفسها من بدر ومما لحقها بعد بدر من هزائم فأمره مدرك على الأيام؛ ما دام هذا الخندق يحول دون إمساك محمد بالتلابيب، وما دامت بنو قريظة تمد أهل يثرب بالمؤونة مدداً يطيل أمد مقاومتهم شهوراً وشهوراً، أفليس خيراً للأحزاب أن يعودوا أدراجهم؟ بلى، ولكن جمع هذه الأحزاب لحرب محمد مرة أخرى ليس بالميسور، وإن انتصر محمد بانسحاب الأحزاب فالويل لليهود، قدَّر حيي بن أخطب هذا كله، وخاف مغبَّته، ورأى أن لا مندوحة له عن أن يغامر بآخر سهم عنده، فأوحى إلى الأحزاب: أنه مقنع

بني قريظة بنقض عهد موادعتهم محمداً والمسلمين، وبالانضمام إليهم، وأنَّ قريظة متى فعلت ذلك انقطع المدد والميرة عن محمد من ناحية، وفتح الطريق لدخول يثرب من الناحية الأخرى، وسارع هو فذهب يريد كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة، وما زال به حتى فتح باب الحصن، وقال له: ويحك يا كعب! جئتك بعز الدهر وببحر طام، جئتك بقريش، وبغطفان، وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه، وتردَّد كعب، وذكر وفاء محمد وصدقه لعهده، وخشي مغبة ما يدعوه حيي إليه، بيد أن حيياً ما زال به يذكر له ما أصاب اليهود من محمد، وما يوشك أن يصيبهم منه إذا لم تنجح الأحزاب في القضاء عليه؛ حتى لان كعب له، فسأله: وماذا يكون إذا ارتدت الأحزاب؟ هناك أعطاه حيي موثقاً: إنْ رجعت غطفان وقريش، ولم يصيبوا محمداً أن يدخل معه في حصنه، فيشد أزره، ويشاركه حظه، وتحركت في نفس كعب يهوديته، فقبل ما طلب حيي، ونقض عهده مع محمد والمسلمين، وخرج عن حياده.

وسمت روح الأحزاب المعنوية؛ حتى دفعت بعض فوارس من قريش منهم: عمرو بن عبد ود، وعكرمة بن أبي جهل، وضرار بن الخطاب أن يقتحموا الخندق، فتيمموا مكاناً منه ضيقاً، فضربوا خيلهم، فاجتازت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين، فأخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم، وتقدم عمرو بن عبد ود ينادي من يبارز؟ ولما دعاه علي بن أبي طالب إلى النزال؛ قال في صلف: ارجع يا بن أخي! فوالله ما أحب أن أقتلك! قال علي: لكني والله أحب أن أقتلك! فتنازلا، فقتله علي، وفرت خيل الأحزاب منهزمة حتى اقتحمت الخندق من جديد مولية الأدبار، لا تلوي على شيء.

وأعظمت الأحزاب نيرانها مبالغة في تخويف المسلمين، وإضعافاً لروحهم، وبدأ المتحمسون من قريظة ينزلون من حصونهم وآطامهم إلى المدينة ومنازلها القريبة منهم، يريدون إرهاب أهلها، كانت صفية بنت عبد المطلب

في فارع حصن حسان بن ثابت، وكان حسان فيه مع النساء والصبيان، فمر بهم يهودي، فقالت صفية مخاطبة حسان: إن هذا اليهودي يطيف بالحصن، فانزل إليه، واقتله، قال حسان: يغفر الله لك يا بنة عبد المطلب! لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا فأخذت صفية، عموداً، ونزلت من الحصن، وضربت به اليهودي حتى قتلته، فلما رجعت قالت: يا حسان انزل إليه فاسلبه، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنَّه رجل، قال حسان: مالي إلى سلبه من حاجة.

وظل أهل المدينة في فزعهم، بينا جعل محمد ﷺ يفكر في الوسيلة للخلاص، ولم تكن الوسيلة مواجهة العدو بطبيعة الحال، فلتكن الحيلة، وليكن الرأي والتدبير، فبعث إلى غطفان يعدها ثلث ثمار المدينة إن هي ارتحلت، وكانت غطفان قد بدأت تمل فأظهرت امتعاضاً من طول هذا الحصار، وما لقوا من العنت أثناءه، ولما كان الليل عصفت ريح شديدة، وهطل المطر هاتناً، وقصف الرعد، واشتدت العاصفة، فاقتلعت خيام الأحزاب، وأدخلت الرعب إلى نفوسهم، وخيل إليهم: أن المسلمين بدؤوهم بشر، فقام طليحة بن خويلد، فنادى: أن محمد قد بدأكم بشر فالنجاة، وقال أبو سفيان: يا معشر قريش! إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع، والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا منهم ما نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فارتحلوا إني مرتحل. فاستخف القوم ما استطاعوا من متاع، وانطلقوا، وتبعتهم غطفان، حتى إذا كان الصبح لم يجد محمد منهم أحداً، فانصرف راجعاً إلى المدينة، والمسلمون معه يرفعون أكف الضراعة شكراً أن رفع الله الضر عنهم، وأن كفى الله المؤمنين شر القتال، وحين انجلى الأحزاب قال رسول الله: الآن نغزوهم، ولا يغزونا. والبقية في السير والمطولات.

٢ ـ هل يثنى المصدر ويجمع؟

المصدر المؤكد لعامله لا يثنى، ولا يجمع باتفاق، فلا يقال: ضربت ضربين، ولا ضربت ضروباً؛ لأنه اسم مبهم، والمصدر المبهم لا يتأتى فيه

ضمه إلى شيء آخر؛ لأنه يدل على مجرد الحقيقة، والحقيقة من حيث هي حقيقة تدل على القليل والكثير فلم يبق شيء يضم إليها، فتصح فيها التثنية، والجمع، وهذا أمر عقلي، وإنما جاز تثنية المصدر المختوم بالتاء، وجمعه؛ لأنه بدخول التاء صار يدل على مرة واحدة من ذلك المصدر، فيصح ضمه إلى ما المرة الواحدة منه، فيثنى، ويجمع، واختلف في المصدر النوعي والمشهور الجواز، فيقال: ضربت ضربين ضرباً عنيفاً، وضرباً رفيقاً، وضربت ضروباً مختلفة، وظاهر مذهب سيبويه المنع، وأنه لا يقال منه إلا ما سمع، واحتج المجيز بمجيئه في الفصيح كقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ قالوا: وإنما جمع الظن لاختلاف أنواعه؛ لأن من خلص إيمانه ظن: أن ما وعدهم الله به من النصر حق، ومن ضعف إيمانه اضطرب ظنه، ومن كان منافقاً ظن: أن الدائرة تكون على المؤمنين، فاختلفت ظنونهم، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله في الخلاصة:

وما لتوكيدٍ فوحِّدْ أبدا وثنِّ واجْمَعْ غيره وأَفرِدا

٣ ـ اختلف القراء في هذه الألف في الظنونا، فأثبتها وصلاً ووقفاً نافع، وابن عامر، وأبو بكر، ورويت هذه القراءة عن أبي عمرو، والكسائي، وتمسّكوا بخط المصحف العثماني، وجميع المصاحف في جميع البلدان، فإن الألف فيها كلها ثابتة، واختار هذه القراءة أبو عبيد، إلا أنه قال، لا ينبغي للقارىء أن يدرج القراءة بعدهن بل يقف عليهن، وتمسكوا أيضاً بما في أشعار العرب من مثل هذا، وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والجحدري، ويعقوب بحذفها في الوصل والوقف معاً، وقالوا هي من زيادات الخط، فكتبت كذلك، ولا ينبغي النطق بها، وأما في الشعر، فهو يجوز فيه للضرورة مالا يجوز في غيره، وقرأ ابن كثير، والكسائي، وابن محيص باثباتها وقفاً، وحذفها وصلاً، وهذه القراءة راجحة باعتبار اللغة العربية، وهذه الألف هي التي تسميها النحاة ألف الإطلاق، والكلام فيها معروف، وهكذا اختلف القراء في الألف التي في قوله ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴾ و﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴾ كما سيأتي في آخر هذه السورة.

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا ﴾ الواو: عاطفة، ودخلت: فعل ماض مبني للمجهول، وعليهم: متعلقان به، ونائب الفاعل: مستتر، أي: المدينة، أو بيوتهم، ومن: أقطارها: حال، أي: من جميع جوانبها، وثم: حرف عطف، وتراخ، وسئلوا: فعل ماض مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، والفتنة: مفعول به ثان لسئلوا، والمراد بالفتنة: الردة، والرجعة إلى الكفر، واللام: واقعة في جواب لو، وأتوها: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة: لا محل لها ﴿ وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وتلبثوا: فعل ماض، وفاعل، وبها: متعلقان بتلبثوا، وإلا: أداة حصر، ويسيراً: نعت لمصدر محذوف، أو: لوقت محذوف، فيصح أن تكون مفعولاً مطلقاً، أو: ظرف زمان ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، وقد: حرف تحقيق، وكانوا: فعل ماض ناقص، والواو: اسمها، وجملة عاهدوا: خبرها، ولفظ الجلالة: مفعول به، ومن قبل: متعلقان بعاهدوا، وجملة يولون الأدبار: لا محل لها؛ لأنها جواب للقسم، والأدبار: مفعول به ثان ليولون، والمفعول الأول محذوف، أي: لا يولون العدو الأدبار، والواو: عاطفة، وكان، واسمها، وخبرها، أي: مطلوباً.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لن: حرف نفي، ونصب، واستقبال، وينفعكم: فعل مضارع منصوب بلن، والكاف: مفعول به، والفرار: فاعل، وإن: حرف شرط جازم يجزم فعلين، وفررتم: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والجواب، محذوف دل عليه ما قبله، ومن الموت: متعلقان بفررتم، وإذاً: حرف جواب وجزاء مهمل لوقوعه بعد عاطف، كما هو الغالب عليه، ولا: نافية، وتمتعون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، وإلا: أداة حصر، وقليلاً: نعت لمصدر محذوف، أي: إلا تمتيعاً قليلاً، أو: صفة لظرف محذوف، أي: إلا زماناً قليلاً، فيصح أن تكون مفعولاً مطلقاً، أو: ظرف زمان﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ مَنْ: اسم استفهام مبتدأ، وذا: اسم إشارة في محل رفع خبر، والذي: بدل، وجملة يعصمكم من الله: صلة، وإن: شرطية، وأراد: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والجواب: محذوف، دل عليه ما قبله، أي: فمن ذا الذي يعصمكم، وسوءاً: مفعول به، أو: أراد بكم رحمة عطف على ما تقدم، ولا بد من تقدير محذوف، أي: أو يصيبكم بسوء إن أراد بكم رحمة﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ الواو: استئنافية، أو: حالية، ولا: نافية، ويجدون: فعل وفاعل، ولهم: في محل نصب مفعول ثان ليجدون، ومن دون الله: حال، ووليا: مفعول به أول، ولا نصيراً: عطف على ولياً.

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ : المثبطين؛ الذين كانوا يخذلون المسلمين، وفي الأساس:

وعاقه، واعتاقه، وعوقه: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ ﴾ وتقول: فلان صحبه التعويق، فهجره التوفيق، ورجل عُوقة: ذو تعويق، وتريبث عن الخير، وتقول: يا من عن الخير يعوق، إنَّ أحقَّ أسمائك أن تعوق.

﴿ أَشِحَّةً ﴾ : جمع شحيح، وهو البخيل، والحريص، وهو جمع غير مقيس؛ لأن قياس فعيل الوصف الذي عينه ولامه من واد واحد أن تجمع على أفعلاء، نحو: خليل، وأخلاء، وظنين، وأظناء، وقد سمع أشحاء، وهو القياس.

﴿ سَلَقُوكُم ﴾ : آذوكم، أو ضروكم. وفي المختار: «سلقه بالكلام: آذاه، وهو شدة القول باللسان، قال تعالى: ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ وسلق البقل، أو البيض: أغلاه بالنار، إغلاءة خفيفة. وباب الكل: ضرب. وفي المصباح: أنه من باب قتل أيضاً، وعبارة الراغب: السلق: بسط بقهر إما باليد أو باللسان، ويؤخذ من القاموس واللسان: سلق، يسلق، من باب قتل؛ البيض، أو البقل: أغلاه بالنار، وطبخه بالماء. وسلقه بالكلام: آذاه، ومنه: ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ ، وسلقه بالرمح: طعنه، وسلقه بالسوط: ضربه إلى أن نزع جلده، وسلق اللحم عن العظم: قشره، ويجوز أن يكون الكلام مجازياً؛ كما سيأتي في باب البلاغة، وعلى كل حال فالعامة تستعمل هذه الكلمة استعمالاً لا غبار عليه.

○ الإعراب:

﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتصوير حال المنافقين، وقد: حرف تكثير، وأصله للتقليل إذا دخل على فعل المضارع، وقد تقدم بحثه، ويعلم الله المعوقين: فعل، وفاعل، ومفعول به، ومنكم: حال، والقائلين: عطف على المعوقين، ولإخوانهم: متعلقان بالقائلين، وهلم: اسم فعل أمر، وإلينا: متعلقان به، وهي لغة أهل الحجاز، يسوون فيه بين الواحد والجماعة، ويستعمل لازماً كما هنا، ومتعدياً كما في الأنعام، وقد تقدم القول فيه ﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

الواو: حالية، ولا: نافية، ويأتون البأس: فعل مضارع مرفوع، وفاعل، ومفعول به، أي: القتال، وإلا: أداة حصر، وقليلاً: مفعول مطلق، أو: ظرف زمان ﴿ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ أشحة: حال من فاعل يأتون، أو: منصوب على الذم بفعل محذوف، تقديره: أذم، وعبارة الزمخشري: أشحة عليكم: في وقت الحرب، أضناء بكم يترفرفون عليكم؛ كما يفعل الرجل بالذابِّ عنه المناضل دونه عند الخوف. فإذا: الفاء استئنافية، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاء الخوف: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة رأيتهم: لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة ينظرون إليك: حال؛ لأن الرؤية هنا بصرية، وإليك: متعلقان بينظرون.

﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ جملة تدور أعينهم: حال من فاعل ينظرون، وهو الواو، وكالذي: نعت لمصدر محذوف، أي: تدور دوراناً كدوران عين الذي، فبعد الكاف محذوفان، وهما: دوران، وعين، وجملة يغشى: صلة الذي، ويغشى: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مصدر مختص بلام العهد، أو بصفة محذوفةو والمعنى: ويغشى الغشيان المعهود، وعليه: متعلقان بيغشى، ويجوز أن يكون نائب الفاعل هو الجار والمجرور، وقد تقدم بحث ما ينوب عن نائب الفاعل، فجدد به عهداً ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ الفاء: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ذهب الخوف: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة سلقوكم: جواب شرط غير جازم، لا محل لها، وبألسنة: متعلقان بسلقوكم، وحداد: نعت لألسنة ﴿ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾ أشحة: نصب على الحال، أو: على الذم؛ كما تقدم، وعلى الخير: متعلقان بأشحة، أي: على الغنيمة يطلبونها، وأولئك: مبتدأ، وجملة لم يؤمنوا: خبر، فأحبط: عطف على لم يؤمنوا، والله: فاعل، وأعمالهم: مفعول به، وكان: الواو: حالية، أو:

استئنافية، وكان، واسمها، وخبرها، وعلى الله: حال، والإشارة للإحباط، والمعنى: أن أعمالهم جديرة بالإحباط، لا يصرف عنه صارف، وليس هو بالأمر الصعب العسير.

□ البلاغة:

١ ـ فن التنذير:

في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ﴾ فن ألمع إليه صاحب نهاية الأرب، وابن أبي الإصبع، وهو فن «التنذير» وحدّه: أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة، أو نكتة مستطرفة، وهو يقع في الجد والهزل، فهو لا يدخل في نطاق التهكم، ولا في نطاق فن الهزل الذي يراد به الجد، ويجوز أن يدخل في نطاق باب المبالغة، وذلك واضح في مبالغته تعالى في وصف المنافقين بالخوف والجبن، حيث أخبر عنهم: أنهم تدور أعينهم حالة الملاحظة؛ كحالة من يغشى عليه من الموت، ولو اقتصر على قوله كالذي يغشى عليه لكان كافياً بالمقصود، ولكنه زاد شيئاً بقوله «من الموت» إذ أن حالة المغشي عليه من الموت أشد وأنكى من حالة المغشي عليه من غير الموت، ولو جاء سبحانه في موضع الموت بالخوف لكان الكلام بليغاً لا محالة، غير أن ما جاء في التنزيل أبلغ، وهو مع ذلك خارج مخرج الحق، متنزل منزلة الصدق، فإن من كان قوي النفس، شجاع القلب، لا يرضى بالنفاق، بل يظهر ما يبطنه الخائف، لأنه لا يبالي بالموت.

٢ ـ الاستعارة المكنية:

وذلك في قوله: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ قد شبه اللسان بالسيف، ثم حذف المشبه به، واستعار شيئاً من خصائصه وهو الضرب، وهذه الاستعارة تتأتى على تفسير السلق بالضرب، والحامل عليه وصف الألسنة بالحداد، كما تقدم في باب اللغة.

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بَادُونَ ﴾ : جمع باد، وهو ساكن البادية، يقال: لقد بدوت يا فلان! أي: نزلت البادية، وصرت بدوياً، وما لك والبداوة؟ وتبدّى الحضري، ويقال: أين الناس؟ فتقول: لقد بدوا، أي: خرجوا إلى البدو، وكانت لهم غنيمات يبدون إليها.

﴿ ٱلْأَعْرَابِ ﴾ : قال في القاموس وشرحه: العُرْب بالضم وبالتحريك: خلاف العجم، مؤنث، وهم سكان الأمصار، أو عام، والأعراب منهم: سكان البادية، لا واحد له، ويجمع: أعاريب، وعرب عاربة، وعرباء، وعربة صُرَحاء، ومعربة، ومستعربة: دخلاء.

○ **الإعراب:**

﴿ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ ﴾ الكلام مستأنف، مسوق لتصوير خوفهم، ولك أن تجعله حالاً من أحد الضمائر المتقدمة، أي: هم من الخوف بمثابة من لا يصدقون أن الأحزاب قد ذهبوا عنهم، وتخلوا عن نصرتهم. ويحسبون: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل، والأحزاب: مفعول به أول، وجملة لم يذهبوا: مفعول به ثان، وإن: الواو: عاطفة، وإن: شرطية، ويأت: فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه: حذف حرف العلة، والأحزاب: فاعل، ويودوا:

جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه: حذف النون، ولو: مصدرية، ولو وما بعدها في تأويل مصدر: مفعول يودوا، أي: يتمنون لخوفهم مما منوا به أشرتهم خارجين إلى البدو، وأنَّ وما في حيزها في تأويل مصدر: فاعل لفعل محذوف، تقديره: يودوا لو ثبت أنهم بادون، وسيأتي مزيد بحث عن لو المصدرية في باب الفوائد، وأنَّ، واسمها، وبادون: خبرها، وفي الأعراب: متعلقان ببادون، أو: بمحذوف حال ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ جملة يسألون: يجوز أن تكون مستأنفة، أو: أن تكون حالاً من ضمير يحسبون، وعن أنبائكم: متعلقان بيسألون، والواو: حالية، ولو: شرطية، وكان، واسمها، وفيكم: خبرها، وما: نافية، وقاتلوا: فعل، وفاعل، وجملة ما قاتلوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ويتمشى عليها ما أوردناه في قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ﴾ . . . الآية، وإلا: أداة حصر، وقليلاً: نعت لمصدر محذوف، أي: إلا قتالاً قليلاً، أو: نعت لظرف محذوف، أي: إلا وقتاً قليلاً.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لعتاب المتخلفين عن القتال، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وكان: فعل ماض ناقص، ولكم: خبرها المقدم، وفي رسول الله: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأسوة، وأسوة: اسم كان المؤخر، وحسنة: صفة لأسوة؛ أي: قدوة حسنة بضم الهمزة، وقد تكسر ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ لمن: الجار والمجرور: بدل من لكم، وأعيدت اللام مع البدل للفصل، أو يكون بدل اشتمال، وجملة كان: صلة مَنْ، واسم كان: مستتر، تقديره: هو، وجملة يرجو الله: خبرها، واليوم الآخر: عطف على لفظ الجلالة، وذكر: عطف على كان، ولفظ الجلالة: مفعول به، وكثيراً: مفعول مطلق، أو: ظرف، وقد تقدم نظيره قريباً ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ لما: ظرفية، حينية، متعلقة بقالوا، أو: رابطة، متضمنة معنى الشرط على كل حال، ورأى المؤمنون الأحزاب: فعل ماض،

وفاعل، ومفعول به، وجملة قالوا: لا محل لها، وهذا: مبتدأ، وما: خبر، والجملة: مقول القول، وجملة وعدنا الله ورسوله: صلة ما﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ الواو: عاطفة، وصدق الله: فعل، وفاعل، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر لتعظيمه، والتنويه بوعدهما الكائن، وما زادهم: عطف على صدق، وإلا: أداة حصر، وإيماناً: مفعول به ثان لزادهم، وتسليماً: عطف على إيماناً، وفاعل زادهم ضمير الوعد أو الصدق.

□ البلاغـة:

في قوله: ﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ فن تكرير الظاهر تعظيماً، ولو أنه أعادهما مضمرين لجمع بين اسم الله تعالى واسم رسوله في لفظة واحدة، فقال: وصدقا، وقد كره النبي ذلك حين رد على أحد الخطباء الذي تكلموا بين يديه؛ إذ قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى. فقال النبي له: «بئس خطيب القوم أنت! قل: ومن يعص الله ورسوله» قصداً إلى تعظيم الله. وقد استشكل بعض العلماء قوله عليه الصلاة والسلام: «حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما». فقال: إنَّه جمع بينهما في ضمير واحد. وأجيب على هذا الاستشكال: بأن النبي ﷺ أعرف بقدر الله منّا، فليس لنا أن نقول كما يقول.

* الفوائـد:

لو المصدرية:

لو المصدرية ترادف أن المصدرية في المعنى والسبك، إلا أنها لا تنصب، وأكثر وقوعها بعد مفهوم تمن، مثل: ودّ، وأحب، واختار، وتمنى. وقيل: بل بعد ودّ، وتمنى خاصة؛ لأن الإنسان قد يحب الشيء، ولا يتمنى حصوله لعارض في طلبه. وتقع بعد غير التمني قليلاً، كقول قتيلة ـ بالتصغير ـ بنت النضر بن الحارث الأسدية تخاطب النبي ﷺ حين قتل أباها النضر صبراً بعد أن انصرف من غزوة بدر:

وما كان ضَرَّكَ المنُّ لو مَنَنْتَ وربَّمَا
مـنَّ الفتـى وهـو المَغِيْـظُ المُحْنَـقُ

أي: ما كان ضرك المنُّ. وقبل هذا البيت:

أمحمَّـدٌ ولأنْـتَ فحـلُ نجيبـةٍ
فـي قـومِهـا والفحـلُ فحـلٌ مُعْـرِقُ

وسبب قتل النبي أباها: أنه كان يقرأ أخبار العجم على العرب، ويقول: محمد يأتيكم بأخبار عاد وثمود، وأنا آتيكم بخبر الأكاسرة والقياصرة. يريد بذلك أذى النبي. فلما سمع النبي هذا البيت وهو من أبيات أنشدتها بين يديه قال: «لو سمعته قبل قتله ما قتلته، ولعفوت عنه». ثم قال: «لا يقتل قرشي صبراً».

هذا وقد استدل بقوله ﷺ: «لو سمعته قبل قتله ما قتلته، ولعفوت عنه» بعض الأصوليين على جواز تفويض الحكم إلى المجتهد، فيقال له: احكم بما شئت فهو صواب، وعلى وقوع ذلك، فإنَّ قوله: قبل قتله يدل على أنَّ القتل وعدمه مفوضان إليه، والمانعون من الوقوع يجيبون بأن يجوز أن يكون النبي خُيِّر فيهما معاً، فقيل له: لك أن تأمر بقتله، وأن لا تأمر، ونحو ذلك، ويجوز أن وحياً نزل بأنه لو شفع فيه ما قتله. والنجيبة: الكريمة الحسنة، والفحل: الذكر من كل حيوان، كما في القاموس، والمعرق: اسم فاعل من: أعرق الرجل: صار عريقاً، وهو الذي له عرق في الكرم، ومعنى: لو مننت: لو أنعمت، وأحسنت، ثم يحتمل أن يكون المصدر المؤول من لو ومننت، أي: المنّ اسم كان المؤخر، وجملة ضرك: خبرها المقدم، ويحتمل أن يكون المصدر: فاعل لضرك، والجملة: خبر كان، واسمها ضمير الشأن، ويحتمل أن تكون ما: استفهامية، محلها: الرفع على الابتداء، وكان يحتمل أن تكون زائدة، وأن لا تكون، فعلى الأول تكون جملة ضرك: خبراً عن ما الاستفهامية، وعلى الثاني تكون جملة ضرك: خبر كان، وجملة كان: خبر ما، هذا ويحتمل أن تكون لو شرطية على بابها، وما تقدم

دليل الجواب، ويطيح هذا كله. والمغيظ: بفتح الميم: اسم مفعول، من غاظه، يغيظه بالغين والظاء المعجمتين: الغضب، أو شدته، أو سورة أوله، والمحنق بضم الميم، وفتح النون: اسم مفعول، من أحنقه بالحاء المهملة: إذا أغاظه.

ونعود إلى ذكر لو المصدرية فنقول: لو المصدرية لا جواب لها، وإذا وليها فعل ماض بقي على مضيه، وإذا وليها فعل مضارع محضته للاستقبال، كما أنَّ المصدرية كذلك.

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم
مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا
عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى
قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ
وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾: مات، والنحب: النذر، ووقع قولهم: قضى نحبه عبارة عن الموت؛ لأن كل حي لا بد له من أن يموت، فكأنه نذر لازم في رقبته، فإذا مات فقد قضى نحبه، أي: نذره، والنذر بفتح النون، وقد وهم صاحب المنجد فضبطه بكسرها وهذا غريب. وفي المصباح: نحب، نحباً، من باب: ضرب: بكى، والاسم: النحيب، ونحب، نحباً، من باب: قتل: نذر، وقضى نحبه: مات، أو قتل في سبيل الله، وفي التنزيل: ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾

﴿صَيَاصِيهِمْ﴾: حصونهم: جمع: صيصية، وفي القاموس: والصيصية: شوكة الخائط، يسوّي بها السَّدَى واللحمة، وشوكة الديك التي في رجله، وقرن البقر والظباء، والحصن، وكل ما امتنع به.

○ الإعـراب:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان حال الصالحين من الصحابة؛ الذين نذروا أنهم إذا أدركوا حرباً مع رسول الله ثبتوا، وقاتلوا حتى يستشهدوا، وتقسيمهم إلى قسمين. ومن المؤمنين: خبر مقدم، ورجال: مبتدأ مؤخر، وجملة صدقوا: صفة لرجال، وما: اسم موصول مفعول به وعاهدوا الله عليه: صلة ما، وعليه: متعلقان بعاهدوا ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ الفاء: تفريعية، ومنهم: خبر مقدم، ومَنْ: مبتدأ مؤخر، وجملة قضى نحبه: صلة مَنْ، ومنهم من ينتظر: عطف على ما سبقه، والواو: عاطفة، وما: نافية، وبدلوا: فعل، وفاعل، والمفعول به محذوف، أي: العهد، وتبديلاً: مفعول مطلق ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ﴾ اللام: لام التعليل، ويجزي: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور: متعلقان بمضمر مستأنف، مسوق لبيان ما دعا إلى وقوع ما حكى من الأقوال، والتقدير: وقع جميع ما وقع ليجزي الله الصادقين. وقيل: هو متعلق بما قبله، ومترتب عليه، فيتعلق بصدقوا على أنه تعليل له، وقيل غير ذلك، وما ذكرناه أولى، والله: فاعل، والصادقين: مفعول به، وبصدقهم: متعلقان بيجزي، ويعذب المنافقين: عطف على ليجزي الله الصادقين، وإن: شرطية، وشاء: فعل ماض، وهو فعل الشرط، والجواب: محذوف، وكذلك مفعول شاء، أي: إن شاء تعذيبهم عذبهم ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ أو: حرف عطف، ويتوب: عطف على ما قبله، وعليهم: متعلقان بيتوب، وجملة إن الله: تعليل لما تقدم، وإنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها،

واسم كان: ضمير مستتر، تقديره: هو، وغفوراً: خبرها الأول، ورحيماً: خبرها الثاني.

﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ ﴾ الواو: عاطفة، ورد الله الذين كفروا: عطف على ما تقدم، وهو فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وجملة كفروا: صلة الموصول، وهم الأحزاب، وبغيظهم: حال، أي: مغيظين، ولك أن تجعله مفعولاً ثانياً لرد، وجملة لم ينالوا خيراً: حال ثانية، أو: حال من الحال الأولى، فهي متداخلة ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ الواو: عاطفة، وكفى الله المؤمنين: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والقتال: مفعول به ثان؛ لأن كفى هنا بمعنى: وقى، وهي عندئذ متعدية لاثنين، وقد مرّ القول مفصلاً في كفى، وكان، واسمها، وخبراها ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾ الواو: عاطفة، وأنزل: فعل ماض، وفاعله: مستتر، يعود على الله، والذين: مفعول به، وجملة ظاهروهم: صلة، ومن أهل الكتاب: حال، ومن صياصيهم: جار ومجرور متعلقان بأنزل، ولك أن تجعل الكلام مستأنفاً مسوقاً للشروع في سرد قصة غزوة بني قريظة، وستأتي خلاصتها في باب الفوائد ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ وقذف: عطف على أنزل وفي قلوبهم: متعلقان بقذف، والرعب: مفعول به لقذف، وفريقاً: مفعول مقدم لتقتلون، وتأسرون فريقاً: فعل، وفاعل، ومفعول به ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ وأورثكم: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وأرضهم: مفعول به ثان، وديارهم وأموالهم وأرضاً: معطوفة على أرضهم، وجملة لم تطؤوها: صفة لأرضاً، وكان، واسمها، وخبرها، والمراد بها: البلاد التي فتحوها فيما بعد.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ . . . ﴾ الآية. فن المناسبة، وقد تقدم الإلماع إلى هذا الفن، وأنه ضربان: مناسبة في المعاني، ومناسبة في

الألفاظ، وما ورد في هذه الآية من الضرب الأول؛ لأن الكلام لو اقتصر فيه على دون الفاصلة لأوهم ذلك بعض الضعفاء: أن هذا الإخبار موافق لاعتقاد الكفار في أنَّ الريح التي حدثت كانت سبباً في رجوعهم خائبين، وكفى المؤمنين قتالهم، والريح إنما حدثت اتفاقاً، كما تحدث في بعض وقائعهم، وقتال بعضهم لبعض، وظنوا: أن ذلك لم يكن من عند الله، فوقع الاحتراس بمجيء الفاصلة التي أخبر فيها سبحانه: أنه قوي عزيز، قادر بقوته على كل شيء ممتنع، وأن حزبه هو الغالب، وأنه لقدرته يجعل النصر للمؤمنين أفانين متنوعة؛ ليزيدهم إيماناً وتثبيتاً، فهو ينصرهم مرة بالقتال، كيوم بدر، وتارة بالريح، كيوم الأحزاب، وطوراً بالرعب، كبني النضير، وأحياناً ينصر عليهم أولاً، ويجعل العاقبة لهم أخيراً، كيوم أحد، وحيناً يريهم: أن الكثرة لم تكن، ولن تكون كل شيء في المعركة، وأنه: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ ليتحققوا بأن النصر إنما هو من عند الله، كيوم حنين، وهذا من أروع ما يتزين به الكلام.

* الفوائد:

خلاصة قصة غزوة بني قريظة:

أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب: أن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة، فأذَّن في الناس: أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة. فما صلى كثير من الناس العصر إلا بعد العشاء الآخرة، فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرُّعب، فقال لهم النبي: أتنزلون على حكمي؟ فأبوا، فقال: أتنزلون على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس؟ فرضوا به، فحكم فيهم، فقال: إني أحكم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء! فقال النبيُّ: لقد حكمت بحكم الله. ثم استنزلهم، وخندق في سوق المدينة، خندقاً، وقدَّمهم، فضرب أعناقهم، وهم من ثمانمئة إلى تسعمئة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن
يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى
ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا
مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ
ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ
ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ضِعْفَيْنِ﴾: مثنى ضعف بكسر الضاد، يقال: ضعف الشيء: مثله في المقدار، أو: مثله وزيادة غير محصورة، فقولهم: لك ضعفه؛ يعني: لك مثلاه، أو: ثلاثة أمثاله، أو أكثر، وفي المصباح: ضعف الشيء: مثله، وضعفاه: مثلاه، وأضعافه أمثاله. وقال الخليل: التضعيف: أن يزاد على أصل الشيء، فيجعل مثليه، وأكثر، وكذلك الأضعاف، والمضاعفة، وقال الأزهري: الضعف في كلام العرب: المثل، هذا هو الأصل، ثم استعمل الضعف في المثل وما زاد، وليس للزيادة حد، يقال: هذا ضعف هذا؛ أي: مثله، وهذان ضعفاه؛ أي: مثلاه. قال: وجاز في كلام العرب أنْ يقال: هذا ضعفه، أي: مثلاه، وثلاثة أمثاله؛ لأن الضعف زيادة غير محصورة، فلو قال في الوصية: أعطوه ضعف نصيب ولدي؛ أعطي مثليه. ولو قال: ضعفيه؛ أعطي ثلاثة أمثاله. حتى لو حصل للابن مئة أعطي مئتين في

الضعف، وثلاثمئة في الضعفين، وعلى هذا جرى عرف الناس واصطلاحهم، والوصية تحمل على العرف لا على دقائق اللغة. هذا وللضعف بفتح الضاد، والضعف بكسرها، والضعف بضمها، معان نظمها بعضهم بقوله:

فـي الـرأي والعَقْـلِ يكـونُ الضَّعـفُ
والوهنُ في الجسم فَذاكَ الضِّعفُ
زيـــادةُ المِثْـــلِ كـــذا والضُّعـــفُ
جمْـعُ ضَعيـفٍ وهُـوَ شَـاكـي الضُّـرِّ

﴿كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أحد ـ كما يقول الزمخشري ـ في الأصل بمعنى وحد، وهو الواحد، ثم وضع في النفي العام مستوياً فيه المذكر، والمؤنث، والواحد، وما وراءه. وردّ عليه آخرون فقالوا: أما قوله: أحد في الأصل بمعنى: وحد، وهو الواحد، فصحيح، وأما قوله: وما وراءه؛ فليس بصحيح؛ لأن الذي يستعمل في النفي العام مدلوله غير مدلول واحد؛ لأن واحداً يطلق على كل شيء اتصف بالوحدة، وأحد المستعمل في النفي العام مختص بمن يعقل، وأيضاً فيفرق بينهما بأنَّ المختص بالنفي جامد وهذا وصف، وأيضاً: المختص بالنفي مختص بالعقلاء، وهذا لا يختص، وأما معنى النفي فإنه ظاهر على ما قاله الزمخشري على المجموع.

وفي الإتقان: قال أبو حاتم: أحد: اسم أكمل من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت: فلان لا يقوم له واحد؛ جاز في المعنى أن يقوم له اثنان، بخلاف قولك: لا يقوم له أحد. وفي الأحد خصوصة ليست في الواحد. تقول: ليس في الدار أحد؛ فيكون قد شمل عموم المخلوقين من الدواب، والطير، والوحش، والإنس، فيعم الناس وغيرهم، بخلاف قولك: ليس في الدار واحد؛ فإنه مخصوص بالآدميين دون غيرهم. قال: ويأتي الأحد في كلام العرب بمعنى الواحد، فيستعمل في الإثبات، والنفي، نحو: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: واحد و: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ و﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾

ولا فضل لأحد على أحد. وأحد يستعمل في المذكر والمؤنث. قال تعالى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ بخلاف الواحد فلا يقال: كواحد من النساء، بل كواحدة. قلت: ولهذا وصف به في قوله تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ بخلاف الواحد، والأحد، له جمع من لفظه، وهو الأحدون، والآحاد، وليس للواحد جمع من لفظه، فلا يقال: واحدون، بل: اثنان، وثلاثة، والأحد ممتنع الدخول في الضرب، والعدد، والقسمة، وفي شيء من الحساب. بخلاف الواحد.

﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾: من القرار؛ أي: الثبات، وأصله: اقررن، بكسر الراء وفتحها، من: قررت بفتح الراء، وكسرها، نقلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع همزة الوصل. وفي القاموس: وقر بالمكان، يقر بالكسر والفتح، قراراً، وقروراً، وقرّاً، وتقرّة: ثبت، وسكن، كاستقرَّ.

﴿تَبَرَّجْنَ﴾: بترك إحدى التاءين، وأصله: تتبرجن، أي: تتبخترن في مشيكن. وفي القاموس: تبرجت المرأة: أظهرت زينتها ومحاسنها للأجانب.

﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: حالة الجهل والوثنية في بلاد العرب قبل الإسلام، أو: الزمن الذي تقدمه، وسيأتي المزيد من بحث الجاهلية الأولى في باب الفوائد.

○ الإعراب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ كلام مستأنف مسوق لتقرير موقف الإسلام من أزواج النبي والمرأة عامة. وقل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ولأزواجك: متعلق بقل، وستأتي أسماء أزواج النبي في باب الفوائد، وإنْ: شرطية، وكنتن: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمها، والنون: علامة التأنيث، والتخيير لسبر أغوار نفوسهن، حتى إذا اخترن الدنيا فارقهن.

وجملة تردن: خبر كان، والنون: فاعل، والحياة الدنيا: مفعول به، وزينتها: عطف على الحياة. ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ الفاء: رابطة لجواب الشرط؛ لأنه يأتي جملة طلبية، وتعالين: فعل أمر مبني على السكون، والنون: فاعل، وأمتعكن: مجزوم لأنه جواب الطلب، وأسرحكن: عطف على أمتعكن، وسراحاً: مفعول مطلق، وجميلاً: صفة. وهذا أولى من القول: بأن أمتعكن جزم لأنه جواب الشرط، وما بين الشرط وجزائه معترض. ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الواو: عاطفة، وإن: شرطية، وكنتن: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمها، وجملة تردن: خبرها، والنون: فاعل تردن، والله: مفعول به، ورسوله: عطف عليه، والدار الآخرة: عطف أيضاً، والفاء: رابطة، وإنَّ، واسمها، وجملة أعد للمحسنات: خبرها ومنكن: حال، وأجراً: مفعول به، وعظيماً: صفة.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ يا: حرف نداء، ونساء النبي: منادى مضاف: ومَنْ: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، ويأت: فعل الشرط، وعلامة جزمه: حذف حرف العلة، ومنكنَّ: حال، وبفاحشة: متعلقان بيأت، ويضاعف: جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه: السكون، ولها: متعلقان بيضاعف، والعذاب: نائب فاعل ليضاعف، وضعفين: مفعول مطلق. ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ الواو: حالية، أو: استئنافية، وكان، واسمها، وعلى الله: متعلقان بيسيراً، ويسيراً: خبر كان. ﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ عطف على ما تقدم، وهو مماثل لما قبله في إعرابه، وأجرها: مفعول به ثان لنؤتها، ومرتين: نصب على المفعولية المطلق، أو: الظرفية الزمانية. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ الواو: عاطفة، وأعتدنا: فعل ماض، وفاعل، ولها: متعلقان بأعتدنا، ورزقاً: مفعول به، وكريماً:

صفة. ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ ﴾ لستن: ليس، والتاء: اسمها، والنون: علامة جمع الإناث، وكأحد: خبر لستن، ومن النساء: صفة لأحد، وإن: شرطية، واتقيتن: فعل ماض، وفاعله، وهو في محل جزم فعل الشرط، والجواب: محذوف يدل عليه ما قبله، أي: فإنكن أعظم، ويكون قوله: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ ﴾ مستأنفاً لتعليل نفي المساواة، ويجوز أن تكون الفاء: رابطة، وجملة لا تخضعن: في محل جزم جواب الشرط، وبالقول: حال، أو: متعلقان بتخضعن.

﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾ الفاء: للسببية، ويطمع: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية المسبوقة بالنهي، والذي: فاعل يطمع، وفي قلبه: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، ومرض: مبتدأ مؤخر، والجملة: صلة، وقلن: الواو: عاطفة، وقلن: فعل أمر، والنون: فاعل، وقولاً: مفعول مطلق مبين للنوع، ومعروفاً: صفة. ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ عطف على ما تقدم، وقرن: فعل أمر، وقد تقدم في باب اللغة، وفي بيوتكن: متعلقان به، ولا تبرجن: نهي، وتبرج الجاهلية: مفعول مطلق، والأولى: نعت للجاهلية. ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ عطف على قرن في بيوتكن. ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، ويريد الله: فعل مضارع، وفاعل، وليذهب: اللام: للتعليل، ويذهب: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وجملة إنما يريد: تعليل لجميع ما تقدم، والجار والمجرور ـ أي ليذهب ـ: متعلقان بيريد، وعنكم: متعلقان بيذهب، والرجس: مفعول به، وأهل البيت: نصب على الاختصاص للمدح، أي: أخص أهل البيت، ولك أن تجعله منادى محذوف الأداة، أو: على البدل من الكاف، واعترضه المبرد: بأنه لا يجوز البدل من المخاطب، ويطهركم: عطف على يذهب، وتطهيراً: مفعول مطلق.

* الفوائد:

١ ـ أراجيف المغرضين عن تعدد أزواج النَّبيِّ:

سيطول بنا القول في هذا الصَّدد؛ لأنه أثار شكوكاً لدى المغرضين وأصحاب الهوى من المستشرقين والمشهرين بالإسلام، فقد قالوا في معرض افتراءاتهم وأراجيفهم: إن تعدد زوجات النَّبيِّ منافٍ لشمائل النبوة، ومخالف لما ينبغي أن يتسم به أصحاب الدعوة وهداة الأرواح، وقال بعض المستشرقين ما نصه بالحرف: إن تسع زوجات لدليل على فرط الميول الجنسية، ونسوا، أو تناسوا: أنه لاغضاضة على العظيم أن يحب المرأة، ويشعر بمنتها، وما من فطرة هي أعمق في طبائع الأحياء عامة من فطرة الجنسين، والتقاء الذكر والأنثى، نعم قد تكون الغضاضة إذا طغى هذا الحب؛ حتى أخرج العظيم عن سواء السبيل، وشغله عما هو معني به من هداية، وليس أبعد به صلى الله عليه وسلم عن الاستسلام لنزوات اللذة الجنسية من أنه أوشك أن يطلق نساءه، أو يخيرهن في الطلاق؛ لأنهن طلبن إليه المزيد من النفقة، حدث التاريخ: أن أبا بكر ذهب إليه يوماً يستأذن عليه، فوجد الناس جلوساً لا يؤذن لأحدٍ منهم، ثم دخل أبو بكر وعمر من بعده فوجد النَّبيَّ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكتاً، فأراد أبو بكر أن يقول شيئاً يسرِّي عنه، فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجة!! سألتني النفقة، فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك النَّبيُّ، وقال: هنَّ حولي، كما ترى، يسألنني النفقة! فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، ويقولان: تسألن رسول الله ما ليس عنده؟! فقلن: والله لا نسأل رسول الله شيئاً ليس عنده. ثم اعتزلهن الرسول شهراً، أو تسعة وعشرين يوماً نزلت بعدها الآية التي فيها التخيير، وهي: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ . . ﴾ الآية. فبدأ الرسول بعائشة، فقال لها: يا عائشة! إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك. قالت: وما هو يا رسول الله! فتلا عليها الآية. قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟!

بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خيّر نساءه كلهن، فأجبن كما أجابت عائشة، وقنعن بما هنَّ فيه من معيشة؛ كان كثير من زوجات المسلمين يظفرن بما هو أنعم منها، فعلام يدل هذا؟ لو شاء النَّبيُّ لأغدق عليهن النعمة، ولأغرقهن بتهاويل الزينة، وتعاجيب الحلي، وأطايب اللذات، وهل هذا الصدوف عن ذلك فعل مستسلم للذات الحسية، المتهالك على حب النساء؟ ولما بنى بأولى زوجاته ـ خديجة ـ لم تكن لذَّاتُ الحسن هي التي سيطرت على هذا الزواج، ولا الباعثة عليه؛ لأنه بنى بها وهي في نحو الأربعين، وهو في نحو الخامسة والعشرين، ونيف على الخمسين، وأوتي الفتح المبين وليس له من زوجة غيرها، ولم تبدر عنه أية رغبة في الزواج بأخرى.

قالت له عائشة مرة: هل كانت خديجة إلا عجوزاً بدَّلك الله خيراً منها! فقال لها مغضباً: «لا والله! ما أبدلني الله خيراً منها: آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقت إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء».

ولو كانت لذَّاتُ الحسن هي التي سيطرت على زواج النَّبيِّ بعد وفاة خديجة؛ لكان الأحجى بإرضاء هذه اللَّذات أنْ يجمع إليه تسعاً من الفتيات الأبكار؛ اللائي اشتهرن بفتنة الجمال في مكة والمدينة وشبه الجزيرة العربية، فيسرعن إليه راضيات فخورات، وأولياء أمورهن أرضى منهن، وأفخر بهذه المصاهرة التي لا تسمو إليها مصاهرة، بيد أنَّ محمداً لم يتزوج بكراً قط غير عائشة، ولم يكن زواجه بها مقصوداً في بداية الأمر حتى رغبته فيه خولة بنت حكيم؛ التي عرضت عليه الزواج بعد وفاة خديجة.

قالت عائشة: لما توفيت خديجة؛ قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان ابن مظعون للنبي: أي رسول الله ألا تتزوج؟! قال: «مَنْ»؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً؟ قال: «فمن البكر»؟ قالت: بنت أحبِّ الناس إليك

عائشة بنت أبي بكر. قال: «فمن الثيب»؟ قالت: سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك.

ثم كانت سودة هي أولى النساء اللاتي بنى بهن بعد وفاة خديجة وكان زوجها الأول ـ ابن عمها ـ قد توفي بعد رجوعه من الهجرة إلى الحبشة، وكانت هي من أسبق النساء إلى الإسلام، فآمنت وهجرت أهلها، ونجا بها زوجها إلى الحبشة فراراً من إعنات المشركين له ولها، فلما مات لم يبق لها إلا أن تعود إلى أهلها، فتصبأ وتؤذى، أو تتزوج بغير كفء، فضمها النَّبيُّ إليه حماية لها، وتأليفاً لأعدائه من آلها، وكان غير هذا الزواج أولى به لو نظر إلى لذَّات حسنٍ، ومال إلى متاع.

وكان للنَّبيِّ زوجة أخرى اتسمت بالوضاءة والحداثة والغضاضة، وهي: زينب بنت جحش ابنة عمته؛ التي زوجها زيداً بن حارثة بأمره وعلى غير رضا منها؛ لأنها أنفت ـ وهي ما هي في الحسب والقرابة إلى رسول الله ـ من أن يتزوجها غلام عتيق، هذه أيضاً لم يكن للذَّات الحسن سلطان في بناء النبي بها بعد تطليق زيد إياها، وتعذر التوفيق بينهما، وستأتي قصتها كاملة مدعومة بالتحليل التام لها.

أما سائر زوجاته فما من واحدة منهن إلا كان لزواجه بهن سبب من المصلحة العامة.

إجمال أسماء زوجاته:

قال ابن الكلبي: إنَّ النبي ﷺ تزوج خمس عشرة امرأة، ودخل بثلاث عشرة، وجمع بين إحدى عشرة، وتوفي عن تسع؛ فأولهن؛ خديجة بنت خويلد، وكانت قبله تحت عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ومات عنها، وتزوجها بعده أبو هالة بن زرارة بن النباش التميمي، فولدت له هند، ثم مات عنها، وتزوجها بعده النَّبيُّ فولدت له ثمانية: القاسم، والطيب، والطاهر، وعبد الله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة. فأما الذكور: فماتوا وهم صغار، وأما الإناث: فبلغن، ونكحن، وولدن، ولم

يتزوج على خديجة أحداً، وكان موتها قبل الهجرة بثلاث سنين ثم بعدها: سودة بنت زمعة، وقيل: عائشة، وكانت بنت ست سنين، فدخل بها في المدينة وهي ابنة تسع، ومات عنها وهي ابنة ثماني عشرة، وماتت سنة ثمان وخمسين. وأما سودة: فكانت امرأة ثيباً، وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس، ومات عنها، فخلف عليها رسول الله، ودخل بها بمكة. ثم تزوج بعدها حفصة بنت عمر بن الخطاب، وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السَّهمي، وكان بدرياً، وماتت بالمدينة في خلافة عثمان. ثم تزوج بعدها أم سلمة ابنة أبي أمية المخزومية، وكانت قبله تحت أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، شهد بدراً، وأصابته جراحة يوم أحد، فمات عنها، فتزوجها رسول الله قبل الأحزاب، ثم تزوج زينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة، ويقال لها: أم المساكين، وتوفيت في حياته، ولم يمت غيرها وغير خديجة في حياته، وكانت زينب قبله تحت الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب. ثم تزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية من بني المصطلق، وكانت تحت مالك بن صفوان. ثم تزوج أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، وكانت قبله تحت عبد الله بن جحش، وكان من مهاجرة الحبشة، فتنصر، ومات بها، فأرسل رسول الله إلى النجاشي فخطبها عليه وتزوجها وهي بالحبشة، وساق النجاشي المهر لها عن رسول الله، وماتت في خلافة أخيها معاوية. ثم تزوج زينب بنت جحش، وستأتي قصتها. ثم تزوج عام خيبر صفية بنت حيي بن أخطب. ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية، وكانت قبله تحت عمير بن عمرو الثقفي، فمات عنها، وخلف عليها أبو زهير بن عبد العزى، ثم رسول الله، وهي خالة ابن عباس، وخالد بن الوليد، ثم تزوج امرأة من بني كليب يقال لها: شاة بنت رفاعة، وقيل: سنا بنت الصلت، وقيل: ابنة الصلت بن حبيب، توفيت قبل أن يدخل بها، وقيل: الشنباء، دخل بها، ومات ابنه إبراهيم، فقالت: لو كان نبياً ما مات ولده، فطلقها، ثم تزوج غزية بنت جابر الكلابية، قال ابن

الكلبي: غزية هي أم شريك، فلما قدمت على النبي وأراد أن يخلو بها استعاذت منه، فردها، ثم تزوج العالية ابنة ظبيان، فجمعها ثم فارقها، ثم تزوج قتيلة ابنة قيس أخت الأشعث، فتوفي عنها قبل أن يدخل بها، فارتدت، ثم تزوج فاطمة بنت الضحاك. وقيل: تزوج خولة بنت الهذيل بن هبيرة، وليلى بنت الحطيم عرضت نفسها عليه، فتزوجها وفارقها.

قال ابن الكلبي: أما من خطب النبي من النساء ولم ينكحها: فأم هانىء بنت أبي طالب، خطبها ولم يتزوجها، وضباعة بنت عامر من بني قشير، وصفية بنت بشامة الأعور العنبري، وأم حبيبة ابنة عمه العباس، فوجد العباس أخاً له من الرضاعة فتركها، وجمرة بنت الحارث بن أبي حارثة خطبها، فقال أبوها: بها سوء، ولم يكن بها وجع، فرجع إليها فوجدها قد برصت.

وأما سراريه: فمارية ابنة شمعون القطبية، ولدت له إبراهيم، وريحانة ابنة زيد القرظية، وقيل: هي من بني النضير، وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش، واسمها: نفيسة، والرابعة أصابها في بعض السبي، ولم يعرف اسمها.

وفي المواهب رواية أخرى تختلف فيها الأسماء بعض الاختلاف، ويطول بنا القول لو نقلناها، فليرجع إليها من يشاء.

وكان إعزاز من ذلوا بعد عزة سنة النبي في معاملة جميع الناس، ولا سيما النساء اللاتي تنكسر قلوبهن في الذل بعد فقد الحماة والأقربين، ولهذا خيّر صفية الإسرائيلية سيدة بني قريظة بين أن يلحقها بأهلها، وأن يعتقها، ويتزوج بها، فاختارت الزواج منه.

هذا وتتكشف لنا مراجعة الحياة الزوجية لمحمد عليه الصلاة والسلام عن أسباب حفزته إلى الزواج بهن، واستجماع لهذا العدد منهن، ولا حرج على رجل قويم الفطرة أن يلتمس المتعة في زواجه، ولكن الواقع: أن المتعة لم تكن قط مقدَّمة في الاعتبار عند نظر النبي في اختيار واحدة من زوجاته قبل

الدعوة، أو بعدها، أو بعد تجاوز الكهول، وإنما كان الاختيار كله على حسب حاجتهن إلى الإيواء الشريف، أو على حسب المصلحة الكبرى التي تقضي باتصال الرحم بينه وبين سادات العرب وأساطين الجزيرة من أصدقائه وأعدائه، لا استثناء في هذه الخصلة لزوجة واحدة بين جميع زوجاته؛ حتى التي بنى بها فتاة بكراً موسومة بالجمال، وهي السيدة عائشة.

٢ ـ الجاهليّة الأولى:

اختلف الناس في الجاهلية الأولى، وأصح ما قيل: أنهما جاهليتان أولى وأخيرة؛ فالأولى هي القديمة، ويقال لها: الجاهلية الجهلاء، وهي تمتد إلى أبعد الآماد. والجاهلية الأخيرة تمتد من منتصف القرن الخامس الميلادي، وفي الجاهلية الأولى كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ، فتمشي في منتصف الطريق تعرض نفسها على الرجال، فنهين عن ذلك.

﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ
وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ
وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ
وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا
وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ
إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ
ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ
زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن
تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ

أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ﴾ الواو: عاطفة، واذكرن: فعل أمر، والنون: فاعل، وما: مفعول به، وجملة يتلى: صلة، ويتلى: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل: مستتر، يعود على ما، وفي بيوتكن: متعلقان بيتلى، ومن آيات الله: حال، والحكمة: عطف على آيات الله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ إنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها، واسم كان: مستتر، يعود على الله، ولطيفاً: خبرها الأول، وخبيراً: خبرها الثاني. ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْقَـٰنِتَـٰتِ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلصَّـٰدِقَـٰتِ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰبِرَٰتِ وَٱلْخَـٰشِعِينَ وَٱلْخَـٰشِعَـٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَـٰتِ وَٱلصَّـٰٓئِمِينَ وَٱلصَّـٰٓئِمَـٰتِ وَٱلْحَـٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَـٰفِظَـٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لخطاب النساء بما يخاطب به الرجال من شؤون الهداية والتعليم السامية، فقد قالت أزواج النبي: إن الله ذكر الرجال في كتابه ولم يذكر النساء بخير، فنزلت. وإنَّ واسمها، وما بعدها عطف على الاسم إلى قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ وليس فيها ما يستدعي التنبيه سوى قوله: ﴿فروجهم﴾ فهو مفعول به للحافظين، وكذلك قوله: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ﴾ فلفظ الجلالة: مفعول به للذاكرين، وجملة أعد: خبر إنَّ، والله: فاعل أعد، ولهم: متعلقان بأعد، وأجراً: مفعول أعد، وعظيماً: صفة.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ﴾ الواو: استئنافية، والكلام مسوق للشروع في قصة عبد الله بن جحش، وأخته زينب، وزيد بن حارثة، وسيأتي بحث مسهب عنها في باب الفوائد. وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، ولمؤمن: خبر كان المقدم، ولا مؤمنة: عطف على لمؤمن، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط،

وقضى الله ورسوله: صلة، والجواب: محذوف يدل عليه النفي المتقدم، ولك أن تجعل إذا للظرفية المحضة، فتتعلق بالاستقرار الذي تعلق به خبر كان، وأن يكون: مصدر مؤول هو اسم كان، ولهم: خبر يكون المقدم، والخيرة: اسمها المؤخر، وذكر يكون لأن المؤنث مجازي، وقرىء بالتاء، ومن أمرهم: حال من الخيرة، والخيرة: مصدر تخير، كالطيرة من: تطير، وجمع الضمير في: أمرهم، وفي: لهم؛ لوقوعهما في سياق النفي، وقد تقدم: أن النكرة إذا وقعت في سياق النفي دلت على العموم؛ ليشمل كل مؤمن ومؤمنة؛ كما غلب المذكر على المؤنث. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ الواو: عاطفة، ومَنْ: شرطية مبتدأ، ويعص: فعل الشرط مجزوم بحذف حرف العلة، وفاعل يعص: مستتر، تقديره: هو، يعود على مَنْ، ولفظ الجلالة: مفعول به، ورسوله: عطف عليه، والفاء: رابطة للجواب؛ لأنه اقترن بقد، وضل: فعل ماض، وفاعله: مستتر أيضاً، وضلالاً: مفعول مطلق، ومبيناً: صفة.

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ عطف على ما سبق، وإذ: ظرف لما مضى متعلق باذكر مقدراً، وجملة تقول: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وللذي: متعلقان بتقول، وجملة أنعم الله عليه: صلة، وأنعمت عليه: عطف على الصلة، وجملة أمسك: مقول القول، وعليك: متعلقان بمحذوف حال؛ كما قيل في اللام في «سقياً لك» وإما متعلقان بأمسك على حذف مضاف، أي: أمسك على نفسك، وزوجك: مفعول به، واتق الله: عطف على أمسك. ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ الواو: واو الحال، أو للعطف، وفي نفسك: متعلقان بتخفي، وما: مفعول به، والله: مبتدأ، ومبديه: خبر، والجملة: صلة ما. ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ الواو: حالية، أو عاطفة أيضاً، وتخشى الناس: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، والواو: عاطفة، أو: حالية، والله: مبتدأ، وأحق: خبر، وأنْ، وما في حيزها: مصدر مؤول في محل

رفع بدل اشتمال من اسم الله، وقد تقدم هذا الإعراب في سورة التوبة، ونزيد هنا: أنه يجوز أن يكون منصوباً بنزع الخافض متعلق بأحق، واختار أبو البقاء وجهاً ثالثاً، وهو أن يكون أن تخشوه: مبتدأ، وأحق: خبره مقدم عليه، والجملة: خبر عن اسم الله.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ الفاء: استئنافية، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة متضمنة معنى الشرط، وقضى زيد: فعل، وفاعل، ومنها: متعلقان بقضى، ووطراً: مفعول به، وزوجناكها: فعل ماض، وفاعل، والكاف: مفعول به أول، والهاء: مفعول به ثان، والجملة لا محل لها. وقضاء الوطر في اللغة: بلوغ منتهى مافي النفس من الشيء. ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ اللام: حرف جر للتعليل، وكي: حرف مصدري، ويكون: فعل مضارع منصوب بكي، والمصدر المؤول في محل جر باللام، والجار والمجرور: متعلقان بزوجناكها على أنه تعليل للتزويج، وعلى المؤمنين: خبر يكون المقدم، وحرج: اسمها المؤخر، وفي أزواج أدعيائهم: صفة لحرج. ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ كان، واسمها، وخبرها، والجملة: معترضة، أو: معطوفة على ما تقدم.

* **الفوائـد:**

وعدناك ببسط القول في قصة زواج زيد بن حارثة بزينب بنت جحش، وبراً بالوعد، ودحضاً للأراجيف التي أثارها المتشككون، والذين في قلوبهم مرض وهوى نقول: تقدم القول في ترجمة زيد بن حارثة، وأن النَّبيَّ ﷺ زوجه زينب بنت جحش، وكان قد خطبها عليه، فكره عبد الله وزينب ذلك؛ لظنهما قبل ذلك: أنَّ النبي خطبها لنفسه، ثم رضيا، فأنكحها إياه وساق عنه إليها مهرها ستين درهماً، وخماراً، وملحفة، ودرعاً، وإزاراً، وخمسين مدّاً من طعام، وثلاثين صاعاً من تمر كما يروى، فمن الجدير بالملاحظة: أن زينب كانت بنت عمة النبي، وربيت تحت نظره،

وشملها من عنايته ما يشمل البنت من والدها، ولو كان للجمال سلطان على قلبه صلى الله عليه وسلم كما يزعم المتشككون لكان أقوى سلطانه عليه جمال البكر في روائه ونضرة جدته، وقد كان يراها ولم يكن بينه وبينها حجاب، ولا يخفى عليه شيء من محاسنها الظاهرة، بيد أنه لم يرغبها لنفسه، ورغبها لمولاه، فكيف يستهويه جمالها، ويصيبه سهم حبها بعد أن صارت زوجاً لعبد أعتقه، وأنعم عليه بالحرية؟

هذا ولم يعرف في الطبائع أن تغلب الشهوة على الإنسان حتى يعشق من هو قريب منه، أو من عايشه في صغره، فكيف يسوغ لنا أن ندعي وجود هذه الشهوة في رجل عرف بالعفة والاستقامة طوال عمره، وصوت الله يهتف في أذنه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بل كيف يسمح لنفسه بالانزلاق إلى هذه الوهدة السحيقة وهو يتهيأ لبث رسالة، ونشر تعاليم دين جديد، يتغاير مع مألوف قومه، ويهدم ما ألفوه من عادات، وترسموه من نُظمُ وطقوس؟

الواقع: أنه صلى الله عليه وسلم لم يبال بإباء زينب الاقتران بزيد ورغبتها عنه، وقد كان يعلم حق العلم: أن زواجاً يقوم على التنافر أمر يفقد طبيعة الانسجام بين الزوجين التي لابد منها ليسود الوئام بينهما، وتستقر الحياة الزوجية على أوطد الدعائم، ولكنه أراد تنفيذ أمر الله في محو عادة جاهلية رديئة درج عليها العرب آنذاك، وهي إعطاء الدعي جميع حقوق الابن، وإجراء جميع الأحكام المعتبرة للابن عليه، وله حق في الميراث، وحرمة النسب، وقد تقدم قوله تعالى بهذا الصدد ناعياً على العرب ما كانوا يدينون به: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ وليس أحد أجدر من النبي يختصه الله بهذا التكليف الذي يبطل تلك العادة، ويحمل العرب على التقصي منها، فعمد بوحي منه تعالى إلى خرق العادة، وإبطالها، فأرغم زينب أن تتزوج بزيد وهو مولاه وصفيه تمهيداً لإقامة شرع جديد، وتنفيذ حكم إلهي لا محيد عن تنفيذه، وبعد أن

صارت زينب إلى زيد لم يسلس قيادها، ولم يلن إباؤها، بل شمخت عليه، وتعالت، وتعمدت إيلام قلب زوجها بالتعالي عليه في النسب والحرية، فاشتكى زيد ذلك إلى النبي المرة بعد المرة، والنبي في خلقه السمح، وسجاياه الطاهرة يهدهد من آلام زيد، ويقول له: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ إلى أن أتى أمر الله، وغلب على ذلك كله، فسمح لزيد بطلاقها بعد أن استحال جو البيت جحيماً لايطاق، كما قال تعالى: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾ وأكد ذلك كما يأتي، بقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾.

وعلى هذا النحو يمكن القول بصورة جازمة: إن الله تعالى ذكر نبيه بما وقع منه؛ ليزيده تثبيتاً على الحق، وليدفع عنه ما حاك في صدور ضعاف العقول، فقال: ﴿وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ﴾ بالعتق، والحرية، والاصطفاء بالولاية، والمحبة، وتزويجه بنت عمتك، وتعظه عندما كان يشكو إليك من إيذاء زوجه: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ واخشه في أمرها، فإن الطلاق يشينها، وقد يؤذي قلبها، وارع حق الله في نفسك أيضاً، فربما لا تجد بعدها خيراً منها، تقول ذلك وأنت تعلم: أن الطلاق أمر لابد منه؛ لما ألهمك الله أن تمتثل أمره بنفسك؛ لتكون أسوة حسنة لمن معك، ولمن يأتي بعدك، وإنما غلبك في ذلك الحياء، وخشية أن يقولوا: تزوج محمد مطلقة متبناه، فأنت في هذا ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ من الحكم الذي ألهمك ﴿وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ﴾ الذي أمرك بذلك كله ﴿أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ فكان عليك أن تمضي في الأمر من أول وهلة تعجيلاً بتنفيذ كلمته وتقرير شرعه، ثم زاده بياناً بقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا﴾ أي: حاجة بالزواج ﴿زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾ لترتفع الوحشة من نفوس المؤمنين، ولا يجدوا في أنفسهم حرجاً من أن يتزوجوا نساءً كنَّ من قبل زوجات لأدعيائهم ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا﴾

هذا هو التعليل الصحيح، والتفسير القويم، لهذه القصة وأما ما رووه: من أن النبي مرّ ببيت زيد، وهو غائب، فرأى زينب، فوقع منها في قلبه شيء، فقال: سبحان مقلب القلوب، فسمعت زينب التسبيحة، فنقلتها إلى زيد، فوقع في قلبه أن يطلقها، إلى آخر هذا الهراء الذي يترفع النبي عنه، فقد فنده المحققون من العلماء، وقال الإمام أبو بكر بن العربي: إنه لا يصح، وإن الناقلين له المحتجين به على مزاعمهم في فهم الآية لم يقدِّروا مقام النبوة حق قدره، ولم تصب عقولهم من معنى الصحة كنهها، وأطال ابن العربي في ذلك إلى أن يقول: فأما قولهم: إن النبي ﷺ رآها، فوقعت في قلبه؛ فباطل، فإنه كان معها في كل وقت وموضع، ولم يكن حينئذ حجاب، فكيف تنشأ معه، وينشأ معها، ويلحظها في كل ساعة، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج وقد وهبته نفسها، وكرهت غيره، فلم يخطر ذلك بباله، فكيف يتجدد هوى لم يكن؟ حاشا لذلك القلب المطهَّر من هذه العلاقة الفاسدة، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ والنساء أفتن الزهرات، وأنشر الرياحين؟ ولم يخالف هذا في المطلقات، فكيف في المنكوحات المحبوسات. إلى أن يقول: فإن قيل: لأي معنى قال له: أمسك عليك زوجك وقد أخبره الله أنها زوجته؟ قلنا: أراد أن يختبر منه مالم يُعلمه الله به من رغبته فيها، أو رغبة عنها، فأبدى له زيد من النفرة عنها، والكراهة فيها مالم يكن علمه منه في أمرها، فإن قيل: كيف يأمره بإمساكها وقد علم أنَّ الفراق لابدَّ منه، وهذا تناقض؟ قلت: بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة، كإقامة الحجة، ومعرفة العاقبة، ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان وقد علم أنه لا يؤمن، فليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلاً وحكماً، وهذا من نفيس العلم فاقبلوه.

قال الترمذي الحكيم في نوادر الأصول: إنما عتب الله عليه من أجل أنه قد أعلمه بأنه ستكون هذه من أزواجك، فكيف قال بعد ذلك لزيد: أمسك

عليك زوجك، وأخذتك خشية الناس أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه والله أحق أن تخشاه. وقال النحاس: قال بعض العلماء ليس هذا من النبي ﷺ خطيئة، ألا ترى أنه لم يؤمر بالتوبة ولا بالاستغفار، وقد يكون الشيء ليس بخطيئة إلا أن غيره أحسن منه، وأخفى ذلك في نفسه خشية أن يفتتن به الناس. وروي عن علي بن الحسين: أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله إليه أن زيداً يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما شكا زيد للنبي ﷺ خلق زينب، وأنها لاتطيعه، وأعلمه بأنه يريد طلاقها؛ قال له رسول الله ﷺ على جهة الأدب والوصية: اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، وخشي رسول الله أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه لو أمره بطلاقها، فعاتبه الله على هذا القدر من أن خشي الناس في شيء قد أباحه الله تعالى، وأعلمه: أن الله أحق بالخشية.

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده: أما والله! لولا ما أدخل الضعفاء والمدلسون من مثل هذه الرواية ما خطر ببال مطلع على الآية الكريمة شيء مما يرمون إليه، فإن نصّ الآية ظاهر جليٌّ، لا يحتمل معناه التأويل، ولا يذهب إلى النفس منه إلا أنَّ العتاب كان على التمهل في الأمر، والتريث به، وأنَّ الذي كان يخفيه في نفسه هو ذلك الأمر الإلهي الصادر إليه بأن يهدم تلك العادة المتأصلة في نفوس العرب، وأن يتناول المعول لهدمها بنفسه، كما قدر له أن يهدم أصنامهم بيده لأول مرة عند فتح مكة، وكما هو شأنه في جميع ما نهى عنه من عاداتهم، وهذا الذي كان يخفيه في نفسه كان الله مبديه بأمره الذي أوحاه إليه في كتابه، وبتزويجه زوجة من كانوا يدعونه ابناً له، ولم يكن يمنعه من إبداء ما أبدى الله إلا حياء الكريم، وتؤدة الحليم، مع العلم بأنه سيفعل لا محالة، لكن مع معاونة الزمان.

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ

أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾

○ الإعراب:

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ استئناف مسوق لنفي الحرج عنه صلى الله عليه وسلم في زواجه بزينب، وهي امرأة زيد الذي تبناه، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، وعلى النبي: خبر كان المقدم، ومن: حرف جر زائد، وحرج: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه اسم كان المؤخر، وفيما: صفة لحرج، وجملة فرض الله: صلة لما. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ سنة الله: اسم موضوع موضع المصدر؛ لأن السنة بمعنى الطريقة والسيرة، وتأتي أيضاً بمعنى الطبيعة، والشريعة، والوجه، أو دائرته، وهذا ما جنح إليه الزمخشري في إعرابه، واختار غيره أن يكون نصباً على المصدر، أو: على نزع الخافض، أي: كسنة الله في الأنبياء الذين من قبل، وسيأتي مزيد من القول في هذا الصدد في باب الفوائد، وفي الذين: متعلقان بمحذوف حال؛ أي: متبعة، وجملة خلوا: صلة الذين، ومن قبل: متعلقان بخلوا، وكان أمر الله: كان، واسمها، وقدراً: خبرها، ومقدوراً: صفة لازمة للتأكيد؛ كيوم أيوم، وليل أليل، وظل ظليل. ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ الذين: لك أن تجعلها صفة للأنبياء، أي: في الأنبياء الذين خلوا من قبل والذين يبلغون رسالات الله، ولك أن تقطعها، فتعربها خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين، وجملة يبلغون: صلة، ورسالات الله: مفعول يبلغون.

﴿ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ ويخشونه: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، ولا: نافية، ويخشون: فعل مضارع، وفاعل، وإلا: أداة حصر، ولفظ الجلالة: مفعول يخشون، وكفى: فعل ماض، والباء: حرف جر زائد، والله: فاعل كفى محلاً، وحسيباً: تمييز،

أو: حال. ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ ما: نافية، وكان محمد: كان، واسمها، وأبا أحد: خبرها، ومن رجالكم: صفة لأحد. ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ الواو: عاطفة، ولكن حرف استدراك مهمل؛ لأنه خفف، ورسول الله: عطف على أبا أحد، أو: نصب على تقدير كان؛ لدلالة كان السابقة عليها؛ أي: ولكن كان رسول الله، وخاتم النبيين: عطف على رسول الله، والخاتم: هو الطابع ـ بفتح التاء وكسرها ـ وكان، واسمها، وخبرها، وبكل شيء: متعلقان بعليماً.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ...﴾ الآية. فن التلفيف، وفي محيط المحيط: التلفيف عند البلغاء: هو التناسب، وهو عبارة عن إخراج الكلام مخرج التعليم بحكم، أو أدب لم يرد المتكلم ذكره، وإنما قصد ذكر حكم داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرح بتعليمه، وأوضح من هذا أن يقال: إنه جواب عام عن نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة إلى بيانها كلها، فيعدل المجيب عن الجواب الخاص عما سئل عنه من تبيين ذلك النوع إلى جواب عام يتضمن الإبانة على الحكم المسؤول عنه وعن غيره مما تدعو الحاجة إلى بيانه، فإنَّ قوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ﴾... الخ جواب عن سؤال مقدر، وهو قول قائل: أليس محمداً أبا زيد بن حارثة؟ فأتى الجواب يقول: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم. وكان مقتضى الجواب أن يقول: ما كان محمد أبا زيد، وكان يكفي أن يقول ذلك، ولكنه عدل عنه ترشيحاً للإخبار بأن محمداً ﷺ خاتم النبيين، ولا يتم هذا الترشيح إلا بنفي أبوته لأحد من الرجال، فإنه لا يكون خاتم النبيين إلا بشرط أن لا يكون له ولد قد بلغ، فلا يرد: أنَّ له الطاهر والطيب والقاسم؛ لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال، ثم احتاط لذلك بقوله: ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ فأضاف الرجال إليهم لا إليه فالتف المعنى الخاص في المعنى العام، وأفاد نفي الأبوة الكلية

لأحد من رجالهم، وانطوى في ذلك نفي الأبوة لزيد، ثم إنَّ هناك تلفيفاً آخر، وهو قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ فعدل عن لفظ نبي إلى لفظة رسول لزيادة المدح؛ لأنَّ كل رسول نبي ولا عكس، على أحد القولين، فهذا تلفيف بعد تلفيف.

* الفوائـد:

المفعول المطلق والمصدر:

المفعول المطلق هو الحاصل بالمصدر، أي: الأثر لا المصدر الذي هو التأثير، فإطلاق المصدر على المفعول بضرب من المسامحة، وعدم التمييز بين التأثير والأثر، وإيضاح ذلك: أن صيغ المصادر موضوعة للأثر الحاصل بتأثير الفاعل المسمى بلفظ المصدر، كما أنها موضوعة لإيقاع ذلك الأثر، وإلا يلزم التجوز في كل مفعول مطلق، ولا سبيل إليه لوجود أمارة الحقيقة من تبادر معناه من غير حاجة إلى القرينة، وفي عدم التمييز بين التأثير والأثر، وإن صرح به ابن سينا؛ نظراً لأنهما من مقولتين مختلفتين، فالأول من مقولة الفعل، والثاني من مقولة الانفعال، وقال بعض المحققين: الاتحاد أمر موجود، لكن لا ينافي الاختلاف بحسب المفهوم، فإن الضوء الحاصل من الشمس في البيت أمر موجود، لكن إذا نسب إلى الشمس يسمى: إضاءة، وإذا نسب إلى البيت يسمى: استضاءة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ
ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ
بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا
مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ

وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾

○ الإعراب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان: أنَّ الذكر ليس له حدود ينتهي إليها، ويقف عندها؛ إذ ما من عبادة إلا ولها حدود معلومة، ورسوم مرسومة، ما عدا الذكر، فإنه يتجاوز حدود الزمان والمكان. واذكروا الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وذكراً مفعول مطلق، وكثيراً: صفة. ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وبكرة: ظرف لأول النهار، متعلق بسبحوه، وأصيلاً: عطف على بكرة، وهو ظرف لآخر النهار، وسيأتي سر تخصيصهما وتخصيص التسبيح بالذكر في باب البلاغة. ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ تعليل لما تقدم من الأمر بالذكر والتسبيح، وهو: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة يصلي: صلة الموصول، وعليكم: متعلقان بيصلي، وملائكته: عطف على الضمير المستكن في يصلي. ﴿ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ اللام: للتعليل، ويخرجكم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر، والكاف: مفعول به، والجار والمجرور: متعلقان بيخرجكم، وكان: الواو: اعتراضية، وكان، واسمها المستتر، وبالمؤمنين: متعلقان برحيماً، ورحيماً: خبرها، والاعتراض بمثابة التقرير لمضمون ما تقدم.

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ استئناف، مسوق لبيان ما أعد لهم في الآجلة، وتحيتهم: مبتدأ، والهاء: مضاف لتحية من إضافة المصدر إلى مفعوله؛ أي: يحيون يوم لقائه بسلام، والظرف: متعلق بمحذوف حال، وجملة يلقونه: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وسلام: خبر تحيتهم، والواو: استئنافية، وأعد: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على الله، ولهم: متعلقان بأعد، وأجراً: مفعول به، وكريماً:

صفة. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴾ إن، واسمها، وجملة أرسلناك: خبرها، وشاهداً: حال مقدرة، وسيأتي ذكر الحال المقدرة وسرها في باب الفوائد، ومبشراً ونذيراً: عطف على شاهداً. ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ وداعياً: عطف على شاهداً، وإلى الله: متعلقان بداعياً، وبإذنه: حال، وسيأتي سر هذه الاستعارة في باب البلاغة. وسراجاً منيراً: عطف أيضاً، والكلام تشبيه بليغ سيأتي حكمه في باب البلاغة ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ عطف على ما تقدم، وبشر: فعل أمر، والمؤمنين: مفعول به، وبأن: متعلقان ببشر، ولهم: خبر أنَّ، ومن الله: حال، وفضلاً: اسم أنَّ المؤخر، وكبيراً: صفة لفضلاً.

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ عطف على ما تقدم، ولا: ناهية، وتطع: فعل مضارع مجزوم بلا، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، والكافرين: مفعول به، والمنافقين: عطف على الكافرين، ودع أذاهم: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، من باب إضافة المصدر إلى فاعله، أو مفعوله، فيكون المعنى على الأول: دع أذيتهم إياك من غير مجازاة. وعلى الثاني: دع ما آذوك، ولا تؤاخذهم حتى تؤمر بذلك. وقد جاء الأمر بعد ذلك بالقتال ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ عطف على ما تقدم، وعلى الله: متعلقان بتوكل، وكفى: فعل ماض، والباء: زائدة، والله: فاعل كفى محلاً، ووكيلاً: تمييز، أو: حال، وقد تقدم نظيره.

□ البلاغة:

التخصيص:

خص البكرة والأصيل في قوله: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ بالذكر لإظهار فضلهما، والتنويه بهما؛ لأن العبادة فيهما آكد على الإنسان، كما خص التسبيح ـ وهو من أنواع الذكر ـ ليبين فضله على سائر الأذكار، روى

الترمذي في خطابه صلى الله عليه وسلم لجويرية أم المؤمنين: «ألا أعلمك كلمات تقولينها: سبحان الله عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته» قال الجلال السيوطي في التعليق على هذا الحديث: سئلت قديماً عن إعراب هذه الألفاظ، ووجه النصب فيها، فأجبت: بأنها منصوبة على الظرف، بتقدير: قدر. وقد نص سيبويه: على أن من المصادر التي تنصب على الظرف قولهم: زنة الجبال، ووزن الجبل. وقد صنف الجلال السيوطي كتاباً لطيفاً سماه «رفع السنة عن نصب الزنة» وقيل: بل يعربان نصباً على المصدرية، وعليها فقدره بعضهم: أعد تسبيحه بعدد خلقه. وقدره آخرون: سبحته تسبيحاً يساوي خلقه عند التعداد. قال ابن حجر في المشكاة: والأول أوضح. وأعربه آخرون: نصباً بنزع الخافض. هذا وللنووي كتاب لطيف في الأذكار اسمه: «الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار» فارجع إليه.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا

يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ﴾ إذا: ظرف مستقبل، وجملة نكحتم المؤمنات: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وسيأتي معنى نكحتم المؤمنات في باب البلاغة. ﴿ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ ﴾ ثم: حرف عطف وتراخ، وطلقتموهن: فعل، وفاعل، ومفعول به، والميم: علامة جمع الذكور، والواو: لإشباع الضمة، ومن قبل: متعلقان بطلقتموهن، وأن تمسوهن: المصدر المؤول مضاف لقبل، والمراد بالمس: الجماع، والفاء: رابطة لجواب إذا، وما: نافية، ولكم: خبر مقدم، وعليهن: متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان صفة لعدة، ومن: حرف جر زائد، وعدة: مجرور لفظاً مبتدأ محلاً، وجملة تعتدونها: صفة لعدة، وتعتدونها: من العدد؛ أي: تستوفون عددها، من قولك: عد الدراهم، فاعتدها. ﴿ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴾ الفاء: الفصيحة، ومتعوهن: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وسرحوهن: عطف على متعوهن، وسراحاً جميلاً: مفعول مطلق، وأحكام التمتيع مبسوطة في كتب الفقه، فليرجع إليها من شاء هناك. والسراح الجميل: الذي لا ضرر فيه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لاختصاص النَّبيِّ بالأطيب الأزكى؛ بعد أن خيَّر نساءه فاخترنه. وإنَّ واسمها، وجملة أحللنا: خبرها، ولك: متعلقان بأحللنا، وأزواجك: مفعول به، واللاتي: صفة، وجملة آتيت: صلة، وأجورهن: أي: مهورهن مفعول به.

﴿ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ﴾ وما: عطف على أزواجك، وجملة ملكت: صلة، ويمينك: فاعل ملكت، ومما: حال مبينة لما

ملكت، وأفاء الله: فعل، وفاعل، والفيء: الغنيمة، وعليك: متعلقان بأفاء، وسيأتي ما يزيد ذلك وضوحاً في باب الفوائد. ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ عطف على ما تقدم، واللاتي: صفة، وجملة هاجرن: صلة، ومعك: ظرف متعلق بهاجرن، وخص هؤلاء بالذكر تشريفاً لهن كما قال تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ وامرأة: معطوف على مفعول أحللنا؛ أي: وأحللنا لك امرأة وهبت نفسها لك بغير صداق، أما غير المؤمنة فلا تحل له إذا وهبت نفسها منه، وإن: شرطية، ووهبت: فعل الشرط، ونفسها: مفعول به، وللنَّبيِّ: متعلقان بوهبت، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، أي: أحللنا، وإن: شرطية مقيدة للأولى، وأراد: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والنَّبيُّ: فاعل، وأن يستنكحها: مصدر مؤول مفعول أراد. والاستنكاح مثل النكاح، يقال: نكحها، واستنكحها، قال النابغة:

وَهُـمْ قتلـوا الطـائيَّ بـالحجر عنـوةً
أبـا جـابـرٍ واستنْكَحُـوا أَمَّ جـابـرِ

وهو في اللغة بمعنى الضم، والجمع، ومنه: تناكحت الأشجار: إذا تمايلت، وانضم بعضها إلى بعض. قال عمر بن أبي ربيعة:

واستنكـحَ النَّـومُ الـذيـن نخـافهـم
وَرَمـى الكَـرى بـوَّابَهُـمْ فتجَـدّلا

والجملة الشرطية الثانية: في محل نصب حال؛ لأن الحال قيد؛ فإنَّ هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها كأنه قال: أحللناها لك إن وهبت لك نفسها، وأنت تريد أن تستنكحها؛ لأن إرادته هي قبول وما به تتم. ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مصدر مؤكد لفعل محذوف، أي: خلصت لك خالصة، وقد ورد المصدر على هذه الزنة كالعاقبة والكاذبة، وفاعل المصدر: مستتر، تقديره: النكاح بلفظ الهبة، وأل: عوض عن

الضمير المحذوف، أي: خالصاً لك نكاحها، وعلى هذا الوجه اقتصر الزمخشري، واختار الزجاج، وأبو البقاء أن تكون حالاً من امرأة؛ لأنها وضعت فتخصصت جرياً على القاعدة المشهورة، وقيل: حال من فاعل وهبت، أي: حال كونها خالصة لك دون غيرك، ولا يبعد أن تكون نعت مصدر مقدر، أي: هبة خالصة، ولك: متعلقان بخالصة، ومن دون المؤمنين: حال ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ﴾ الجملة معترضة، مقررة لمضمون ما قبلها، وقد: حرف تحقيق، وعلمنا: فعل، وفاعل، وما: مفعول علمنا، وجملة فرضنا: صلة، وعليهم: متعلقان بفرضنا، وفي أزواجهم: حال، وما: عطف على أزواجهم، وجملة ملكت أيمانهم: صلة، ومعنى هذه الجملة الاعتراضية: أن الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء، وعلى أيِّ حدٍّ وصفةٍ يجب أن يكون، ففرضه كما علم اختصاص رسوله بما تتوفر فيه المصلحة، فاختصه بذلك.

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لكيلا: متعلقان بأحللنا، أو: بخاصة باعتبار ما فيه من معنى ثبوت الإحلال، وحصوله له، وعليك: خبر يكون المقدم، وحرج: اسمها المؤخر، وكان، واسمها، وخبراها. ﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ كلام مستأنف للشروع في بيان حكم معاشرته لنسائه بعد بيان حلهن له. وترجي: أي تؤخر: فعل مضارع مرفوع، وقرىء بالهمزة، أي: ترجىء، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، ومن تشاء: مفعول به، ومنهن: حال، وتؤوي: أي: تضم عطف على ترجىء، وإليك: متعلقان بتؤوي: ومن تشاء: مفعوله، أي: أن النبي ﷺ كان مخيّراً في أزواجه. ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ الواو: استئنافية، ومَنْ: يجوز أن تكون موصولة، فهي في محل رفع مبتدأ، وجملة ابتغيت: صلة، والعائد: محذوف، والفاء: رابطة؛ لما تقدم من أن في الموصول رائحة الشرط، وجملة لا جناح عليك: خبر مَنْ، ويجوز أن تكون

شرطية، فهي في محل نصب مفعول مقدم لابتغيت، وقوله: فلا جناح عليك: جوابها، ولا: نافية للجنس، وجناح: اسمها، وعليك: خبرها.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ﴾ ذلك: مبتدأ، والإشارة إلى التخيير، والتفويض إلى مشيئته صلى الله عليه وسلم، وأدنى: خبر، وأنْ وما في حيزها: نصب بنزع الخافض، أي: إلى أن تقرَّ، وهو متعلق بأدنى، وأعينهن: فاعل تقر، ولا يحزن: عطف على تقر، أي: وأقرب إلى قلة حزنهن، وأقرب إلى رضائهن جميعاً لتسويته بينهن في الإيواء، والإرجاء، والعزل، والابتغاء، فلم يكن بينهن ثمة تفاضل وتمايز. ﴿وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ويرضين: عطف على ما تقدم، وبما: متعلقان بيرضين، وجملة آتيتهن: صلة، وكلهن: تأكيد للنون في يرضين، والله: مبتدأ، وجملة، يعلم: خبر، وما: مفعول يعلم، وفي قلوبكم: متعلقان بمحذوف صلة ما، أي: استقر في قلوبكم، وكان، واسمها، وخبراها. ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتبيان ما يحل له، ولا: نافية، ويحل: فعل مضارع مرفوع، ولك: متعلقان بيحل، والنساء: فاعل، ومن بعد: حال، وبني بعد على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، والمعنى: ومن بعد التسع المجتمعات في عصمتك، وهن نصابه، كما أن الأربع نصاب أمته، والواو: عاطفة، ولا: نافية، وأن تبدل: مصدر مؤول معطوف على النساء، ونائب فاعل تبدل: مستتر، تقديره: أنت، وبهن: متعلقان بتبدل، ومن: حرف جر زائد، وأزواج: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به، قال ابن زيد: هذا شيء كانت العرب تفعله، يقول أحدهم: خذ زوجتي وأعطني زوجتك.

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ الواو: للحال، والجملة: حالية من الضمير في تبدل، أي: مفروضاً إعجابك بهن، ولو: شرطية، وأعجبك حسنهن: فعل، ومفعول به مقدم،

وفاعل مؤخر، قال ابن عطية: وفي هذا اللفظ، أعجبك حسنهن، دليل على جواز أن ينظر الرجل إلى من يريد زواجها. وإلا ما ملكت يمينك: في هذا الاستثناء وجهان؛ أحدهما: أنه مستثنى من النساء فيجوز فيه وجهان: النصب على الاستثناء، والرفع على البدلية، وهو الأرجح، والثاني: أنه مستثنى من أزواج، فيجوز فيه النصب على الاستثناء، والجر على البدلية منهن على اللفظ، أو: النصب على المحل، وجملة ملكت يمينك: صلة ما، وكان: واسمها، وخبرها، وعلى كل شيء: متعلقان برقيباً.

□ البلاغـة:

في قوله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ﴾... الخ تسمية العقد نكاحاً مجاز مرسل، علاقته الملابسة من حيث أنه طريق إليه، ونظيره: تسميتهم الخمر إثماً؛ لأنها سبب في مقارفة الإثم.

وفي قوله: ﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ كناية عن الوطء، ومن آداب القرآن الكناية عن الوطء بلفظ الملامسة، والمماسة، والقربان، والتغشي، والإتيان.

وفي قوله ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وقد تقدم بحث الالتفات مفصلاً في أكثر من موضع، والسر في الالتفات هنا: أنه رجوع إلى أصل الكلام، فقد صدر الكلام بمخاطبة النبي بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ..﴾ الخ، ثم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله: ﴿إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ للإيذان بأنه مما خص به، وأوثر، وأن هذا الاختصاص تكرمة له من أجل النبوة. وهذا من أسرار البيان فتنبه له.

* الفوائـد:

في قوله: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ قلنا في باب الإعراب: إن الظرف بني على الضم لانقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى، وأراد من بعد التسع اللواتي اخترنك، واللواتي توفي عنهن، وهن: عائشة بنت أبي بكر

الصديق، وحفصة بنت عمر، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأم سلمة بنت أبي أمية، وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجويرية بنت الحارث المصطلقية، رضي الله عنهن، والمعنى: أن التسع في حقه كالأربع في حقنا.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣ ﴾

☆ اللغة:

﴿ إِنَىٰهُ ﴾ بكسر الهمزة وفتحها: حلول الوقت، والنضج. وهو مصدر: أنى، يأني؛ أي: مصدر سماعي؛ لأنه من باب رمى، وقياس مصدره: أني، كرمي، ولكنه لم يسمع، ولكن المسموع: إنى بالكسر والقصر، بوزن: رضا.

○ الإعراب:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان ما يجب على الناس من رعاية حقوق نساء النَّبيِّ. ولا: ناهية، وتدخلوا: فعل مضارع مجزوم بلا، وبيوت النَّبيِّ: مفعول به على السّعة. ﴿ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ إلا: أداة حصر، وأن يؤذن: المصدر استثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي: لا تدخلوها في

حال من الأحوال إلا حال كونكم مأذوناً لكم، واختار الزمخشري أن يكون استثناءً مفرغاً من أعم الظروف، أي: لا تدخلوها في وقت من الأوقات إلا وقت أن يؤذن لكم، وليس اختياره ببعيد. ويؤذن: فعل مضارع مبني للمجهول، ولكم: متعلقان بيؤذن، وكذلك قوله: إلى طعام؛ لتضمن يؤذن معنى الدعاء، واختار السمين أيضاً أن يكون المصدر في موضع نصب بنزع الخافض، أي: إلا بسبب الإذن لكم، وتكون الباء للسببية، وغير ناظرين: حال من لا تدخلوا، وقع الاستثناء على الظرف والحال معاً، كأنه قيل: لا تدخلوا بيوت النَّبيِّ إلا وقت الإذن، ولا تدخلوها إلا غير ناظرين، وإناه: أي نضجه، فهو مفعول به لناظرين، وهم قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله، فيدخلون، ويقعدون منتظرين لإدراكه.

﴿ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾
الواو: عاطفة، ولكن: حرف استدراك مخفف مهمل، وإذا: ظرف مستقبل، وجملة دعيتم: في محل جر بإضافة الظرف إليها، فادخلوا: الفاء: رابطة، وادخلوا: فعل أمر، وفاعل، فإذا: الفاء: عاطفة، وجملة طعمتم: مضاف إليها الظرف ، فانتشروا: جواب إذا، ولا مستأنسين: الواو: عاطفة ولا: نافية، ومستأنسين: معطوف على غير ناظرين، وقيل: هو معطوف على حال مقدرة، أي: لا تدخلوها هاجمين، ولا مستأنسين، واختار الزمخشري وغيره: أنه مجرور عطفاً على ناظرين. ولحديث: متعلقان بمستأنسين، فاللام: للعلة، أي: مستأنسين لأجل أن يحدث بعضكم بعضاً، ويجوز أن تكون لتقوية العامل، أي: ولا مستأنسين حديث أهل البيت وغيرهم.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾
الجملة تعليل للنهي، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وذلكم: اسمها، وجملة كان يؤذي النبي: خبرها، والإشارة إلى المكث واللبث، وجملة يؤذي النبي: خبر كان، فيستحيي: عطف على يؤذي، ومنكم: متعلقان به، ولابد

من تقدير مضاف، أي: من إخراجكم، والواو: حالية، أو: استئنافية، والله: مبتدأ، وجملة لا يستحيي من الحق: خبره، والمراد بالحق: الإخراج. وسيأتي معنى هذا المثل في باب البلاغة. ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف لما يستقبل من الزمن، وجملة سألتموهن: في محل جر بإضافة الظرف إليها، فاسألوهن: الفاء: رابطة، واسألوهن: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، ومتاعاً: مفعول به ثان لسأل، ومن وراء حجاب: متعلقان باسألوهن. ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ اسم الإشارة: مبتدأ، أي: ما ذكر من عدم الدخول بغير إذن، وعدم الاستئناس للحديث، وسؤال المتاع من وراء حجاب. وأطهر: خبر، ولقلوبكم: متعلقان بأطهر، وقلوبهن: عطف على قلوبكم.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا﴾ الواو: استئنافية، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، ولكم: خبرها المقدم، وأنْ، وما في حيزها: مصدر مؤول في محل رفع اسمها المؤخر، ورسول الله: مفعول به، ولا أن تنكحوا: عطف على أن تؤذوا، وأزواجه: مفعول به، ومن بعده: حال، وأبداً: ظرف. ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ إنَّ، واسمها، والإشارة: إلى ما ذكر من إيذائه، ونكاح أزواجه من بعده، وجملة كان: خبر إنَّ، واسم كان: مستتر، وعظيماً: خبر، وعند الله: متعلق بمحذوف حال.

□ البلاغة:

المجاز في قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ وعلاقة هذا المجاز: السببية؛ لأن من استحيا من شيء تركه عادة، والكلام جار مجرى المثل ليكون تأديباً يتعظ به الثقلاء، وما أجمل قول عائشة: حسبك في الثقلاء: أن الله تعالى لم يحتملهم.

﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ

فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ إن: شرطية، وتبدوا: فعل الشرط، والواو: فاعل، وشيئاً: مفعول به، أو تخفوه: عطف على تبدوا، وهو فعل، وفاعل، ومفعول به، فإن الله: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وإنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها، وبكل شيء: متعلقان بعليماً، وعليماً: خبر كان. ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ ﴾ لا: نافية للجنس، وجناح: اسم لا، وعليهن: خبرها، وفي آبائهن: حال؛ أي: لا إثم عليهن في أن لا يحتجبن من هؤلاء ﴿ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ﴾ عطف على ما تقدم، ومعنى قوله: ولا نسائهن؛ أي: ولا جناح على زوجات النبي في عدم الاحتجاب عن نسائهن؛ أي: النساء المسلمات. ﴿ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴾ الواو: عاطفة، واتقين: فعل أمر معطوف على محذوف؛ أي: امتثلن ما أمرتن به، واتقين الله، على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وسيأتي سر هذا الالتفات في باب البلاغة، ونون النسوة، ولفظ الجلالة: مفعول به، وإن، واسمها، وجملة كان، واسمها المستتر، وخبرها: في محل رفع خبر إنَّ.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتشريفه صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً. وإنَّ، واسمها، وملائكته: عطف على الله، وجملة يصلون على النبي: خبر إنَّ. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ تسليماً: مصدر مؤكد.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ : الجلابيب: الملاحف، والواحد: جلباب، قالت امرأة من هذيل ترثي قتيلاً:

تمشي النُّسورُ إليه وهي لاهيةٌ
مَشْيَ العذارى عليهنَّ الجلابيبُ

وقال أبو الطيب:

من الجآذر في زيِّ الأعاريبِ
حمر الحلى والمطايا والجلابيبِ

وفي القاموس وغيره: الجلباب، والجلبّاب بتشديد الباء الأولى: وهو القميص أو الثوب الواسع. وفي الكشاف: الجلباب: ثوب واسع، أوسع من الخمار، ودون الرداء، تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها.

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة يؤذون الله ورسوله: صلة، ومعنى إيذاء الله ورسوله: فعل ما يسخطهما، وجملة لعنهم الله: خبر إنَّ، وفي الدنيا والآخرة: متعلقان

بلعنهم. ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ عطف على جملة الخبر، وعذاباً: مفعول أعد، ولهم: متعلقان بأعد. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ الذين: مبتدأ، وجملة يؤذون المؤمنين والمؤمنات: صلة، وبغير: متعلقان بيؤذون، وما: موصولة، أو: مصدرية، وعلى كلٍّ فهي أو المصدر مضافان إلى غير. ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ الفاء: رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وقد: حرف تحقيق، واحتملوا: فعل، وفاعل، والجملة: خبر الذين، وبهتاناً: مفعول احتملوا، وإثماً: عطف على بهتاناً، ومبيناً: صفة. ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لأمر المستهدفات للأذى بفعل ما يبعد الأذى عنهن من التستر. ولأزواجك: متعلقان بقل، وما بعده: عطف عليه.

﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ جملة يدنين: مقول القول محذوف، يدل عليه جوابه، أي: قل لهن: أدنيه، ويحتمل أن يكون مجزوماً بجواب الأمر، وجوزوا أن يكون يدنين بمعنى: ليدنين، فهو مجزوم بلام الأمر، ويكون هذا هو المقول، وقد تقدم في الرعد بحث نظيره مفصلاً، فارجع إليه. وعليهن: حال، ومن جلابيبهن: متعلقان بيدنين؛ على أنه مفعوله، قال الزمخشري: فإن قلت: ما معنى من في جلابيبهن؛ قلت: هو للتبعيض؛ إلا أن معنى التبعيض محتمل وجهين، أحدهما: أن يتجلببن ببعض ما لهن من الجلابيب، والمراد ألا تكون الحرة مبتذلة في درع وخمار، كالأمة، والماهنة، ولها جلبابان فصاعداً في بيتها، والثاني: أن ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع حتى تتميز من الأمة. وقوله: الماهنة مؤنث الماهن، وهو: الخادم. وذلك: مبتدأ، وأدنى: خبر، وأن يعرفن: المصدر المؤول نصب بنزع الخافض، أي: أقرب إلى أن يعرفن، والفاء: عاطفة، ولا: نافية، ويعرفن: فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة، وهو معطوف على أن يعرفن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الواو: عاطفة، وكان، واسمها، وخبراها.

﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَٱلْمُرْجِفُونَ ﴾ : قال في الأساس: وأرجفوا في المدينة بكذا: إذا أخبروا به؛ على أن يوقعوا في الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم. وهذا من أراجيف الغواة، والإرجاف مقدمة الكون، وتقول: إذا وقعت المخاويف كثرت الأراجيف. وجاء في غيره مانصه: أرجف: خاض في الأخبار السيئة والفتن: قصد أن يهيج الناس، وأرجف القوم بالشيء وفيه: خاضوا فيه، وأرجفت الريح الشجر: حركته، وأُرْجفت الأرض ـ بالبناء للمجهول ـ: زلزلت، وأصل الإرجاف: التحريك مأخوذ من الرجفة، وهي: الزلزلة، ووصفت به الأخبار الكاذبة؛ لكونها متزلزلة غير ثابتة.

وسمِّي البحر رجَّافاً لاضطرابه، ومنه قول الشاعر:

المطعمون اللحم كلَّ عشيةٍ حتى تغيب الشمسُ في الرَّجافِ

﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ : قال في الأساس واللسان: لعنه أهله: طردوه، وأبعدوه، وهو لعين طريد، وقد لعن الله إبليس: طرده من الجنة، وأبعده من جوار الملائكة، ولعنت الكلب والذئب: طردتهما، ويقال للذئب: اللعين، ولعّنه، وهو مُلَعّن: مكثّر لعنه، وتلاعن القوم، وتلعّنوا، والتعنوا، والتعن فلان: لعن نفسه، ورجل لُعْنَة، ولُعَنة، كضُحْكة وضُحُكة، ولا تكن لعّاناً: طعّاناً، ولاعن امرأته، ولاعن القاضي بينهما، ووقع بينهما اللعان،

وتلاعنا، والتعنا، ومن المجاز: أبيت اللعن، وهي تحية الملوك في الجاهلية، أي: لا فعلت ما يستوجب به اللعن، وفلان ملعّن القدر، قال زهير:

ومرهَّق النِّيران يُحْمَدُ في اللأ   واءِ غيـــر ملعَّـــن القـــدر

ونصب اللعين في مزرعته، وهو الفزّاعة، والشجرة الملعونة: كل من ذاقها لعنها وكرهها.

﴿ثُقِفُوٓاْ﴾: وجدوا، وأدركوا. وفي الأساس: وطلبناه فثقفناه في مكان كذا، أي: أدركناه، وثقفت العلم، أو الصناعة في أوحى مدة: إذا أسرعت أخذه، وغلام ثقِف لقِف، وثَقْف لَقْف، وقد ثقُف ثَقافة، وثاقفه مثاقفة: لاعبه بالسلاح، وهي محاولة أخذ الغرَّة في المسايفة وغيرها، وفلان من أهل المثاقفة، وهو مثاقف: حسن الثقافة بالسيف بالكسر، ولقد تثاقفوا فكان فلان أثقفهم، وخلّ ثَقيف، وثِقِّيف، وفي كتاب العين: ثَقيف، وقد ثقُف ثَقافة، ومن المجاز: أدَّبه، وثقَّفه، ولولا تثقيفك وتوقيفك لما كنت شيئاً، وهل تهذبت وتثقفت إلا على يدك. وعبارة القاموس: ثقف، ككرم، وفرح، ثقْفاً، وثَـقَافة: صار حاذقاً، خفيفاً، فطناً، فهو ثَقْف، كحَبْر، وكتف، وأمير.

○ الإعـراب:

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ اللام: موطئة للقسم، وإن: شرطية، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وينته: فعل مضارع مجزوم بلم، وهو بمثابة فعل الشرط، والمنافقون: فاعله، والذين: عطف على المنافقون، وفي قلوبهم: خبر مقدم، ومرض: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: صلة الموصول. ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ والمرجفون: عطف أيضاً، فاستوفى به الأوصاف الثلاثة لشيء واحد، فقد كانوا أقساماً ثلاثة: فمنهم المنافقون، وأهل الفجور مرضى القلوب، والمرجفون بأخبار السوء عن سرايا رسول الله، أو: هو عام في كل إرجاف

وتأليف لأخبار السوء. وفي المدينة: متعلقان بالمرجفون، واللام واقعة في جواب القسم، وجواب الشرط: محذوف دل عليه جواب القسم، ونغرينك: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: مستتر تقديره: نحن، والكاف: مفعول به، وبهم: متعلقان بنغرينك.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وإنما أوثر حرف العطف الدال على التراخي؛ لأن الجلاء عن الأوطان كان أعظم عليهم من جميع ما أصيبوا، فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه، وفيه إشارة إلى أن من توجه عليه إخلاء منزل مملوك للغير بوجه شرعي يمهل ريثما ينتقل بنفسه ومتاعه وعياله برهة من الزمان، حتى يتحصل له منزل آخر على حسب الاجتهاد. ولا: نافية، ويجاورونك: فعل مضارع معطوف على نغرينك، فهو مرفوع، وعلامة رفعه: ثبوت النون، والواو: فاعله، والكاف: مفعوله، وفيها: متعلقان بمحذوف حال، وإلا: أداة حصر، وقليلاً: ظرف زمان متعلق بيجاورونك، أو: مصدر، أي: إلا جواراً أي: زمناً قليلاً، ريثما يرتحلون، ويلتقطون أنفسهم وعيالاتهم ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ ملعونين: حال من مقدر حذف هو وعامله، أي: ثم يخرجون، أو: من فاعل يجاورونك، وقد دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معاً، كما في قوله: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ وقال الزمخشري: ولا يصح أن ينتصب عن أخذوا؛ لأن ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها، وقيل في قليلاً: هو منصوب على الحال أيضاً، ومعناه: لا يجاورونك إلا أقلاء أذلاء ملعونين. وأجاز الكسائي والفراء أن ينتصب عن أخذوا؛ لأنهما يجيزان تقديم معمول الجواب على أداة الشرط، نحو: خيراً إن تأتيني تصب. وأينما: اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية المكانية، وهو متعلق بأخذوا، أي: بجوابه، وثقفوا: فعل ماض مبني للمجهول، وهو في محل جزم فعل

الشرط، وأخذوا: فعل ماض مبني للمجهول أيضاً، وهو جواب الشرط، وقتلوا: فعل ماض مبني للمجهول، وتقتيلاً: مفعول مطلق.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ سنة الله: في موضع نصب على المصدرية، أي: أنه مصدر مؤكد، أي: سنَّ الله في الذين ينافقون أن يقتلوا حيثما ثقفوا، وفي الذين: حال، وجملة خلوا: صلة، ومن قبل: متعلقان بخلوا، ولن: الواو: عاطفة، ولك أن تجعلها حالية، ولن: حرف نفي ونصب واستقبال، وتجد: فعل مضارع منصوب بلن، ولسنة الله: متعلقان بتبديلاً، وتبديلاً: مفعول به. ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لحكاية حال المستهزئين من المشركين واليهود الذين كانوا يسألون النبي عن الساعة استعجالاً بطريق الاستهزاء. ويسألك: فعل مضارع، ومفعول به مقدم، والناس: فاعل، وعن الساعة: متعلقان بيسألك. ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، وعلمها: مبتدأ، وعند الله: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر. ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ الواو: عاطفة، وما: اسم استفهام للإنكار مبتدأ، وجملة يدريك: خبره، ولعلَّ، واسمها، وجملة تكون: خبرها، والجملة معلقة بالاستفهام، فهي في محل نصب مفعول ثان، وقريباً: خبر تكون على أن الموصوف محذوف، أي: شيئاً قريباً، وقُلْ: قريباً؛ كثر استعماله استعمال الظروف، فهو هنا ظرف في موضع الخبر، وقد أشار الزمخشري إلى الوجهين بقوله: قريباً: شيئاً قريباً، أو لأن الساعة في معنى اليوم، أو في زمان قريب.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ

ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ سَادَتَنَا ﴾ : جمع تكسير على وزن فَعَلَة بفتحتين، وهو شائع في وصف لمذكر عاقل صحيح اللام، نحو: كامل، وكملة، وساحر، وسحرة، وسافر، وسفرة، وبار، وبررة، قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ ﴾ ﴿ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ فخرج بالوصف الاسم، نحو: وادٍ، وباز، وبالتذكير، نحو: حائض، وطالق، وبالعقل، نحو: سابق، ولاحق، صفتي فرسين، وبصحة اللام، نحو: قاض، وغاز، فلا يجمع شيء من ذلك على فعلة بفتحتين باطراد، وشذَّ في غير فاعل، نحو: سيد، وسادة، فوزنها: فعلة، ويجوز أن يكون جمعاً لسائد، نحو: فاجر، وفجرة، وكافر، وكفرة وهو أقرب إلى القياس كما رأيت، على أن صاحب القاموس لم يلتزم بالقاعدة، فقال: والسائد: السيد، أو دونه، والجمع: سادة، وسيايد، وقرأ ابن عامر ساداتنا، فجمعه ثانياً بالألف والتاء، وهو غير مقيس أيضاً.

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة لعن الكافرين: خبرها، وأعد: عطف على لعن، ولهم: متعلقان بأعدَّ، وسعيراً: مفعول به، والسعير: النار المسعورة الشديدة الإيقاد، ولذلك أعاد الضمير عليها مؤنثة. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ حال من الكافرين، وفيها: متعلقان بخالدين، وأبداً: ظرف زمان متعلق بخالدين أيضاً، وجملة لا يجدون: حال ثانية، وولياً: مفعول يجدون، ولا نصيراً: عطف على ولياً. ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ يوم: ظرف زمان متعلق بيقولون، أو: متعلق بمحذوف تقديره اذكر، وعلقه أبو البقاء بقوله: لا يجدون، أو: بنصيراً، وجملة تقلب في محل جر بإضافة الظرف إليها، وهو فعل مضارع مبني للمجهول،

ووجوههم: نائب فاعل، وفي النار: متعلقان بتقلب، وجملة يقولون: إما مستأنفة، وإما حالية من ضمير وجوههم، أو من نفس الوجوه، وسيأتي في باب البلاغة سر تخصيص الوجوه، ومعنى تقليبها، ويا: حرف تنبيه، أو: حرف نداء، والمنادى: محذوف، وليت، واسمها، وجملة أطعنا الله: خبرها، وأطعنا الرسولا: عطف على أطعنا الله.

﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لامتهاد العذر لأنفسهم، ولك أن تعطفه على يقولون؛ على طريق العدول عن المضارع إلى الماضي؛ للدلالة على أن قولهم هذا ليس مستمراً كقولهم السابق، بل هو ضرب من الاعتذار غير الوارد، وغير المقبول. وربنا: منادى مضاف، وإنَّ، واسمها، وجملة أطعنا سادتنا وكبراءنا: خبرها، فأضلونا: عطف على أطعنا، وأضلونا: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به أول، والسبيلا: مفعول به ثان، يقال: ضل السبيل، وأضله إياه، وزيادة الألف لإطلاق الصوت؛ جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر، وفائدتها الوقف والإشارة إلى أن الكلام قد انقطع، وأن وما بعده مستأنف.
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴾ آتهم: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، وضعفين: مفعول به ثان، ومن العذاب: صفة لضعفين، والعنهم: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، ولعناً مفعول مطلق، وكبيراً: نعت للعناً.

□ البلاغـة:

في قوله: ﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ ﴾ تخصيص الوجوه بالذكر؛ لإنافة الوجه على جميع الأعضاء، وهو مثابة المقابلة، ومعنى تقليبها: تصريفها في الجهات المختلفة، كاللحم يشوى في النار، أو: توضع في ماء القدر وهو يغلي، فيترامى بها الغليان إلى كل جانب.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ

عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَجِيهًا ﴾: الوجيه: سيد القوم، ذو الجاه، والوجاهة، يقال: وجه الرجل، يوجه، وجاهة، فهو وجيه.

﴿ سَدِيدًا ﴾: صواباً يقال: سدّ، يسدّ، من باب: ضرب: صار سديداً، والسداد: بفتح السين: القصد إلى الحق، والقول بالعدل، أما السداد بالكسر فكل شيء سددت به شيئاً، وذلك مثل سداد القارورة وسداد الثغر، وجاء في أخبار النحويين: أن النضر بن شميل المازني استفاد بإفادة هذا الحرف ثمانين ألف درهم، قال: كنت أدخل على المأمون في سمره، فدخلت ذات ليلة، وعليّ قميص مرقوع، فقال: يا نضر! ما هذا التقشف حتى تدخل على أمير المؤمنين بهذه الخلقان؟! فقلت: يا أمير المؤمنين! أنا شيخ ضعيف، وحرُّ مروٍ شديدٌ، فأبترد بهذه الخلقان. قال: لا، ولكنك قشف، ثم أجرينا الحديث، فأجرى هو ذكر النِّساء، فقال: حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ إذا تزوج الرجل الزوجة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز، فأورده بفتح السين. قال: فقلت: صدق يا أمير المؤمنين هشيم، حدثنا عوف بن أبي جميلة، عن الحسن، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد من عوز. قال: وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال: يا نضر! كيف قلت سِداد؟ قلت: لأن السَّداد هنا

لحن. قال: أو تلحنني؟ قلت: إنما لحن هشيم، وكان لحّانة، فتبع أمير المؤمنين لفظه. قال: فما الفرق بينهما؟ قلت: السداد بالفتح: القصد في الدين، والسبيل، وبالكسر: البلغة، وكل ما سددت به شيئاً فهو سدادة. قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم! هذا العرجي يقول:

أضاعوني وأيَّ فتىً أضاعوا ليومِ كريهةٍ وسِدادِ ثَغْر

فقال المأمون: قبَّح الله من لا أدب له. وأطرق ملياً، ثم قال: ما مالك يا نضر؟! قلت: أريضة لي بمرو أتمزّزها، قال: أفلا نفيدك مالاً معها؟ قلت: إني إلى ذلك لمحتاج، قال: فأخذ القرطاس، وأنا لا أدري ما يكتب، ثم قال: كيف تقول إذا أمرت أن يترب؟: أترب، قال: فهو ماذا؟ قلت: مترب، قال: فمن الطين؟ قلت: طنه، قال: فهو ماذا؟ قلت: مطين، قال: هذه أحسن من الأولى، ثم قال: يا غلام! أتربه وطنه. ثم صلى بنا العشاء، وقال لخادمه: تبلغ معه إلى الفضل بن سهل. قال: فلما قرأ الفضل الكتاب قال: يا نضر! إن أمير المؤمنين قد أمر لك بخمسين ألف درهم، ثم أمر لي الفضل بثلاثين ألف، فأخذت ثمانين ألف درهم بحرف استفيد مني. هذا وقد نظم بعضهم هذا الفرق بين الفتح والكسر مع ذكر الضم بقوله:

والاستقامة هي السَّد وبلغة من عيشٍ السِّداد
وجمع سُدَّة أتى سُداد وهي زكامٌ مانعٌ للنشر

وقال في القاموس: السُّداد: داء في الأنف يمنع تنشم الريح.

﴿وَأَشْفَقْنَ﴾: خفن.

○ الإعراب:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ﴾ لا: ناهية وتكونوا: فعل مضارع ناقص مجزوم بلا، والواو: اسمها: وكالذين: خبرها على أن الكاف اسم بمعنى مثل، والذين: مضاف إليه، ويجوز أن تكون جارة، والجار والمجرور: خبر تكونوا، وجملة آذوا موسى: صلة. قيل: إنَّهم

قرفوه بعيب في جسده من برص، أو أدرة، وسيأتي حديث مسلم بهذا الصدد في باب الفوائد. ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ الفاء: عاطفة، وبرأه الله: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، ومما: يجوز أن تكون ما موصولة، أو: مصدرية، أي: من الذي قالوه، أو: من قولهم، وعلى كلٍّ هو متعلق ببرأه، والواو: عاطفة، وكان: فعل ماض ناقص، واسمها: مستتر، تقديره: هو، يعود على موسى، وعند الله: متعلق بوجيهاً، ووجيهاً: خبر كان. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير ما تقدم، واتقوا الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعوله، وقولوا: فعل أمر، وفاعل، وقولاً: مفعول مطلق، وسديداً: نعت.

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ جزم يصلح جواباً للطلب، ولكم: متعلقان بيصلح، وأعمالكم: مفعول به، وجملة ويغفر لكم ذنوبكم: عطف على الجملة السابقة. ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الواو: استئنافية، ومَنْ: اسم شرط جازم مبتدأ، ويطع الله: فعل الشرط، فقد: الفاء رابطة للجواب لاقترانه بقد، وفاز: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو يعود على مَنْ، وفوزاً: مفعول مطلق، وعظيماً: نعت، والجملة في محل جزم جواب الشرط. ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ﴾ كلام مستأنف، مسوق للتنويه بشأن الأمانة، وتفخيم أمرها، وسيأتي مزيد بسط فيها في باب البلاغة، وإنَّ، واسمها، وجملة عرضنا: خبرها، والأمانة: مفعول عرضنا وعلى السموات: متعلقان بعرضنا، وما بعده: عطف على السموات. ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ الفاء: عاطفة، وأبين: فعل ماض، وفاعل، وأن، وما في حيزها: مفعول أبين، وأشفقن: عطف على أبين، ومنها: متعلقان بأشفقن. ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ الواو: عاطفة، وحملها: فعل ماض، ومفعول به مقدم، والإنسان: فاعل مؤخر، وإنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها،

وظلوماً: خبرها الأول، وجهولاً: خبرها الثاني.

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ اللام: متعلقة بحملها، وقيل: بعرضنا، فاللام للتعليل على طريق المجاز؛ لأن التعذيب نتيجة حمل الأمانة، ويعذب: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والله: فاعل، والمنافقين: مفعول به، وما بعده عطف عليه. ﴿ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ويتوب الله: عطف على يعذب الله، وعلى المؤمنين: متعلقان بيتوب، والمؤمنات: عطف على المؤمنين، وكان، واسمها، وخبراها.

□ **البلاغة:**

التمثيل:

في قوله ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ . . . الخ فن التمثيل، والمراد بالأمانة: الطاعة عامة، ولا مجال لتخصيصها، وعرضها على السموات والأرض والجبال تمثيل، فهي استعارة تمثيلية، وقد سبق القول فيها، ولكن عبد القاهر جعل فرقاً بين الاستعارة والتمثيل، فهو يفرق أول ما يفرق بينهما بأن الاستعارة تكون في لفظ ينقل عن أصله اللغوي، ويجري على ما لم يوضع له من أجل شبه ما نقل إليه، وما نقل عنه، فإذا قلت: رأيت أسداً، تريد به الرجل الشجاع؛ كانت الاستعارة في كلمة الأسد، أما التمثيل: فهو التشبيه المنتزع من مجموع أمور لا تحصل إلا بجملة من الكلام، أو أكثر، وقد تجد الألفاظ في الجمل التي يعقد منها جارية على أصولها وحقائقها في اللغة، هذا ويقوم التمثيل هنا على ما هو متخيل في الذهن، فإن عرض الأمانة على الجماد وإباءه وإشفاقه محال في نفسه، غير مستقيم، فالمشبه به إذاً غير معقول، ولكنك تتخيل حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على السموات والأرض والجبال؛ لأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، والأمانة التي هي الطاعات كأنها راكبة للمؤمن، وهو حاملها، ألا تراهم يقولون: ركبته الديون، ولي عليه حق، فإذا أداها لم تبق

راكبةً له، ولا هو حاملاً لها، ونحوه قولهم: لا يملك مولى لمولى نصراً، يريدون: أنه يبذل النصرة له، ويسامحه بها، ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل، على حد قول القطامي، وقيل ذي الرمة:

أخوك الذي لا تملكُ الحسَّ نفسهُ
وترفضُّ عند المحفظاتِ الكتائفِ

أي: لا يمسك الرقة والعطف إمساك المالك الضنين ما في يده، بل يبذل ذلك ويسمح به، وحسّ له حساً: رقّ، وعطف، والحس أيضاً: العقل، والتدبير، والنظر في العواقب، والارفضاض من الترشرش، والتناثر. واحفظه، إحفاظاً، فالمحفظات: المغضبات، والكتائف: جمع كتيفة، وهي الضغينة، والسخيمة، والحقد. يقول: هو أخوك الذي لا تملك نفسه الرحمة، بل يبذلها لك، أو لا تقدر نفسه على التدبر بالتأني كي يسرع إليك بغتة، وترتعد، وتذهب ضغائنه من جهتك عند الأمور المغضبة لك لأنها تغضبه أيضاً.

* الفوائد:

هذه الآيات نزلت في شأن زيد وزينب، وما راج فيه من قالة الناس، وما أرجف به بعض المرجفين. وقيل في أذى موسى أقوال شتى، روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوءة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده، فقالوا: والله ما منع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، قال: فذهب يوماً يغتسل، فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، قال: فجعل موسى عليه السلام يعدو أثره، يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سوءة موسى، فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر حتى نظروا إليه. قال: فأخذ ثوبه، فاستتر به، وطفق بالحجر ضرباً. قال أبو هريرة: والله! إنَّ به ندباً ستة أو سبعة من ضرب موسى، وفي القاموس: الندبة: أثر الجرح الباقي على الجلد، والجمع: ندب، مثل شجرة، وشجر، وأنداب،

وندوب. والأدرة بضم الهمزة، وسكون الدال المهملة، وراء مفتوحة: مرض تنتفخ منه الخصيتان، وتكبران جداً لانصباب مادة أو ريح غليظ فيهما، ورجل آدر بالمد، كآدم: به أدرة.

* * *

سُورَةُ سَبَإٍ

آياتها ٥٤ — ترتيبها ٣٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ
ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ
وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾
وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَعْزُبُ﴾: في المصباح: وعزب الشيء من بابي قتل وضرب: غاب وخفي. وفي الأساس: يقال: عزب عنه حلمه، وأعزب حلمه، كقولك أضل بعيره، وأعزب الله عقلك، وروض عازب، وعزيب، ومال عَزَب،

وجَشَرٌ، ولا يكون الكلأ العازب إلا بفلاة حيث لا زرع، وفلان معزاب، ومعزابة، لمن عزب بإبله، ويقال: عزب ظهر المرأة: إذا أغابت، ومن المستعار قول النابغة:

وصــدرٍ أراحَ الليــلُ عــازبَ همِّــه
تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ

ولك أن تقول: امرأة عَزَبة، والمعزابة: الذي طالت عزوبته، وتمادت. ويقال: ليس لفلان امرأة تعزبه؛ أي: تذهب بعزوبته. وفي القاموس: العَزَب محركة: من لا أهل له، كالمِعزابة، والعزيب. ولا تقل: أعزب، أو قليل جمعه: أعزاب، وهي عَزَبة، وعَزَب، والاسم: العُزبة، والعزوبة بضمتين، والفعل: كنصر، وتعزّب: ترك النكاح، والعزوب: الغيبة، يعزُب، ويعزِب، والذهاب. ومن غريب أمر العين والزاي أنهما إذا كانتا فاء وعيناً للكلمة دلت على معنى الذهاب، والبعد، والانفراد، والغلبة، وفي الحديث: من قرأ القرآن في أربعين ليلة فقد عزّب، أي: أبعد العهد بأوله. وعز الرجل: صار عزيزاً؛ أي: أبعد عن غيره بصفاته، حتى سما عليهم، وعز الشيء: قلّ، فكاد لا يوجد. وعز عليّ أن أسوءك؛ أي: اشتد، وغلب، وتقول للرجل: أتحبني؟ فيقول: لعزَّ ما، ولشدَّ ما، واستعزَّ به المرض، أي: غلب، واشتد. وتعزز لحم الناقة: اشتد، وصلب، ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي: قوينا، وعُزِّز بهم؛ أي: شُدد عليهم، ولم يرخَّص، ومنه: حديث عمر رضي الله عنه: أن قوماً اشتركوا في صيد فقالوا له: أعلى كلِّ واحدٍ منا جزاء، أم جزاءٌ واحد؟ فقال: إنه لمعزَّز بكم إذاً، بل عليكم جزاء واحد. وعزف عن الشيء: عافه، وزهد فيه، والعزف: صوت الرياح، وصوت الدف، تقول: فلان ألهاه ضربه المعازف عن ضروب المعازف، وسلكت مفازة فيها للجن عزيف. وعزله، يعزله، من باب: ضرب؛ عن كذا: نحاه عنه، وعزل فلاناً عن منصبه: نحاه عنه، وصرفه، وتقول: مالي أراك في معزل عن أصحابك؟ وأنا بمعزل عن هذا الأمر، واعتزلت الباطل، وتعزلته، قال الأحوص:

يـا بيـتَ عـاتكـةَ الـذي أتعـزلُ حذرَ العِدا وبه الفؤادُ موكلُ

وأعوذ بالله من الأعزل على الأعزل، أي: من الرجل الذي لا سلاح معه على الفرس المعوج العسيب، فهو يميل ذنبه إلى شق. قال امرؤ القيس:

ضليـعٌ إذا استـدبـرتـه سـدَّ فـرجَـه
بضـافٍ فـويـقَ الأرضِ لَيْسَ بـأعْـزَلِ

واعتزم الفرس في عنانه: إذا مرّ جامحاً لا ينثني، قال:

سبوحٌ إذا اعتزمت في العنان مَـرُوحٌ ململمـة كـالحجـر

وعزمت على الأمر، واعتزمت عليه، ولا يكون ذلك إلا عن شدة، وغلبة، وهو عِزْهَاةٌ عن اللهو والنساء: إذا لم يردهنّ، وابتعد عنهنَّ، قال:

إذا كنت عزهاةً عن اللهوِ والصّبا
فكنْ حَجَراً من يابسِ الصَّخْر جُلْمُدا

وعزا الشيء، أو فلاناً إلى فلان: نسبه، ورفعه إليه، وإن فلاناً ليعزى إلى الخير، ويعتزي إليه، وهذا الحديث يُعزى إلى رسول الله ﷺ، ورأيتهم حوله عزين، أي: جماعات. وهذا من أسرار لغتنا الشريفة.

﴿رِّجْزٍ﴾: بكسر الراء، وضمها: العذاب، أو سيئه، والإثم، والذنب، والقذر.

○ الإعـراب:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الحمد: مبتدأ، ولله: خبره، والذي: نعت، وله: خبر مقدم، وما: مبتدأ مؤخر، وفي السموات: صلة، وما في الأرض: عطف على ما في السموات. ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الواو: عاطفة، وله: خبر مقدم، والحمد: مبتدأ مؤخر، وفي الآخرة: حال، وهو: مبتدأ، والحكيم: خبر أول، والخبير: خبر ثان. ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ لك أن تجعلها جملة خبرية، فتكون خبراً ثالثاً لهو، كأنها تفصيل لبعض ما يحيط به علمه تعالى من الأمور

المتعلقة بمصالح العباد الدينية والدنيوية، ولك أن تجعلها حالاً مؤكدة، ولك أن تجعلها مستأنفة مسوقة لتقرير ما تقدم. ويعلم: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: مستتر، تقديره: هو يعود على الله تعالى، وما: مفعول به، وجملة يلج: صلة، وفي الأرض: متعلقان بيلج، وما يخرج: عطف على ما يلج في الأرض. ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ﴾ عطف على ما تقدم، وضمن العروج معنى الاستقرار، فعدّاه بفي دون إلى. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ الواو: استئنافية، وقال الذين: فعل، وفاعل وجملة كفروا: صلة، ولا: نافية، وتأتينا الساعة: فعل مضارع، ومفعول به، وفاعل، وقل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وبلى: حرف جواب لاثبات النفي، أي: ليس الأمر إلا إتيانها، وربي: الواو: حرف قسم وجر، وربي مجرور بواو القسم، أكد إيجاب النفي بما هو الغاية في التأكيد والتشديد، وهو القسم بالله عز وجل، واللام: جواب للقسم، وتأتينكم: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والكاف: مفعول به، وهو تأكيد ثالث.

﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ عالم: صفة لربي، أو: بدل، ويجوز أن يرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أو: مبتدأ، وخبره: جملة لا يعزب، وقد قرىء بهما، وجملة لا يعزب: إما خبر، أو: حال، وعنه: متعلقان بيعزب، ومثقال ذرة: فاعل، وفي السموات: حال، ولا في الأرض: عطف على في السموات. ﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ الواو: عاطفة، ولا: نافية، وأصغر من ذلك: مبتدأ، ومن ذلك: خبر، ولا أكبر: عطف على ولا أصغر، وإلا: أداة حصر، وفي كتاب مبين: خبر أصغر، ولك أن تنسق الكلام، فتعطف ولا أصغر على مثقال، ويكون في كتاب: في محل نصب على الحال، والأول أولى. ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ ليجزي: اللام: للتعليل، ويجزي:

فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجارّ والمجرور: متعلقان بتأتينكم، كأنه علة وبيان لما يقتضيه إتيانها، أو: بقوله: لا يعزب، فكأنه قال: يحصي ذلك ليجزي، والذين: مفعول به، وجملة آمنوا: صلة الذين، وعملوا الصالحات: عطف على آمنوا، وأولئك: مبتدأ، ولهم: خبر مقدم، ومغفرة: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: خبر أولئك، ورزق: عطف على مغفرة، وكريم: صفة.

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ الواو: إما عاطفة، فيكون الذين: منسوقاً على ما قبله، أي: ويجزي الذين سعوا، ويجوز أن تكون استئنافية، فيكون الذين: مبتدأ، وجملة سعوا: صلة، وفي آياتنا: متعلقان بسعوا على تقدير مضاف، أي: في إبطال آياتنا بالطعن فيها، أو وصفها بالسحر والشعر، وغير ذلك، ومعاجزين: حال، قال الراغب: أصل معنى العجز: التأخر، لكون المتأخر خلف عجز السابق، أو عنده، ثم تعورف فيما هو معروف ظاهراً، فالمراد هنا بالمعاجزة: التأخر المسبوق بتقدم السابق، ومعنى المفاعلة غير مقصود هنا، إذ المقصود: السبق، وعدم قدرة غيرهم عليهم لغلبتهم، وذلك كله بناء على مزاعمهم الفاسدة، وأهوائهم المتخيلة. وأولئك: مبتدأ، ولهم: خبر مقدم، وعذاب: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: مستأنفة على الوجه الأول، أو: خبر الذين على الوجه الثاني، ومن رجز: صفة لعذاب، وأليم: صفة ثانية. ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ ويرى: في موضع الرفع على أنه مستأنف، أو: في موضع النصب، فهو منسوق على يجزي، والذين: فاعل يرى، وجملة أوتوا العلم: صلة، والذي: مفعول يرى الأول، لأنها قلبية، وجملة أنزل: صلة، وإليك: متعلقان بأنزل، ومن ربك: حال، أو: متعلقان بأنزل أيضاً، وهو ضمير فصل لا محل له، والحق: هو المفعول الثاني ليرى.

﴿ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ ويهدي: عطف على الحق، وساغ

العطف لأن الفعل في تأويل الاسم، كأنه قيل: وهادياً، ولك أن تجعل الواو حالية، والجملة في محل نصب على الحال، ويجوز أن تكون مستأنفة، وفاعل يهدي: ضمير مستتر، يعود على الذي أنزل إليك، وإلى صراط: متعلقان بيهدي، والعزيز: مضاف إلى صراط، والحميد: نعت.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ التعبير بالجملة الاسمية يفيد الاستمرار والثبوت، والحمد لغة: الوصف بالجميل الاختياري على قصد التعظيم، والوصف لا يكون إلا باللسان، فيكون مورده خاصاً، وهذا الوصف يجوز أن يكون بإزاء نعمة وغيرها، فيكون متعلقه عاماً، والشكر اللغوي على العكس، لكونه فعلاً ينبىء عن تعظيم المنعم من حيث أنه منعم على الشاكر، فيكون مورده اللسان والجنان والأركان، ومتعلقه النعمة الواصلة إلى الشاكر، فكلٌ منهما أعم وأخص من الآخر بوجه، ففي الفضائل حمد فقط، وفي أفعال القلب والجوارح شكر فقط، وفي فعل اللسان بإزاء الإنعام حمد وشكر.

٢ ـ شكر المنعم واجب أم لا:

قال الأشاعرة: شكر المنعم ليس بواجب أصلاً، ومثلوها بتمثيل، فقالوا: ليس مثله إلا كمثل الفقير حضر مائدة ملك عظيم يملك البلاد شرقاً وغرباً، ويعم البلاد وهباً ونهباً، فتصدق عليه بلقمة خبز، فطفق يذكره في المجامع، ويشكره عليها بتحريك أنملته دائماً لأجله، فإنه يعد استهزاء بالملك، فكذا هنا بل اللقمة بالنسبة إلى الملك وما يملكه أكثر مما أنعم الله به على العبد بالنسبة إلى الله، وشكر العبد أقل قدراً في جنب الله من شكر الفقير بتحريك أصابعه. وقالت المعتزلة: التمثيل المناسب للحال أن يقال: إذا كان في زاوية الخمول، وهاوية الذهول رجل أخرس اللسان، مشلول اليدين والرجلين، فاقد السمع والبصر، بل جميع الحواس الظاهرة والمشاعر الباطنة، فأخرجه الملك من تلك الهاوية، وتلطف عليه باطلاق

لسانه، وإزالة شلل أعضائه، ووهب له الحواس، لجلب المنافع، ودفع المضار، ورفع رتبته على كثير من أتباعه وخدمه، ثم إن ذلك الرجل بعد وصول تلك النعم الجليلة إليه، وفيضان تلك التكريمات عليه، طوى عن الشكر ذلك الملك كشحاً، وضرب عنه صفحاً، ولم يظهر منه ما ينبىء عن الاعتناء بشيء، من غير فرق بين وجودها وعدمها، فلا ريب أنه مذموم بكل لسان، مستحق للإهانة والخذلان.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ۝٨ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٩﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ الواو: استئنافية، وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة كفروا: صلة؛ أي: قال بعضهم لبعض، وهل: حرف استفهام، وندلكم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وعلى رجل: متعلقان بندلكم، والمراد به: محمد ﷺ، وسيأتي سر تنكيره في باب البلاغة، وجملة ينبئكم: صفة لرجل، وإذا: ظرف مستقبل متعلق بمحذوف، تقديره: تبعثون: أو: تحشرون خلقاً جديداً، ولا يجوز تعليقه بينبئكم؛ لأن التنبئة لم تقع ذلك الوقت، ولا بمزقتم؛ لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، ولا بجديد؛ لأن إنَّ ولام الابتداء يمنعان من ذلك؛ لأن لهما الصدر، وأيضاً: فالصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف، ولا يسوغ أن يقال: قدرها خالية من معنى الشرط، فتغني عن جوابها، وتكون معمولة لما قبلها،

وهو: قال، أو: ندلكم، أو: ينبئكم؛ لأن هذه الأفعال لم تقع وقت التمزيق فلا تكون إذا ظرفاً لها؛ إذ لا يقال لهم بعد تمزيقهم، وإنما وقعت حال حياتهم، وكان الرجل من الكفار يقول لأصحابه استهزاءً بالنبي ﷺ: هل أدلكم على رجل... الخ. ومزقتم: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء: نائب فاعل، وكل ممزق: مفعول مطلق؛ لأن كلَّ بحسب ما تضاف إليه، وقد أضيفت إلى ممزق، وهو مصدر ميمي بمعنى تمزيق، وأجاز الزمخشري أن يكون اسم مكان، قال: فإن قلت قد جعلت الممزَّق مصدراً كبيت الكتاب:

ألم تعلم مسرحي القوافي فلا عيابهن ولا اجتلابا

فهل يجوز أن يكون مكاناً؟ قلت: نعم، ومعناه: ما حصل في بطون الطير، وما مرت به السيول، فذهبت به كل مذهب، وما سفته الريح، فطرحته في كل مطرح. وعلى هذا يكون كلَّ ظرف مكان. ﴿إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إنَّ، وما بعدها: سدت مسد مفعولي ينبئكم، وإنما كسرت همزتها لدخول اللام المزحلقة في خبرها، وإن، واسمها، واللام المزحلقة المؤكدة، وفي خلق: خبر إن، وجديد: صفة خلق، وهو فعيل بمعنى فاعل، وقيل: بمعنى مفعول. ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾ الهمزة: للاستفهام، واستغنى بها عن همزة الوصل في التوصل للنطق بالساكن، وعلى الله: متعلقان بافترى، وكذباً: مفعول افترى، وأم: حرف عطف معادل لهمزة الاستفهام، وبه: خبر مقدم، وجنة: مبتدأ مؤخر؛ أي: جنون. ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ بل: حرف عطف وإضراب، والذين: مبتدأ، وجملة لا يؤمنون: صلة، وبالآخرة: متعلقان بيؤمنون، وفي العذاب: خبر مبتدأ، والضلال: عطف على العذاب، والبعيد: نعت للضلال، وسيأتي معنى هذا النعت في باب البلاغة.

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتهويل ما اجترؤوا عليه، وقالوه، والهمزة: للاستفهام

الإنكاري، والفاء: عاطفة على محذوف يقدر بحسب المقام، أي: أعموا فلم يروا، أو أن الهمزة مقدمة على حرف العطف، وقد تقدم تقرير هذا، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويروا: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه: حذف النون، والواو: فاعل، وإلى ما: متعلقان بيروا، والظرف: متعلق بمحذوف صلة ما، وأيديهم مضاف إليه، وما خلفهم: عطف على ما بين أيديهم، ومن السماء: حال، والأرض: عطف على السماء.

﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ إن: شرطية، ونشأ: فعل الشرط، ونخسف: جوابه، وبهم: متعلقان بنخسف، والأرض: مفعول به، وأو: حرف عطف، ونسقط: عطف على نخسف، وعليهم: متعلقان بنسقط، وكسفاً: مفعول به، ومن السماء: صفة لكسفاً. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ إنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وآية: اسمها المؤخر، ولكل عبد: صفة لآية، ومنيب: صفة لعبد.

□ **البلاغة:**

المجاز العقلي في قوله: ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ لأن البعد وصف الضال إذا بعد عن الجادة المستقيمة، وكلما أوغل في البعد عنها أوغل في الضلال.

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ

رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَوِّبِي﴾ : فعل أمر من التأويب، والأوب، أي: رجعي معه التسبيح، أو: راجعي معه في التسبيح؛ لأنه إذا رجعه فقد رجع فيه.

﴿سَٰبِغَٰتٖ﴾ : دروعاً واسعة ضافية.

﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ : السرد: نسج الدرع، قال في الأساس: سرد النعل وغيرها: خرزها، قال الشماخ يصف حمراً:

شككنا بأحساءِ الذِّنابِ على هوى
كما تابعتْ سردَ العِنانِ الخوارزُ

أي: تتابعن على هوى الماء. وثقب الجلد بالمسرد والسِّراد، وهو الأشفى الذي في طرفه خرق، وسرد الدِّرع: إذا شك طرفي كل حلقتين، وسمرهما، ودرع مسرودة، ولبوس مُسرَّد. وقال أبو الطيب يصف قميصه:

مفرشي صهوةُ الحصانِ ولكنْ
قميصي مسرودةٌ مِنْ حَديدِ

المسرودة: المنسوجة من الحديد، وهي الدروع. ومعنى التقدير في السرد: أي: لا تجعل المسامير دقاقاً فتقلق، ولا غلاظاً فتفصم الحلق، والمراد: جعل السرد على قدر الحاجة، وذهب الخطيب في تفسيره مذهباً طريفاً قال: قوله تعالى: ﴿وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ﴾ أي: إنك غير مأمور به أمر إيجاب، وإنما هو اكتساب، والكسب يكون بقدر الحاجة، وباقي الأيام والليالي للعبادة، فقدر في ذلك العمل، ولا تشتغل جميع أوقاتك بالكسب، بل حصل فيه القوت فحسب. ولكن سياق الحديث يبعد هذا التأويل؛ لأنه في صدد الحديث عن الدروع، ونسجها، وإحكامها وتقدير صنيعها. وفي المختار: سرد الدرع: أي نسجها، وهو إدخال الحلق بعضها في بعض، يقال: سرد الدرع سرداً، من باب: نصر.

﴿غُدُوُّهَا﴾: سيرها غدوة، وهي ما بين الفجر وطلوع الشمس، يقال: غدا، يغدو، غدواً: ذهب غدوة، ويستعمل بمعنى صار، فيرفع المبتدأ، وينصب الخبر.

﴿وَرَوَاحُهَا﴾: سيرها في الرواح؛ أي: العشي.

﴿ٱلْقِطْرِ﴾: بكسر القاف، النحاس المذاب، وسيأتي سر تسميته بعين القطر في باب البلاغة.

﴿مَّحَـٰرِيبَ﴾: المحاريب: المساكن والأبنية الشريفة المصونة عن الابتذال، سميت محاريب؛ لأنه يذب عنها، ويحارب عليها، ثم نقل إلى الطاق التي يقف الإمام فيها، وهي ما أحدث في المساجد، والمفرد: محراب.

﴿وَتَمَـٰثِيلَ﴾: جمع تمثال، وهو الصورة المصوَّرة، أو هو ما تصنعه وتصوره مشبهاً بخلق الله من ذوات الروح والصورة، روي: أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه، ونسرين فوقه، فإذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما، وإذا قعد أظله النسران بأجنحتهما.

﴿وَجِفَانٍ﴾: جمع جفنة، وهي: القصعة الكبيرة.

﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ جمع جابية، وهي: الحوض الكبير، وسمي جابية؛ لأن الماء يجبى فيه؛ أي: يجمع، قال الأعشى يمدح المحلق:

نفى الذمَّ عن آل المحلَّق جفنةٌ
كجابيةِ الشَّيخ العراقيِّ تفهقُ

الجفنة: قصعة الثريد، والجابية: الحوض يجبي الماء؛ أي: يجمعه إلى الحوض، والسيح: الماء الكثير الجاري، وفهق، يفهق، كفرح، يفرح: اتسع وامتلأ حتى يتصبب، قيل: كان يقعد على الجفنة ألف رجل.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾: القدور: جمع قدر بكسر القاف، وهو إناء يطبخ فيه، وراسيات: ثابتات لها قوائم، لا تتحرك عن أماكنها.

○ الإعـراب:

﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ﴾ الواو: استئنافية، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وآتينا داود: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، ومنا: متعلقان بآتينا، أو بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لفضلاً، وفضلاً: مفعول به ثان. ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ جملة النداء: معمول قول محذوف، أي: وقلنا، وأجاز الزمخشري أن تكون بدلاً من فضلاً، ويا: حرف نداء، وجبال: منادى نكرة مقصودة، وأوّبي: فعل أمر مبني على حذف النون، والياء: فاعل، ومعه: ظرف مكان متعلق بأوّبي، والطير: عطف على محل جبال، وهو النصب، وقرىء بالرفع عطفاً على اللفظ، وسيأتي حكم المنسوق على المنادى في باب الفوائد، وألنّا: عطف على آتينا، وألنّا: فعل ماض، وفاعل، وله: متعلقان بألنّا، والحديد: مفعول به. ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ ﴾ أن: مصدرية، مؤولة بما بعدها بمصدر منصوب بنزع الخافض؛ أي: لأن اعمل، واختار أبو البقاء أن تكون مفسرة، وتبعه الجلال، وهذا مردود؛ لأن شرط أن المفسرة أن يتقدم عليها ما هو بمعنى القول دون حروفه، وقدر بعضهم فعلاً فيه معنى القول، فقال: التقدير: أمرناه أن اعمل، وسابغات: صفة لمفعول به محذوف، أي: دروعاً سابغات، والسابغات: الكوامل الواسعات، وقدر: فعل أمر، وفي السرد: متعلقان بقدر.

﴿ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ واعملوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، وصالحاً: مفعول به، أو: صفة لمفعول مطلق محذوف؛ أي: اعملوا عملاً صالحاً، وإنَّ، واسمها، وبما تعملون: متعلقان ببصير، وبصير: خبر إن. ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ ﴾ الواو: عاطفة، ولسليمان: متعلقان بالفعل المحذوف، أي: وسخرنا لسليمان الريح، فالريح: مفعول للفعل المحذوف، وذلك على قراءة النصب، وعلى قراءة الرفع، هي مبتدأ مؤخر، ولسليمان: خبر مقدم،

وجملة غدوها شهر المؤلفة من المبتدأ والخبر: حال من الريح، وقيل: هي مستأنفة، وجملة ورواحها شهر: عطف عليها. ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ عطف على سخرنا المقدرة، وأسلنا: فعل ماض، وفاعل، وله: متعلقان بأسلنا، وعين القطر: مفعول به. ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ لك أن تعلق من الجن بفعل مقدر، تقديره: وسخرنا له، فتكون مَنْ: مفعولاً به للفعل المقدر، ولك أن تجعل الجار والمجرور خبراً مقدماً، فتكون مبتدأ مؤخراً، وجملة يعمل: صلة، وبين يديه: الظرف متعلق بيعمل، وبإذن ربه: متعلقان بمحذوف حال. ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ الواو: عاطفة، ومَنْ: اسم شرط جازم مبتدأ، ويزغ: فعل الشرط، ومنهم: حال، وعن أمرنا: متعلقان بيزغ، ونذقه: فعل الشرط، وفعل الشرط وجوابه: خبر المبتدأ، ومن عذاب السعير: متعلقان بنذقه.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ الجملة: بدل من يعمل لتفصيل ما ذكر من عملهم، وله: متعلقان بيعملون، وما: مفعول به، وجملة يشاء: صلة، ومن محاريب: في موضع الحال من مفعول يشاء المحذوف؛ أي: يشاؤه، ومنعت محاريب من الصرف؛ لأنها جمع على صيغة منتهى الجموع، وتماثيل: عطف على محاريب، وجفان: عطف أيضاً، وكالجواب: صفة لجفان، وحذفت ياء الجواب في خط القرآن، وقدور راسيات: عطف أيضاً. ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ كلام مستأنف، مسوق للمنة على آل داود، واعملوا: فعل أمر، وفاعل، وآل داود: منادى محذوف منه حرف النداء، وشكراً: مفعول لأجله، أي لأجل الشكر، وقيل: مصدر من معنى اعملوا؛ كأنه قيل: اشكروا شكراً، أو: على الحال؛ أي: شاكرين، وأجاز الزمخشري أن ينتصب باعملوا مفعولاً به، ومعناه: إنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم، فاعملوا أنتم شكراً، على طريق المشاكلة، والواو: حالية، وقليل: خبر مقدم، والشكور: مبتدأ مؤخر، ومن عبادي: صفة لقليل.

* الفوائـد :

لتابع المنادى أقسام أربعة :

١ ـ ما يجب نصبه مراعاة لمحل المنادى، وهو ما اجتمع فيه أمران، أحدهما: أن يكون التابع نعتاً، أو بياناً، أو توكيداً، والثاني: أن يكون التابع مضافاً مجرداً من أل.

٢ ـ ما يجب رفعه مراعاة للفظ المنادى وهو تابع؛ أي: وتابع اسم الإشارة.

٣ ـ ما يجوز رفعه ونصبه، وهو نوعان، أحدهما: النعت المضاف المقرون بأل، والثاني: ما كان مفرداً من نعت، أو بيان، أو توكيد، أو كان معطوفاً مقروناً بأل، ومنه: الآية التي نحن بصددها.

٤ ـ ما يعطي تابعاً ما يستحقه إذا كان منادى مستقلاً، وهو البدل، والمنسوق المجرد من أل، فيضم إن كان مفرداً، وينصب إن كان مضافاً.

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

☆ اللغة:

﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾: المنسأة: مفعلة، اسم آلة، وهي العصا، لأنه ينسأ بها، أي: يطرد، ويؤخر، كالمكنسة، والمكسحة، والمقعصة، وقرأ نافع، وأبو عمرو وجماعة: منساته بألف.

○ الإعراب:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾

الفاء: استئنافية، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة متضمنة معنى الشرط، وجملة قضينا: مضاف إليها الظرف على الوجه الأول، ونا: فاعل، وعليه: متعلقان بقضينا، والموت: مفعول به، وما: نافية، ودلهم: فعل ماض، ومفعول به، وعلى موته: متعلقان بدلهم، وإلا: أداة حصر، ودابة الأرض: فاعل دلهم، والجملة: لا محل لها؛ لأنها جواب لما على الوجهين، ودابة الأرض: هي الدويبة التي يقال لها: السرقة، فأضيفت إليه، يقال: أرضت الخشبة أرضاً: إذا أكلتها الأرضة، وجملة تأكل منسأته: حال من دابة الأرض. ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: تقدم القول فيها قريباً، وخرَّ: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، يعود على سليمان، وجملة تبينت الجن: جواب لما، لا محل لها، وأنْ: مخففة من الثقيلة، واسمها: ضمير الشأن، ولو: شرطية، وجملة كانوا: خبر أن، وأنْ، وما في حيزها: بدل اشتمال من الجن، على حد قولك: تبين زيد جهله، وقدره أبو البقاء بدلاً من محذوف؛ أي: تبين أمر الجن، وهو أنهم لو كانوا يعلمون الغيب، وأجاز أيضاً أن يكون موضع أن وصلتها: النصب، أي: تبينت الجن جهلها، ولا مانع من هذين التقديرين، وجملة يعلمون الغيب: خبر كانوا، وجملة ما لبثوا: لا محل لها؛ لأنها جواب لو، وفي العذاب: متعلقان بلبثوا، والمهين: صفة للعذاب.

* **الفوائد:**

أفاض المفسرون في الحديث عن قصة وفاة سليمان مما يخرج بنا عن نطاق كتابنا، ولكننا نورد بعضاً مما قيل في دابة الأرض لعلاقته باللغة، ويتلخص مما أوردوه: أن فيها وجهين: أظهرهما ما قدمناه في باب البلاغة، من أنها الدويبة التي تأكل الخشب، وفي القاموس والتاج: والدابة: ما دبّ من الحيوان، وغلب على ما يركب، ويقع على المذكر، ودابة الأرض: من أشراط الساعة، أو: أولها، تخرج بمكة من جبل الصفا

ينصدع لها والناس سائرون إلى منى، ومن الطائف، أو بثلاثة أمكنة ثلاث مرات، معها عصا موسى، وخاتم سليمان عليهما السلام، تضرب المؤمن بالعصا، وتطبع وجه الكافر بالخاتم، فينتقش فيه: هذا كافر. والثاني: أن الأرض مصدر قولك: أرضت الدابة الخشبة، تأرضها، أرضاً بفتح عين المصدر، وقد قرأ بها ابن عباس، والعباس بن الفضل، وقد تقدم البحث في حركة عين فعل ثلاثي، فجدد به عهداً.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿الْعَرِمِ﴾: لم نجد كلمة اختلف فيها المفسرون كهذه الكلمة، ولذلك سنورد ما نختاره من أقوال، ثم نعمد إلى الترجيح بينها؛ ونبدأ بما ذكره صاحب القاموس، قال في مادة عرام: عرام الجيش: حدتهم، وشدتهم، وكثرتهم، ومن العظم والشجر: العُراق، وما سقط من قشر العوسج، ومن الرجل: الشراسة، والأذى، عرم: كنصَر، وضرَب، وكرُم، وعلم، عَرامة، وعُراماً بالضم، فهو عارم، وعرم: اشتد، والصبي علينا: أشِر، ومَرِح، أو: بطر، أو: فسد، ويوم عارم: نهاية في البرد، وعرم العظم: نزع ما عليه من لحم، كتعرّمه، والصبي أمه: رضعها، والإبل الشجر: نالت

منه، وفلاناً: أصابه بعرام، وعرم العظم، كفرح: فتر، والعرم محركة، والعُرمة بالضم: سواد مختلط ببياض في أي شيء كان، أو هو تنقيط بهما من غير أن تتسع كل نقطة، وبياض بمرمة الشاة، وهو أعرم، وهي عرماء، وبيض القطا عُرْم، والعرماء: الحية الرَّقشاء، والأعرم: المتلون، والأبرش، والقطيع من ضأن ومعزى، والأقلف، والجمع: عُرمان، وجمع الجمع: عرامين، والعَرَمة محركة: رائحة الطبيخ، والكُدسُ المدوس لم يُذَرَّ، ومجتمع الرمل، وأرض صلبة تتاخم الدّهناء، ويقابلها عارض اليمامة، وكفرحه: سد يعترض به الوادي، والجمع: عَرِم، أو: هو جمع بلا واحد، أو: هو الأحباس تبنى في الأودية، والجرذ الذكر، والمطر الشديد، وواد، وبكل فسر قوله تعالى: ﴿ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾ واختار الجلال أن يكون العرم: جمع عرمة، وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته، وهذا ما نعبر عنه اليوم بالسدود، وهو أولى ما تفسر به الآية، وقد يحدث تصدع السدود وانهيارها بأسباب مختلفة.

﴿ ذَوَاتَىْ ﴾: مثنى ذوات، أو: ذات، ولفظ ذوات مفرد؛ لأن أصله ذوية، فالواو: عين الكلمة، والياء: لامها؛ لأنه مؤنث ذو، وذو: أصله ذوي، فلما تحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فصار ذوات، ثم حذفت الواو تخفيفاً، فعندما يراد تثنيته يجوز أن ينظر للفظه، فيقال: ذاتان ويجوز أن ينظر إلى أصله، فيقال: ذواتان.

هذا؛ وذات: مؤنث ذو، ومثناها: ذواتان، والجمع: ذوات، ويعرب المؤنث والمثنى والجمع إعراب نظيره من الأسماء المفردة، والمثناة، والمجموعة، يقال: لقيته ذات يوم، أو: ذات ليلة، أو: ذات مرة، أي: يوماً ما، ومرة ما، وكان ذلك ذات العويم؛ أي: السنة الماضية، وجلس ذات اليمين؛ أي: عن اليمين، ولقيته أول ذات يدين؛ أي: بادىء بدء، وذات الصدر: الفكر، أو: السر، وذات اليمين: أي جهتها، وذات البين: الحال، يقال: أصلحوا ذات بينكم؛ أي: حالكم التي تجتمعون عليها،

وذات شفة: كلمة، يقال: كلمته فماردّ عليّ ذات شفة، وذات اليد: ما تملكه، يقال: قلَّت ذات يده، أي: ما ملكت يده، ويقال: ألقت الدجاجة ذات بطنها، أي: باضت، أو: سلحت، وذات الجنب عند الأطباء: التهاب يحدث في غلاف الرئة، فيحدث منه سعال، وحمى، ونخس في الجنب، وذات الرئة، وذات الصدر، وذات الكبد: علل فيها، والذات أيضاً: ما يصلح لأن يعلم، ويخبر عنه، وذات الشيء: نفسه، وعينه، وجوهره، واسم الذات عند النحاة: ما علق على ذات كالرجل، والأسد، ويقابله اسم المعنى، كالعلم، والشجاعة، والذوات عند المولدين: أكابر القوم.

﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: الأكل بضمتين، وبضم فسكون: الثمر، أو: ما يؤكل، والخمط: المرُّ، والحامض، يقال: خمر خمْطة: حامضة، ولبن خامض: قارص متغير، وفي المختار: الخمط: ضرب من الأراك له حمل يؤكل. وعن أبي عبيدة: كل شجر ذي شوك. وقال الزجاج: كل نبت أخذ طعماً من مرارة حتى لا يمكن أكله.

﴿وَأَثْلٍ﴾: الأَثْلَة: السمرة، وقيل: شجر من العضاه طويلة مستقيمة الخشبة، تعمل منها القصاع، والأقداح، فوقعت مجازاً في قولهم: نحت أثلته: إذا تنقّصه، وفلان لا تنحت أثلته، قال الأعشى:

ألستَ منتهياً عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنا وَلَسْتَ ضَائِرَها ما أطَّت الإبلُ

ولفلان أثلة مال، أي: أصل مال، ثم قالوا: أثَّلت مالاً، وتأثلته، وشرف مؤثَّل، وأثيل.

﴿سِدْرٍ﴾: السدر: شجر النبق يطيب أكله، ولذا يغرس في البساتين، وقيل: إنَّ السدر صنفان: صنف يؤكل ثمره، وينتفع بورقه في غسل الأيدي، وصنف له ثمرة غضة لا تؤكل أصلاً، وهو الضال.

○ الإعراب:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾ اللام: جواب القسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وكان: فعل ماض ناقص، ولسبأ: خبرها المقدم، وفي مسكنهم: حال من سبأ؛ أي: حال كونهم في مسكنهم، وآية: اسم كان المؤخر، وقد تقدم القول مفصلاً في سبأ في سورة النمل، فجدد به عهداً. ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ جنتان: بدل من آية، أو: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: الآية جنتان، وعن يمين وشمال: صفة لجنتان، ويبدو أن في بمعنى عند، فإن المساكن محفوفة بالجنتين، لا مظروفة لهما. ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ الجملة مقول قول محذوف، أي: وقيل لهم بلسان الحال، أو بلسان المقال، وكلوا: فعل أمر، وفاعل، والمراد بهذا الأمر: الإباحة، ومن رزق ربكم: متعلقان بكلوا، وبلدة: خبر لمبتدأ محذوف، يعني: هذه البلدة بلدة طيبة، وطيبة: صفة، ورب غفور: عطف على ما تقدم، أي: وربكم الذي رزقكم، وطلب شكركم رب غفور. ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ الفاء: عاطفة، وأعرضوا: فعل ماض وفاعل، ومتعلقه محذوف؛ أي: عن شكره، فأرسلنا: عطف على فأعرضوا، وعليهم: متعلقان بأرسلنا، وسيل العرم: مفعول به.

﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ وبدلناهم: الواو: عاطفة، وبدلناهم: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وبجنتيهم: متعلقان ببدلناهم، وجنتين: مفعول به ثان، وذواتي: صفة، وأكل: مضاف إليه، وخمط: صفة، كأنه قيل: أكل بشع، وقرىء بالإضافة، وعبارة أبي البقاء: أكل خمط: يقرأ بالتنوين، والتقدير: أكل أكل خمط، فحذف المضاف، لأن الخمط شجر، والأكل ثمره، وقيل: التقدير: أكل ذي خمط، وقيل: هو بدل منه، وجعل خمط أكلاً لمجاورته إياه، وكونه سبباً له، ويقرأ بالإضافة، وهو ظاهر. وأثل: عطف على أكل، وشيء: عطف أيضاً، ومن سدر: صفة لشيء، وقليل: صفة ثانية. ﴿ذَٰلِكَ

﴿جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ ذلك: مفعول ثان لجزيناهم مقدم عليه؛ لأنه ينصب مفعولين؛ أي: جزيناهم ذلك التبديل، وجزيناهم: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به أول، وبما: متعلقان بجزيناهم، والباء: للسببية، وما: مصدرية، أي: بسبب صبرهم، وهل: حرف استفهام بمعنى النفي، ونجازي: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، وإلا: أداة حصر، والكفور: مفعول به.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ الواو: عاطفة، وجعلنا: فعل، وفاعل، وبينهم: الظرف متعلق بمحذوف مفعول به ثان لجعلنا، وبين القرى: عطف على بينهم، والتي: صفة للقرى، وجملة باركنا فيها: صلة للموصول، وقرى: مفعول به أول، وظاهرة: نعت، والجملة، معطوفة على ما قبلها عطف قصة على قصة، فقد ذكر أولاً ما أسبغ عليهم من نعمة الجنتين، ثم تبديلهما بما سلف ذكره، ثم جعل بلادهم متفاصلة متشتتة؛ بعد أن كانت متواصلة ملمومة الشمل. ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ وقدرنا: الواو: عاطفة، وقدرنا: فعل ماض، وفاعل، وفيها: متعلقان بقدرنا، أو: بالسير، والسير: مفعول به، وجملة سيروا: في محل نصب مقول قول محذوف، وفيها: متعلقان بسيروا، وليالي وأياماً: ظرفان متعلقان بسيروا أيضاً، وآمنين: حال، ولم يتوجه معنا إعراب القرطبي لليالي وأياماً، فقد قال: إنهما منصوبان على الحال، وسيأتي سر تنكيرهما في باب البلاغة. ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ الفاء: عاطفة، وقالوا: فعل، وفاعل، وربنا: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وباعد: فعل أمر، وبين: ظرف متعلق بباعد، وأسفارنا: مضاف إليه، وظلموا: عطف على فقالوا، وأنفسهم: مفعول، وذلك لأنهم بطروا وبشموا من طيب العيش وبلهنة الحال، فطلبوا الكد والتعب والتنقل في البلاد، فجعلناهم: عطف على ظلموا أنفسهم، وأحاديث: مفعول به ثان لجعلناهم.

﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ ومزقناهم: عطف أيضاً، وكل ممزق: نائب مفعول مطلق؛ أي: فرقناهم تفريقاً لا التئام بعده. قال الشعبي: فلحقت الأنصار بيثرب، وغسان بالشام، والأزد بعمان، وخزاعة بتهامة، فكانت العرب تضرب بهم المثل، فتقول تفرقوا أيادي سبأ، وقد تقدم معنى هذا المثل وإعرابه في النمل، فجدد به عهداً. وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وآيات: اسمها المؤخر، ولكلِّ صبار: صفة لآيات، وشكور: صفة لصبار.

□ البلاغة:

١ ـ المشاكلة:

في قوله: ﴿ جَنَّتَانِ ﴾ فن المشاكلة، وقد تقدم: أنه ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، فقد سمى البدل جنتين للمشاكلة، وفيه نوع من التهكم بهم، قال أبو تمام:

والدَّهرُ ألأم مَنْ شرقت بلؤمه
إلا إذا أشرقتهُ بكريمِ

أي: انتصرت عليه بكريم فقال أشرقته مشاكلة.

٢ ـ التنكير:

وفي تنكير ليالي وأياماً إلماع إلى قصر أسفارهم، فقد كانت قصيرة؛ لأنهم يرتعون في بحبوحة من العيش، ورغد منه، لا يحتاجون إلى مواصلة الكد، وتجشم عناء الأسفار للحصول على ما يرفه عيشهم.

٣ ـ التذييل:

وفي قوله: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم ﴾ . . الآية فن التذييل، وقد تقدم بحثه أيضاً، وهو قسمان. الأول: ما جرى مجرى المثل، وقد تقدم بحثه أيضاً، والثاني: ما لم يخرج مخرج المثل، وهو أن تكون الجملة الثانية متوقفة على الأولى في إفادة المراد؛ أي: وهل يجازى ذلك الجزاء المخصوص،

ومضمون الجملة الأولى: أن آل سبأ جزاهم الله تعالى بكفرهم، ومضمون الثانية: أن ذلك العقاب المخصوص لا يقع إلا للكفور. وفرق بين قولنا: جزيته بسبب كذا، وبين قولنا: ولا يجزي الجزاء إلا من كان بذلك السبب، ولتغايرهما يصح أن يجعل الثاني علة للأول، ولكن اختلاف مفهومهما لا ينافي تأكيد أحدهما بالآخر للزوم معنى.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الواو: عاطفة على ما تقدم، أو: استئنافية، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وصدق: فعل ماض، وعليهم: متعلقان بصدق، وإبليس: فاعله، وظنه: مفعوله، كأنه ظن فيهم أمراً وواعده نفسه، فصدقه، وقرىء: صدق بالتخفيف على المعنى نفسه، فيكون ظنه: منصوباً بنزع الخافض، ويصح أن يكون مفعولاً به أيضاً، وقرىء بنصب إبليس على المفعولية، ورفع ظنه على الفاعلية، وقرىء برفعهما معاً على أن يكون ظنه: بدل اشتمال من إبليس، فاتبعوه: الفاء: عاطفة، واتبعوه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، ويجوز أن يكون الكلام خاصاً، فالضمير يعود على أهل سبأ، وأن يكون عاماً، فالضمير يعود على بني آدم، وإلا: أداة استثناء، وفريقاً: مستثنى، يجوز أن يكون منقطعاً، ويجوز أن يكون متصلاً، ومن المؤمنين: صفة لفريقاً. ﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ الواو: عاطفة،

وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، وله: خبرها المقدم، وعليهم: حال؛ لأنه كان في الأصل نعت لسلطان، ومن: حرف جر زائد، وسلطان: مجرور لفظاً اسم كان المؤخر محلاً.

﴿ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ ﴾ إلا: أداة حصر، واللام: للتعليل، وقيل: للعاقبة، والاستثناء مفرغ من أعم العلل، فهو في محل نصب مفعول لأجله، ونعلم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، ومَنْ: يجوز أن تكون استفهامية، فتسد مسد مفعولي العلم، وتكون في محل رفع مبتدأ، وجملة يؤمن بالآخرة: خبر، ويجوز أن تكون موصولة في محل نصب مفعول نعلم، وهذا أرجح، وجملة يؤمن: صلة، وبالآخرة: متعلقان بيؤمن، وممن: جار ومجرور، متعلقان بنعلم؛ لأنه متضمن معنى نميز، وهو مبتدأ، ومنها: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشك، وفي شك: خبر، والجملة: صلة. ﴿ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ وربك: مبتدأ، وعلى كل شيء: متعلقان بحفيظ، وحفيظ: خبر ربك. ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قل: فعل أمر مبني على السكون، وحرك بالكسر للتخلص من التقاء الساكنين، وجملة ادعوا الذين: مقول القول، وجملة زعمتم، صلة ومن دون الله: صفة للمفعول الثاني المحذوف، والمفعول الأول محذوف أيضاً، تقديره: زعمتوهم آلهة، فحذف الأول لطول الموصول بصلته، وحذف الثاني لقيام صفته ـ أعني: من دون الله ـ مقامه. وهذا من أعجب الكلام، وأوكده، ونحن ننقل لك عبارة الزمخشري بنصها في هذا الصدد، قال: فإن قلت أين مفعولا زعم؟ قلت: أحدهما: الضمير المحذوف الراجع منه إلى الموصول، وأما الثاني: فلا يخلو إما أن يكون من دون الله، أو: لا يملكون، أو: محذوفاً، فلا يصح الأول؛ لأن قولك: هم من دون الله، لا يلتئم كلاماً، ولا الثاني؛ لأنهم ما كانوا يزعمون ذلك، فكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم، وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد، فبقي أن يكون محذوفاً تقديره: زعمتموهم آلهة من دون الله، فحذف الراجع

إلى الموصول، كما حذف في قوله: أهذا الذي بعث الله رسولاً استخفافاً لطول الموصول بصلته، وحذف آلهة؛ لأنه موصوف صفته من دون الله، والموصوف يجوز حذفه، وإقامة الصفة مقامه إذا كان مفهوماً، فإذاً مفعولا زعم محذوفان جميعاً بسببين مختلفين.

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ الجملة: حال من الذين زعمتموهم آلهة، ولك أن تجعلها مستأنفة، مسوقة لبيان حالهم، ولا: نافية، ويملكون: فعل مضارع، وفاعل، ومثقال ذرة: مفعول به، وفي السموات والأرض: متعلقان بيملكون، أو بمحذوف حال. ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، ولهم: خبر مقدم، وفيهما: حال، ومن: حرف جر زائد، وشرك: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر، أو: اسم ما على رأي من يجيز تقدم خبرها على اسمها، والواو: عاطفة أيضاً، وما: نافية، وله: خبر مقدم، ومنهم: حال، ومن ظهير: مبتدأ مؤخر كما تقدم.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾: بالبناء للمجهول، وفزِّع عنه بالتشديد: أذهب عنه الفزع، والفزع بفتحتين: الذعر، والمخافة، والإغاثة، وفي الأساس:

وفزع عن قلبه: كشف الفزع عنه. فالتضعيف هنا للسلب، كما يقال: قرّدت البعير؛ أي: أزلت قراده.

○ الإعراب:

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ الكلام مستأنف، مسوق لبيان المصير الذي لا تنفع فيه شفاعة الشافعين إلا لمن سبق القلم بالإذن له. ولا: نافية، وتنفع الشفاعة: فعل مضارع، وفاعل، وعنده: ظرف متعلق بتنفع، أو: بمحذوف حال، وإلا: أداة حصر، ولمن: متعلقان بالشفاعة؛ إذ يقال: شفعت له، أو: بتنفع، وللزمخشري بحث لطيف في متعلق هذه اللام نورده بنصه قال: تقول: الشفاعة لزيد؛ على معنى: أنه الشافع، كما تقول: الكرم لزيد، وعلى معنى: أنه المشفوع له، كما تقول: القيام لزيد، فاحتمل قوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ أن يكون على أحد هذين الوجهين؛ أي لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له من الشافعين، ومطلقة له، أو: لا تنفع الشفاعة إلا كائنة لمن أذن له، أي: لشفيعه، أو: هي اللام الثانية في قولك: أذن لزيد لعمرو، أي: لأجله، وكأنه قيل: إلا لمن وقع الإذن للشفيع لأجله، وهذا وجه لطيف، وهو الوجه. وأذن: فعل ماض مبني للمعلوم، والفاعل مستتر، يعود على الله، وله: متعلقان بأذن، وقرىء: أُذن بالبناء للمجهول.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ حتى: حرف غاية وجر، والغاية لمحذوف يفهم من سياق الكلام، كأنه قيل: يتربصون، ويتوقفون حائرين، مشدوهين، وجلين، تتفارسهم المخاوف، وتتقاذفهم الشكوك، أيؤذن لهم أم لا، حتى إذا فزع. وفزع بالبناء للمجهول، ونائب الفاعل: هو الجار والمجرور، أي: عن قلوبهم، وقرىء بالبناء للمعلوم، فيتعلق الجار والمجرور به، أي: فزع الله عن قلوبهم. ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ قالوا: جواب إذا، وما: اسم استفهام، وذا: اسم موصول خبر، والجملة: مقول قال مقدم عليه، وقال ربكم: فعل، وفاعل،

والجملة: مقول قالوا الأولى، وقالوا: فعل، وفاعل، والحق: منصوب بقول مقدر؛ أي: قال ربنا القول الحق، ولك أن تعرب القول: مفعولاً مطلقاً، أو مفعولاً به، والحق: صفة، وهو: مبتدأ، والعلي: خبر أول، والكبير: خبر ثان، وهو تتمة كلام الشفعاء. ﴿۞قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ﴾ قل: فعل أمر، والفاعل: مستتر يعود على الرسول تبكيتاً للمشركين، وإلزاماً لهم بالاعتراف بالعجز، ومَنْ: اسم استفهام مبتدأ، وجملة يرزقكم: خبر، ومن السموات: متعلقان بيرزقكم، والأرض: عطف على السموات، وقل: فعل أمر، والله: مبتدأ خبره محذوف؛ أي: الله يرزقنا، أو: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الله.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الواو: عاطفة، وإنَّ، واسمها، أو إياكم: ضمير منفصل معطوف على اسم إنَّ، واللام: المزحلقة، وعلى هدى: خبر إن، وأو: حرف عطف على بابها عند البصريين، وليست للشك، وسيأتي المزيد من بحث هذا التركيب في باب البلاغة، أو في ضلال: عطف على قوله لعلى هدى، ومبين صفة. ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ لا: نافية، وتسألون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، وعما: متعلقان بتسألون، وما: موصولة، أو: مصدرية، وأجرمنا: فعل، وفاعل، ولا نسأل عما تعملون: عطف على لا تسألون عما أجرمنا، وسيأتي المزيد من بحثه أيضاً في باب البلاغة. ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ جملة يجمع: مقول القول، وبيننا: ظرف متعلق بيجمع، وربنا: فاعل يجمع، ثم يفتح بيننا: عطف على ما تقدم، وبالحق: حال، وهو: مبتدأ، والفتاح: خبر أول، والعليم: خبر ثان، ﴿قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أروني: فعل أمر، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، والياء مفعول به أول؛ لأن الرؤية علمية متعدية قبل النقل إلى اثنين، فلما جيء بهمزة النقل تعدت لثلاثة، والذين: اسم موصول مفعول به ثان لأروني،

وجملة ألحقتم: صلة، والعائد: محذوف، أي: ألحقتموهم، وهو المفعول الثاني، وبه: متعلقان بألحقتم، وشركاء: مفعول به ثالث لأروني، ويجوز أن تكون الرؤية بصرية متعدية قبل النقل إلى واحد، فلما جيء بهمزة النقل تعدت لاثنين؛ أولهما: ياء المتكلم، والثاني: الموصول، وشركاء: نصب على الحال من العائد المحذوف، أي: بصروني الملحقين به حال كونهم شركاء، وسيأتي معنى الأمر هنا في باب البلاغة.

﴿كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ كلا: حرف ردع وزجر، وبل: حرف إضراب، وهو: ضمير الشأن مبتدأ، والله: مبتدأ ثان، والعزيز الحكيم: خبراه، والجملة خبر هو، ولك أن تجعل هو ضميراً عائداً على الله، وتعربه مبتدأ، خبره: الله، والعزيز الحكيم: صفتان.

□ البلاغـة:

حفلت هذه الآيات بضروب من البلاغة نوجزها فيمايلي:

١ ـ الفرائد:

في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ فن طريف يسمى فن الفرائد، وهو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من حبِّ العِقْد، وهي الجوهرة التي لا نظير لها؛ بحيث لو سقطت من الكلام لم يسدّ غيرها مسدها، وقد مرت نماذج منها، وفي لفظة ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ من غرابة الفصاحة مالا مزيد عليه. ومن شواهد هذا الفن في الشعر قول أبي تمام:

ومُعْتَـرَكٍ للشـوقِ أهـدى بـه الهـوى
إلى ذي الهوى نجل العيونِ ربائبا

فالفريدة في لفظة معترك، وقد اقتبسها الشيخ عمر بن الفارض فقال:

مـا بَيْـنَ مُعْتَـركِ الأحـداقِ والمُهَـجِ
أنـا القَتِيْـلُ بِـلا إثـمٍ ولا حَـرَجِ

٢ ـ الاستدراج:

في قوله: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ وهو فن يعتبر من البلاغة محورها الذي تدور عليه؛ لأنه يستدرج الخصم، ويضطره إلى الإذعان، والتسليم، والعزوف عن المكابرة، واللجاج؛ فإنه لما ألزمهم الحجة خاطبهم بالكلام المنصف؛ الذي يقول من سمعه للمخاطب به: قد أنصفك صاحبك، ونحوه قول الرجل لصاحبه:

مني ومنك وإن أحدنا لكاذب. ومنه قول الشاعر حسان بن ثابت:

أتهجوهُ ولستَ لَهُ بِكُفْءٍ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكما الفِدَاءُ

وهو من قصيدة طويلة يهجو بها أبا سفيان قبل إسلامه، والهمزة: للاستفهام التوبيخي، والواو: حال، أي: لا ينبغي ذلك، وشر، وخير: من قبيل أفعل التفضيل، واختصا بحذف همزتهما تخفيفاً لكثرة استعمالهما، لكن المراد بهما هنا أصل الوصف، لا الزيادة فيه، والشر أبو سفيان، والجملة دعائية، دعا عليه بأن يكون فداء لرسول الله، وأبرزه في صورة الإبهام لأجل الإنصاف في الكلام، ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا: هذا أنصف بيت قالته العرب.

٣ ـ المخالفة في الحروف:

وفي هذه الآية مخالفة بين حرفي الجر، فإنه إنما خولف بينهما في الدخول على الحق والباطل؛ لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركض به حيث شاء، وصاحب الباطل كأنه منغمس في ظلام منخفض فيه لا يدري أين يتوجه، وهذا معنى دقيق قلّما يراعى مثله في الكلام، وكثيراً ما سمعنا إذا كان الرجل يلوم أخاه، أو يعاتب صديقه على أمر من الأمور، فيقول له: أنت على ضلالك القديم كما أعهدك. فيأتي بعلى في موضع في، وإن كان هذا جائزاً إلا أن استعمال «في» هنا أولى؛ لما

أشرنا إليه، والاستعارة التصريحية واضحة، وقد تقدمت في غير هذا الموضع.

٤ ـ معنى الأمر:

قوله: ﴿أَرُونِيَ﴾ أمرهم بإراءته الأصنام مع كونها بمرأى منه إظهاراً لخطئهم وإطلاعهم على بطلان رأيهم.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الواو: استئنافية، وما: نافية، وأرسلناك: فعل، وفاعل، ومفعول به، وإلا: أداة حصر، وكافة: حال من الكاف في أرسلناك، أو: من الناس، أي: للناس كافة، على رأي من يجيز تقدم الحال على الجار والمجرور، أو: صفة لمصدر محذوف، أي: إرسالة كافة للناس، وسيأتي

المزيد من بحث «كافة» في باب الفوائد، وهو بحث ممتع. وللناس: صفة لكافة، أو: بكافة، وبشيراً ونذيراً: حالان من الكاف، ولكنَّ: حرف مشبه بالفعل، وأكثر الناس: اسمها، وجملة لا يعلمون: خبرها. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ الواو: استئنافية، ويقولون: فعل مضارع، وفاعل، ومتى: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية، وهذا الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهذا: مبتدأ مؤخر، والوعد: بدل، وإن شرطية، وكنتم: فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمها، وصادقين: خبرها، وجواب الشرط: محذوف دل عليه ما قبله. ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ لكم: خبر مقدم، وميعاد يوم: مبتدأ مؤخر، وهو مصدر مضاف إلى الظرف، وجملة لا تستأخرون: صفة ليوم، أو: لميعاد، وعنه: متعلقان بتستأخرون، وساعة: ظرف متعلق بتستأخرون أيضاً، ولا تستقدمون: عطف على: لا تستأخرون.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال الذين: فعل، وفاعل، وجملة كفروا: صلة، ولن: حرف نفي، ونصب، واستقبال، ونؤمن: فعل مضارع منصوب بلن، والجملة: مقول القول، وبهذا: متعلقان بنؤمن، والقرآن: بدل، ولا بالذي: عطف على بهذا القرآن، وبين: ظرف متعلق بمحذوف صلة للذي، ويديه: مضاف إلى الظرف، والمراد بما بين يدي القرآن: ما تقدمه من كتب الله عز وجل. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ لو: شرطية، وترى: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وهو فعل الشرط، والجواب: محذوف، أي: لرأيت العجب العجاب، أو: لرأيت حالاً مذهلة، وإذ: ظرف لما مضى من الزمن متعلق بترى، والظالمون: مبتدأ، وموقوفون: خبر، أي: محبوسون، جمع: موقوف، اسم مفعول من وقف الثلاثي المتعدي، فقد جاء في

المصباح مايلي: وقفت الدابة، تقف، وقفاً، ووقوفاً: سكنت، ووقفتها أنا، يتعدى، ولا يتعدى، ووقفت الرجل عن الشيء وقفاً: منعته عنه. وعند ربهم: ظرف متعلق بموقوفون، وجملة يرجع: حال من ضمير موقوفون، وبعضهم: فاعل، وإلى بعض: متعلقان بيرجع، والقول: مفعول به ليرجع؛ لأنه يتعدى ﴿ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ جملة يقول: مفسرة ليرجع، فلا محل لها، والذين: فاعل يقول، وجملة استضعفوا: صلة، وللذين: متعلقان بيقول، وجملة استكبروا: صلة.

﴿ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴾ لولا: حرف امتناع لوجود، وأنتم: مبتدأ محذوف الخبر وجوباً، أي: موجودون، واللام: رابطة لجواب لولا، وجملة كنا مؤمنين: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وكان، واسمها، ومؤمنين: خبرها. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ﴾ قال الذين: فعل، وفاعل، وجملة استكبروا: صلة، وللذين: متعلقان بقال، وجملة استضعفوا: صلة، وهو بالبناء للمجهول، والجملة: مستأنفة. ﴿ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، كأنهم أنكروا أن يكونوا هم الذين ارتكبوا جريرة صدهم عن الإيمان، ونحن: مبتدأ، وجملة صددناكم: خبر، وعن الهدى: متعلقان بصددناكم، وبعد: ظرف متعلق بمحذوف حال؛ لوقوعه بعد المعرفة، وإذ: ظرف أضيف إلى مثله توسعاً في الظروف، وقيل: إذ: بمعنى أن المصدرية، وهو مفهوم تفسير الزمخشري، وجملة جاءكم: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وبل: حرف إضراب، وعطف، وكنتم: فعل ماض ناقص، والتاء: اسمها، ومجرمين: خبرها. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ﴾ تقدم إعرابها، وأثبتت حرف العطف هنا بينما حذفها في الجملة الآنفة لأنه كلام آخر للمستضعفين ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ بل: حرف إضراب، ومكر الليل: مبتدأ خبره محذوف، أي: مكر الليل والنهار صدنا، أو: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: سبب كفرنا مكر الليل والنهار، وإضافة

المكر إلى الليل والنهار من باب الإسناد المجازي، وقد تقدمت له نظائر، فهو مصدر مضاف لمرفوعه، وقال الزمخشري: ومعنى ﴿ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾: مكركم في الليل والنهار، فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به، وإضافة المكر إليه، أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي. وأصل المكر في كلام العرب: الخديعة والحيلة.

﴿ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ﴾ الظرف: متعلق بمكر، وجملة تأمروننا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وأنْ، وما في حيزها: نصب بنزع الخافض، متعلق بتأمروننا، ونجعل: عطف على نكفر، وله: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأنداداً، وأنداداً: مفعول به، ويجوز أن يكون الجار والمجرور: مفعول نجعل الثاني، وأنداداً: مفعول نجعل الأول. ﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾ الواو: حالية، أو: استئنافية، وأسروا: فعل، وفاعل، والندامة: مفعول به، والضمير راجع إلى الفريقين، أي: أضمر الفريقان الندامة على ما فعلوا من الكفر، وأخفوها عن غيرهم، أو أخفاها كل منهم عن الآخر مخافة الشماتة، ولما: ظرفية حينية متعلقة بأسروا، وجملة رأوا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والعذاب: مفعول به. ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ ﴾ الواو: عاطفة، وجعلنا: فعل، وفاعل، والأغلال: مفعول جعلنا الأول، وفي أعناق الذين كفروا: مفعوله الثاني، والكلام من باب القلب، والأصل: وجعلنا أعناق الذين كفروا في الأغلال. ﴿ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ الجملة: حال من الذين كفروا، وهل: حرف استفهام، والاستفهام بمعنى النفي، ويجزون: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب فاعل، وإلا: أداة حصر، وما: مفعول يجزون الثاني، وجملة كانوا: صلة، وجملة يعملون: خبر كانوا.

* الفوائد:

الأصل في الحال أن تتأخر عن صاحبها، وقد تتقدم عليه جوازاً نحو: جاء راكباً علي، ومنه قول طرفة بن العبد:

فسقى ديارَكَ غيرَ مُفْسِدِها صوبُ الرَّبيع وديمةٌ تهمي

وقد تتقدم عليه وجوباً في موضعين:

١ ـ أن يكون صاحبها نكرة غير مستوفية للشروط نحو: لعليٍّ مهذباً غلام، وقول الشاعر:

لمية موحشاً طللُ يلوحُ كأنَّه خللُ

وقول الآخر:

وفي الجسمِ منِّي بيناً لو علمته
شحوب وإنْ تستشهدي العينَ تشهد

٢ ـ أن يكون محصوراً فيها نحو: ما جاء ناجحاً إلا عليّ، وإنما جاء ناجحاً عليٌّ. تقول ذلك إذا أردت أن تحصر المجيء بحالة النجاح في عليٍّ.

وتتأخر عنه وجوباً في ثلاثة مواضع:

١ ـ أن تكون هي المحصورة، نحو: ما جاء خالد إلا ناجحاً، وإنما جاء خالد ناجحاً. تقول ذلك إذا أردت أن تحصر مجيء خالد في حالة النجاح، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾.

٢ ـ أن يكون صاحبها مجروراً بالإضافة، نحو يعجبني وقوف علي خطيباً، وسرني عملك مخلصاً، أما المجرور بحرف جر أصلي فقد منع الجمهور تقديم الحال عليه، فلا يقال: مررت راكباً بعلي، وأخذت عاثراً بيد خليل. وأجاز الفارسي، وابن كيسان، وابن جني، وغيرهم، التقديم، قال ابن مالك: والتقديم هو الصحيح، لوروده في الفصيح؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ فكافة حال من المجرور وهو الناس، وقد تقدم على صاحبه المجرور، ونحو قول الشاعر:

تسليتُ طرّاً عنكم بعد بينكم
بذكراكم حتَّى كأنَّكم عندي

وقال المانعون: والحق أن هذا البيت ضرورة، أو: طراً حال من عنكم

محذوفة مدلولاً عليها بعنكم المذكورة، وأنَّ كافةً في الآية حال من الكاف في أرسلناك، وأنَّ التاء للمبالغة، لا للتأنيث، قاله الزجاج، وردّه ابن مالك: بأن إلحاق التاء للمبالغة مقصور على السماع، ولا يتأتى غالباً إلا في أبنية المبالغة كعلاقة، و«كافةً» خلاف ذلك.

هذا ولزيادة الفائدة نورد أقوالاً لبعض الأعلام في صدد إعراب «كافةً» قال الزمخشري: ومن جعله حالاً من المجرور متقدماً عليه فقد أخطأ؛ لأن تقدم حال المجرور عليه في الإحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار، وكم نرى من يرتكب مثل هذا الخطأ، ثم لا يكتفي به حتى يضم إليه أن يجعل اللام بمعنى إلى، فيرتكب الخطأين معاً.

وقال أبو علي: وقد جاء تقديم الحال على صاحبها المجرور وعلى ما يتعلق به، وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعلى العامل فيه؛ فتقديمها على صاحبها وحده أجوز.

وقال الفيروزبادي صاحب القاموس: وجاء الناس كافةً؛ أي: كلهم، ولا يقال: جاءت الكافة؛ لأنه لا يدخلها أل، ووهم الجوهري، ولا تضاف. واستدرك عليه شارحه فقال في تاج العروس ما ملخصه: عبارة الجوهري: الكافة: الجميع من الناس، يقال: لقيتهم كافة، أي: كلهم. وهذا كما ترى لا وهم فيه؛ لأن النكرة إذا أريد لفظها جاز تعريفها، وما ذكره المصنف هو الذي أطبق عليه الجمهور، وأورده النووي في التهذيب، وعاب على الفقهاء استعماله بأل، أو: الإضافة، قال شيخنا: ويدل على أن الجوهري لم يرد ما قصده المصنف: أنه إنما مثل بما هو موافق للجمهور، على أن قولهم ذلك رده الشهاب في شرح الدرة، وصحح: أنه يقال وإن كان قليلاً. هذا وقد أطال الشهاب الخفاجي في تصحيح إدخال أل على كافة وإضافتها، وقال شارح اللباب، إنَّه استعمل مجروراً، واستدل له بقول عمر بن الخطاب: قد جعلت لآل بني كاهلة على كافة بيت المسلمين لكل عام مئتي مثقال ذهباً إبريزاً.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٣٦ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ۝٣٧ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسليته ﷺ. وما أرسلنا: فعل، وفاعل، وفي قرية: متعلقان بأرسلنا، ومن: حرف جر زائد، ونذير: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به، وإلا: أداة حصر، وجملة قال مترفوها: حال من قرية وإن كانت نكرة؛ لوقوعها في سياق النفي، ومترفوها: فاعل قال، أي: المتنعمون فيها. ﴿ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ الجملة: مقول قولهم، وإنَّ، واسمها، وبما: متعلقان بكافرون، وما: موصولة، وجملة أرسلتم، صلة، وأرسلتم بالبناء للمجهول، والتاء: نائب فاعل، وبه: متعلقان بأرسلتم، وكافرون: خبر إنَّ، والتقدير: إننا كافرون بالذي أرسلتم به. ﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وقالوا: فعل، وفاعل، ونحن: مبتدأ، وأكثر: خبر: وأموالاً: تمييز، وأولاداً: عطف على أموالاً، وما: حجازية، ونحن: اسمها، والباء: حرف جر زائد، ومعذبين: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما. ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة يبسط الرزق: خبرها، ولمن: متعلقان بيبسط، وجملة يشاء: صلة، ويقدر: عطف على يبسط، ومعناه: يضيقه، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ الواو: حالية، ولكنَّ، واسمها، وجملة لا يعلمون: خبرها، ومفعول يعلمون: محذوف، أي: وجه الحكمة في ذلك، فهو

يبسط الرزق للعاصي بطريق الاستدراج والإملاء، ويقدره على المطيع بطريق الاختبار والابتلاء.

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ﴾ الواو: عاطفة، أو: استئنافية، وما: حجازية، وأموالكم: اسمها، ولا أولادكم: عطف على أموالكم، والباء: حرف جر زائد، والتي: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس، ووصف الأموال والأولاد بالتي؛ لأن جمع التكسير العاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤنثة الواحدة، وجملة تقربكم: صلة، وعندنا: ظرف متعلق بمحذوف حال، وزلفى: مصدر من معنى العامل، فهو مفعول مطلق على المعنى، أي: تقربكم قربة. ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ إلا: بمعنى: لكن، فالاستثناء منقطع؛ لأن الخطاب للكفار، ومن آمن ليس منتظماً في سلكهم، ومَنْ: مستثنى، ويجوز أن يكون متصلاً مستثنى من المفعول في يقربكم، ويجوز أن يعرب مبتدأ، وما بعده: الخبر، وجملة آمن: صلة، وعمل: عطف على آمن، وصالحاً: مفعول به، أو: مفعول مطلق، أي عملاً صالحاً. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ﴾ الفاء: رابطة لما في الموصول من معنى الشرط، وأولئك: اسم إشارة مبتدأ، والإشارة إلى مَنْ، والجمع باعتبار معناها، كما أن إفراد الفعلين باعتبار لفظها، ولهم: خبر مقدم، وجزاء الضعف: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: خبر أولئك، ومعنى جزاء الضعف: أن تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشراً، والإضافة إما من إضافة المصدر إلى مفعوله، أو من إضافة الموصوف إلى صفته، والمعنى على الأول: أن يجازيهم الله الضعف، وعلى الثاني: لهم الجزاء المضاعف، وبما: متعلقان بجزاء، وما: موصولة، أو: مصدرية. ﴿وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ الواو: عاطفة، وهم: مبتدأ، وفي الغرفات: حال، أو: متعلقان بآمنون، وآمنون: خبر هم.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم﴾.. الآية. التفات من الغيبة إلى

الخطاب، والسرُّ فيه المبالغة في تحقيق الخبر، وأن ذلك الذي تسرون به وتحبرون من كثرة الأولاد والأموال لن يجديكم فتيلاً، ولن يقربكم منّا ما دمتم مصرِّين على ما أنتم فيه، مسترسلين في تلبية دواعي الغي والضلال، وفي ذلك إشارة ضمنية إلى إنفاق الأموال في سبيل الله، وأوجه الخير، وتهذيب الأولاد، وتأهيلهم لما يصلح دينهم ودنياهم. والزلفى: القربى، والزلفة: القربة.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ الواو: عاطفة على ما تقدم، والذين: مبتدأ، وجملة يسعون: صلة، وفي آياتنا: متعلقان بيسعون، والسعي فيها بإبطال أحكامها، ومعاجزين: حال؛ أي: مقدرين عاجزين، وقد تقدمت في مكان آخر، وجملة أولئك: خبر الذين، وأولئك: مبتدأ، وفي العذاب: متعلقان بمحضرون، ومحضرون: خبر أولئك. ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ تقدم إعرابها وإنما أعادها لأنها سيقت هنا في شخص واحد؛ بدليل قوله: «له» وما سبق في شخصين، فلا تكرار، وهبه كان تكراراً فهو للتأكيد. ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ يجوز في ما أن تكون شرطية، وهو أظهر في محل نصب مفعول مقدم لأنفقتم، وأنفقتم: فعل الشرط، ومن

شيء: حال، والفاء رابطة للجواب، ويجوز أن تكون موصولة في موضع رفع بالابتداء، ودخلت الفاء على الخبر لما في الموصول من رائحة الشرط، وهو: مبتدأ، وجملة يخلفه: خبر، والجملة الاسمية: إما في محل جزم على أنها جواب الشرط، وإما في محل رفع على أنها خبر، والواو: عاطفة، وهو: مبتدأ، وخير الرازقين: خبر.

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴾ الواو: استئنافية، ويوم: ظرف متعلق باذكر مضمراً، وجملة يحشرهم: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجميعاً: حال، وثم: حرف عطف، ويقول: فعل مضارع مرفوع عطفاً على يحشرهم، وللملائكة: متعلقان بيقول، والهمزة: للاستفهام التقريعي، وهؤلاء: مبتدأ، وإياكم: ضمير منفصل في محل نصب مفعول مقدم ليعبدون، وجملة كانوا: خبر المبتدأ، والواو: اسم كانوا، وجملة يعبدون: خبرها.

﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ ﴾ قالوا: فعل ماض، وفاعل، وسبحانك: مفعول مطلق، وأنت: مبتدأ، وولينا: خبر ومن دونهم: حال. ﴿ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ بل: حرف إضراب، وكانوا: كان، واسمها، وجملة يعبدون: خبرها، والجن: مفعول به، وأراد بالجن الشياطين؛ التي كانت في اعتقادهم تتقمص الأصنام التي يعبدونها، وأكثرهم: مبتدأ، وبهم: متعلقان بمؤمنون، ومؤمنون: خبر، والجملة بدل من جملة يعبدون الجن. ﴿ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ الفاء: استئنافية، واليوم: ظرف متعلق بيملك، ولا: نافية، ويملك: فعل مضارع مرفوع، وبعضكم: فاعل، ولبعض: متعلقان بنفعاً، ونفعاً: مفعول به، ولا ضراً: عطف على نفعاً. ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ الواو: عاطفة، ونقول: فعل مضارع معطوف على لا يملك، وللذين: متعلقان بنقول، وجملة ظلموا: صلة، وذوقوا: فعل أمر، وفاعل، والجملة: مقول القول، وعذاب النار: مفعول به، والتي: صفة

للنار، وجملة كنتم: صلة، والتاء: اسم كان، وبها: متعلقان بتكذبون، وجملة تكذبون: خبر كنتم.

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مِعْشَارَ ﴾: قال في القاموس: والعشير: جزء من عشرة، كالمعشار، والعشر. وتابعه من نقل عنه كالمنجد وغيره، وقال في الكشاف: والمعشار: كالمرباع، وهما: العشر، والربع. وعبارة البحر: المعشار: مفعال من العشر، ولم يبن على هذا الوزن من ألفاظ العدد غيره، وغير المرباع، ومعناها: العشر، والربع. وقال قوم: المعشار: عشر العشر. وقال الماوردي: المعشار هنا: هو عشر العشير، والعشير: هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف. قال: وهو الأظهر؛ لأن المراد به المبالغة في التقليل.

○ **الإعراب:**

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة تتلى: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وهو مبني للمجهول، وعليهم: متعلقان بتتلى، وآياتنا: نائب فاعل، وبينات: حال من آياتنا، والتالي هو النبي ﷺ، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وما: نافية، وهذا: مبتدأ، والإشارة إلى التالي، وهو النبي، وإلا: أداة حصر،

ورجل: خبر هذا، وجملة يريد: صفة لرجل، وأن، وما في حيزها: في محل نصب مفعول يريد، وعما: متعلقان بيصدكم، وجملة كان: صلة، واسم كان: مستتر، تقديره: هو، وجملة يعبد: خبرها، وآباؤكم: فاعل، والمسألة من باب التنازع، وأعمل الثاني لقربه، ولو أعمل الأول لقال: يعبدونه. ﴿وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾ الواو: عاطفة، وقالوا: فعل، وفاعل، وما: نافية، وهذا: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وإفك: خبر، ومفترى: صفة، وسيأتي سر هذا التكرير في باب البلاغة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الواو: عاطفة، وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة كفروا: صلة، وللحق: متعلقان بقال، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة، وجاءهم: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإن: نافية، وهذا: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وسحر: خبر هذا، ومبين: صفة. ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ الواو: عاطفة، ويجوز جعلها حالية، كما سيأتي في حلّ المعنى، وما: نافية، وآتيناهم: فعل، وفاعل، ومفعول به، ومن: حرف جر زائد، وكتب: مجرور لفظاً في محل نصب مفعول ثان لآتيناهم، وجملة يدرسونها: صفة لكتب. ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ عطف على ما تقدم، وإعرابها مماثل للجملة قبلها، والمعنى: انتفاء العذر عن هؤلاء المشركين؛ لأنهم لم يؤتوا كتباً يدرسونها، ولم ترسل إليهم رسل بالنذر، بخلاف أهل الكتاب فإنهم قد يتشبثون بما آتاهم وبما هم عاكفون عليه، فلا يريدون تركه، وإن كان تشبثهم باطلاً، أما هؤلاء فليس لهم أدنى عذر، وليس لهم أي مبرر في جنوحهم إلى التنطع، ولجوئهم إلى التكذيب. ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ الواو: عاطفة، وكذب الذين: فعل، وفاعل، ومن قبلهم: متعلقان بالصلة، والواو: حالية، وما: نافية، وبلغوا: فعل، وفاعل، ومعشار: مفعول به، وما: اسم موصول مضاف إليه، وجملة آتيناهم: صلة.

﴿فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ الفاء: عاطفة، وكذبوا: فعل، وفاعل،

ورسلي: مفعول به، والفاء: عاطفة، وكيف: اسم استفهام خبر مقدم لكان، ونكير: اسمها، واختار البيضاوي أن تكون جملة فكيف كان نكير معطوفة على محذوف، قدره بقوله: فحين كذبوا رسلي جاءهم إنكاري بالتدمير، فكيف كان نكيري لهم؛ أي: عليهم، فليحذر هؤلاء من مثله. ولا مانع من ذلك.

□ **البلاغة:**

في هذه الآيات تكرار يدل على الغضب والإنكار، فقد تكرر الفعل، وهو قولهم، وصرح باسمهم، وهو «الذين كفروا»، وجاء باللام المؤذنة بالقوة، وصرح بقوله ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ للعجب من مبادهتهم بالكفر، وذلك للدلالة على مدى السخط عليهم، والزراية بأقدارهم، والتعجب من ارتكاس عقولهم، ونبوها عن الحق، وطمسها لمعالمه، ثم أضفى على ذلك ما هو أبلغ في الدلالة على رسوخهم في الكفر، وتماديهم في الباطل، وهو أن من قبلهم من أصحاب الكتاب لم يؤتوا مثلما أوتوا: بل لم يبلغ ما أوتوه معشار ما أتاهم، وهو جزء من عشرة، بل من مائة على رأي بعضهم، بل جزء من ألف على رأي آخرين. وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، ومما ورد في التكرار على جهة الوعيد والتهديد قول الأعشى ليزيد بن مهر الشيباني:

أبـا ثـابـتٍ لا تعلقنـك رمـاحُنـا
أبـا ثـابـتٍ أقصـر وعـرضُـك سـالـمُ
وذرنـا وقـومـاً إنْ هـم عَمَـدُوا لنـا
أبـا ثـابـتٍ واقعـدْ فـإنـك طـاعِـمُ

وسيأتي المزيد من بحث التكرار.

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ﴾ قل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإنما: كافة ومكفوفة، وأعظكم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبواحدة: متعلقان بأعظكم، وأن، وما في حيزها: مصدر مؤول في محل جر عطف بيان لواحدة، أو: بدل منها، أو: رفع على تقدير: هي أن تقوموا، أو: نصب على تقدير أعني، ومثنى وفرادى: نصب على الحال، وسيأتي السر في تقديم مثنى على فرادى في باب البلاغة. ﴿ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب والتراخي، وسيأتي سر العطف بثم في باب البلاغة، وتتفكروا: معطوف على أن تقوموا، وما: نافية، وبصاحبكم: خبر مقدم، ومن: حرف جر زائد، وجنة: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ، والجملة: مستأنفة، ويجوز أن تتضمن تتفكروا معنى تعلموا، فتكون من أفعال القلوب، وما: استفهامية علقت تعلموا عن العمل، فهي مبتدأ خبره: بصاحبكم، ومن جنة: حال، أي: جنون.

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ إن: نافية، وهو: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، ونذير: خبر هو، ولكم: متعلقان بنذير، وبين: ظرف متعلق بمحذوف حال، أو: صفة لنذير، ويدي: مضاف إليه، وشديد:

صفة. ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ ما: شرطية في محل نصب مفعول ثان مقدم لسألتكم، وسألتكم: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، وهو في محل جزم فعل الشرط، ومن أجر: حال، والفاء: رابطة لجواب الشرط، وهو: مبتدأ، ولكم: خبر، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط، هذا ويحتمل أن تكون ما: موصولة مبتدأ، وجملة سألتكم: صلة، والفاء رابطة لما في الموصول من معنى الشرط، وجملة هو لكم: خبر. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ إن: نافية، وأجري: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وعلى الله: خبر، وهو: مبتدأ، وعلى كل شيء: متعلقان بشهيد، وشهيد: خبر هو. ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ إن، واسمها، وجملة يقذف: خبرها، وبالحق: متعلقان بيقذف، وعلام الغيوب: خبر ثان لإن، أو: خبر لمبتدأ محذوف، واختار الزمخشري أن يكون مرفوعاً على محل إن واسمها، أو على المستكن في يقذف على أنه بدل منه، وقال ابن هشام: فقدر علام نعتاً للضمير المستتر في يقذف. وتعقبه الدسوقي قائلاً: وحمله الجمهور على البدل منه. ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ جملة جاء الحق: مقول القول، والواو: عاطفة، وما: نافية، ويبدىء الباطل: فعل مضارع، وفاعل، وما يعيد: عطف على ما يبدىء.

□ البلاغة:

١ ـ الطباق:

في قوله «مثنى وفرادى» طباق بديع أتى به احترازاً من القيام جماعة؛ لأن في الاجتماع تشويشاً للخواطر، وحؤولاً دون التأمل والاستغراق في التفكير، أما قيامهم مثنى وفرادى فيتيح لهم أن يفكروا، ويعملوا الروية، فإن تبين الحق للاثنين جنح كل فرد إلى إعمال رأيه، وكثيراً ما يؤدي التعصب إلى طمس الحقائق، وضياع الفوائد؛ إذ يصبح الفرد كالببغاء ينقاد للآخرين على حد قول شوقي:

يــالــه مِــنْ ببغــاء   عقلُــه فــي أُذُنَيْــهِ

٢ ـ الكناية:

في قوله «وما يبدىء الباطل وما يعيد» كناية عن هلاكه، والتطويح به؛ لأنه إذا هلك لم يعد له إبداءاً أو إعادة، ومنه قول عبيد:

أَقْفَرَ مِنْ أهلِهِ عُبَيدُ فاليومَ لا يبدي ولا يُعيدُ

فقد كان المنذر بن ماء السماء يخرج في يوم من كل سنة فينعم على كل من يلقاه، وفي آخر فيقتل أول من يلقاه، فصادفه فيه عبيد، فقيل له امدحه بشعر لعله يعفو عنك فقال: حال الجريض دون القريض. فضرب مثلاً، وقال هذا البيت بعد ذلك تحسراً، وروي: أن المنذر قال له: أنشدني أفقر من أهله ملحوب، فقال أفقر من أهله عبيد.. الخ؛ أي: لا قدرة لي على إبداء شعر جديد، ولا على إعادة شعر قديم، وفي قوله: يبدىء ويعيد أيضاً طباق.

* الفوائد:

قال النحاة: ويعطف على أسماء الأحرف المشبهة بالفعل بالنصب قبل مجيء الخبر وبعده كقول رؤبة:

إنَّ الربيعَ الجَوْدَ والخريفَ يدا أبي العباسِ والصُّيوفا

فعطف الخريف بالنصب على الربيع وقبل مجيء الخبر وهو يدا أبي العباس وعطف الصيوف جمع صيف على الربيع بالنصب بعد مجيء الخبر، والجود بفتح الجيم وسكون الواو وبالدال: المطر الغزير ويروى: الجون بالنون بدل الدال، والمراد به السحاب الأسود. والمراد بالربيع والخريف والصيوف: أمطارهن، والمراد بأبي العباس: السفاح أول الخلفاء من بني العباس، وهذا من عكس التشبيه مبالغة لأن الغرض تشبيه يديه بالأمطار الواقعة في الربيع والخريف والصيف، ويعطف بالرفع على محل هذه أسماء هذه الأحرف بشرطين: استكمال الخبر، وكون العامل إنَّ أو أنَّ أو لكنَّ مما لا يغير معنى الجملة، نحو: إن الله بريء من المشركين

ورسوله، فعطف رسوله على محل الجلالة بعد استكمال الخبر، وهو بريء، والمحققون: على أن الرفع في ذلك ونحوه على أنه مبتدأ حذف خبره، لدلالة خبر الناسخ عليه.

قال اللقاني: قال الرضي: والوصف وعطف البيان كالمنسوق عند الجرمي والزجاج والفراء في جواز الحمل على المحل، ولم يذكر غيرهم في ذلك منعاً، ولا إجازة، والأصل الجواز؛ إذ لا فارق، ولم يذكروا البدل، والقياس كونه كسائر التوابع في جواز الرفع. وفي شرح المفصل لابن الحاجب: أجاز الزجاج جعل ارتفاع علام الغيوب في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي﴾.. الآية على أنه صفة لربي بالتأويل الذي في العطف. قال: ويمكن حمله على غير ما ذكره؛ بأن يكون ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ فاعلاً بيقذف، ولا ضمير فيه، فاستغنى عن العائد بظاهر موافق للأول في المعنى. وارجع إلى المطولات.

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ۚ إِنَّهُ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٥١) وَقَالُوا
آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ
وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ
بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ (٥٤)﴾

☆ **اللغة:**

﴿التَّنَاوُشُ﴾: قال الزمخشري: والتناوش والتناول أخوان، إلا أن التناوش تناول سهل لشيء قريب، يقال: ناشه، ينوشه، وتناوشه القوم، ويقال: تناوشوا في الحرب: ناش بعضهم بعضاً. وفي المصباح: ناشه نوشاً، من باب: قال: تناوله، والتناوش: التناول يهمز ولا يهمز، وتناوشوا بالرماح: تطاعنوا بها. وقال ابن السكيت: يقال للرجل إذا تناول

رجلاً ليأخذ برأسه ولحيته: ناشه، ينوشه، نوشاً، ومنه: المناوشة في القتال: إذا تدانى الفريقان.

○ الإعراب:

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي﴾ إن: شرطية، وضللت: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء: رابطة، وإنما: كافة ومكفوفة، وأضل: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنا، وعلى نفسي: متعلقان بأضل، وهي في قوة بنفسي، فيصح مقابلتها مع ما بعدها. ﴿وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ عطف على ما سبق، وما: من قوله: ﴿فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ يجوز أن تكون مصدرية، وأن تكون موصولة، فعلى الأول يكون التقدير: بسبب إيحاء ربي إليَّ. وعلى الثاني يكون التقدير: بسبب الذي يوحيه إليَّ ربي، وجملة يوحي: لا محل لها على كل حال، وإليَّ: متعلقان بيوحي، وربي: فاعل يوحي، وإنَّ، واسمها، وسميع: خبرها الأول، وقريب: خبرها الثاني. ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير حال الكفار عند نزول الموت، واضطرارهم إلى الإخلاد للحق، والرجوع إليه. ولو: شرطية، وترى: فعل مضارع، وفاعل مستتر، تقديره: أنت، والخطاب لمحمد ﷺ، وإذ: ظرف لما مضى من الزمن، متعلق بترى، وجملة فزعوا في المصحف بالبناء للفاعل في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجواب لو: محذوف كما حذف مفعول ترى، والتقدير: ولو ترى حالهم وقت فزعهم لرأيت أمراً عظيماً مذهلاً، والفاء: عاطفة، أو: استئنافية، ولا: نافية للجنس، وفوت: اسمها المبني على الفتح، والخبر: محذوف، أي: لهم، والمعنى: لا يفوتوننا، ولا ينجيهم منا هرب، أو ملجأ، وقد كثر حذف خبر لا النافية للجنس، أو العاملة عمل ليس، حتى قيل: إنه لا يذكر، وصيغ الماضي الواردة في إذ، وأخذوا أريد بها الاستقبال، وأخذوا، الواو: عاطفة، وأخذوا: فعل ماضٍ مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، ومعناه الاستقبال أيضاً، ومن مكان:

متعلقان بأخذوا، وقريب: صفة، ومعنى من مكان قريب، أي: من ظهر الأرض إلى بطنها إذا ماتوا.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ وقالوا: عطف على ما تقدم، وجملة آمنا: مقول قولهم، وبه: متعلقان بآمنا، وأنى: اسم استفهام معناه: من أين، أو: كيف في محل رفع خبر مقدم والتناوش: مبتدأ مؤخر، ولهم: متعلقان بمحذوف حال، ومن مكان: متعلقان بالتناوش، وبعيد: صفة. أي: عن محله، وهو الدنيا. ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ الواو: حالية، وقد: حرف تحقيق، وكفروا: فعل وفاعل، وبه: متعلقان بكفروا، ومن قبل: متعلقان بمحذوف حال، ويقذفون: معطوف على قد كفروا؛ على أنها حكاية حال ماضية؛ أي: وكانوا يتكلمون، ويرجمون بالظن، ومن مكان بعيد: متعلقان به، والبعد المكاني هنا معناه البعد المعنوي؛ أي: وهمهم الفاسد، وظنهم الكاذب؛ الذي هو بعيد عن الحقيقة والواقع كل البعد، وسيأتي المزيد من هذا المعنى في باب البلاغة. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ الواو: عاطفة، وحيل: فعل ماض مبني للمجهول، ومعناه الاستقبال أيضاً؛ لأن ما يفعله الله في المستقبل بمثابة ما قد حصل، والظرف: نائب فاعل ولم يرفع لأنه أضيف إلى غير متمكن وهو الضمير، وفعل: حال لازم لا يبنى للمجهول إلا مع الظرف، أو الجار والمجرور، وقيل: نائب الفاعل هو ضمير المصدر المفهوم من الفعل، كأنه قيل: وحيل هو، أي: الحول، والظرف: متعلق بحيل، وبين: عطف على الظرف الأول، وما: موصولة، أو مصدرية، والتقدير: وبين الذي يشتهونه، أو: وبين مشتهاهم، ويشتهون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل، والجملة: لا محل لها على كل حال، والكاف: نعت لمصدر محذوف؛ أي: فعل بهم فعلاً كما فعل بأشياعهم؛ أي: أتباعهم، وشيعة الرجل: أتباعه، وأنصاره، أو أشباههم؛ لأن من أشبه الثاني تبعه،

وبأشياعهم: متعلقان بفعل، ومن قبل: حال. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة كانوا: خبرها، وكان واسمها، وفي شك: خبرها، ومريب: صفة.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ استعارة تمثيلية، وقد تقدم تعريف هذه الاستعارة، ونقول في إجرائها هنا: إنه شبه طلبهم ما لا يكون ـ وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما ينفع المؤمنين إيمانهم بالدنيا ـ بحال من يريد أن يتناول الشيء من غلوة، كما يتناوله الآخر من مقياس ذراع تناولاً سهلاً، لا تعب فيه، فقد كانوا يتكلمون بالغيب، ويأتون به من مكان بعيد، وهو قولهم في رسول الله ﷺ: شاعر، ساحر، كذاب. وهذا رجم بالظن، وقذف بالباطل؛ لأنهم لم يشاهدوا منه شعراً، ولا سحراً، ولا كذباً، ولو أنهم رجعوا إلى قرارة نفوسهم يسألونها عن حقيقة ما يرجفون، ويرجمون، لكذبتهم، وأدانتهم.

* الفوائد:

تقدم في موضع آخر من هذا الكتاب أنه ينوب عن الفاعل واحد من أربعة: وهي: المفعول به، نحو: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ والثاني: المجرور، نحو: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ والثالث: مصدر متصرف مختص بالصفة، نحو: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ وقد ينوب عن المصدر ضميره، نحو قول طرفة بن العبد:

فيالك من ذي حاجةٍ حِيلَ دُونَها
وما كلُّ ما يهوىٰ امرؤٌ هو نائِلُه

فيكون المعنى: حيل هو؛ أي: الحول المعهود، وليس النائب الظرف؛ لأنه غير متصرف عند جمهور البصريين، وعن الأخفش: أنه يجوز مع

فتحه، قال أبو علي وتلميذه ابن جني: فتحة إعراب، وقال غيرهما: فتحة بناء، وعلى ذلك توجه الآية التي نحن بصددها. أما الرابع: فهو ظرف مختص، نحو: صيم رمضان.

* * *

سورة فاطر

ترتيبها ٣٥ — آياتها ٤٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ
وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (١) مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ
مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ (٢)
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ (٣) ﴾

☆ اللغة:

﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ خالقها على غير مثال، وأصل الفطر: الشقُّ مطلقاً، وقيل: الشق طولاً، وبابه: نصر، كما في المختار، وعن مجاهد عن ابن عباس: ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى اختصم إليّ أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها، وابتدعتها، وقد جمع بعضهم معنى هذه المادة على اختلافه فقال:

الابتـــدا والابتـــداعُ فَطـــر والصَّدعُ والغمزُ وأمَّا الفِطْر
فتـركُ صـومٍ بعـض كـمءٍ فُطر وما بدا من عنبٍ في الشَّجرِ

﴿ تُؤْفَكُونَ ﴾ : تصرفون، من الأفك بالفتح، وهو الصرف، يقال: ما أفكك عن كذا؟ أي: ما صرفك عنه، وقيل: هو من الإفك بالكسر، وهو الكذب، وفي المختار: والأفك بالفتح: مصدر أفكه، أي: قلبه، وصرفه عن الشيء، وبابه: ضرب، ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا ﴾ .

○ الإعـراب:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الحمد: مبتدأ، ولله: خبره، وفاطر السموات: صفة له، والأرض: عطف على السموات، وأل في الحمد: جنسية استغراقية، أي: جنس الحمد، والإضافة في فاطر السموات محضة؛ لأنه للماضي. ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾ جاعل الملائكة: صفة ثانية، والإضافة هنا محضة أيضاً، واعتبرها بعضهم غير محضة؛ لأنها حكاية حال، ولهذا ساغ إعمال اسم الفاعل؛ لأنه لا يعمل إذا كان بمعنى الماضي، ولهذا جعل بعضهم رسلاً منصوبة بفعل مضمر، وجوز الكسائي عمله على كل حال. ورسلاً: مفعول ثان لجاعل، وإذا كانت جاعل بمعنى خالق كانت رسلاً حالاً مقدرة، وأولي أجنحة: نعت لرسلاً، ومثنى، وثلاث، ورباع: صفات لأجنحة، وقد منعت من الصرف للوصف والعدل عن المكرر، أي اثنين اثنين، وثلاثة ثلاثة، وأربعة أربعة، وقد تقدم الكلام في هذه الصفات في سورة النساء، وأعربها الكازروني في حاشيته بدلاً من أجنحة. ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ كلام مستأنف، مقرر لما قبله، وفي الخلق: متعلقان بيزيد، وما: مفعول به، وجملة يشاء: صلة، وإنَّ، واسمها، وعلى كل شيء: متعلقان بقدير، وقدير: خبر إن والجملة: تعليلية لا محل لها.

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ ما: اسم شرط جازم في محل

نصب مفعول به مقدم ليفتح، ويفتح: فعل الشرط، والله: فاعل، وللناس: متعلقان بيفتح، ومن رحمة: حال، والفاء: رابطة لجواب الشرط، ولا: نافية للجنس، وممسك: اسمها، ولها: خبرها، والجملة: في محل جزم جواب الشرط. ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الواو: عاطفة، وما اسم شرط جازم في محل نصب أيضاً مفعول مقدم ليمسك، ويمسك: فعل الشرط، والفاء: رابطة، ولا: نافية للجنس، ومرسل: اسمها، وله: خبرها، وفي قوله أولاً: ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ﴾ حمل التأنيث على معنى ما؛ لأن المراد الرحمة، وفي الثاني حمل على اللفظ، ومن بعده: حال، أي: بعد إمساكه، وهو: مبتدأ، والعزيز: خبر أول، والحكيم: خبر ثانٍ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ يا: حرف نداء، وأي: منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب، والهاء: للتنبيه، والناس: بدل، واذكروا نعمة الله: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، ومضاف إليه، وعليكم: متعلقان بنعمة؛ لأنها بمعنى الإنعام، وإذا كانت بمعنى المنعم به تعلق الجار والمجرور بمحذوف على أنه حال.

﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ هل: حرف استفهام، ومن: حرف جر زائد، وخالق: مبتدأ مجرور لفظاً، مرفوع محلاً، وغير الله: صفة لخالق على المحل، أو: على اللفظ، أو: منصوب على الاستثناء، وقرىء بها جميعاً، وخبر خالق: محذوف، أي: لكم، ويجوز أن تكون جملة يرزقكم نصباً على الحال، أو: رفعاً صفة لخالق على المحل، أو: جراً صفة لخالق على اللفظ، ويجوز أن تكون خبراً لخالق، ومن السماء: متعلقان بيرزقكم، والأرض: عطف، وسيأتي المزيد من إعراب هذه الآية وما قيل فيها في باب الفوائد، ومعنى الاستفهام: التقرير، والتوبيخ. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة لتقرير النفي المستفاد من الاستفهام، وقد تقدم إعراب لا إله إلا الله مفصلاً، فأنى: الفاء: استئنافية، وأنى: اسم استفهام في محل نصب حال، وتؤفكون: فعل

مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل.

* الفوائـد:

١ ـ معنى «نزيد في الخلق ما نشاء»:

اشتملت هذه الآيات على فوائد كثيرة. أولها: معنى الزيادة في الخلق، ونرى أنَّ خير ما قيل فيها ما أورده الزمخشري في كشافه، فبعد أن أورد ما قاله العلماء فيها قال: والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء وقوة في البطش، وحصافة في العقل، وجزالة في الرأي، وجراءة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان، ولباقة في التكلم، وحسن تأنّ في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف. وهذا الكلام على وجازته وبلاغته جامع مانع، وفيه تعليلٌ مُرْضٍ لما تراه من تفاوت في مخلوقات الله.

واستعار الفتح للإطلاق والإرسال، كأنما هي أبواب موصدة لا يفتح مغالقها إلا الله من صنوف النعَم وضروب الآلاء، كالرزق، والمطر، والصحة، والأمن في الأوطان، وغير ذلك مما لا يحصى عدده.

وفي تنكير الرحمة ما يدل على الإشاعة، والإبهام لتندرج في مطاويها ضروب النعم كما تقدم.

٢ ـ إعراب هل من خالق:

منع بعضهم أن تكون جملة يرزقكم خبراً لخالق؛ لأن هل لا تدخل على مبتدأ مخبر عنه بفعل على الأصح.

٣ ـ مواضع زيادة «مِن»:

قلنا في مكان آخر: أنَّ «مِنْ» الجارة تزاد قبل النكرة إذا سبقت بنفي، أو نهي، أو استفهام، ونضيف هنا: أن ذلك يطرد في تسعة أوجه:

١ ـ في الابتداء.

٢ ـ في الفاعل.

٣ ـ في اسم كان.

٤ ـ في مفعول ما يتعدى لواحد.

٥ ـ في أول مفعولي ظننت.

٦ ـ في أول مفاعيل علمت.

٧ ـ في أول مفعولي أعطيت.

٨ ـ في ثاني مفعولي أعطيت.

٩ ـ في مفعولي ما لم يسم فاعله.

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾

○ **الإعراب:**

﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسليته ﷺ بأن له فيمن تقدمه من الأنبياء أسوة حسنة. وإن: حرف شرط جازم، ويكذبوك: فعل الشرط، وعلامة جزمه: حذف النون، والواو: فاعل، والكاف مفعول به: والفاء: رابطة لجواب الشرط، وجملة قد كذبت: في محل جزم جواب الشرط، وهي من وضع السبب موضع المسبب، وهي التأسي والتقدير، فتأس بتكذيب الرسل من قبلك، ورسل: نائب فاعل، ومن قبلك: صفة لرسل، وبهذا التقدير يجاب عن الاعتراض بأن من حق الجزاء أن يتعقب الشرط، وهذا سابق له. ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ الواو: عاطفة، وإلى الله: متعلقان بترجع، والأمور: نائب فاعل. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ

وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ يا أيها الناس: تقدم إعرابها كثيراً، وإنَّ، واسمها، وخبرها. ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ الفاء: الفصيحة، ولا: ناهية، وتغرنكم: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم بلا الناهية، والكاف: مفعول به، والحياة: فاعل، والدنيا: صفة، ولا يغرنكم بالله الغرور: عطف على ما تقدم، والغرور بفتح الغين: صيغة مبالغة كالصبور، والشكور، والمراد بها: الشيطان؛ لأن ذلك ديدنه.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ إنَّ، واسمها، ولكم: متعلقان بعدو، أو: حال منه، وعدو: خبر إنَّ، والفاء: الفصيحة، واتخذوه: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به أول، وعدواً: مفعول به ثان.

﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، ويدعو: فعل مضارع، وفاعله مستتر، تقديره: هو، وحزبه: مفعول به، واللام: للتعليل، ويكونوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل، ويجوز أن تكون اللام هي لام الصيرورة، أو العاقبة، والواو: اسم يكونوا، ومن أصحاب السعير: خبرها. ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الذين: مبتدأ، وجملة كفروا: صلة، ولهم: خبر مقدم، وعذاب: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: خبر الذين، وشديد: صفة، ويجوز أن يكون اسم الموصول بدلاً من الواو في ليكونوا، أو: صفة لحزبه، فيكون موضعه النصب، كما يجوز أن يكون محله الجر على أنه بدل من أصحاب، أو أنه نعت لأصحاب. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ الذين: مبتدأ، وجملة آمنوا: صلة، وعملوا الصالحات: عطف على آمنوا، ولهم: خبر مقدم، ومغفرة: مبتدأ مؤخر، والجملة: خبر الذين، وأجر: عطف على مغفرة، وكبير: صفة.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾

○ الإعراب:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير ما سبق من التباين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حالهما المؤدي إلى تينك العاقبتين. والهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة على محذوف، وقد تقدمت نظائرها، ومن: اسم موصول في محل رفع مبتدأ، خبره: محذوف دل عليه سياق الكلام، والتقدير: كمن هداه الله، وأعربه بدر الدين بن مالك: اسم شرط، وجواب الشرط: محذوف، تقديره: ذهبت نفسك عليهم حسرة، وجملة زين صلة: من، وله: متعلقان بزين، وسوء عمله: نائب فاعل، فرآه: الفاء: عاطفة، ورآه: عطف على زين، والهاء: مفعول رأى الأول، وحسناً: مفعول رأى الثاني؛ لأنها قلبية، والفاء: رابطة لما في الموصول من معنى الشرط، وأنَّ، واسمها، وجملة يضل: خبرها، ومن يشاء: مفعول يضل، وجملة ويهدي من يشاء: عطف على جملة يضل من يشاء. ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ الفاء: الفصيحة، ولا: ناهية وتذهب: فعل مضارع مجزوم بلا، ونفسك: فاعل، وعليهم: متعلقان بتذهب، كما تقول: هلك عليه حباً، ومات عليه حزناً، ولا يجوز أن يتعلق بحسرات؛ لأن المصدر لا تتقدم عليه صلته، وحسرات: مفعول لأجله، والمعنى: فلا تهلك نفسك للحسرات، وقال المبرد: إنها تمييز، وقال الزمخشري: يجوز أن يكون حالاً؛ كأن كلها صارت حسرات لفرط التحسر، كما قال جرير:

مشقَ الهواجرُ لحمهنَّ مع السُّرى
حتى ذَهَبْنَ كَلاكلاً وصُدورا

يصف نوقاً بالهزال، يقال: فرس ممشوق، أي: طويل مهزول، وجارية ممشوقة القوام، والهاجرة: شدة الحر، والسُّرى بالضم: سير الليل، والكلكل، والكلكال: الصدر؛ أي: صرن من شدة الحر كأنهن عظام فقط،

لا لحم عليهن، وعطف الصدور على الكلاكل للتفسير، وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب البلاغة.

وإنَّ، واسمها، وخبرها، وبما يصنعون: متعلقان بعليم.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ فن الإيغال، وهو الإتيان بكلام يعتبر بمثابة التتمة لكلام سبقه احتياطاً؛ فقد أقسم الله تعالى بحياة الرسول أكثر من مرة: أنَّ الذين أعرضوا عنه، وخالفوه قد تجاوزوا كل حدٍّ بإعراضهم، ودلَّلوا على أنهم مفرطون في الغباوة، موغلون في الضلال، كما قال تعالى في أكثر من موضع: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وقوله أيضاً: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ وقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ وذهاب النفس حسرة وأسفاً تعبير مرموق، رمقه الشعراء كثيراً، فقال شاعر قديم:

فعلى إثرهم تساقطُ نفسي حسراتٍ وذكرُهم لي سَقامُ

لما أصابه الحزن بعد ذهاب الأحباب، وتمكن من نفسه، وسيطر بدمه، تخيل أنها تتناثر، وتنزل من جسمه، حال كونها حسرات متتابعة، وجعل النفس حسرات لامتزاجها بها، فكأنها هي، أو تتساقط بعدهم لأجل الحسرات والأحزان، وذكرهم؛ أي: تذكرهم سقام لي، وهو بالفتح مصدر كالسقم. وقال ابن الرومي مقتبساً هذه اللفظة البديعة في رثاء ابنه محمد وهو أوسط أولاده:

وظلَّ على الأيدي تساقطُ نفسُه
ويذوي كما يذوي القضيبُ من الرَّندِ

وإنما يحمل المريض على الأيدي إذا كان صغيراً، وقد مات ابنه محمد منزوفاً، وهو فيما بين الرابعة والخامسة.

أقول: روى التاريخ: أنَّ هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام لما زين

له سوء عمله، فرآه صواباً، أو جميلاً، فهام في الضلال، وأطلق آمر النهي، واعتنق طاعة الهوى، حتى رأى الحسن قبيحاً، والقبيح حسناً كأنما ران عليه، وسلبه عقله، ولبه، وتمييزه، وقد رمق أبو نواس سماء هذا المعنى فقال:

اِسْقِنِي حتَّى تراني حَسَناً عِنْدي القَبيحُ

يقول لساقي الخمر: اسقني حتى أسكر فيحسن عندي القبيح، وحسناً: هو المفعول الثاني لتراني، والقبيح: فاعل حسناً؛ لأنه صفة مشبهة.

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بَلَدٍ﴾: في المصباح: البلد يذكر ويؤنث. والبلدة: البلد، وتطلق البلد، والبلدة على كل موضع من الأرض عامراً كان أو خلاء، وفي التنزيل: ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ أي: إلى أرض ليس بها نبات ولا مرعى، فيخرج ذلك بالمطر، فترعاه أنعامهم، فأطلق الموت على عدم النبات والمرعى، وأطلق الحياة على وجودهما.

﴿ٱلْكَلِمُ﴾: اسم جنس، لأنه يدل على الماهية من حيث هي هي، وليس بجمع خلافاً لصاحب القاموس ولغيره من النحاة؛ لأنه يجوز تذكير ضميره، والجمع يغلب عليه التأنيث، ولا اسم جمع؛ لأن له واحداً من لفظه، والغالب على اسم الجمع خلاف ذلك، وواحده: كلمة، والكلمة فيها ثلاث لغات: كَلِمة بفتح الكاف وكسر اللام، وكِلْمة بكسر الكاف وسكون اللام، وكَلْمة بفتح الكاف وسكون اللام.

﴿ يَبُورُ ﴾: يهلك ويفسد، يقال: بار يبور بَوْراً وبواراً: هلك، وبارت السوق، أو السلعة: كسدت، وبار العمل: بطل، وبارت الأرض: لم تزرع، وبوَّر الأرض: تركها، أو: صيرها بائرة، وأباره: أهلكه، وتبوَّر نفسه: رثاها، وناح من البوار، والبائر: ما بار من الأرض، والجمع: بُور يقال: حائر بائر، أي: لا يطيع مرشداً، ولا يتجه لشيء، والبُور أيضاً: الفاسد الهالك الذي لا خير فيه، يقال: امرأة بور، وقوم بور، والبور من الأرض: ما لم يزرع، والبوار: الهلاك، والفساد، ودار البوار: جهنم.

○ الإعراب:

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ الله: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة أرسل الرياح: صلة الموصول، والرياح: مفعول به، والفاء: عاطفة، وتثير: فعل مضارع، وسيأتي سر عطف المضارع على الماضي، وكيف جاء مخالفاً لما قبله وما بعده في باب البلاغة، وسحاباً: مفعول به. ﴿ فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ فسقناه: عطف أيضاً على طريق الالتفات، وسقناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وإلى بلد: متعلقان بسقناه، وميت: صفة، فأحيينا به الأرض: عطف أيضاً، والظرف متعلق بمحذوف حال، وكذلك: خبر مقدم، والنشور: مبتدأ مؤخر، وسيأتي سر هذا التشبيه في باب البلاغة. ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ مَنْ: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وكان: فعل ماض ناقص، واسمها: مستتر يعود على ما، وجملة يريد: خبرها، والعزة: مفعول به، والفاء: رابطة لجواب الشرط، ولله: خبر مقدم، والعزة: مبتدأ مؤخر، والجملة في محل جزم جواب الشرط، وساغ قيام هذه الجملة مقام الجواب لدلالتها عليه؛ لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه، ومالكه، ونظيره، قولك: من أراد النصيحة فهي عند الأبرار، تريد: فليطلبها عندهم، إلا أنك أقمت ما يدل عليه مقامه، ومعنى فلله العزة جميعاً: أنَّ العزة كلها مختصة لله. وقال آخرون: ومَنْ: شرطية مبتدأ، وجواب الشرط: محذوف: تقديره:

فليعطه، وقوله: فلله العزة تعليل للجواب المحذوف. وقدر البيضاوي جواب الشرط المحذوف بقوله: «فليطعه» ولله: خبر مقدم، والعزة: مبتدأ مؤخر، وجميعاً: حال، وجملة الشرط وجوابه: خبر مَنْ.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ الجملة: نصب على الحال، وإليه: متعلقان بيصعد، ويصعد الكلم: فعل مضارع، وفاعل، والطيب: صفة للكلم، والعمل: مبتدأ، ويجوز رفعه على العطف، والصالح: صفة، وجملة يرفعه: خبر العمل وفاعل يرفعه: ضمير مستتر، يعود على العمل، أي: العمل الصالح يرفع الكلم، وقيل: الفاعل: ضمير الله، فتعود الهاء على العمل، وعن ابن المقفع: قول بلا عمل كثريد بلا دسم، وسحاب بلا مطر، وقوس بلا وتر.

﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان حال الكلم الخبيث، والعمل السيىء بعد بيان حال الكلم الطيب والعمل الصالح وأهلهما. والذين: مبتدأ، وجملة يمكرون: صلة الذين، والسيئات: صفة مفعول مطلق، وتقديره: المكرات السيئات، ولا يجوز نصبه على أنه مفعول به، لأن مكر فعل غير متعد، والمكرات بفتحات: جمع مكرة بسكون الكاف، وهي المرة من المكر؛ الذي هو الحيلة والخديعة، وقال بعضهم: يجوز تضمين يمكرون السيئات معنى: يكسبون السيئات، فيجوز نصبها على أنها مفعول به، ومكر: مبتدأ، وأولئك: مضاف إليه، ووضع اسم الإشارة موضع الضمير للإيذان بتميزهم بالشر والفساد عن سائر المفسدين، أي: هم لا غيرهم، وهو: ضمير فصل لا محل له، وجملة يبور: خبر مكر، ويجوز أن يكون هو: مبتدأ، وجملة يبور: الخبر، والجملة الاسمية: خبر مكر، وقد اختلف في وقوع ضمير الفصل قبل الخبر، فمنعه قوم وأجازه آخرون، ونحن أميل إلى الجواز.

□ البلاغـة:

١ ـ الالتفات:

في قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ﴾ . . . الخ التفاتان: الأول في الإخبار بالفعل المستقبل عن الماضي، فقد قال ﴿فَتُثِيرُ﴾ مستقبلاً، وما قبله، وما بعده ماض؛ لحكاية الحال الماضية، واستحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة، وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب، أو تهم المخاطب، وغير ذلك كما قال تأبط شراً:

فَمَنْ يُنْكِر وجودَ الغولِ إنِّي   أخبـرُ عـن يقيـنٍ بـل عَيـانِ
بأنِّـي قـد لقيـتُ الغـولَ تهـوي   بِسَهْبٍ كالصحيفة صَحْصَحانِ
فأضربهـا بـلا دهـشٍ فخـرَّت   صـريعـاً لليـديـن وللجِـرانِ

والغول: أنثى الشياطين، والعيان: المشاهدة بالعين، والهوي: الهبوط، والمراد: سرعة العدو، والسهب بالفتح: الفضاء المستوي، البعيد الأطراف والصحيفة: الكتاب، والصحصحان بالفتح: المستوي من الأرض، والجران ككتاب: مقدم عظم العنق من الحلق إلى اللبة، وجمعه: جرنه، ككتبه، وأجرنه كأفئدة، يقول: من ينكر وجود الغول فقد كذب، فإني أخبر عن يقين، أو المعنى: فيا من تنكر وجود الغول إني أخبر إخباراً ناشئاً عن يقين، وهو ما كان بدليل قاطع، بله عيان، ومشاهدة بالعين.

وعلى هذا الأسلوب ما ورد من حديث الزبير بن العوام في غزوة بدر، فإنه قال: لقيت عبيدة بن سعيد بن العاص، وهو على فرس، وعليه لأمة كاملة، لا يُرى منه إلا عيناه، وهو يقول: أنا أبو ذات الكؤوس، وفي يدي عنزة، فأطعن بها في عينه، فوقع وأطأ برجلي على خده، حتى خرجت العنزة متعقفة. فقوله: فأطعن بها في عينه، وأطأ برجلي، معدول به عن لفظ الماضي إلى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التي فعل فيها ما فعل من

الإقدام والجراءة على قتل ذلك الفارس المستلئم، ألا ترى أنه قال أولاً: لقيت عبيدة بلفظ الماضي، ثم قال: بعد ذلك فأطعن بها في عينه، ولو عطف كلامه على أوله لقال: فطعنت بها في عينه.

والالتفات الثاني في قوله: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا﴾ . . . الخ ولو جرى على نمط الكلام لقال: فسقى، وأحيا، ولكنه عدل بهما عن لفظ الغيبة إلى لفظ التكلم، وهو أدخل في الاختصاص، وأدلّ عليه، وإنَّما عبر بالماضيين بعد المضارع للدلالة على التحقق.

٢ ـ التشبيه:

وفي قوله ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ تشبيه مرسل لوجود الأداة، أي: كمثل إحياء الموات نشور الأموات في صحة المقدورية، أو في كيفية الإحياء.

٣ ـ المجاز الإسنادي:

وفي قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ مجاز في المسند، ومجاز في الإسناد، فالصعود مجاز عن العلم؛ لأن الصعود صفة من صفات الأجرام، والكلم معلوم، فأسند الفعل للمفعول به.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ
وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ
عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ
أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ
فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ
وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ
ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ
مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ

وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ فُرَاتٌ ﴾: شديد العذوبة، وفي القاموس: وفرت الماء، ككرم، فروتة: عذب.

﴿ أُجَاجٌ ﴾: شديد الملوحة، وفي القاموس: وأجَّ الماء، أجوجاً بالضم، يأجج، كيسمع، ويضرب، وينصر: إذا اشتدت ملوحته. وتقول: هجيرٌ أجاج للشمس فيه مُجاج، وهو لعاب الشمس، وماء أجاج: يحرق بملوحته.

﴿ قِطْمِيرٍ ﴾: القطمير: لفافة النواة، وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها، وقيل: هي النكتة في ظهرها، ومعلوم: أن في النواة أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة: الفتيل: وهو ما في شق النواة، والقطمير: وهو اللفافة، والنقير: وهو ما في ظهرها، والثفروق: وهو بين القمع والنواة. وقال الجوهري: ويقال: هو النكتة البيضاء التي في ظهر النواة تنبت منها النخلة.

○ **الإعراب:**

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ كلام مستأنف، مسوق لإيراد تقرير آخر، أو دليل آخر على صحة البعث والنشور. والله: مبتدأ، وجملة خلقكم: خبر، ومن تراب: متعلقان بخلقكم، ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، ومن نطفة: عطف على من تراب، ثم جعلكم أزواجاً: عطف على خلقكم من تراب، وأزواجاً: مفعول ثان لجعل، أي: أصنافاً ذكوراً وإناثاً. ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وتحمل: فعل مضارع مرفوع، ومن: حرف جر زائد، وأنثى: مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل، ولا تضع: عطف على وما تحمل، وإلا: أداة حصر، وبعلمه: في موضع نصب على الحال، أي: معلومة له. ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ﴾ الواو:

عاطفة، وما: نافية، ويعمر: فعل مضارع مبني للمجهول، ومن: حرف جر زائد، ومعمر: نائب فاعل، ولا ينقص: عطف على وما يعمر، ومن عمره: متعلقان بينقص، وإلا: أداة حصر، وفي كتاب: في محل نصب على الحال، وسيأتي معنى هذا الكلام المتسامح في باب البلاغة. ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إنَّ، واسمها، وعلى الله: متعلقان بيسير، ويسير: خبر إن، وفي المصباح: ويسر الشيء مثل قرب: قلّ، فهو يسير، ويسر الأمر، ييسر، يسراً، من باب: تعب، ويسر، يسراً، من باب: قرب، فهو يسير، أي: سهل، وييسره الله، فتيسر، واستيسر، بمعنى.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لضرب المثل للمؤمن والكافر، وما: نافية، ويستوي: فعل مضارع مرفوع، والبحران: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى، وهذا: مبتدأ، وعذب: خبر، وفرات: خبر ثان، أو: صفة، وسائغ شرابه: يجوز أن يكون سائغ صفة ثالثة، وشرابه: فاعل لسائغ، لأنه صفة مشبهة، أي: سهل انحداره، ويجوز أن يكون سائغ: خبر مقدم، وشرابه: مبتدأ مؤخر، والجملة: صفة ثانية، وجملة هذا عذب . . . الخ: في محل نصب حال من البحران، وهذا ملح أجاج: عطف على هذا عذب فرات، وسيأتي مزيد بسط عن هذا المثل في باب البلاغة.

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ الواو: إما عاطفة، والجملة بمثابة التتمة والتكميل للتمثيل، وإما استئنافية فتكون الجملة: مستأنفة استطرادية، وسيأتي تفصيل كل من المعنيين في باب البلاغة، ومن كل: متعلقان بتأكلون، وتأكلون: فعل مضارع، وفاعل، ولحماً: مفعول به، وطرياً: صفة، وتستخرجون: عطف على تأكلون، وحلية: مفعول به، وجملة تلبسونها: نعت لحلية، وتلبسونها: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به. ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الواو: عاطفة، وترى الفلك: فعل مضارع، وفاعل

مستتر، تقديره: أنت، والفلك: مفعول به، وفيه: متعلقان بمواخر، أو: بترى، ومواخر: حال؛ لأن الرؤية بصرية، ولتبتغوا: اللام للتعليل، وتبتغوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور: متعلقان بمواخر، ومن فضله: متعلقان بتبتغوا، ولعلَّ، واسمها، وجملة تشكرون: خبرها.

﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾ لك أن تجعلها كلاماً مستأنفاً، ولك أن تجعلها في محل نصب على الحال من فاعل خلقكم، أي: الله تعالى، والليل: مفعول به ليولج، وفي النهار: متعلقان بيولج، ويولج النهار في الليل: عطف على الجملة التي سبقته. ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ الواو: عاطفة، وسيأتي سر تغاير المتعاطفين في باب البلاغة، وسخر الشمس: فعل، وفاعل مستتر، يعود على الله، ومفعول به، والقمر: عطف على الشمس، وكل: مبتدأ، أي: كل واحد منهما، وجملة يجري: خبر، ولأجل: متعلق بيجري، ومسمى: نعت لأجل. ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ﴾ ذلكم: مبتدأ، وأخبر عنه بأخبار ثلاثة، وهي: الله، وربكم، وجملة له الملك. وله: خبر مقدم، والملك: مبتدأ مؤخر. ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ الواو: حالية، أو استئنافية، والذين: مبتدأ، وجملة تدعون: صلة، ومن دونه: حال، وما: نافية، ويملكون: فعل مضارع، وفاعل، وجملة ما يملكون: خبر الذين، ومن: حرف جر زائد، وقطمير: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به.

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير المضمون المتقدم، وإنْ: حرف شرط جازم، وتدعوهم: فعل الشرط، وعلامة جزمه: حذف النون، وهو فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، ولا: نافية، ويسمعوا: جواب الشرط، ودعاءكم: مفعول به، والواو: حالية، أو: عاطفة، ولو: حرف شرط، وسمعوا: فعل

ماض، والواو: فاعل، وما: نافية، واستجابوا: فعل، وفاعل، والجملة: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم. ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ الظرف: متعلق بيكفرون، وبشرككم: متعلقان بيكفرون، والكاف: مضافة إلى المصدر، من إضافة المصدر إلى فاعله، أي: يتبرؤون منكم، ومن عبادتكم إياهم. ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ الأحسن أن يكون الخطاب عاماً، أي: أيها السامع كائناً من كنت، ولا: نافية، وينبئك: فعل مضارع، والكاف: مفعوله ومثل خبير: فاعله، أي: عالم ببواطن الأمور.

□ البلاغة:

١ ـ الكلام المتسامح:

في قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ...﴾ الخ فن الكلام المتسامح الذي يثق فيه المتكلم بأفهام السامعين وأذواقهم؛ لأنه لا يلتبس عليهم، ولا يعزب عنهم إدراك منطوياته، واكتناه مراميه، فظاهر الكلام يوهم: أن المتعاطفين مما يتعاوران كل إنسان، وإن التعمير وخلافه يتعاقبان عليه، وذلك محال في حد ذاته، بيد أنه من البدائه التي تدرك لأول وهلة، وعليه كلام الناس المستفيض يقولون: لا يثيب عبداً، ولا يعاقبه إلا بحق، وما تنعمت بلداً ولا اجتويته إلا قل فيه ثوائي، وفيه ـ كما يقول الزمخشري ـ تأويل آخر، وهو: أنه لا يطول عمر إنسان، ولا يقصر إلا في كتاب، وصورته أن يكتب في اللوح: إن حج فلان فعمره أربعون سنة، وإن حج وغزا فعمره ستون سنة، فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر، وإذا أفرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية، وهي الستون.

٢ ـ التمثيل:

وفي قوله: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ...﴾ الخ ويسميه بعضهم الاستعارة التمثيلية، وهو تركيب استعمل في غير موضعه لعلاقة المشابهة وليس فيه ذكر للمشبه، ولا لأداة التشبيه، وهذا مثال يوضحه، وهو قولهم: أنت

تضرب في حديد بارد. فقد شبهت حال من يلح في الحصول على شيء يتعذر تحقيقه بحال من يضرب حديداً بارداً، بجامع: أن كلاًّ منهما يكون عملاً لا يرجى من ورائه أثر، وليس في هذا التركيب ذكر للمشبه ولا لأداة التشبيه، فهو إذاً استعارة تمثيلية، لأنه تركيب استعمل في غير ما وضع له، والمشابهة ظاهرة بين المعنيين المجازي والحقيقي، وهذا النوع يكثر في الأمثال السائرة النثرية والشعرية، كقولهم: إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً. يضرب لمن يتطاول عليك، أو للقوي يقع فيمن هو أقوى منه وأعنف، والمخاطب لم يكن ريحاً ولم يلاق إعصاراً.

ولعبد القاهر الجرجاني فصل ممتع في التمثيل، نلخصه فيما يلي: قال: وهل يشك في أنه يعمل عمل السحر حتى يختصر بعد ما بين المشرق والمغرب. وقال: وهو يريك للمعاني الممثّلة في الأوهام شبهاً في الأشخاص الماثلة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام عين الأضداد، ويجعل الشيء البعيد قريباً.

وأورد عبد القاهر في كتاب أسرار البلاغة مثالاً شعرياً رائعاً قال: وتأمل كذلك بيت أبي تمام:

وإذا أرادَ اللهُ نَشْـرَ فضيلـةٍ طُوِيَتْ أتاحَ لها لسانَ حَسُودِ

مقطوعاً عن البيت الذي يليه، برغم: أن البيت واضح المعنى: ثم أتبعه بالبيت التالي، وهو:

لـولا اشْتِعَـالُ النَّـارِ فيمـا جَـاوَرَتْ
مـا كـانَ يُعْـرَفُ طيـبُ عُـرْفِ العُـوْدِ

وانظر هل نشر المعنى تمام حلته، وأظهر المكنون من حسنه وزينته، واستحق التقديم كلّه إلا بالبيت الأخير، وما فيه من التمثيل والتصوير.

هذا وليس كل تشبيه يحول إلى استعارة، كما يوهم الكلام المتقدم،

وإنما يجوز ذلك إذا كان الشبه بين الشيئين مما يقرب مأخذه، ويسهل متناوله، ويكون في الحال دليل عليه، حتى يمكن المخاطب إذا أطلقت له الاسم أن يعرف ما أردت، فإذا لم يكن سبيل إلى معرفة المقصود من الشبه فيه إلا بعد ذكر الجمل التي يعقد بها التمثيل؛ فإن الاستعارة لا تدخله؛ لأن وجه الشبه إذا كان غامضاً؛ لم يجز أن تقتسر الاسم، وتنقله إلى غير ما هو أهله من غير أن يكون معك شاهد ينبيء عن الشبه، ومثّل عبد القاهر لذلك ببيت للنابغة الذبياني قال: فلو حاولت أن تُحَوِّل قول الشاعر:

فإنَّك كالليلِ الذي هو مُدْرِكي
وإن خِلْتَ أنَّ المنتأى عنكَ واسعُ

إلى استعارة، وأن تعامل الليل معاملة الأسد في قولك: «رأيت أسداً» لم تجد له مذهباً في الكلام، لأنك لا تخلو من أحد أمرين: إما أن تحذف الصفة، وتقتصر على ذكر الليل مجرداً، فتقول: إن فررت أظلني الليل، وهذا محال؛ لأنه ليس في الليل دليل على النكتة التي قصدها الشاعر، من أنه لا يفوته، وإن أبعد في الهرب، لسعة ملكه وطول يده، وإن لم تحذف الصفة وجدت طريق الاستعارة فيه يؤدي إلى تعسّف؛ إذ لو قلت: إن فررت منك وجدت ليلاً يدركني، وإن ظننت أن المنتأى واسع، والمهرب بعيد، قلت: مالا تقبله الطباع؛ لأن العرف لم يجر بأن تجعل الممدوح هكذا.

ونعود إلى ذكر الآية التي نحن بصدد الكلام عليها، فقد مثل الله للمؤمن والكافر بالبحرين، ثم فضل البحر الأجاج على الكافر؛ بأنه قد شارك البحر العذب في منافع من السمك، واللؤلؤ، وجري الفلك بما ينفع الناس، والكافر خلو من النفع، فهو في طريقة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ثم قال: ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ ويقال أيضاً: إنَّ المؤمن والكافر وإن اشتركا في بعض الصفات؛

كالشجاعة، والسخاوة، لا يتساويان في الخاصية العظمى لبقاء أحدهما على فطرته الأصلية.

٣ ـ الاستطراد:

وعلى ذكر الاستطراد نقول: لقد تقدمت الإشارة إليه في هذا الكتاب، ونزيده هنا بسطاً، فنقول: إنَّه أن يبني الشاعر، أو الكاتب كلاماً كثيراً على كلام من غير ذلك النوع يقطع عليه الكلام، وهو مراده دون جميع ما تقدم، ويعود إلى كلامه الأول، وجلّ ما يأتي تشبيهاً فقد استطرد في الآية إلى ذكر البحرين المالح والعذب، وما علق بهما من نعمته وعطائه، فمن كلٍّ منهما تأكلون لحماً طرياً، وهو السمك، وتستخرجون حلية تلبسونها، فالخاتم يجعل في الإصبع، والسوار في المعصم، والقلادة في العنق، والخلخال في الرجل، وترى الفلك في كلٍّ منهما مواخر، أي: شواق للماء بجريها بها، يقال: مخرت السفينة الماء، ويقال للسحاب: بنات مخر؛ لأنها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر؛ لأنها تسفن الماء، كأنها تقشره كما تمخره.

﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾

☆ اللغة:

﴿حِمۡلِهَا﴾: الحمل بالكسر ما يحمل، والجمع: أحمال، وحُمولة، والحمل أيضاً: واحد الحُمول، وهي الهوادج، أو الإبل التي عليها الهوادج، وفي المصباح: الحمل بالكسر: ما يحمل على الظهر، ونحوه،

والجمع: أحمال، وحمول، وحملت المتاع، حملاً، من باب: ضرب، فأنا حامل، والأنثى حاملة بالتاء؛ لأنها صفة مشتركة. وفي المختار: قال ابن السكيت: الحمل بالفتح: ما كان في البطن، أو على رأس شجرة، والحمل بالكسر: ما كان على ظهر أو رأس، قال الأزهري: وهذا هو الصواب، وهو قول الأصمعي، وقال: امرأة حامل، أو حاملة: إذا كانت حبلى، فمن قال: حامل قال: هذا نعت لا يكون إلا للإناث، ومن قال: حاملة بناه على ما حملت، فهي حاملة، وذكر ابن دريد: أن حمل الشجرة فيه لغتان: الفتح، والكسر. وقد نظم بعضهم ضابطاً لهذه المادة العجيبة، فقال:

ما كانَ في بطنٍ فذاكَ حَمْلُ وإنْ على ظهرٍ ورأسٍ حِمْلُ
والكفلاءِ والدياتِ حُمْلُ جمع حِمال وحميل فادْرِ
كثيرُ حَمْلٍ اسمُه الحَمّالُ وحاملُ الدِّياتِ والحِمّال
مصدر حمَّلتك والحُمّالُ جمعٌ لحاملٍ لأيِّ وِقر

○ الإعراب:

﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ يا أيها الناس: تقدم إعرابها كثيراً، وأنتم: مبتدأ، والفقراء: خبر، وإلى الله: متعلقان بالفقراء؛ لأنه جمع فقير، وفقير: صفة مشبهة. ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ الله: مبتدأ، وهو: مبتدأ ثان، أو: ضمير فصل، والغني الحميد: خبران للمبتدأ، أو: لهو، والجملة الاسمية: خبر الله. ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ إنْ: شرطية، ويشأ: فعل الشرط، ويذهبكم: جواب الشرط وجزاؤه، ويأت: عطف على يذهبكم، وبخلق: متعلقان بيأت، وجديد: نعت. ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية حجازية، وذلك: اسم ما، وعلى الله: متعلقان بعزيز، والباء: حرف جر زائد، وعزيز: مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ما. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ لا نافية، وتزر: فعل مضارع، ووازرة: فاعل، أو: هو وصف لفاعل محذوف، والتقدير: نفس وزارة، ووزر:

مفعول به، وأخرى: مضاف إليه، وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة. ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ إن: شرطية، وتدع: فعل الشرط، ومثقلة: وصف لفاعل محذوف، أي: نفس مثقلة بالذنوب، وإلى حملها: متعلقان بتدع، والمفعول به محذوف للعلم به، ولا: نافية، ويحمل بالبناء للمجهول: جواب الشرط، ومنه: متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لشيء، والواو: حالية، ولو: شرطية، وكان: فعل ماض ناقص، واسمها: مستتر، تقديره: المدعو، وذا قربى: خبر، أي: ذا قرابة.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، وتنذر: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، والذين: مفعول به، وجملة: يخشون صلة، وربهم: مفعول به، وبالغيب: حال من الفاعل، أو من المفعول، أي: يخشون ربهم غائبين عن عذابه، أو يخشون عذابه غائباً عنهم، وأقاموا الصلاة: فعل ماض، وفاعل، ومفعول. ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ الواو: اعتراضية، ويجوز أن تكون استئنافية، ومَنْ: اسم شرط جازم مبتدأ، وتزكى: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء: رابطة للجواب، وإنما: كافة ومكفوفة، ويتزكى: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، ولنفسه: متعلقان بيتزكى على أنه تعليل له، وإلى الله: خبر مقدم، والمصير: مبتدأ مؤخر.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تعريف الفقراء، والسر فيه المبالغة في فقرهم، كأنهم لشدة افتقارهم هم الموسومون بالفقراء، وإنَّ افتقار غيرهم بالنسبة لفقرهم لا يعتبر افتقاراً، أو كأنهم قد أصبحوا وقد بلغوا من الفاقة غايتها، ومن العوز نهايته جنس الفقراء، وهذا من روائع علم البيان.

٢ ـ وفي قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ جناس الاشتقاق بين تزر ووازرة ووزر، والوزر كما في المصباح: الإثم، والوزر: الثقل أيضاً، ومنه

يقال: وزر، يزر من باب وعد: إذا حمل الإثم. وهنا يرد سؤال: كيف يتفق هذا القول مع قوله تعالى: ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ فإنَّ هذه الآية في الضالين المضلين، فهم يحملون أثقال ضلالهم، وأثقال إضلالهم لغيرهم، أما الآية التي نحن بصددها فهي مقتصرة على الذين يحملون أوزار وأثقال أنفسهم، وعن ابن عباس: يلقى الأب والأم الابن فيقولان له: يا بني احمل عنا بعض ذنوبنا، فيقول: لا أستطيع حسبي ما عليَّ.

﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾

☆ **اللغـة:**

﴿ الْحَرُورُ ﴾: عبارة الزمخشري: الحرور: السموم، إلا أنَّ السموم يكون بالنهار، والحرور بالليل والنهار، وقيل: بالنهار خاصة. وفي المصباح الحرُّ بالفتح: خلاف البرد، يقال: حر اليوم، والطعام يحر، من باب: تعب، وحرّ حروراً، من بابي: ضرب، وقعد لغة، والاسم: الحرارة، فهو حار، وحرت النار، تحر، من باب: تعب: توقدت، وأسعرت، والحرَّة بالفتح، أرض ذات حجارة سود، والجمع: حِرار، مثل: كلبة، وكلاب، والحرور وزان رسول: الريح الحارة، قال الفراء: تكون ليلاً ونهاراً، وقال أبو عبيدة: أخبرنا رؤبة: أنَّ الحرور بالنهار، والسموم بالليل، وقال أبو عمرو بن العلاء: الحرور والسموم بالليل والنهار، والحرور مؤنثة. وعبارة القاموس: والحرور: الريح الحارة بالليل، وقد تكون بالنهار، وحر الشمس، والحرّ الدائم، والنار.

○ الإعـراب:

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ كلام مستأنف، مسوق لضرب المثل للمؤمن والكافر، والتنافي بينهما في الذات، والوصف، والمستقر في الآخر. وما: نافية، ويستوي: فعل مضارع لا يكتفي بفاعل واحد، ولذلك يجب أن يعطف عليه، أو يتعدد، والأعمى: فاعل، والبصير: عطف عليه، وما بعده: عطف أيضاً، ولا: زائدة للتأكيد. ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، ويستوي الأحياء: فعل مضارع، وفاعل، ولا الأموات: عطف عليه، وإنَّ، واسمها، وجملة يسمع: خبرها، ومَنْ: موصول مفعول به، وجملة يشاء: صلة. ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية حجازية، وأنت: اسمها، وبمسمع: الباء حرف جر زائد، ومسمع: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، ومَنْ: مفعول مسمع، لأنه اسم فاعل، وفي القبور: متعلقان بمحذوف صلة مَنْ. ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ إن: نافية، وأنت: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، ونذير: خبر أنت.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ إنَّ، واسمها، وجملة أرسلناك: خبرها، وبالحق: متعلقان بأرسلناك، وقيل: في محل نصب على الحال من الفاعل؛ أي: محقين، أو من المفعول؛ أي: محقاً، أو: نعت لمصدر محذوف؛ أي: إرسالاً متلبساً بالحق، وبشيراً: حال، ونذيراً: عطف على بشير. ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ الواو: عاطفة، وإن: نافية، ومِنْ: حرف جر زائد، وأمة: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وجملة خلا: خبر إنَّ، أي: سلف، وفيها: متعلقان بخلا، ونذير: فاعل.

□ **البلاغة:**

التمثيل والطباق:

في قوله: ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ مثل للمؤمن والكافر «الظلمت»«النور» مثل للحق والباطل، وكذلك «الظل» «الحرور» و«الأحياء» «الأموات» مثل للذين دخلوا في الإسلام، والذين لم يدخلوا فيه، وأصروا على الكفر، وقد تقدم البحث مستوفياً في التمثيل، ولا يخفى الطباق الموجود في كل مما ذكر.

* **الفوائد:**

الواو في النفي:

قال الزمخشري: فإن قلت لا المقرونة بواو العطف ما هي؟ قلت: إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها لتأكيد معنى النفي.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ
وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ
جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿جُدَدُۢ﴾: بضم الجيم، وفتح الدال: جمع جدة، وهي طريق في الجبل، أو غيره، أو هي الخطة والطريقة، من قولك: جددت الشيء؛ أي: قطعته، قال لبيد بن ربيعة: أو مذهب جدد على ألواحه. وقال أبو الفضل:

هي ما يخالف من الطرائق لون ما يليها، ومنه: جُدة الحمار: للخط الذي في ظهره. والمراد في الجبال ما هو ذو جدد يخالف لونها لون الجبل.

﴿وَغَرَابِيبُ﴾: جمع غربيب، وهو الأسود المتناهي في السواد، يقال: أسود غربيب، وأسود حلكوك، وهو الذي أبعد في السواد، وأغرب فيه، ومنه: الغراب، وفي القاموس: وأسود غربيب: حالك، فأما غرابيب سود؛ فالسود: بدل؛ لأن توكيد الألوان لا يتقدم. وسيأتي المزيد من هذا البحث في باب الإعراب.

○ الإعراب:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الواو: عاطفة، وإن: شرطية، ويكذبوك: فعل الشرط، والواو: فاعل، والكاف: مفعول به، فقد: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وقد: حرف تحقيق، وكذب الذين: فعل، وفاعل، ومِنْ قبلهم: متعلقان بمحذوف صلة، وجملة فقد كذب: في محل جزم جواب الشرط، والأولى أن يكون الجواب محذوفاً، تقديره: فاصبر كما صبروا، وقوله: فقد كذب دليل عليه ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ جملة جاءتهم: حال، وهو فعل ماض، ومفعول به، ورسلهم: فاعل، وبالبينات: متعلقان بجاءتهم، وما بعده: عطف عليه، والمنير: صفة لكتاب، والمراد بالزبر، صحف إبراهيم، وبالكتاب المنير: التوراة، والإنجيل. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ثم: حرف عطف، وأخذت الذين كفروا: فعل، وفاعل، ومفعول به، والفاء: استئنافية، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر لكان مقدم عليها، ونكيري: اسمها وحذفت الياء في الرسم لمراعاة الفاصلة، والنكير بمعنى الإنكار، أي: إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك، والاستفهام هنا معناه التقرير، أي: أنه وقع موقعه، وصادف أهله.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير ما تقدم من ذكر اختلاف أحوال الناس، وأنه أمر مطرد في جميع الكائنات.

والهمزة: للاستفهام التقريري، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتر: فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وأنَّ، واسمها: سدت مسد مفعولي تر، وأن، واسمها، وجملة أنزل من السماء: خبرها، وماء: مفعول أنزل. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ الفاء: عاطفة، وأخرجنا: عطف على أنزل على طريق الالتفات من الغيبة إلى التكلم، وبه: متعلقان بأخرجنا، وثمرات: مفعول أخرجنا، ومختلفاً: صفة لثمرات، وهو: نعت سببي، وألوانها: فاعل به، ولذلك لم يؤنث؛ لأنه أسند إلى جمع تكسير، يجوز فيه التذكير، والتأنيث، وسيأتي سر هذا الالتفات في باب البلاغة. ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ ومن الجبال: الواو استئنافية، ومن الجبال: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وجدد: مبتدأ مؤخر، وسيرد سر هذه الجملة الاسمية في باب البلاغة، وبيض: صفة لجدد، وحمر: عطف على بيض، ومختلف: صفة لجدد أيضاً، وألوانها: فاعل بمختلف، وقد تقدم نظيره، ولذلك لا يجوز أن تعرب مبتدأ مؤخراً، وخبراً مقدماً؛ لأن المطابقة واجبة حينذاك، وغرابيب: عطف على جدد، وسود: بدل من غرابيب، وجعله الزمخشري معطوفاً على بيض، أو جدد، قال: كأنه قيل: ومن الجبال مخطط ذو جدد، ومنها ما هو على لون واحد. ثم قال: ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله: ومن الجبال جدد بمعنى: ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول إلى قولك: ومن الجبال مختلف ألوانها، كما قال: ثمرات مختلفاً ألوانها. ولم يذكر بعد غرابيب سود مختلف ألوانها، كما ذكر ذلك بعد بيض وحمر؛ لأن الغربيب هو البالغ في السواد، فصار لوناً واحداً غير متفاوت بخلاف ما تقدم.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ الواو: عاطفة، ومن الناس: خبر مقدم، والدواب والأنعام: معطوفان على الناس، ومختلف: ألوانه: نعت لمحذوف هو المبتدأ؛ أي: صنف مختلف ألوانه

من الناس، وكذلك: نعت لمصدر محذوف لمختلف؛ أي: اختلاف كذلك. ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ الجملة: تعليل للرؤية؛ لأن الخشية معرفة المخشي، والعلم بصفاته، وأفعاله، فمن كان أعلم به كان أخشى منه. وإنما: كافة ومكفوفة، ويخشى اللهَ: فعل مضارع، ومفعول به مقدم، ومن عباده: حال، والعلماء: فاعل، وسيأتي سر هذا الحصر في باب البلاغة، وإنَّ، واسمها، وخبراها.

□ البلاغة:

انطوت هذه الآيات على فنون رفيعة من البيان نورد منها:

١ ـ الالتفات في قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ فقد التفت عن الغيبة إلى التكلم، لأن المنة بالإخراج أبلغ من إنزال الماء، ولإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبىء عن كمال القدرة.

٢ ـ التدبيج في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ وقد تقدم: أن التدبيج هو أن يذكر المتكلم ألواناً يقصد الكناية بها، والتورية بذكرها عن أشياء من وصف، أو مدح، أو هجاء، أو نسيب، أو غير ذلك من الفنون، وقد أراد الله تعالى بذلك الكناية عن المشتبه من الطرق؛ لأن الجادة البيضاء هي الطريق التي كثر السلوك عليها جداً، وهي أوضح الطرق، وأبينها، يأمن فيها المتعسف، ولا يخاف اجتيازها الموغل في الأسفار، والممعن في افتراش صعيد المغاور، ولهذا قيل: ركب بهم المحجة البيضاء، ودونها: الحمراء، ودون الحمراء: السوداء، كأنها في خفائها والتباس معالمها ضد البيضاء في الظهور والوضوح، ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة بينهما، فالطرف الأعلى في الظهور البياض، والطرف الأدنى في الخفاء السواد، والأحمر بينهما على وضح الألوان والتراكيب، وكانت ألوان الجبال لا تخرج ـ في الغالب ـ عن هذه الألوان الثلاثة، والهداية بكل علم نصب للهداية منقسمة هذه القسمة، أتت الآية الكريمة على هذا التقسيم، فحصل فيها التدبيج مع

صحة التقسيم، وهي مسرودة على نمط متعارف، مسوقة للاعتداد بالنعم على ما هدت إليه من السعي في طلب المصالح والمنافع وتجنب المعاطب والمهالك الدنيوية والأخروية.

٣ ـ العدول إلى الاسمية:

وذلك في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ﴾ فإن إيراد هذه الجملة، والجملة التي بعدها، وهي: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ اسميتين مع مشاركتهما للجملة الفعلية قبلهما في الاستشهاد بمضمون كل من هذه الجمل على تباين الناس في الأحوال، كما أنَّ اختلاف الجبال، والناس، والدواب، والأنعام فيما ذكر من الألوان أمر مستمر، فعبر عنه بما يدل على الاستمرار، وأما إخراج الثمرات المختلفة: فأمر حادث متجدد، فعبر عنه بما يدل على الحدوث.

٤ ـ التقديم والتأخير والحصر:

في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ لحصر الخشية بالعلماء، كأنه قيل: إن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، أما إذا قدمت الفاعل: فإنَّ المعنى ينقلب إلى أنهم لا يخشون إلا الله، وهما معنيان مختلفان، كما يبدو للمتأمل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾﴾

○ الإعراب:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ إن، واسمها، وجملة يتلون: صلة، وكتاب الله: مفعول يتلون، وأقاموا الصلاة: فعل ماض،

وفاعل، ومفعول به، وهي عطف على الصلة، داخلة في حيزها. ﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ عطف أيضاً، وأنفقوا: فعل، وفاعل، ومما: متعلقان بأنفقوا، وجملة رزقناهم: صلة، وسراً، وعلانية: منصوبان بنزع الخافض، أي: في السر والعلانية، وفي ذلك إلماع إلى الإنفاق كيفما تهيأ، ولك أن تنصبهما على الحال، أي: مسرين، ومعلنين، وقيل: هو إلماع إلى الصدقة المطلقة، والأحسن فيها أن تكون سراً، والزكاة، وهي لا تكون إلا علانية. ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ جملة يرجون: خبر إن، وتجارة: مفعول به، ولن: حرف نفي ونصب واستقبال، وتبور: فعل مضارع منصوب بلن، وجملة لن تبور: صفة لتجارة.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

اللام: للعاقبة، والصيرورة، أو: للتعليل، ويوفيهم: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور: متعلقان بلن تبور، على معنى: أنها لن تكسد لأجل أن يوفيهم أجور أعمالهم الصالحة، وقيل: إنَّ اللام متعلقة بمحذوف دل عليه السياق، أي: فعلوا ذلك ليوفيهم، والهاء: مفعول يوفيهم الأول، وأجورهم: مفعول به ثان، ويزيدهم: عطف على يوفيهم، وإنَّ، واسمها، وغفور: خبرها الأول، وشكور: خبرها الثاني، وجملة إنَّ تعليل لما تقدم من التوفية والزيادة، وأجاز الزمخشري جعل جملة يرجون: في محل نصب على الحال، أي: وأنفقوا راجين، وخبر إنَّ قوله: إنه غفور شكور. ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ الذي: مبتدأ، وجملة أوحينا: صلة، وإليك: متعلقان بأوحينا، ومن الكتاب: حال، وهو: مبتدأ، أو ضمير فصل، والحق: خبر هو، والجملة الاسمية: خبر الذي، أو: الحق: خبر الذي. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ مصدقاً: حال مؤكدة، أي: وموافقاً لما تقدمه من الكتب، ولما: متعلقان بمصدقاً، والظرف: متعلق بمحذوف صلة ما، ويديه: مضاف إليه، أي من الكتب التي تقدمته، وإنَّ، واسمها، وبعباده: متعلقان بخبير،

واللام: المزحلقة، وخبير وبصير: خبران لإن؛ أي: عالم بما ظهر، وما بطن منهم.

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ نَصَبٌ ﴾: تعب. وفي القاموس: نصب، كفرح: أعيا. وفي المختار: ونصب: تعب، وبابه: طرب.

﴿ لُغُوبٌ ﴾: إعياء من التعب، وفي القاموس: لغب، لغباً، ولغوباً: كمنع، وسمع، وكرم: أعيا أشد الإعياء. وفي المختار: اللغوب بضمتين: التعب، والإعياء، وبابه: دخل، ولغب بالكسر، لغوباً، لغة ضعيفة. فظاهر ما ورد في كتب اللغة أنهما متفقان في المعنى، ولكن الزمخشري فرق بينهما تفريقاً دقيقاً فقال: فإن قلت: ما الفرق بين النصب واللغوب؟ قلت: النصب، والتعب، والمشقة التي تصيب المنتصب للأمر المزاول له، وأما اللغوب: فما يلحقه من الفتور بسبب النصب، فالنصب نفس المشقة، والكلفة، واللغوب: نتيجته، وما يحدث منه من الكلال، والفترة.

○ **الإعراب:**

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وأورثنا الكتاب: فعل، وفاعل، ومفعول به ثان، وإنما قدم

المفعول الثاني قصد التشريف والتعظيم للكتاب، وسيأتي معناه في باب البلاغة، والذين: هو المفعول الأول، وجملة اصطفينا: صلة الذين، ومن عبادنا: حال. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الفاء: تفريعية؛ لأنه قسم عباده الذين أورثهم الكتاب كما سيأتي، ومنهم: خبر مقدم، وظالم: مبتدأ مؤخر، ولنفسه: متعلقان بظالم، وهؤلاء هم القسم الأول، ومنهم مقتصد: عطف على ما قبله، وهم القسم الثاني، ومنهم سابق بالخيرات: عطف أيضاً، وهم القسم الثالث، وبإذن الله: حال، أو: متعلقان بسابق، وسيأتي تفصيل ذلك في باب الفوائد. ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ ذلك: مبتدأ، وهو: مبتدأ ثان، أو: ضمير فصل، والفضل الكبير: خبر هو، والجملة: خبر ذلك.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ جنات عدن: مبتدأ، وجملة يدخلونها: خبر، وأعربها الزمخشري بدلاً من الفضل، وليس ثمة مانع، ولكن الزمخشري تسلل من هذا الإعراب إلى تثبيت عقيدته الاعتزالية كما سيأتي في باب الفوائد لطرافته. ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ الجملة: خبر ثان، وقد تقدم إعرابها في سورة الحج، فقد وردت هناك بلفظها، فجدد به عهداً. ومن العجيب: أنَّ الزمخشري الذي أعرب لؤلؤاً منصوبة بفعل محذوف في سورة الحج؛ أي: ويؤتون، قد أعربها هنا عطفاً على محل من أساور، فقال: ولؤلؤاً معطوف على محل من أساور، ومِنْ: داخلة للتبعيض، أي: يحلون بعض أساور من ذهب. ولباسهم: مبتدأ، وفيها: حال، وحرير: خبر. ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ الواو: عاطفة، وقالوا: فعل ماض أراد به المضارع، وعدل إلى الماضي للدلالة على التحقيق، والحمد: مبتدأ، ولله: خبر، والذي: نعت، وجملة أذهب عنا: صلة، والحزن: مفعول به لأذهب الذي تعدى بالهمز، وعنا: متعلقان بأذهب. ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ إنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وغفور: خبر أول لإنَّ، وشكور: خبر ثان ﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن

فَضْلِهِۦ﴾ بدل من الذي المتقدمة، وجملة أحلنا: صلة، وهو فعل ماض، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، ودار المقامة: مفعول به ثان؛ أي: أنزلنا دار المقامة، ومن فضله: متعلقان بأحلنا، ومن: للابتداء، أو: للتعليل. ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ جملة لا يمسنا: حال من مفعول أحلنا الأول، ويجوز أن تكون حالاً من المفعول الثاني، والأول أرجح، ويمسنا: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وفيها: متعلقان بيمسنا، ونصب: فاعل، ولا يمسنا فيها لغوب: عطف على ما تقدم.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ استعارة مكنية تبعية، شبّه إعطاء الكتاب إياهم من غير كدٍ أو تعب في وصوله إليهم بتوريث الوارث.

٢ ـ وفي هذه الآية أيضاً فن «الجمع مع التقسيم» وهو أن يجمع المتكلم بين شيئين، أو أكثر في حكم، ثم يقسم ما جمعه، أو يقسم أولاً، ثم يجمع، فالأول كالآية المذكورة وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾.. إلى آخر الآية.

* الفوائد:

١ ـ الترتيب على مقامات الناس:

قال الزمخشري: فإن قلت: لم قدم الظالم، ثم المقتصد، ثم السابق؟ قلت: للإيذان بكثرة الفاسقين، وغلبتهم، وأن المقتصدين قليل بالإضافة إليهم، والسابقين أقل من القليل. وأوضح الخازن هذا المعنى بعبارة أكثر بسطاً فقال: فإن قلت: لم قدم الظالم، ثم المقتصد، ثم السابق؟ قلت: قيل: رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس؛ لأن أحوال الناس ثلاثة: معصية، وغفلة، وتوبة، فإذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين، فإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، فإذا صحت توبته، وكثرت عبادته،

ومجاهدته، دخل في عداد السابقين».

٢ ـ بين المعتزلة وأهل السنة:

قال الزمخشري: فإن قلت كيف جعلت جنات عدن بدلاً من الفضل الكبير؟ قلت: لأن الإشارة بالفضل إلى السبق بالخيرات، وهو السبب في الجنات، ونيل الثواب، فأقام السبب مقام المسبب، وفي اختصاص السابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر فليحذر المقتصد، وليملك الظالم لنفسه حذراً، وعليهما بالتوبة النصوح، ولا يغترا بما رواه عمر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له، فإن شرط ذلك صحة التوبة، فلا يعلل نفسه بالخدع. وهذا الكلام جار على مذهب المعتزلة، أما أهل السنة: فيجوزون الغفران بمجرد الفضل، قال ابن المنير في الرد على الزمخشري: وقد صدرت هذه الآية بذكر المصطفين من عباد الله، ثم قسمتهم إلى الظالم، والمقتصد، والسابق؛ ليلزم اندراج الظالم لنفسه من الموحّدين في المصطفين، وإنه لمنهم، وأيُّ نعمة أتم وأعظم من اصطفائه للتوحيد والعقائد السالمة من البدع، فما بال المصنف (أي الزمخشري) يطنب في التسوية بين الموحد المصطفى والكافر المجترىء.

قبسة عن المعتزلة:

هذا والمعتزلة طائفة من المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله، وأفعال الشر من الإنسان، وأن الله تعالى يجب عليه رعاية الأصلح للعباد، وأنَّ القرآن محدث مخلوق، ليس بقديم، وأنَّ الله تعالى ليس بمرئي يوم القيامة، وأنَّ المؤمن إذا ارتكب الكبيرة كان في منزلة بين المنزلتين، يعنون بذلك: أنه ليس بمؤمن، ولا كافر، وأنَّ من دخل النار لم يخرج منها، وأنَّ الإيمان قول، وعمل، واعتقاد، وأنَّ إعجاز القرآن في الصرف عنه، لا أنّه في نفسه معجز، ولو لم يصرف العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه، وأنَّ المعدوم شيء، وأن الحُسن والقبح عقليان، وأنَّ الله تعالى حيٌّ لذاته لا بحياة،

وعالم لذاته لا بعلم، وقادر لذاته لا بقدرة.

ومن مشهوري المعتزلة وأعيانهم الجاحظ، وأبو الهذيل العلاف، وإبراهيم النظام، وواصل بن عطاء، وأحمد بن حابط، وبشر بن المعتمر، ومعمر بن عباد السلمي، وأبو موسى عيسى الملقب بالمزداد، ويعرف براهب المعتزلة، وثمامة بن أشرس، وهشام بن عمر الفوطي، وأبو الحسن بن أبي عمر، والخياط، وأستاذ الكعبي، وأبو علي الجبائي أستاذ الشيخ أبي الحسن الأشعري أولاً، وابنه أبو هاشم عبد السلام، هؤلاء هم رؤوس مذهب الاعتزال، وغالب الشافعية أشاعرة، والغالب في الحنفية معتزلة، والغالب في المالكية قدرية، والغالب في الحنابلة حشوية، ومن المعتزلة أبو القاسم الصاحب إسماعيل بن عباد، والزمخشري، والفراء النحوي، والسيرافي.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ : يتصارخون، يفتعلون، من الصراخ، وهو الصياح بجهد ومشقة، قال الأعشى:

قصدتُ إلى عنسٍ لأحدجَ رحلَها
وقد حانَ مِنْ تلك الديارِ رحيلُها

فـأنَّـتْ كمـا أنَّ الأسيـرُ وصـرخـت

كصـرخـــةِ حُبْـلـى أسلمتْهـا قَبيلُهـا

أي: أنَّتْ كأنين الأسير في الأول، ورفعت برفع صوتها ثانياً، كصرخة حبلى عند الطلق تركتها قبيلتها التي تخدمها عند الولادة، والقبيل، والقبول، والقابلة: التي تقوم بمصلحة المرأة عند الولادة، وتتلقى الولد عند خروجه. والأفعال المبدوءة بأحد أحرف الإطباق، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، إذا صيغ منها على وزن افتعل، وما يتصرف منه، أبدلت تاء الافتعال طاء، مثال ذلك: الأفعال: صلح، ضرب، طرد، ظلم إذا بنينا منها صيغة افتعل قلنا: على القياس: اصتلح، اضترب، اطترد، اظتلم، ولتخفيف اللفظ أبدلت التاء طاءً، والمجانسة بينهما ظاهرة، فنقلت إلى: اصطلح، اضطرب، اطرد، اظطلم، ويجوز في نحو اظطلم وجهان آخران اظّلم، واطّلم.

○ الإعــراب:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ عطف على قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ والذين: مبتدأ، وجملة كفروا: صلة، ولهم: خبر مقدم، ونار جهنم: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: خبر الذين. ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ الجملة: خبر ثان للذين، أو: حال منهم، ولا: نافية، ويقضى: فعل مضارع مبني للمجهول؛ أي: لا يحكم عليهم بالموت، وعليهم: متعلقان بيقضى، والفاء: السببية، ويموتوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، ولا يخفف: عطف على لا يقضى، وعنهم: يجوز أن يقوم مقام الفاعل، ومن عذابها: متعلقان بيخفف، ويجوز العكس. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ كذلك: نعت لمصدر محذوف، ونجزي: فعل مضارع، وفاعل مستتر، وكل كفور: مفعول به. ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا

نَعْمَلْ﴾ الواو: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة يصطرخون: خبر، وفيها: متعلقان بيصطرخون، وربنا: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وجملة النداء، وما بعدها: مقول قول محذوف في محل نصب على الحال، أي: قائلين: ربنا، وأخرجنا: فعل أمر معناه الدعاء، والفاعل: مستتر، ونا: مفعول، ونعمل: فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الأمر، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، وصالحاً غير الذي: يجوز أن يكونا صفتين لمصدر محذوف، أو لمفعول به محذوف، ويجوز أن يكون صالحاً: نعتاً للمصدر، وغير الذي: هو المفعول، وجملة كنا: صلة الموصول، وكان، واسمها، وجملة نعمل: خبر كنا.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ الجملة: مقول قول محذوف، أي: فيقال لهم: أولم نعمركم، والهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي والواو: للعطف على مقدر؛ أي: ألم نمهلكم، ونؤخركم عمراً يتذكر فيه من تذكر، أي: وقتاً يتيح لكم التفكير لو خطر لكم أن تتفكروا، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ونعمركم: فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، والكاف: مفعول به، وما: نكرة مقصودة بمعنى وقتاً، فهي في محل نصب على الظرفية الزمانية، أو: على المصدرية، أي: تعميراً، وجملة يتذكر: صفة لما، وفيه: متعلقان بيتذكر، ومَنْ: فاعل، وجملة تذكر: صلة. ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ الواو: عاطفة، وجملة جاءكم النذير: عطف على أو لم نعمركم؛ لأن لفظه لفظ استخبار، ومعناه معنى إخبار، كأنه قيل: قد عمرناكم، وجاءكم النذير، فذوقوا: الفاء: الفصيحة لترتيب الأمر بالذوق على ما قبلها من التعمير، ومجيء النذير، والفاء في فما: للتعليل، وما: نافية، وللظالمين: خبر مقدم، ومن: حرف جر زائد، ونصير: مبتدأ مؤخر محلاً مجرور بمن لفظاً، ويجوز أن تكون ما: حجازية عند من يجيز تقديم خبرها على اسمها. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إنَّ، واسمها، وعالم: خبرها وما بعده مضاف إليه. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ إنَّ،

واسمها، وعليم: خبرها، وبذات الصدور: متعلقان بعليم، وقد تقدم القول مسهباً في ذات.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿خَلَٰٓئِفَ﴾: جمع خليفة، أي: يخلف بعضكم بعضاً، وعبارة الزمخشري: يقال للمستخلف: خليفة، وخليف، فالخليفة تجمع: خلائف والخليف: خلفاء. هذا ولم نجد مادة توزعت على كثير من المعاني كهذه المادة، ومن يرجع إليها في معاجم اللغة ير العجب، ولذلك جمع بعضهم معانيها في هذه الأبيات:

عـديـم خيـر حـدّ السيـف خَلْـفُ
والاستقـا والقَـرنُ أمَّـا الخُلْـفُ

فـاسمٌ لعُشْبِ الصَّيْفِ ثُـمَّ الخُلْفُ
للـوعـدِ ليـس مـن صفـاتِ الحُـرِّ

ذهـابُ شهـوة الطَّعـام خلفـه
ورقعـةٌ ونبـتُ صيـفٍ خِلفـه

كـذا اختـلافُ الـوحشِ ثُـمَّ الخُلفـه
اسـمٌ إلـى العيـبِ وذاكَ يَـزْري

الـولـدُ الصَّـالـحُ هـذاكَ خَلَـفْ
وجمـعُ خِلفـةٍ لـرقعـةٍ خِلَـفْ

وخُلفة بالضَّمِّ جمعها خُلَفْ
لعنبٍ وذاكَ أصلُ الخَمْرِ

○ الإعراب:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان أحوال الكافرين الذين غمطوا نعمة الله عليهم بعد أن استخلفهم في الأرض، وهو: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة جعلكم: صلة، وجعلكم: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، وخلائف: مفعول به ثان، وفي الأرض: متعلقان بخلائف، أو: بمحذوف صفة له. ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ الفاء: الفصيحة، ومَنْ: اسم شرط جازم مبتدأ، وكفر: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، والفاء: رابطة وعليه: خبر مقدم، وكفره: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: في محل جزم جواب الشرط، والواو: عاطفة، ولا: نافية، ويزيد الكافرين كفرهم: فعل مضارع، ومفعول به مقدم، وكفرهم: فاعل مؤخر، وعند ربهم: ظرف مكان متعلق بمحذوف حال، وإلا: أداة حصر، ومقتاً: مفعول به ثان، أو: تمييز. ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ عطف على الجملة السابقة، وكررت للتوكيد، ولزيادة التقرير على رسوخ الكفر في نفوسهم، واقتضاء الكفر لكل واحد من الأمرين الهائلين، وهما: المقت والخسار. ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أرأيتم: تقدم القول فيها: أنها بمعنى أخبروني، والرؤية هنا تتعدى لاثنين، كما سيأتي، وقيل: الاستفهام هنا حقيقي، ولم تضمن الكلمة معنى أخبروني، ورأيتم: فعل، وفاعل، وشركاءكم: مفعول به أول لرأيتم، والذين: صفة، وجملة تدعون: صلة، ومن دون الله: حال.

﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أروني: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، المراد بالأمر: التعجيز، والجملة: معترضة، وأعربها الزمخشري: بدلاً من أرأيتم، ورد عليه أبو حيان بما لا يتسع له المجال. وجملة ماذا خلقوا: في

محل نصب مفعول به ثان إما لرأيتم، وإما لأروني، فالمسألة من باب التنازع، أو أن جملة أروني اعتراضية، وماذا: يجوز فيها الوجهان المعروفان لها، أو: إن جملة أروني بدل من جملة أرأيتم، كأنه قيل: أخبروني عن شركائكم، أروني أي جزء خلقوا، ومن الأرض: متعلقان بخلقوا. ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أم: حرف عطف، وهي منقطعة، فهي بمعنى: بل، ويكون قد أضرب عن الاستفهام الأول وشرع في استفهام آخر، والاستفهام إنكاري، ولهم: خبر مقدم، وشرك: مبتدأ مؤخر، وفي السموات: متعلقان بشرك، أي: شركة. ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ عطف على ما تقدم، وآتيناهم: فعل وفاعل، ومفعول به أول، وكتاباً: مفعول به ثان، والفاء: حرف عطف، وهم: مبتدأ، وعلى بينة: خبر، ومنه: صفة لبينة. ﴿بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ إن: نافية، ويعد الظالمون: فعل مضارع، وفاعل، وبعضهم: بدل من الظالمون بدل بعض من كل، وبعضاً: مفعول يعد، وإلا: أداة حصر، وغروراً: منصوب بنزع الخافض، أو: نعت لمصدر محذوف، أي: إلا وعداً باطلاً، وذلك بقولهم: إنَّ الأصنام تشفع لنا عند الله.

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾

○ **الإعراب:**

﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ إنَّ، واسمها، وجملة يمسك السموات والأرض: خبرها، وأن تزولا: أن، وما في حيزها: في

محل نصب مفعول لأجله، أي: مخافة أن تزولا، وقيل: ضمن يمسك معنى يمنع، فتكون أنْ، وما في حيزها: في محل نصب مفعول به ثان، أو: على نزع الخافض؛ أي: عن أن تزولا، والجار والمجرور: متعلقان بيمسك، قاله الزجاج، وقيل: أنْ، وما في حيزها: في محل نصب بدل اشتمال من السموات أي: يمسك زوالهما. ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، وإنْ: شرطية، وزالتا: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وإنْ: نافية، وأمسكهما: فعل ماض، ومفعول به، ومِنْ: حرف جر زائد، وأحد: مجرور لفظاً فاعل أمسكهما محلاً، ومن بعده: حال، أو صفة لأحد، فعلى الأول يكون المعنى: من بعد إمساكه، وعلى الثاني يكون المعنى: سواه؛ أي: من أحد غيره، وجملة إنْ امسكهما: لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وجواب الشرط: محذوف دل عليه المذكور على حد قوله في الخلاصة:

واحذفْ لدى اجتماعِ شرطٍ وقَسَمْ
جوابَ ما أخَّرْتَ فهو مُلْتَزَمْ

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ إنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها، وحليماً: خبر كان، وغفوراً: خبر ثان. ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ أقسموا: فعل، وفاعل، وبالله: متعلقان بأقسموا، وجهد أيمانهم: منصوب على المصدرية، أو: على الحال؛ أي: جاهدين، قال الفراء: الجهد بالفتح، من قولك: اجهد جهدك؛ أي: ابلغ غايتك، والجهد بالضم: الطاقة، وعند غير الفراء كلاهما بمعنى الطاقة، واللام: واقعة في جواب القسم، وإنْ: شرطية، وجاءهم نذير: فعل، ومفعول به، وفاعل، واللام: جواب القسم أيضاً، ويكونن: فعل مضارع مرفوع لعدم اتصاله المباشر بنون التوكيد، وأصله: ليكونونن، حذفت إحدى النونات كراهة توالي الأمثال، فلما التقى ساكنان حذفت الواو، وبقيت الضمة دليلاً عليه، فهو مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالي

الأمثال، والواو المحذوفة: اسمها، وأهدى: خبرها، ومن إحدى الأمم: متعلقان بأهدى؛ أي: من كل واحدةٍ منها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ الفاء: عاطفة، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة متضمنة معنى الشرط، وجاءهم نذير: فعل، ومفعول به، وفاعل، وجملة ما زادهم: جواب لما، لا محل لها، قال الشهاب الحلبي: وفيه دليل على أنها ـ أي: لما ـ حرف لا ظرف؛ إذ لا يعمل ما بعد ما النافية فيما قبلها. وإلا: أداة حصر، ونفوراً: مفعول به ثان، أو: تمييز. ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ استكباراً: مفعول لأجله، أي: لأجل الاستكبار، أو: بدل من نفوراً، أو: حال؛ أي: حال كونهم مستكبرين؛ وفي الأرض: متعلقان باستكباراً، ومكر السيىء: عطف على استكباراً، أو على نفوراً، وهو من إضافة الموصوف إلى صفته، والأصل: المكر السيىء أو أن هناك موصوفاً محذوفاً؛ أي: مكر العمل السيء. ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ الواو: حالية، ولا: نافية، ويحيق المكر: فعل مضارع، وفاعل، والسيىء: صفته، وإلا: أداة حصر، وبأهله: متعلقان بيحيق. ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ الفاء: عاطفة، وهل: حرف استفهام، وينظرون: فعل مضارع، وفاعل، أي: ينتظرون، وإلا: أداة حصر، وسنة الأولين: مفعول به، وسنة: مصدر أضيف إلى مفعوله تارة كما هنا، ولفاعله أخرى، كقوله: فلن تجد لسنة الله؛ لأنه تعالى سنَّها بهم، فصحت إضافتها إلى الفاعل والمفعول، ولن: حرف نفي، ونصب، واستقبال، وتجد: فعل مضارع منصوب بلن ولسنة الله: متعلقان بتبديلاً، وتبديلاً: مفعول تجد.

□ البلاغة:

١ ـ ائتلاف اللفظ مع المعنى:

في قوله: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ فن ائتلاف اللفظ مع المعنى؛

أي: أن تكون ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضاً، ليس فيها لفظة نافرة عن إخوانها، غير لائقة بمكانها، أو موصوفة بحسن الجوار، بحيث إذا كان المعنى غريباً قحاً كانت ألفاظه غريبة محضة، وبالعكس، ولما كانت جميع الألفاظ المجاورة للقسم في هذه الآية كلها من المستعمل المتداول؛ لم تأت فيها لفظة غريبة تفتقر إلى مجاورة ما يشاكلها في الغرابة، وقد تقدم هذا البحث بتفصيل وافٍ في سورة يوسف.

٢ ـ إرسال المثل:

وفي قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ فن إرسال المثل، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الفن مع إيراد أمثال كثيرة، وخاصة في شعر أبي الطيب، وهو هنا واضح؛ لأن المكر لا يقع إلا على أهله، وفي أمثالهم: «من حفر مغواة وقع فيها» قال في الصحاح: وقع الناس في أغوية؛ أي: في داهية، والمغوَّيات بفتح الواو المشددة: جمع المغواة، وهي حفرة كالزبية، يقال: من حفر مغويات وقع فيها. قال كعب لابن عباس: في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، فقال له ابن عباس: إنا وجدنا هذا في كتاب الله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾

٣ ـ الإسناد المجازي:

وفي قوله: ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ إسناد مجازي؛ لأن إسناد الزيادة للنذير مجاز مرسل؛ لأنه سبب في ذلك.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا

مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾

○ الإعراب:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كلام مسوق للاستشهاد على جريان سنته تعالى على تعذيب المكذبين، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: للعطف على مقدر يستدعيه المقام؛ أي: ألزموا مساكنهم ولم يسيروا، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويسيروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، وفي الأرض: متعلقان بيسيروا، فينظروا: الفاء: عاطفة، وينظروا: عطف على يسيروا، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم، وعاقبة: اسمها المؤخر، والجملة: في محل نصب مفعول ينظروا، والذين: مضاف إليه، ومن قبلهم: متعلقان بمحذوف صفة الذين. ﴿وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ الواو: للحال، وكانوا: كان، واسمها، وأشد: خبرها، ومنهم: متعلقان بأشد، وقوة: تمييز، والجملة: في محل نصب على الحال. ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكان، واسمها، واللام: لام الجحود، ويعجزه: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود، والهاء: مفعول به، ومن: حرف جز زائد، وشيء: مجرور لفظاً مرفوع على أنه فاعل شيء، وفي السموات: صفة لشيء، ولا في الأرض: عطف على في السموات.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ إنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها، واسم كان: مستتر، تقديره: هو، وعليماً، وقديراً: خبراها. ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ الواو: عاطفة، ولو: شرطية، ويؤاخذ الله الناس: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، وبما: متعلقان بيؤاخد، وما: موصولة، أو: مصدرية؛ أي: بالذي كسبوه، أو:

بكسبهم، وعلى كلٍ فجملة كسبوا: لا محل لها، وجملة ما ترك: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وعلى ظهرها: متعلقان بترك، ومن: حرف جر زائد، ودابة: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول ترك. ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ الواو: عاطفة، ولكن: مخففة مهملة، فهي للاستدراك، ويؤخرهم: فعل مضارع، ومفعول به، وفاعل مستتر، وإلى أجلٍ: متعلقان بيؤخرهم، ومسمى: نعت لأجل، فإذا: الفاء: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل، وجملة جاء أجلهم: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجواب إذا العامل فيها: محذوف، تقديره: فيجازيهم، والفاء: رابطة، وإنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها، وبعباده: متعلقان ببصيراً، وبصيراً: خبر كان.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا . . .﴾ الخ استعارة مكنية، فقد شبه الأرض بالدابة التي يركب الإنسان عليها، ثم حذف المشبه به، وهو الدابة، وأبقى لها شيئاً من لوازمها وهو الظهر، ولزاده في حاشيته على البيضاوي سؤال لطيف، نورده بنصه قال: فإن قيل: كيف يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض، وظهر الأرض مع أن الظهر مقابل الوجه، فهو من قبيل إطلاق الضدين على شيء واحد، قلت: صح ذلك باعتبارين، فإنه يقال لظاهرها: ظهر الأرض من حيث أن الأرض كالدابة الحاملة للأثقال، ويقال له: وجه الأرض لكون الظاهر منها كالوجه للحيوان، وإن غيره كالبطن هو الباطن منها.

* * *

سُورَةُ يسٓ

آياتها ٨٣ — ترتيبها ٣٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤
تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ
ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ
فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ
لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْحَكِيمِ ﴾ : ذو الحكمة، يقال: قصيدة حكيمة، أي: ذات حكمة، والحكمة تقدم القول فيها، وحكم الرجل، من باب: كرم، أي: صار حكيماً، ومنه قول النابغة:

واحكُم كحكمِ فتاةِ الحيِّ إِذْ نظرتْ
إِلى حمام شراع وارد الثمد

وأحكمته التجارب: جعلته حكيماً، وقال آخر:

وقصيــدةٍ تــأتــي الملــوكَ حكيمــة
قــد قلتُهــا ليقــالَ مَــنْ ذا قــالهــا

وعبارة الكرخي: فعيل، بمعنى: مفعل، كقولهم: عقدت العسل، فهو عقيد، بمعنى: معقد، وليس بمعنى مفعول، كشيطان رجيم، بمعنى: مرجوم، وليس هو في الآية كذلك؛ لأنه إنما يقال: محكوم به، ونحو ذلك. ولا بمعنى فاعل، أي: حاكم؛ لأن الحاكم الحقيقي هو الله تعالى، فظهر بذلك: أنَّ القرآن الحكيم محكوم فيه لا حاكم، وأنَّ الحاكم المطلق هو الله تعالى، أو على معنى النسب، أي: ذي الحكم؛ لأنه دليل ناطق بالحكمة بطريق الاستعارة، والمتصف بها على الإسناد المجازي.

﴿ ٱلْأَذْقَانِ ﴾ : جمع ذقن، بفتح الذال والقاف، وبكسر الذال، وفتح القاف: مجتمع اللحيين من أسفلهما.

﴿ مُّقْمَحُونَ ﴾ : المقمح: هو الذي يرفع رأسه ويغضّ بصره، يقال: قمح البعير، فهو قامح: إذا رفع رأسه بعد الشرب لارتوائه، أو لبرودة الماء، أو لكراهة طعمه، وفي المختار: الإقماح: رفع الرأس، وغض البصر، يقال: أقمحه الغل: إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه. وفي القاموس: وأقمح الغل الأسير: ترك رأسه مرفوعاً لضيقه.

﴿ سَدًّا ﴾ : السَّدُّ والسُّدُّ بفتح السين وضمها: الحاجز بين الشيئين، والجبل، والجمع: أسداد، قال علي بن أبي طالب: وضرب على قلبه بالأسداد. أي: سدت عليه الطرق، وعميت عليه المذاهب.

﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ ﴾ : أي: فأغشينا أبصارهم، أي: غطيناها، وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح إلى مرئي، وسيأتي المزيد من هذه الصور في بابي البلاغة والإعراب.

○ الإعـراب:

﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يس: تقدم القول في فواتح السور معنى وإعراباً. والواو: حرف قسم، وجر، والقرآن: مقسم به، والحكيم: صفة، والجار والمجرور: متعلقان بمحذوف، تقديره: أقسم. ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، ومِنَ المرسلين: خبرها. ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ على صراط: خبر ثان لإنَّ، وقيل: حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور، وأجاز الزمخشري أن يتعلق بالمرسلين، ومستقيم: صفة لصراط، أي: الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة، ولا بأس بهذا الإعراب. ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تنزيل: مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: نزل القرآن تنزيلاً، وأضيف لفاعله، أو: منصوب بفعل محذوف، تقديره: أعني، أو: أمدح، وقرىء بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، وعبارة الزمخشري: قرىء ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف، وبالنصب على أعني، وبالجر على البدلية من القرآن.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ اللام: للتعليل، وتنذر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور: متعلقان بتنزيل، أو: بمعنى قوله من المرسلين، أي: مرسل لتنذر، وقوماً: مفعول به، وما: نافية؛ لأن قريشاً لم يبعث إليهم نبي قبل محمد ﷺ، وأنذر: فعل ماض مبني للمجهول، وآباؤهم: نائب فاعل، فالجملة على هذا صفة لقوماً، أي: قوماً لم ينذروا، ويجوز أن تكون موصولة، أو: نكرة موصوفة، أو: مصدرية، فتعرب هي وصفتها أو صلتها: مفعولاً ثانياً لتنذر على الأولين، ومفعولاً مطلقاً على الثالث، وسنورد لك التأويلات الثلاثة:

الموصولة: لتنذر قوماً الذي أنذره آباؤهم.

النكرة: لتنذر قوماً عذاباً أنذره آباؤهم.

المصدرية: لتنذر قوماً إنذار آبائهم.

الزائدة: وأورد أبو البقاء وجهاً رابعاً وهو أن تكون زائدة، وتكون جملة أنذر: صفة لقوماً.

فهم: الفاء: تعليلية للنفي إذا جعلت ما نافية، أي: لم ينذروا فهم غافلون، على أن عدم إنذارهم هو سبب غفلتهم، أو: تعليلية للإرسال، كما تقول: أرسلتك إلى فلان لتنذره فإنه غافل وهم: مبتدأ، وغافلون: خبر. ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ اللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وحق القول: فعل، وفاعل، وعلى أكثرهم: متعلقان بحق، والفاء: تعليلية أيضاً، وهم: مبتدأ، وجملة لا يؤمنون: خبر، والمعنى: والله لقد ثبت وتحقق عليهم القول بسبب إصرارهم على الكفر والإنكار. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتمثيل تصميمهم على الكفر، وأنّه لا سبيل إلى ارعوائهم عن غيهم، وإنَّ، واسمها، وجملة جعلنا: خبرها وجعلنا: فعل، وفاعل، وفي أعناقهم: في محل نصب مفعول جعلنا الثاني، وأغلالاً: مفعول جعلنا الأول، فهي: الفاء: للعطف والتعقيب، أو: للعطف والتعليل، وسيرد الفرق بين المعنيين، وهي: مبتدأ، وإلى الأذقان: متعلقان بمحذوف خبر، أي: مجموعة، أو مرفوعة، وسيأتي المزيد من أسرار هذا التعبير في باب البلاغة، فهم: الفاء كالفاء الأولى، وسماها بعضهم: فاء النتيجة، وهم: مبتدأ، ومقمحون: خبر.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ الواو: عاطفة، وجعلنا: فعل، وفاعل، ومن بين أيديهم: في موضع نصب مفعول جعلنا الثاني، وسداً: مفعول جعلنا الأول، ومن خلفهم سداً: عطف على من بين أيديهم سداً. ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وأغشيناهم: فعل، وفاعل، ومفعول به، والفاء: تعليلية، وهم مبتدأ، وجملة لا يبصرون: خبر هم.

□ **البلاغـة:**

في قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ . . الآية فنون شتى نوردها فيما يلي:

١ ـ الاستعارة التمثيلية:

تقدم القول كثيراً في الاستعارة التمثيلية، وهي هنا تمثيل لتصميمهم على الكفر، وإصرارهم على العناد؛ بأن جعلهم كالمغلولين المقموحين؛ في أنهم لا يلتفتون إلى الحق، ولا يثنون أعناقهم نحوه؛ لأن الأغلال واصلة إلى الأذقان، ملزوزة إليها، فلا تخليهم يطأطئون، فهم دائماً مقمحون، رافعون رؤوسهم، غاضون أبصارهم، أي: شبهت حالتهم وهيئتهم في عدم إتاحة الإيمان لهم بهيئة من غلت يده وعنقه، فلم يستطع أن يتعاطى ما يريد، والجامع مطلق المانع، بقي هناك مبحث هام، وهو: هل يعود الضمير وهو قوله فهي إلى الأذقان على الأغلال، أو على الأيدي؟ وقد رجح الزمخشري عودة الضمير على الأغلال، قال: فالأغلال واصلة إلى الأذقان ملزوزة إليها، وذلك: أنَّ طوق الغلِّ الذي في عنق المغلول يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود، نادراً [1] من الحلقة إلى الذقن، فلا تخليه يطأطىء رأسه، ويوطىء قذاله [2] فلا يزال مقمحاً. واستطرد الزمخشري داعماً رأيه في عودة الضمير على الأغلال، فقال: فإن قلت: فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي، وزعم: أن الغلَّ لما كان جامعاً لليد والعنق، وبذلك يسمى جامعة، كان ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدي؟ قلت: الوجه ما ذكرت لك، والدليل عليه قوله: ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ ألا ترى كيف جعل الإقماح نتيجة قوله: ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ ولو كان الضمير للأيدي لم يكن

(١) نادراً: شاذّاً، كما في الصحاح.
(٢) قذال: جماع مؤخر الرأس.

معنى التسبب في الإقماح ظاهراً، على أن هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى إلى نفسه إلى الباطل الذي يجفو عنه، وترك للحق الأبلج إلى الباطل اللجلج. ولعلَّ الزمخشري قد بلغ الذروة في هذا التقرير الفريد، ودل على اطلاعه، وتمكنه من علم البيان، على أن الوجه الثاني، وهو: عودة الضمير على الأيدي لا يخلو من وجاهة وسمو بيان، وفيها مبالغة في تصوير الهول تتلاءم مع سياق الكلام، فإن اليد وإن لم يجر لها ذكر في العبارة فإن الغل يدل عليها، بل ويستلزمها، ولا شك: أنَّ ضغط اليد مع العنق في العنق يوجب الإقماح، أضف إلى ذلك: أنَّ اليد متى كانت مرسلة مخلاة كان للمغلول بعض الفرح بإطلاقها، ولعله يتحيل بها، ويستعين على فكاك الغل، وليس الأمر كذلك إذا كانت مغلولة، فيضاف إلى ما تقدم من التشبيهات المفرقة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم في الهداية الانخلاع من ربقة الكفر المقدر عليهم مشبهاً بغل الأيدي؛ لأن اليد ـ كما قلنا ـ آلة الحيلة، والوسيلة إلى الخلاص.

٢ ـ استعارة تمثيلية ثانية:

وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا . . .﴾ الآية استعارة تمثيلية ثانية، فقد شبههم بمن أحاط بهم سدان هائلان، فغطيا أبصارهم، بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في أنهم محبوسون في وهدة الجهالة، ممنوعون من النظر في الآيات والدلائل، أو كأنهم قد حرموا نعمة التفكير في القرون الخالية والأمم الماضية، والتأمل في المغاب الآتية، والعواقب المستقبلة، وقد أحيطوا بسد من أمامهم، وسد من ورائهم، فهم في ظلمة داكنة لا تختلج العين من جانبها بقبس، ولا تتوسم بصيصاً من أمل.

٣ ـ القلب:

وفي قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ القلب، وهو من فنون كلام العرب، إذ حقيقته: جعلنا أعناقهم في الأغلال. وقال ثعلب: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ إنَّ المعنى اسلكوا فيه

سلسلة؛ أي: أدخلوا في عنقه سلسلة.

٤ ـ التنكير:

وفي تنكير ﴿أَغْلَالًا﴾ مبالغة في تعظيمها، وتهويل أمرها.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان شأنهم بطريق التوبيخ بعد بيانه بطريق التمثيل، ولك أن تعطفه على ماقبله، فتكون الواو: عاطفة، وسواء: خبر مقدم، وعليهم: متعلقان بسواء، والهمزة: للاستفهام، وهي همزة التسوية، وقد تقدم بحثها مفصلاً في سورة البقرة المماثلة، وهي مع الفعل بعدها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، أي: مستو عندك إنذارك إياهم وعدمه، أم: حرف عطف معادل للهمزة، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتنذرهم: فعل مضارع مجزوم بلم، والفاعل: مستتر، والهاء: مفعول به، وجملة لا يؤمنون: استئناف مؤكد لما قبله، أو: حال مؤكدة له، أو: بدل منه. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، وتنذر: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ومَنْ: مفعول به، وجملة اتبع الذكر: صلة، وجملة خشي الرحمن: عطف على اتبع الذكر، وبالغيب: حال من الفاعل، أو من المفعول به، ونتساءل: ما وجه ذكر الانذار الثاني في معرض المخالفة للأول، مع أن الأول إثبات؟ والوجه: هو أن البغية المرومة

بالإنذار غير حاصلة، وهي الإيمان، فقفّى بقوله: إنما تنذر، على معنى: إما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين، وهم الذين اتبعوا الذكر، وهو القرآن، والخاشون ربهم، فالمحصور إنما هو الإنذار النافع، فلا ينافيه وجود غيره لمن لم ينتفع به.

﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ الفاء: الفصيحة، وبشره: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وبمغفرة: متعلقان ببشره، وأجر: عطف على بمغفرة، وكريم: صفة لأجر. ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ﴾ إنَّ، واسمها، ونحن: مبتدأ، أو: ضمير فصل، وجملة نحيي الموتى، خبر نحن، والجملة: خبر إن، أو الجملة: خبر إنا، ونكتب: عطف على نحيي، وما: مفعول به، جملة قدموا: صلة ما، وآثارهم: عطف على ما، والمراد بها: ما استن بعدهم، وفي الحديث: «من سن سنةً حسنةً فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من وزرهم شيء».

﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ نصب كل شيء بفعل محذوف يفسره ما بعده، فهو نصب على الاشتغال، وأحصيناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة: مفسرة لا محل لها، وفي إمام: متعلقان بأحصيناه، ومبين: نعت إمام، أي: في كتاب بيّن.

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ
فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا
وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ
لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا

لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿الْقَرْيَةِ﴾: القرية بفتح القاف وكسرها: الضيعة، والمصر الجامع، وجمع الناس، والجمع: قرى، وقرى، بضم القاف وكسرها، والنسبة إليها قَرَوِيّ، وقَرَبي، والمراد بها هنا: أنطاكية، وسيأتي شيء عنها في باب الفوائد.

﴿فَعَزَّزْنَا﴾: قوينا.

﴿طَائِرُكُم﴾: تقدم ذكره في هذا الكتاب، وفي المختار: وطائر الإنسان: عمله الذي قلده، والطير أيضاً: الاسم من التطير، ومنه قولهم: لا طير إلا طير الله، كما يقال: لا أمر إلا أمر الله، وقال ابن السكيت: يقال: طائر الله لا طائرك، ولا تقل: طير الله، وتطير من الشيء، وبالشيء، والاسم: الطيرة بوزن عنبة، وهي ما يتشاءم به من الفأل الرديء.

○ **الإعراب:**

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لأمر النبي بأن يضرب لقومه مثلاً بأصحاب القرية، واضرب: فعل أمر، بمعنى: اجعل، ولهم: متعلقان بمحذوف حال، لأنه كان في الأصل صفة لمثلاً، وتقدمت عليه، ومثلاً: مفعول به ثان لاضرب، وأصحاب: مفعول به أول، ومن المفيد أن نورد عبارة أبي السعود في تفسيره، وهي: ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها، كما في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾ وأخرى في ذكر حالة غريبة، وبيانها للناس من غير قصد إلى تطبيقها بنظيرة لها، كما في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ فالمعنى على الأول: اجعل أصحاب القرية مثلاً لهؤلاء في الغلو في الكفر، والإصرار على تكذيب

الرسل أي: طبق حالهم بحالهم، على أن مثلاً: مفعول ثان لا ضرب، وأصحاب القرية: مفعوله الأول، أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه، وعلى الثاني: اذكر، وبيِّن لهم قصة هي في الغرابة كالمثل. وعلى هذا تكون: اضرب بمعنى: اذكر، ومثلاً: مفعول به، وأصحاب: بدل على حذف مضاف، أي: مثل أصحاب، والأول أولى، وإذ: ظرف لما مضى من الزمن، ومحله بدل اشتمال من أصحاب القرية، وجملة جاءها المرسلون: في محل جر بإضافة الظرف إليها.

﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾إذ: ظرف بدل من إذ الأولى، أي: بدل مفصل من مجمل، وهو يدخل في نطاق البدل المطابق، أو بدل الكل من الكل، وجملة أرسلنا: في محل جر بالإضافة، وإليهم: متعلقان بأرسلنا، واثنين: مفعول به لأرسلنا، والفاء: عاطفة، وكذبوهما: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به. ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾الفاء: عاطفة، وعززنا: فعل ماض، وفاعل، بثالث: متعلقان بعززنا، فقالوا: عطف على فعززنا، وإنَّ، واسمها، وإليكم: متعلقان بمرسلون، ومرسلون: خبر إن، والجملة: مقول القول، ومفعول عززنا: محذوف، وسيأتي سر حذفه في باب البلاغة. ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾قالوا: فعل، وفاعل، وما: نافية، وأنتم: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وبشر: خبر أنتم، ومثلنا: صفة لبشر، والخطاب للثلاثة، وجملة ما أنتم: مقول القول. ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾الواو: عاطفة، وما: نافية، وأنزل الرحمن: فعل، وفاعل، ومن: حرف جر زائد، وشيء: مجرور لفظاً بمن منصوب محلاً على أنه مفعول أنزل، وإن: نافية، وأنتم: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وجملة تكذبون: خبر.

﴿ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ ربنا: مبتدأ، وجملة يعلم: خبر، وفاعل يعلم: مستتر، تقديره: هو، وإنَّ، واسمها، وكسرت همزتها لمجيء اللام في خبرها، وإليكم: متعلقان بمرسلون، واللام المزحلقة،

ومرسلون: خبر إنا، وجملة إنا إليكم لمرسلون: سدت مسد مفعولي يعلم، وسيأتي بحث تأكيد الخبر في باب البلاغة. ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وعلينا: خبر مقدم، وإلا: أداة حصر، والبلاغ: مبتدأ مؤخر، والمبين: صفة. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، وإنَّ، واسمها، وكسرت همزتها لوقوعها بعد القول، وجملة تطيرنا: خبرها، وبكم: متعلقان بتطيرنا، وسبب تطيرهم: أنهم توقعوا الشرَّ، وأوجسوه بعد أن كذبوهم، وقد ترامت إليهم مصائر الأقوام الهالكة بسبب تكذيبها الأنبياء. ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ لئن: اللام: موطئة للقسم، وإنْ: شرطية، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتنتهوا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، واللام: واقعة في جواب القسم، ونرجمنكم: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والكاف: مفعول به، والجملة: لا محل لها، وجواب الشرط، محذوف علىّ لنرجمنكم، ومنّا: متعلقان بيمسنكم، وعذاب: فاعل، وأليم: صفته.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ طائركم: مبتدأ، ومعكم: ظرف متعلق بمحذوف خبر، والهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وإنْ: شرطية، وذكرتم: فعل ماض مبني للمجهول، وهو في محل جزم فعل الشرط، وجواب الشرط، محذوف، والقاعدة عند سيبويه: أنه إذا اجتمع شرط واستفهام يجاب الاستفهام، ويحذف جواب الشرط، وذهب غيره إلى إجابة الشرط، والتقدير عند سيبويه: تتطيرون، وعند الآخرين: تطيروا بالجزم، وبل: حرف عطف، وإضراب، أي: ليس الأمر كذلك، وأنتم: مبتدأ، وقوم: خبر، ومسرفون: صفة.

□ **البلاغة:**

١ ـ الحذف:

في قوله ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ فن الإيجاز بالحذف، فقد حذف مفعول

عزرنا، والتقدير: فعززناهما بثالث، وإنما جنح إلى هذا الحذف لانصباب الغرض على المعزز به الثالث، وإذا كان الغرض هو المراد، وكان الكلام منصبّاً عليه؛ كان ما سواه مطروحاً، ونظيره قولك: حكم الحاكم اليوم بالحق، والغرض المسوق إليه قولك: بالحق، فلذلك رفضت ذكر المحكوم له، والمحكوم عليه، وإنما اهتمامك كله هو مراعاة جانب الحق، وستأتي أسماء الثلاثة في باب الفوائد.

٢ ـ التأكيد:

وفي هذه الآيات يبدو التأكيد بأروع صوره للخبر، فقد قال أولاً ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ فأورد الكلام ابتدائي الخبر، ثم قال: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ فأكده بمؤكدين، وهو إنَّ، واسمية الجملة، فأورد الكلام طلبياً، ثم قال: ﴿إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فترقى في التأكيد بثلاثة وهي: إنَّ، واللام، واسمية الجملة، فأورد الكلام إنكاري الخبر جواباً عن إنكارهم، قيل: وفي قوله: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾ تأكيد رابع، وهو إجراء الكلام مجرى القسم في التأكيد به، وفي أنه يجاب بما يجاب به القسم. وفي هذه الآية ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام، فإن ذكر الرسالة مهد لذكر البلاغ والبيان.

* الفوائـد:

ذكرنا في باب اللغة: أن القرية أنطاكية بفتح الهمزة وكسرها، وسكون النون، وكسر الكاف، وفتح الياء المخففة، روى التاريخ ما ملخصه: بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين إلى أهل أنطاكية، وهما يحيى وبولس بفتح الباء الموحدة، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار، فسلما عليه، فقال لهما الشيخ: من أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى، فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نشفي المرضى، ونبرىء الأكمه، والأبرص، وكان له ولد مريض، فمسحاه، فقام على الفور، فآمن حبيب،

وفشا الخبر في المدينة، فشفي على أيديهما خلق كثير، ورقى حديثهما إلى الملك، وقال لهما: ألنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم، من أوجدك وآلهتك. فتبعهما الناس، وضربوهما، وقيل: حُبسا، ثم بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفي على أثرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً، فجعل يعاشر حاشية الملك، حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه، وأنس به، فقال له شمعون ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين؛ فهل سمعت ما يقولانه؟ فقال: لا، حال الغضب بيني وبين ذلك، فدعاهما، فقال شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء، وليس له شريك. فقال: صفاه وأوجزا. قالا: يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. قال وما آيتكما؟ قالا ما يتمنى الملك. فدعا بغلام مطموس العينين، فدعوا الله حتى انشق له بصره، وأخذا بندقتين، فوضعاهما في حدقتيه، فكانتا مغلقتين ينظر بهما، فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا، فيكون لك وله الشرف. قال: ليس لي عنك سر، إن إلهنا لا يبصر، ولا يسمع، ولا يضر، ولا ينفع. وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبونه أنه منهم، ثم قال: إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به، فدعوا بغلام مات من سبعة أيام، فقام، وقال: إني أدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا، وقال: فتحت أبواب السماء، فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة. قال الملك: ومن هم؟ قال: شمعون، وهذان. فتعجب الملك، فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه أخبره بالحال: أنه رسول عيسى، ودعاه فآمن الملك، وآمن معه قوم، وكفر آخرون، وقيل: بل كفر الملك، وأجمع على قتل الرسل هو وقومه، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة، فجاء يسعى إليهم، يذكرهم، ويدعوهم إلى طاعة المرسلين.

قال وهب: اسمهما: يوحنا، وبولس، وقيل: صادق، ومصدوق، والثالث: شمعون.

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾
ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى
شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى
رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ الواو: عاطفة، أو: استئنافية، وجاء: فعل ماض، ومن أقصى المدينة: متعلقان بجاء، وأراد بالمدينة القرية الآنفة الذكر، أي: أنطاكية، ورجل: فاعل، وجملة: يسعى صفة، والرجل هو حبيب النجار، وقد مرت لمحة عنه. ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ يا: حرف نداء، وقوم: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وقد تقدم بحثه، واتبعوا: فعل أمر، وفاعل، والمرسلين: مفعول به، أي: الذين هم رسل عيسى عليه السلام ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ اتبعوا: تأكيد للأول، وهو فعل أمر، وفاعل، ومن: مفعول به، وجملة لا يسألكم: صلة، والكاف: مفعول به أول، وأجراً: مفعول به ثان، والواو: واو الحال، وهم مبتدأ، ومهتدون: خبر، والجملة: نصب على الحال، وأجاز بعضهم أنْ تكون مَنْ: بدلاً من المرسلين، ولا أدري ما هو مسوغه بعد وجود عامله، وكأنهم تصوروا حذف مفعول اتبعوا، ولا أرى داعياً إليه، وسيأتي المزيد من بحث هذا الكلام في باب البلاغة ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الواو: عاطفة، وما: اسم استفهام مبتدأ، ولي: خبره، وجملة لا أعبد: حالية،

والفاعل: مستتر، تقديره: أنا، والذي: مفعوله، وجملة فطرني: صلة، وإليه متعلقان بترجعون، وترجعون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، ويجوز أن يكون معنى الاستفهام النفي، واتخذ: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنا ومن دونه: مفعول به ثان، وآلهة: مفعول به أول. ﴿إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ إنْ: شرطية، ويردن: فعل الشرط، والنون: للوقاية، والياء المحذوفة لاتباع خط المصحف: مفعول به، والرحمن: فاعل، وبضر: متعلقان بيردن، ولا: نافية، وتغن: جواب الشرط، وعنِّي: متعلقان بتغن، وشفاعتهم: فاعل، وشيئاً: مفعول مطلق، أو: مفعول به، وقد تقدم ذكرها كثيراً، ولا ينقذون: عطف على لا تغن، وحذفت الياء أيضاً مراعاة لسنة المصحف، وجملة الشرط: استئنافية، ويجوز أن تكون صفة لآلهة. ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ إنَّ، واسمها، وإذاً: حرف جواب وجزاء لا عمل لها، واللام: لام المزحلقة وفي ضلال: خبر إن، ومبين: صفة، وسيأتي بحث هام عن إذاً في باب الفوائد.

﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة آمنت: خبرها، وبربكم: متعلقان بآمنت، والفاء: الفصيحة، واسمعون: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والياء المحذوفة: مفعول به، ومعنى اسمعون: اسمعوا قولي، واتبعوا المرسلين، وفيه دليل على تصلبه لمبدئه، وصدق إيمانه، وقيل: اسمعوا إيماني تشهدوا لي به. ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ قيل: فعل ماض مبني للمجهول، ومتعلقه: محذوف، أي: قيل له عند قتله، ورؤيته ما أعد له جزاءً على صدق إيمانه، وقال: فعل ماض، ويا: حرف تنبيه، أو: حرف نداء، والمنادى: محذوف، وليت، واسمها، وجملة يعلمون: خبرها. ﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾

بما: متعلقان بيعلمون: وما: مصدرية، أو: موصولة، أي: بغفران ربي، أو: بالذي غفره لي ربي من الذنوب، وقال الفراء: هي استفهامية، وَرُدَّ عليه: بأنها لو كانت كذلك لحذفت ألفها كما هي القاعدة، وقيل: إنَّ حذف الألف أكثري، لا كلي، وهبه كذلك لا يسوغ حمل القرآن على الضعيف من الوجوه، وجعلني: فعل ماض، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به أول، ومن المكرمين: مفعول به ثان.

﴿ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لاحتقار أمرهم، أي: لا حاجة إلى إرسال جنود لهم، فأقل شيء كاف لإبادتهم، واستئصال شأفتهم، وما: نافية، وأنزلنا: فعل، وفاعل، وعليهم: متعلقان بأنزلنا، ومن بعده: متعلقان بمحذوف حال، ومن: حرف جر زائد، وجند: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به، ومن السماء: صفة لجند، والواو: عاطفة، وما: نافية، وكان، واسمها، ومنزلين: خبرها. ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴾ إن: نافية، وكانت: فعل ماض ناقص، واسمها: مضمر، والتقدير: ما كانت الصيحة إلا صيحة واحدة، والفاء: عاطفة، وإذا: فجائية، وهم: مبتدأ وخامدون: خبر.

□ البلاغة:

١ ـ الالتفات في قوله: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ وفائدته أن انتقاله من مخاطبتهم، ومناصحتهم إلى التكلم تلطفاً بهم من جهة، ووعيداً لهم من جهة ثانية، فقد صرف الكلام أولاً إلى نفسه، وأراهم أنه لا يختار لهم إلا ما يختاره لنفسه، ثم التفت إلى مخاطبتهم ثانياً مقرعاً مهدداً بالعواقب التي تنتظرهم، ثم عاد أخيراً إلى التلطف في النصيحة؛ لأن ذلك أدخل في إمحاض النصح، حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، وقد وضع قوله: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ مكان قوله: وما لكم لا تعبدون الذي فطركم، ألا ترى إلى قوله ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ولولا أنه قصد ذلك لقال: الذي فطرني

وإليه أرجع، وقد ساقه ذلك المساق إلى أن قال: «إني آمنت بربكم فاسمعون» فانظر أيها المتأمل إلى هذه النكت الدقيقة التي تمر عليها في القرآن الكريم وأنت تظن أنك فهمت فحواها، واستنبطت رموزها.

٢ ـ ائتلاف الفاصلة:

وفي قوله: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ فن ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام، فإن ذكر الجنة مهد لفاصلتها، وفي ذلك تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار، وأهل البغي، والتشمير فيه، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، ولمن ترصدوا له، وتربصوا به الدوائر، ونصبوا له الغوائل، والمهالك، هذا من جهة، ثم إن في تمنيه أن يعلموا ليروعوا إلى أنفسهم بعد أن ينجلي الرين عن صدورهم، وتنجاب الغواشي عن عيونهم، فيبدو الصبح لذي عينين، وتتبدد حنادس الشك والمين، وفي ذلك انتصار له وفوز لدعوته، وما بعد ذلك غبطة لمستزيد.

٣ ـ التشبيه البليغ في قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ شبههم بالنار الخامدة التي صارت رماداً على حد قول لبيد:

وما المرءُ إلا كالشهابِ وضوْءِه
يحورُ رماداً إذْ هُوَ ساطِعُ

أي: ليس حال المرء، وحياته، وبهجته، ثم موته، وفناؤه بعد ذلك إلا مثل حال شهاب النار وضوءِه، يصير رماداً بعد إضاءته. وبعد هذا البيت:

وما المالُ والأهلونَ إلا ودائعٌ
ولا بُدَّ يوماً أن تُرَدَّ الودائِعُ

شبه مال الشخص وأقاربه بالودائع تشبيهاً بليغاً بجامع: أنه لا بد من أخذ كلٍّ منها.

٤ ـ في قوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا

وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ إنما ختم بقوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ مع تمام الكلام بدونه؛ لزيادة الحث على الاتباع، ففيه إطناب.

* الفوائـــد:

بحث هام عن إذن:

تحدثنا في هذا الكتاب عن إذن، ونضيف إلى ما تقدم ما قاله الرضي، ففيه جلاء لموقعها من الآية، قال: إنها اسم، وأصلها إذ، حذفت الجملة المضاف إليها، وعوض عنها التنوين، وفتح ليكون في صورة ظرف منصوب، وقصد جعله صالحاً لجميع الأزمنة بعدما كان مختصاً بالماضي، وضمن معنى الشرط غالباً، وإنما قلنا غالباً لأنه لا معنى للشرط في نحو: ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ ثم قال الرضي: وإذا كان بمعنى الشرط في الماضي جاز إجراؤه مجرى لو في قرن جوابه باللام، نحو ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ﴾ أي: لو ركنت شيئاً قليلاً لأذقناك، وإذا كان بمعنى الشرط في المستقبل جاز قرن جوابه بالفاء، كقول النابغة:

مـا إنْ أتيـتُ بشـيءٍ أنـت تَكْـرَهُـهُ
إذاً فـلا رفعـتْ سَـوْطِـي إلـيَّ يَـدِيْ

أي: إن أتيت. وقد تستعمل بعد لو، وإنْ توكيداً لهما، نحو: لو زرتني لأكرمتك، وإن جئتني إذن أزورك. ثم قال: ولما احتملت إذن التي يليها المضارع معنى الجزاء فالمضارع مستقبل، واحتملت معنى مجرد الزمان، فالمضارع حال، وقصد التنصيص على معنى الجزاء في إذن نصب المضارع بأن المقدرة؛ لأنها تخلصه للاستقبال، فتحمل إذن على الغالب، فيها من الجزاء لانتفاء الحالية المانعة من الجزاء بسبب النصب بأن. وقد أطال الرضي في البحث فحسبنا ما اقتبسناه من كلامه ليضاف إلى ما تقدم عنها.

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ

يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ ﴾ في هذا النداء وجهان؛ أولهما: أنه منادى شبيه بالمضاف، ولذلك نصب، وإنما كان شبيهاً بالمضاف؛ لأنه اتصل به شيء من تمام معناه، وهو: على العباد، ولك أن تجعله منادى نكرة مقصودة، كأنما المنادى حسرة معينة، وإنما نصبت لأنها وصفت بالجار والمجرور، وقد تقدم معنا: أن المنادى النكرة المقصودة إذا وصف نصب. والوجه الثاني: أن المنادى محذوف، وحسرة: مصدر، أي: أتحسر حسرة، واختلف المفسرون في المتحسر، ولا داعي للاختلاف، فالحسرة جديرة بهم، والمستهزئون بالرسل أحرياء بأن يتحسر عليهم المتحسرون، أو يتحسروا على أنفسهم. والنداء هنا مجازي، أي: يا حسرة احضري فهذا أوانك. ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتعليل التحسر عليهم، وما: نافية، ويأتيهم: فعل مضارع، ومفعول به، ومن: حرف جر زائد، ورسول: مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل، وإلا: أداة حصر، وجملة: كانوا استثناء من أعم الأحوال، فهي جملة في محل نصب على الحال من الهاء في يأتيهم، وكان، واسمها، وبه: جار ومجرور، متعلقان بيستهزئون، وجملة يستهزئون: خبر كانوا.

﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري، أي: لقد علموا ذلك جيداً، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، وقد علقت يروا عن العمل؛ لأن الرؤية هنا قلبية علمية، وكم: خبرية في محل نصب مفعول مقدم لأهلكنا، والجملة: في محل نصب مفعول يروا، ويجوز أن تكون كم: استفهامية، وقبلهم: ظرف متعلق بأهلكنا، ومن القرون: حال، وأنَّ،

وما في حيزها: بدل من معنى كم أهلكنا، والتقدير: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم، كونهم غير راجعين إليهم، ويجوز أن يكون المصدر المؤول معمولاً لفعل محذوف دل عليه السياق، والمعنى، تقديره: وقضينا، وحكمنا: أنهم إليهم لا يرجعون، وأنَّ، واسمها، وإليهم: متعلقان بيرجعون، ولا: نافية، وجملة يرجعون: خبر أنَّ، وللزمخشري فيها كلام لطيف، نورده في باب الفوائد. ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ الواو: عاطفة، وإن: نافية، وكل: مبتدأ، ولما بمعنى إلا، وجميع: خبر كل، ولدينا: ظرف متعلق بجميع، أو: بمحضرون، ومحضرون: خبر ثان، وسيأتي مزيد من إعراب هذه الآية وقراءاتها.

* الفوائـد:

١ ـ كلام الزمخشري في الآية:

للمعربين كلام طويل في إعراب قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ وقد أوردنا لك ما رأيناه أمثل الأوجه في إعرابها، ونرى من المفيد أن نورد لك الكلام الذي أورده الزمخشري بهذا الصدد قال: ألم يروا: ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم، لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها، سواء كانت للاستفهام أو لمضمر، لأنَّ أصلها الاستفهام، إلا أن معناها نافذ في الجملة، كما نفذ في قولك: ألم يروا إنَّ زيداً لمنطلق، وإن لم يعمل في لفظه. وأنهم إليهم لا يرجعون: بدل من كم أهلكنا على المعنى، لا على اللفظ، تقديره: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم.

هذا وقد قرىء بتخفيف «لما» فتكون إنْ: مخففة من الثقيلة، وإنْ مهملة عن العمل، وكل: مبتدأ، وما بعده: خبره، ولزمت اللام في الخبر فرقاً بين المخففة والنافية، وما: مزيدة.

٢ ـ مناقشة لطيفة.

اعلم أنَّ الزمخشري أورد سؤالاً في الآية فقال: كيف أخبر عن كل بجميع مع أن الفارسي نص على أنه لا يجوز: إن الذاهبة جارية صاحبها. واستشكوا قوله تعالى ﴿فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ لأنه أخبر عن ضمير الاثنين بالاثنين، فلا فائدة فيه، وانتقد بعض الناس على الفارسي، وقال: إن الجارية مضافة، والإضافة تكون بأدنى ملابسة، فلا تدل إضافة الجارية إليه على أنها ملكه، بل قد تكون جارته، فأضافها باعتبار الجوار فقط، ثم قال: صاحبها فأفاد أنها ملكه، وأجاب الزمخشري عن السؤال: بأن كلا لا يقتضي الجمعية، بخلاف جميع، وهذا قد نصّ عليه ابن عصفور، فإنه فرق بين أجمع وجميع، بأن أجمع لا يقتضي الجمعية، بخلاف جميع، لكن إنما ادعى ذلك في حالة النصب، نحو: جاء الزيدون جميعاً، أما في الرفع فلا فرق بين: جاء الزيدون أجمعون، أو: جميع، فما قاله الزمخشري مشكل؛ لأن جميعاً لا يفيد الجمعية إلا إذا انتصب على الحال، فيبقى السؤال وارداً، وأجاب عنه الفخر الرازي بجواب حسن، وهو: أنه إذا كان في الخبر زيادة صفة، أو: إضافة تقييد صح أن يؤتى بلفظ المبتدأ، أو معناه، كقولك: الرجل رجل صالح.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا﴾ كلام مستأنف، مسوق لإيراد آية على البعث والتوحيد. وآية: خبر مقدم، ولهم: صفة، والأرض: مبتدأ مؤخر،

وجملة أحييناها: يجوز فيها أن تكون حالية، وأن تكون صفة، وسيأتي السر في وصفيتها في باب الفوائد. ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ عطف على أحييناها، وأخرجنا: فعل، وفاعل، ومنها: متعلقان بأخرجنا، وحباً: مفعول به، والفاء: استئنافية، ومنه: متعلقان بيأكلون. ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾ وجعلنا: فعل، وفاعل، والجملة: عطف على أحييناها، وفيها: متعلقان بجعلنا، أو: بمحذوف مفعول به ثان لجعلنا، وجنات: مفعول به، ومن نخيل: صفة لجنات، وأعناب: عطف على نخيل، وفجرنا: عطف أيضاً، وفيها متعلقان بفجرنا، ومن العيون: صفة لمفعول فجرنا المحذوف، أي: ينابيع كائنة من العيون، وقدره أبو البقاء بقوله: ما ينتفعون به من العيون، فمِنْ: للتبعيض. ﴿لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ ليأكلوا: تعليل لما تقدم، ومن ثمره: جار ومجرور متعلقان بيأكلوا، وما: موصولية، أو: نكرة موصوفة عطف على من ثمره، وجملة عملته أيديهم: صلة، أو: صفة، ولك أن تجعلها مصدرية؛ أي: ومن عمل أيديهم، فهو بمعنى ما تقدم، وإعرابه. قال الزمخشري: ولك أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله، ولم تعمله أيدي الناس، ولا يقدرون عليه. والهمزة: للاستفهام الإنكاري؛ لأنه لا شيء أقبح من إنكار النعمة، وغمط الصنيع، والفاء: تقدم أنها في مثل هذا المقام عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، أي: أيرون هذه النعم، ويستمتعون بها، فلا يشكرونها، ولا: نافية، ويشكرون: فعل مضارع، وفاعل، والمفعول به محذوف كما أشرنا. ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾ سبحان: مفعول مطلق لفعل محذوف، وقد تقدم القول فيه، والجملة: مستأنفة، مسوقة لتنزيهه تعالى عما لا يليق به، والذي: مضاف إليه، وجملة خلق: صلة، والأزواج: مفعول به، وكلها تأكيد، ومما: متعلقان بمحذوف حال، وجملة تنبت الأرض: صلة.

﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ عطف على قوله: ﴿مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾

وبهذا استمر في الأمور الثلاثة التي لا يخرج عنها شيء من أصناف المخلوقات، وهي على التوالي:

١ ـ ما تنبته الأرض من الحبوب وأصناف الشجر.

٢ ـ ما يتوالده الناس من ذكر وأنثى.

٣ ـ من أزواج لم يطلع الله عباده عليها بعد ولم يكتنهوا حقيقتها.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾ الآية فن التناسب بين المعاني، أو صحة التفسير وهو أن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه، فإما أن يكون مجملاً يحتاج إلى تفصيل، أو موجهاً يفتقر إلى توجيه، أو محتملاً يحتاج المراد منه إلى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه، ووقوع التفسير في الكلام على أنحاء تارة يأتي بعد الشرط، أو بعد ما فيه معنى الشرط، وطوراً بعد الجار والمجرور، وآونة بعد المبتدأ الذي التفسير خبره، وقد أتت صحة التفسير في هذه الآية مقترنة بصحة التقسيم، واندمج فيهما الترتيب والتهذيب، فكان فيها أربعة فنون؛ فقد قدم سبحانه النبات كما ذكرنا في الإعراب، وانتقل على طريق البلاغة إلى الأعلى، فثنى بأشرف الحيوان، وهو الإنسان؛ ليستلزم ذكره بقية الحيوان، ثم ثلث بقوله: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ فانتقل من الخصوص إلى العموم، ليندرج تحت العموم، فسبحان منزل القرآن!!

* الفوائد:

ذكر الزمخشري: أن الثمر يجمع على ثمر بفتحتين، وثمر بضمتين، وثمر بضمة فسكون، ولم يذكر غيره الاثنين الأولين.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى

لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿نَسْلَخُ﴾: نفصل، يقال: سلخ جلد الشاة: إذا كشطه عنها، وأزاله، وسلخ الحية. وفي معاجم اللغة: سلخ، يسلخ، من باب نصر، وفتح، سلخاً، الخروف: كشط جلده، وسلخت المرأة درعها: نزعته، وسلخت الحية: انكشفت عن سلختها، وسلخها؛ أي: قشرها فاستعير السلخ لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل، وملقى ظله.

﴿كَٱلْعُرْجُونِ﴾: بضم العين، ويقال له أيضاً: العرجد، والعرجد بتشديد الدال: أصل العذق الذي يعوج، ويبقى على النخل يابساً بعد أن تقطع عنه الشماريخ، والجمع: عراجين. وقال الزجاج: هو فعلون من الانعراج، وهو الانعطاف. وسيأتي سر تشبيه القمر به في باب البلاغة.

○ **الإعراب:**

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ الواو: عاطفة، وآية: خبر مقدم، ولهم: صفة، والليل: مبتدأ مؤخر، وجملة نسلخ: حالية، ومنه: متعلقان بنسلخ، والنهار: مفعول، والفاء: عاطفة، وإذا فجائية، وهم: مبتدأ، ومظلمون: خبر، ومعنى مظلمون: أي داخلون في الظلام. يقال: أظلمنا، كما يقال: أعتمنا، وأدجينا، وأظهرنا، وكذلك: أصبحنا، وأضحينا، وأمسينا.

﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ الشمس: مبتدأ، وجملة تجري: خبر، ولمستقر: متعلقان بتجري، وسيرد في باب الفوائد معنى المستقر، ولها: متعلقان بمحذوف صفة. ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ ذلك: مبتدأ والإشارة إلى جريها، وتقدير: خبره، والعزيز: مضاف إليه، والعليم: صفة

ثانية. ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ الواو: عاطفة، والقمر: مفعول به لفعل محذوف يفسره ما بعده، أي: فهو منصوب على الاشتغال، وجملة قدرناه: من الفعل، والفاعل والمفعول به: مفسرة، وقرىء بالرفع على أنه معطوف على المبتدأ المقدم، أو على أنَّه مبتدأ، خبره: قدرناه، ومنازل: فيه أوجه: أحدها: أنَّه حال على حذف مضاف، أي: ذا منازل؛ لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل، وثانيها: أنَّه مفعول ثان لقدرناه؛ أي: صيّرناه منازل، والثالث: أنَّه ظرف، أي: قدرنا سيره في منازل، وقد جنح إلى هذا الوجه الزمخشري والجلال، وحتى: حرف غاية وجر، وعاد: فعل ماض، وفاعله: هو، أي: القمر في آخر منازله، ولك أن تجعل عاد: ناقصة، فيكون الاسم مستتراً، والكاف: اسم بمعنى مثل، خبر عاد، وإن اعتبرتها تامة كانت في محل نصب على الحال، والقديم: صفة للعرجون، وسيأتي سر هذا التشبيه في باب البلاغة.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ لا: نافية، والشمس: مبتدأ، وجملة ينبغي: خبر، ولها: متعلقان بينبغي، وأن، وما في حيزها: فاعل ينبغي، والقمر: مفعول، ومعنى إدراك الشمس للقمر: الإخلال بالسير المقدر، والنظام المتبع؛ لئلا يختل تكوين الكون ونظامه. ﴿وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ عطف على ما تقدم، والليل: مبتدأ، وسابق: خبر، والنهار: مضاف إليه، وسيأتي المزيد من معناه. ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ كلٌّ: مبتدأ، ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، ولأن التنوين عوض عن كلمة مضافة؛ أي: كل واحد من الشمس والقمر والنجوم والكواكب، وفي فلك: متعلقان بيسبحون، وجملة يسبحون: خبر، والواو: فاعل؛ لأنه نزلها منزلة العقلاء، وسيأتي السر في ذلك في باب البلاغة.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على العديد من فنون البلاغة:

١ ـ الاستعارة:

فأولها: الاستعارة المكنية في قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ فقد شبه تبرؤ الليل من النهار بانسلاخ الجلد عن الجسم المسلوخ، وذلك أنَّه لما كانت هوادي الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليها اسم السلخ، وكان ذلك أولى من أن يقال: نخرج مثلاً؛ والجامع بينهما: الإزالة، والتعرية، فكما أنَّ الشاة تتعرى حين يسلخ إهابها، كذلك الليل إذا انسلخ عنه النهار زال ضوءُه، وبدت ظلمته الحالكة، تغمر الكون بسوادها.

٢ ـ التوشيح:

وفي قوله: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ الآية فن التوشيح، وهو أن يكون في أول الكلام معنى إذا علم علمت منه القافية إن كان شعراً، أو السجع إن كان نثراً، بشرط أن يكون المعنى المتقدم بلفظه من جنس معنى القافية، أو السجعة بلفظه، أو من لوازم لفظه، فإنَّ من كان حافظاً للسورة، متفطناً إلى أن مقاطع آيها النون المردفة، وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل، علم أن الفاصلة تكون مظلمون؛ لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم، أي: دخل في الظلمات ما دامت تلك الحال.

٣ ـ التشبيه المرسل:

وذلك في قوله ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ فقد مثل الهلال بأصل عذق النخلة، والعذق بكسر العين، وهو الكباسة، والكباسة: عنقود النخل، وهو تشبيه بديع للهلال؛ فإن العرجون إذا قدم دق، وانحنى، واصفر، وهي وجوه الشبه بين الهلال والعرجون، فهو يشبهه في رأي العين في الدقة لا في المقدار، والاستقواس، والاصفرار.

٤ ـ الاستعارة أيضاً:

واستعار الإدراك للشمس، والسبق لِلَّيل والنهار؛ ليبين ما هو مقرر في علم الجغرافيا من دورات الشمس والقمر والأرض، وتكون الليل والنهار،

وجعل الشمس غير مدركة، والقمر غير سابق؛ لأن الشمس ثابتة لا تدور إلا دورة لم تعرف مدتها حول شيء مجهول لنا بالكلية، ولها أيضاً دورة على محورها كالأرض تقطعها في خمسة وعشرين يوماً، أو هي بالضبط: خمسة وعشرون يوماً، وست ساعات، وست عشرة دقيقة، وثماني ثوان، أما القمر فله حركتان: إحداهما حول محوره، وثانيتهما حول الأرض، وكل منهما يتجه من المغرب إلى المشرق، ويقطع مداره حول الأرض في تسعة وعشرين يوماً ونصف تقريباً، وهذا هو المسمى بالشهر القمري، فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالإدراك لتباطؤ سيرها، والقمر خليق بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره.

٥ ـ التغليب:

وغلب العقلاء لأنه نزل الشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب منزلتهم، والسر فيه: أنَّه لما وصفهم بالسباحة، وهي من أوصاف العقلاء ساغ له ذلك.

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْمَشْحُونِ ﴾: شحن السفينة: ملأها، وأتم جهازها كله ﴿ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴾ وبينهما شحناء: عداوة، وهو مشاحن لأخيه، ويقال للشيء الشديد الحموضة: إنه ليشحن الذباب، أي: يطرده، وبابه: فتح إذا كان بمعنى الملء، وإذا كان بمعنى الطرد فهو من باب فتح، ونصر، يقال:

شحنت الكلاب؛ أي: أبعدتِ الطرد، ولم تصد شيئاً، وإذا كان بمعنى الحقد، فهو من باب: تعب.

﴿صَرِيخَ﴾: مغيث، ويطلق أيضاً على الصارخ، أي: المستغيث، فهو من الأضداد، ويكون مصدراً بمعنى: الإغاثة، وكل منهما مراد هنا، وفي الأساس: وصرخ، يصرخ، صراخاً، وصريخاً، وهو صارخ، وصريخ، وقد نقع الصريخ، قال:

قومٌ إذا نَقَعَ الصَّريخُ رأيتَهُمْ   مِنْ بينِ ملجمِ مُهْرِهِ أو سافع

والصُّراخ: صوت المستغيث، وصوت المغيث؛ إذا صرخ بقومه للإغاثة.

قال سلامة:

إنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فَزِعٌ   كان الصُّراخُ له قرعُ الظنابيبِ

أي: كان الغياث له، وتقول: جاء فلان صارخاً، وصريخاً ومستصرخاً: مستغيثاً، وأقبل صارخاً، وصارخة، وصريخاً ومُصرخاً: مغيثاً، قال:

وكانوا مُهلكي الأبناء لولا   تداركُهم بصارخةٍ شفيق

وفي المثل: «عبد صريخه أمة» أي: مغيثه، وأصرخته: أغثته، واستصرخني: استغاثني، وتصارخوا، واصطرخوا: تصايحوا.

(الذرية): سيأتي بحثها في باب الإعراب.

○ الإعراب:

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ اختلف في عود الضمير، ونرى: أن الأصوب أن يكون عاماً، وأن يكون بمثابة امتنان عليهم بأصناف من النعم، منها: حملهم في السفن، فتكون الألف واللام في الفلك للجنس، لا لسفينة نوح خاصة. وآية: خبر مقدم، ولهم: صفة، وأنا: أنَّ، وما في حيزها: مبتدأ مؤخر، وأنَّ، واسمها، وجملة حملنا: خبرها،

وحملنا: فعل وفاعل، وذريتهم: مفعول به، وفي الفلك: متعلقان بحملنا، والمشحون: صفة، وقد أطلقت الذرية على الأصول، وهي تطلق أيضاً على الفروع، لأن لفظ الذرية مشترك بين الضدين، لأن الذرية من الذرء، أي: الخلق، والفروع مخلوقون من الأصول، والأصول خلقت منها الفروع، وقال البغوي: واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد. وفي القاموس: ذرأ، كجعل: خلق، والشيء كثره، ومنه: الذرية مثلثة لنسل الثقلين. واستدرك في التاج فقال: وقد يطلق على الآباء والأصول، قال الله تعالى: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ والجمع: ذراري، كسراري. فليس في الآية إشكال كما زعم القرطبي، وسيأتي نص عبارته في باب الفوائد.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ الواو: عاطفة، وخلقنا: فعل، وفاعل، ولهم: متعلقان بخلقنا، ومن مثله: في محل نصب على الحال من المفعول المؤخر، وهو: ما، وجملة يركبون: صلة ما، والضمير في مثله يعود على الفلك، فإما أن يراد بالمثل ما اصطنعوه بعد ذلك من وسائل الركوب، أو أنه مقتصر على الإبل؛ لأنهم كانوا يسمونها: سفائن الصحراء، وهناك أقوال يرجع إليها في المطولات. ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ الواو: عاطفة، وإنْ: شرطية، ونشأ: فعل الشرط، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، ونغرقهم: جواب الشرط، والفاء: عاطفة، واختار ابن عطية أن تكون استئنافية، وفي ذلك قطع الكلام، ولا: نافية للجنس، وصريخ: اسمها مبني على الفتح، ولهم: خبرها، والواو: عاطفة، ولا: نافية، وهم: مبتدأ، وجملة ينقذون: خبر، وينقذون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: نائب فاعل. ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ إلا: أداة حصر، ورحمة: مفعول لأجله، فهو استثناء مفرغ من أعم العلل، وقيل: هو استثناء منقطع، وقيل: هو مفعول مطلق لفعل محذوف، وقيل: منصوب بنزع الخافض، ومتاعاً: عطف على رحمة، وإلى حين: صفة، وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان إعراضهم عن هذه الآيات الآنفة الذكر، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة قيل: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ولهم: متعلقان بقيل، وجملة اتقوا: مقول القول، واتقوا: فعل أمر، وفاعل، وما: مفعول به، والظرف: متعلق بمحذوف صلة ما، وأيديكم: مضاف إليه، وما خلفكم: عطف على ما بين أيديكم، ولعلكم: لعل، واسمها، وجملة: ترحمون: خبرها، وجواب إذا: محذوف مدلول عليه بقوله الآتي، والتقدير: أعرضوا، وأشاحوا. ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وتأتيهم: فعل مضارع، ومفعول به، ومِنْ: حرف جر زائد، وآية: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل، ومن آيات ربهم: صفة، ومعنى من: التبعيض، وإلا: أداة حصر، وجملة كانوا عنها معرضين: في محل نصب حال، وكان، واسمها وعنها: متعلقان بمعرضين، ومعرضين: خبرها.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ سلامة الاختراع، وهي الإتيان بمعنى لم يسبق إليه، فإن نجاتهم من الغرق برحمة منه تعالى هي في حد ذاتها متاع يستمتعون به، ولكنه على كل حال إلى أجل مقدر، يموتون فيه، لا مندوحة لهم عنه، فهم إن نجوا من الغرق فلن ينجوا مما يشبهه، أو يدانيه، والموت لا تفاوت فيه. وقد رمق أبو الطيب ـ كعادته ـ سماء هذا المعنى فقال من قصيدة قالها بمصر يذكر بها حمَّاه التي كانت تغشاه:

وإنْ أسلـمْ فمـا أبقـى ولكـنْ   سَلِمْتُ من الحِمام إلى الحِمام

يقول: فإن أسلم من مرض لم أبق خالداً، ولكن سلمت من الموت بهذا المرض إلى الموت بمرض آخر، وهذا معنى بديع تداوله الشعراء، فقال آخر:

إذا بُلَّ مـن داءٍ بـه خَـالَ أنَّـه تجاذبه الدَّاء الذي هو قاتِلُه

وقد دندن أبو الطيب لتصوير المتاع المستعجل ببيتين، ولم يسمُ إلى الآية فقال:

تَمَتَّـعْ مـن سهـادٍ أو رقـادٍ ولا تأملْ كرى تحتَ الرِّجام

فـإنَّ لثـالـثِ الحـاليـنِ معنـى سِوى معنى انتباهِكَ والمنامِ

أراد بثالث الحالين الموت، يقول: ما دمت حياً تمتع من حالتي النوم والسهاد، فإنك لا تنام في القبر، والموت غير اليقظة والرقاد، فلا تحسبن الموت نوماً.

* الفوائـد:

عبارة القرطبي في تفسير الآية:

وعدناك أن ننقل لك عبارة القرطبي، وبراً بهذا الوعد نوردها لك: هذه الآية من أشكل ما في هذه السورة؛ لأنهم هم المحمولون فقيل: المعنى: وآية لأهل مكة أنا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون، فالضميران مختلفان، ذكره المهدوي، وحكاه النحاس عن علي بن سليمان: أنَّه سمعه يقوله، وقيل: الضميران جميعاً لأهل مكة، على أن يكون المراد بذرياتهم: أولادهم، وضعفاءهم، فالفلك على القول الأول: سفينة نوح، وعلى الثاني يكون اسماً للجنس، أخبر تعالى بلطفه، وامتنانه: أنَّه خلق السفن، يحمل فيها من يضعف عن المشي والركوب من الذرية والضعفاء، فيكون الضميران على هذا متفقين، وقيل: الذرية: الآباء والأجداد، حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام، فالآباء ذرية، والأبناء ذرية؛ بدليل هذه الآية، قاله أبو عثمان، وسمي الآباء ذرية؛ لأنه ذرأ منهم الأبناء، وقول رابع: أنَّ الذرية: النطف، حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ذكره الماوردي. والقول الصحيح والوجيه ما أسلفناه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَخِصِّمُونَ﴾: بفتح الياء، وكسر الخاء، وكسر الصاد المشددة، وأصله: يختصمون، فلما حذفت حركة التاء صارت ساكنة، فالتقت ساكنة مع الخاء، فحركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين. وهناك قراءات أخرى يرجع إليها في المطولات.

○ **الإعراب:**

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ عطف على ما تقدم، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة قيل: في محل جر بالإضافة، وجملة أنفقوا: مقول القول، ومما: جار ومجرور متعلقان بأنفقوا، وجملة رزقكم الله: صلة. ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ جملة قال: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والذين: فاعل، وجملة كفروا: صلة، وللذين: متعلقان بقال، وجملة آمنوا: صلة، والهمزة: للإستفهام، ومعناه: الاستهزاء، كان بمكة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا: لا والله! أيفقره الله ونطعمه نحن؟! وقيل: نزلت في مشركي قريش حين قال فقراء أصحاب رسول الله: أعطونا مما زعمتم من أموالكم أنها لله، يعنون قوله: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ فحرموهم، وقالوا: لو شاء الله لأطعمكم استهزاء منهم بالمؤمنين، أي: فلا نطعمكم حتى ترجعوا إلى ديننا. ونطعم: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، ومَنْ: مفعول به، ولو: شرطية،

ويشاء الله: فعل مضارع، وفاعل، وجملة أطعمه: لا محل لها، وجملة لو يشاء الله أطعمه: لا محل لها؛ لأنها صلة مَنْ.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ إما أن يكون تتمة كلام المشركين، وإما أن يكون من قول أصحاب النبي ﷺ لهم، وإما أن يكون من قول الله تعالى لهم، وروى القرطبي: أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين، فلقيه أبو جهل، فقال: يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء؟ قال: نعم، قال: فما باله لم يطعمهم؟ قال: ابتلى قوماً بالفقر، وقوماً بالغنى، وأمر الفقراء بالصبر، وأمر الأغنياء بالإعطاء. فقال أبو جهل: والله يا أبا بكر إن أنت إلا في ضلال، أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء، وهو لا يطعمهم، ثم تطعمهم أنت! فنزلت الآية. ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ كلام مستأنف لبيان ضرب آخر من تعسفهم وركوبهم متن الضلالة، ويقولون: فعل مضارع، وفاعل، ومتى: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية، والظرف: متعلق بمحذوف خبر مقدم، وهذا: مبتدأ مؤخر، والوعد: بدل من اسم الإشارة، وإن: شرطية، وكنتم صادقين: كان، واسمها، وخبرها، وجواب الشرط: محذوف لدلالة ما قبله عليه، أي: فمتى هذا الوعد؟

﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ما: نافية، وينظرون: فعل مضارع، وفاعل، ومعناه: ينتظرون؛ جعلهم منتظرين وقوعها مع أنهم كانوا قاطعين بعدمها محاكاة لكلامهم. وإلا: أداة حصر، وصيحة: مفعول به، وواحدة: صفة، وجملة تأخذهم: صفة ثانية، أو: حالية، والواو: حالية، وهم: ضمير منفصل مبتدأ، وجملة يخصمون: خبر، والجملة: نصب على الحال، والمعنى: أنها تبغتهم وهم سادرون في الغفلة مسترسلون في الخصومات حول المتاجر والمعاملات. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ الفاء: عاطفة، ولا: نافية، ويستطيعون: فعل مضارع، وفاعل، وتوصية: مفعول به، والواو: عاطفة، ولا: نافية،

وإلى أهلهم: جار ومجرور متعلقان بيرجعون، والجملة: معطوفة على ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾.

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلصُّورِ ﴾: هو القرن، أو ما يسمى اليوم: البوق، وهو شيء مجوف مستطيل، ينفخ فيه، ويزمر، ويجمع على أبواق، وبيقان، وبوقات. قال أبو الفتح بن جني: عاب على أبي الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع بوق على بوقات في قوله:

إذ كـانَ بعـضُ النَّـاسِ سَيْفـاً لـدولـةٍ
ففـي النَّـاس بـوقـاتٌ لهـا وطُبـولُ

والقياس يعضده؛ إذ له نظائر كثيرة، مثل: حمام، وحمامات، وسرادق، وسرادقات، وجواب، وجوابات، وهو كثير في جميع ما لا يعقل من المذكر.

﴿ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾: القبور، جمع: جدث، كفرس، وأفراس، وقرىء: (من الأجداف) بالفاء، وهي لغة في الأجداث، يقال: جدث، وجدف.

﴿ يَنسِلُونَ ﴾: يعدون، بكسر السين وضمها، يقال: نسل الذئب، ينسل، من باب: ضرب، يضرب، وقيل: ينسل بالضم أيضاً، وهو: الإسراع في المشي، وفي القاموس: نسل، ينسل، وينسل بكسر السين وضمها، نَسْلاً، ونَسَلاً، ونَسَلاناً في مشيه أسرع.

ومنه قول امرىء القيس:

فإنْ تكُ ساءتكِ مِنِّي خليقـةٌ فسلِّي ثيابـي مِنْ ثيـابكِ تنسـلِ

○ الإعـراب:

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير البعث يوم القيامة. ونفخ: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل، مستتر، تقديره: هو، وفي الصور: متعلقان بنفخ، والفاء: حرف عطف، وإذا: الفجائية، وهم: مبتدأ، ومن الأجداث: متعلقان بينسلون، وإلى ربهم: متعلقان بينسلون أيضاً، وجملة ينسلون: خبر هم. ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، ويا: حرف تنبيه، أو: حرف نداء، والمنادى محذوف، وويلنا: مصدر لا فعل له من لفظه، ونا: مضاف إليه، ويجوز أن يكون منادى مضافاً من النداء المجازي، أي: يا ويل احضر، فهذا أوانك، ومَنْ: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة بعثنا: خبر، ومن مرقدنا: متعلقان ببعثنا، ويجوز في المرقد أن يكون مصدراً ميمياً، أي: من رقادنا، ويجوز أن يكون اسم مكان، وقد أقيم المفرد مقام الجمع. ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ هذا: مبتدأ، وما: اسم موصول خبر، وجملة وعد الرحمن: فعل، وفاعل، ومفعول وعد: محذوف، أي: وعدنا، وصدق المرسلون: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، وعلى هذا الإعراب يكون الوقوف على مرقدنا تاماً، ويجوز أن تكون ما: مصدرية، وهي مع مدخولها: خبر هذا، وأجاز الزمخشري وغيره أن يكون اسم الإشارة نعتاً لمرقدنا، فيوقف عليه، وما وعد: مبتدأ محذوف الخبر، أو: خبراً لمبتدأ محذوف، والتقدير على الأول: حق، وعلى الثاني: هذا، أو بعثنا.

﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ إن: نافية، وكانت: فعل ماض ناقص، واسمها: مستتر، تقديره: الصيحة، وإلا: أداة حصر، وصيحة: خبر كانت، والفاء: حرف عطف، وإذا: الفجائية، وهم: مبتدأ، وجميع: خبر، ولدينا: ظرف متعلق بمحضرون، ومحضرون: خبر

ثان، أو: صفة لجميع. ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الفاء: استئنافية، واليوم: ظرف متعلق بتظلم، ولا: نافية، وتظلم: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، وشيئاً: مفعول مطلق، ولا تجزون: عطف على لا تظلم، على طريق الالتفات، وإلا: أداة حصر، وما: مفعول به ثان لتجزون، وجملة كنتم: صلة، وجملة تعملون: خبر كنتم.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ استعارة تصريحية أصلية، فقد استعار الرقاد للموت، والجامع بينهما عدم ظهور الفعل؛ لأن كلاًّ من النائم والميت لا يظهر فيه فعل، والمراد الفعل الاختياري المعتد به، فلا يرد أن النائم يصدر منه فعل، وإنما قلنا: إنها أصلية؛ لأن المرقد مصدر ميمي كما تقدم، وأما إذا جعلناه اسم مكان فتكون الاستعارة تبعية.

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ (٥٨) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩) ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)﴾

☆ **اللغة:**

﴿شُغُلٍ﴾: بسكون الغين وضمها، وقد قرىء بهما معاً، وفي القاموس: الشغل بالضم، وبضمتين، وبالفتح، وبفتحتين: ضد الفراغ، وجمعه: أشغال، وشغول، وشغله، كمنعه شغلاً ويضم، وأشغله لغة جيدة، أو قليلة، أو رديئة، واشتغل به، وشُغِل، كعُني، ويقال منه:

ما أشغله، وهو شاذ لأنه لا يتعجب من المجهول. وأنكر شارح القاموس أشغل، وقال: لا يعرف نقله عن أحد من أئمة اللغة.

﴿فَـٰكِهُونَ﴾: ناعمون، أو: متلذذون في النعمة، من الفكاهة بالضم، وهي: التمتع، والتلذذ، مأخوذ من الفاكهة. قال الجوهري في صحاحه: الفكاهة بالضم: المزاح، والفكاهة بالفتح: مصدر فكه الرجل بالكسر، فهو فكه: إذا كان طيب العيش فرحاناً ذا نشاط، من التنعم، فإذا فسرنا قوله ﴿فَـٰكِهُونَ﴾ بأنهم ناعمون كانت من الفكاهة بالفتح، وفي القاموس: الفاكهة: الثمر كله، وقولُ مخرج التمر، والعنب، والرمان منها مستدلاً بقوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ باطلٌ مردودٌ، وقد بينت ذلك مبسوطاً في اللامع المعلم العجاب، والفاكهاني: بائعها، وكخجلٍ: آكلها، والفاكه: صاحبها، وفكههم، تفكيهاً: أتاهم به، والفاكهة: النخلة المعجبة، واسم، والحلواء، وفكههم بملح الكلام تفكيهاً: أطرفهم بها، والاسم: الفكيهة، والفكاهة بالضم، وفكه، كفرح، فكهاً، وفكاهة، فهو فكه، وفاكه: طيب النفس، ضحوك، أو: يحدث صحبه، فيضحكهم، ومنه تعجب، كتفكه، والتفاكه: التمازح.

﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: جمع أريكة، وهي: السرير في الحجلة، وقيل: الفرش الكائن في الحجلة بفتحتين، أو بسكون الجيم مع ضم الحاء، وقيل: مع كسرها، والمراد بها: نحو قبة تغلق على السرير، وتزين به العروس.

﴿يَدَّعُونَ﴾ مضارع ادعى بوزن افتعل، من: دعا، يدعو، وقد أشرب معنى التمني، قال أبو عبيدة: العرب تقول: ادع علي ما شئت؛ أي: تمن، وفلان في خير ما يدعي أن يتمنى. وقال الزجاج: هو من الدعاء، أي: ما يدعونه يأتيهم، وقيل: افتعل بمعنى تفاعل؛ أي: ما يتداعونه. وقال الزمخشري: يدَّعون: يفتعلون من الدعاء، أي: يدعون به لأنفسهم، كقولك: اشتوى، واجتمل: إذ شوى، وجمل لنفسه، قال لبيد:

وغـــلامٍ أرسلَتْـــهُ أمُّـــه ... بـــألـوكٍ فَبَـذَلْنـا مـا سـأَلْ

أرسلَتْـــهُ فـــأتـــاهُ رِزْقُـــه فـاشتـوى ليلـةَ ريـحٍ واجْتَمَـلْ

أي: ورب غلام أرسلته أمه إلينا برسالة، وهي هنا السؤال، فبذلنا ما سأله من الطعام عقب سؤاله، وبين ذلك بقوله: أرسلته فأتاه رزقه، وفيه دلالة على أنَّه لم يكن عندهم طعام حين أتاهم الغلام، أي: فأتاه رزقه من الصيد، فاشتوى لنفسه من اللحم في ليلة ريح مظلمة، يقل فيها الجود، واجتمل؛ أي: أذاب الشحم، وفي الصحاح: حميت الشحم واجتملته: إذا أذبته.

○ الإعـراب:

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير أحوال أهل الجنة إغاظة للكفار، وتقريعاً لهم، وزيادة في ندامتهم وحسرتهم. وإنَّ، واسمها، واليوم: ظرف متعلق بمحذوف حال، وفي شغل: خبر إنَّ الثاني، وفاكهون: خبرها الأول، ويجوز العكس، ويجوز أن يتعلق في شغل بفاكهون، أو: في محل نصب على الحال، وسيأتي معنى الشغل والفكاهة في باب البلاغة. ﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ هـم: مبتـدأ، وأزواجهـم: عطـف علـى هـم، وفـي ظـلال: خبـر، أي: لا تصيبهم الشمس لانعدامها بالكلية، وعلى الأرائك: متعلقان بمتكئون، ومتكئون: خبر ثان لهم، ويجوز أن يتعلق قوله في ظلال: بمحذوف حال. ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ لهم: خبر مقدم، وفيها: متعلقان بمحذوف حال، وفاكهة: مبتدأ مؤخر، ولهم: خبر مقدم، وما: مبتدأ مؤخر، والجملة: معطوفة على الجملة السابقة، ويجوز في ما: أن تكون موصولة، أو: نكرة موصوفة، أو: مصدرية، وجملة يدعون: لا محل لها، أو: صفة.

﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ اختلفت أقوال المعربين في إعراب هذه الآية، وأوصل بعضهم القول فيها إلى ستة أوجه، ونرى أن نثبت نص عبارة

الشهاب السمين لوجاهتها قال: قوله: سلام: العامة على رفعه، وفيه أوجه؛ أحدها: أنه خبر ما يدعون. الثاني: أنه بدل من ما، قاله الزمخشري، قال الشيخ: وإذا كان بدلاً كان ما يدَّعون خصوصاً، والظاهر: أنه عموم في كل ما يدعونه، وإذا كان عموماً لم يكن بدلاً منه. الثالث: أنه صفة لما، وهذا إذا جعلتها نكرة موصوفة، أما إذا جعلتها بمعنى الذي، أو: مصدرية تعذر ذلك لتخالفهما تعريفاً وتنكيراً. الرابع: أنه خبر ابتداء مضمر، أي: هو سلام. الخامس: أنه مبتدأ، خبره الناصب لقولاً؛ أي: سلام يقال لهم قولاً، وقيل: تقديره: سلام عليكم. السادس: أنه مبتدأ، وخبره من رب وقولاً: مصدر مؤكد لمضمون الجملة، وهو مع عامله: معترض بين المبتدأ والخبر، وقال الزمخشري: والأوجه أن ينتصب على الاختصاص، وهو من مجازه. وجعله السيوطي الجلال منصوباً بنزع الخافض، وقال آخرون: هو مصدر منصوب بفعل محذوف، وهو مع عامله صفة لسلام، أي: يقول لهم، وجملة سلام قولاً من رب رحيم: في محل نصب معمولة لقول محذوف، ومن رب: صفة لقولاً: ورحيم: صفة لرب.

﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ وهذه الجملة معمولة لقول محذوف أيضاً، أي: ويقول لهم الله. وامتازوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، أي: وانفردوا عن المؤمنين، واليوم: ظرف متعلق بامتازوا، وأيها: منادى نكرة مقصودة، محذوف منه حرف النداء، والهاء: للتنبيه، والمجرمون: بدل. ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ جملة منتظمة في سلك المقول لهم، جارية مجرى التقريع، والتوبيخ، والتبكيت، والإلزام. والهمزة للاستفهام المتضمن هذه المعاني، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وأعهد: فعل مضارع مجزوم بلم، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: أنا، وإليكم: متعلق بأعهد، ويا: حرف نداء، وبني: منادى مضاف، وآدم: مضاف إليه. ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أن: مفسرة؛ لأنها وقعت بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه، ولا: ناهية، وتعبدوا: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، والواو: فاعل، والشيطان: مفعول به، ويجوز

أن تكون أن: مصدرية، فتكون هي ومدخولها: في محل نصب بنزع الخافض، أي: ألم أعهد إليكم بترك عبادة الشيطان. وإنَّ، واسمها، ولكم: متعلقان بعدو، أو: بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة له وتقدمت، وعدو: خبر إنَّ، ومبين: صفة، والجملة: تعليلية للنهي لا محل له. ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ عطف على أن لا تعبدوا، واعبدوني: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وهذا: مبتدأ، وصراط: خبر، ومستقيم: صفة، والجملة: تعليلية للأمر، وسيأتي سر تقديم النهي على الأمر في باب البلاغة.

□ **البلاغة:**

في هذه الآيات ضروب من أفانين البلاغة نشير إليه فيما يلي:

١ ـ تنوين شغل: وفيه تنويه بأن ما هم فيه من شغل أعلى من أن ترقى إليه رتبة البيان، أو يستطيع وضعه اللسان، كما أنَّ في إبهامه إيجازاً انطوى تحته ما لا يعد ويحصى من ضروب الملاذ التي يستمتعون بها في الجنان، وأن، ما عداها يعتبر كلا شيء، كما أن فيه تصويراً لما أعده الله لعباده المتقين من ضروب المتعة، وأفانين اللذة من افتضاض أبكار، وسماع أوتار، وتزاور في العشايا والأسحار، وقد أكده بأنهم فاكهون ناعمون، لا يشغل بالهم ما يشغل بال أهل الدنيا من تصاريف الحياة، ومشاغل السنين، ولا ينغص صفوهم همٌّ طارىء، أو غم نازل، وأنَّ كل ما تمتد إليه الأعين، وتسافر نحوه الظنون من صنوف الملاذ حاضر لديهم، ينالونه وهم متكئون على الأرائك، متمددون تحت الظلال، مما ورد وصفه مجسداً. وذلك كله على طريق الكناية؛ وقد تقدم القول فيها مطولاً.

٢ ـ تنوين صراط: وفيه تفخيم كما تقدم، وإيجاز يشير إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان، وطاعة الرحمن؛ إذ لا صراط أقوم منه، ومن نماذج هذا التنوين في الشعر قول كثير عزة:

لَئِنْ كـان يهـدي بَـرْدَ أنيـابِهـا العُـلا
لأفْقَـــرَ مِنِّـــي إنَّنـــي لفَقِيـــرُ

وقيل هذا البيت من أبيات المجنون وقبله:

دعــوتُ إلهــي دعــوةً مـا جهلتُهـا
وربِّــي بمـا تخفـي الصُّـدورُ بَصِيْـرُ

وبعده:

فمـا أكثـرَ الأخْبَـارِ أَنْ قَـدْ تـزَوَّجَـتْ
فهــل يــأتينــي بــالطَّــلاقِ بشيــرُ

وقوله: لئن كان يهدي بيان للدعوة التي دعاها عن قصد وحضور قلب وما بينهما اعتراض للتأكيد وإفادة أنَّ الدعوة كانت في السر، أي: لئن كان يعطي برد أسنانها العليا ـ وخصها بالذكر؛ لأنها أول ما يبدو عند التبسم ـ لأحوج مني؛ إنني لبليغ الفقر، حقيق بأن أوصف به لكمال شرائطه فيَّ، ويجوز أن «برد أنيابها» كناية عن ذاتها كلها و«إنني لفقير» خبر مؤكد يدل على شدة الاحتياج، وعظم الفاقة، وأيُّ فاقة أشد على العاشق من احتياجه إلى من يعشق يداوي أوصابه. وأنْ في قوله: «أن قد تزوجت»: مخففة من الثقيلة، واسمها: ضمير الشأن، وهي على تقدير حرف الجر، أي: أتعجب من كثرة الأخبار المخبرة بزواجها، وهل: استفهام بمعنى التمني، أو: التعجب مجازاً مرسلاً لعلاقة مطلق الطلب أي: أتمنى ذلك، أو: أتعجب من عدمه.

٣ ـ تقديم النهي على الأمر في قوله: ﴿ ۞أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ وذلك لأن حق التخلية التقديم على التحلية، كما هو مقرر في علم التوحيد، وليتصل به قوله ﴿ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى

كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ
أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ
لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ
لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

☆ **اللغة:**

﴿ جِبِلًّا ﴾: بكسر الجيم والباء، وتشديد اللام، كسجل، وجبلاً: بضم الجيم، وسكون الباء، وتخفيف اللام، وجبلاً: بضم الجيم، وسكون الباء، وجبلاً: بكسر الجيم، وسكون الباء، وهذه اللغات في الجبل بمعنى: الخلق، أو طائفة منه، أقلها عشرة آلاف، والكثير لا يتناهى.

﴿ ٱصْلَوْهَا ﴾: ذوقوا حرّها.

﴿ مَكَانَتِهِمْ ﴾: المكانة، والمكان واحد، كالمقامة، والمقام، والمعنى: لمسخناهم مسخاً يجمدهم مكانهم، لا يقدرون على مبارحته.

○ **الإعراب:**

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتشديد التوبيخ، وتأكيد التقريع، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وأضل: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، ومنكم: جار ومجرور متعلقان بأضل، وجبلاً: مفعول به، وكثيراً: صفة، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتكونوا: فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، والواو: اسمها، وجملة تعقلون: خبرها. ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لمجابهتهم بالمصير الهائل الذي يصيرون إليه بعد أن بلغ الغاية في توبيخهم وتقريعهم. واسم الإشارة: مبتدأ، وجهنم: خبره، والتي: صفة، وجملة كنتم: صلة، والتاء: اسم كان، وجملة توعدون: خبرها.

﴿ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ اصلوها: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، واليوم: ظرف متعلق باصلوها، وبما: متعلقان باصلوها أيضاً، والباء: للسببية، وما: مصدرية، أي: بسبب كفركم، وكنتم تكفرون: كان، واسمها، وخبرها، وجملة كنتم تكفرون: لا محل لها. ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ اليوم: ظرف زمان متعلق بنختم، ونختم: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، وعلى أفواههم: متعلقان بنختم أيضاً. ﴿ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ وتكلمنا أيديهم: فعل مضارع، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وسيأتي سر تكليم الأيدي، وتشهد أرجلهم: عطف على تكلمنا أيديهم، وبما: متعلقان بتكلمنا، وما: مصدرية، أو: موصولة، وكانوا: كان، واسمها، وجملة يكسبون: خبرها. ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ الواو: عاطفة، ولو: شرطية، ونشاء: فعل مضارع، وفاعل، والمفعول به: محذوف؛ أي: لو نشاء طمسها، واللام: واقعة في جواب لو، وجملة طمسنا: لا محل لها، وعلى أعينهم: متعلقان بطمسنا، والطمس: شق العين حتى تعود ممسوحة، وفي المصباح: طمست الشيء طمساً من باب: ضرب: محوته.

﴿ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، واستبقوا: فعل، وفاعل، والجملة: عطف على لطمسنا، والصراط: قال الزمخشري: لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل، والأصل: فاستبقوا إلى الصراط، أو: يضمن معنى ابتدروا، أو: يجعل الصراط مسبوقاً لا مسبوقاً إليه، أو: ينتصب على الظرف، والمعنى: أنه لو شاء لمسح أعينهم، فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع؛ الذي اعتادوا سلوكه إلى مساكنهم، وإلى مقاصدهم المألوفة؛ التي ترددوا إليها كثيراً؛ كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم، موضعين في أمور دنياهم؛ لم يقدروا، وتعايا عليهم أن يبصروا، ويعلموا جهة السلوك، فضلاً عن غيره، أو: لو

شاء لأعماهم، فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف؛ كما كان ذلك هجيراهم؛ لم يستطيعوا؛ أو: لو شاء لأعماهم، فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه؛ لعجزوا، ولم يعرفوا طريقاً. وقال السمين: والصراط: ظرف مكان مختص عند الجمهور، فلذلك تأولوا وصول الفعل إليه؛ إما بأنه مفعول به مجازاً جعله مسبوقاً له، وتضمين استبقوا معنى بادروا، وإما على حذف الجار؛ أي: إلى الصراط. والفاء: عاطفة، وأنى: اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب على الحال، ويبصرون: فعل مضارع، وفاعل، والاستفهام هنا معناه: النفي، أي: لا يبصرون.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ عطف على ما، ولو: شرطية، ونشاء: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: نحن، ومفعول نشاء: محذوف أيضاً، أي: لو نشاء مسخهم، واللام: واقعة في جواب لو، وجملة مسخناهم: لا محل لها، وعلى مكانتهم: حال؛ أي: لمسخناهم على حالتهم، فهم ممسوخون في محالهم، وفي منازلهم، فما: الفاء عاطفة، وما: نافية، واستطاعوا: فعل وفاعل، ومضياً: مفعول به، ولا يرجعون: عطف أيضاً؛ أي: فما يبرحون مكاناتهم، ولا يستطيعون الفرار منها بإقبالٍ ولا بإدبار.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا
يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ
أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا

يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿نُعَمِّرْهُ﴾: نطيل أجله، وعمَّره الله بالتشديد: أبقاه، وقد تقدم ذكر هذه المادة بتفصيل وافٍ.

﴿نُنَكِّسْهُ﴾ نقلبه، أي: فنجعله على عكس ما خلقناه، فيتناقص حتى يرجع إلى حال شبيهة بحال الصبي. وفي القاموس وغيره: نكسه تنكيساً بالتشديد بمعنى: نكسه، ونكسه، ينكسه من باب: نصر، نكساً: قلبه على رأسه، وجعل أسفله أعلاه، ومقدمه مؤخره. وفي المصباح: نكسته نكساً من باب: قتل: قلبته، ومنه قيل: ولد منكوس: إذا خرج رجلاه قبل رأسه، لأنه مقلوب مخالف للعادة، ونكس المريض نكساً بالبناء للمجهول: عاوده المرض، كأنه قلب إلى المرض. وقد جمع بعضهم معاني هذه المادة فقال:

قلبٌ على رأسٍ فهذا نكَسْ
والرّجلُ الفسلُ الضَّعيفُ نكِسْ
رجوعُ داءٍ بَعْدَ بُرْءٍ نُكْس
والناكِسُ المُرْخي لرأسٍ فاذْرِ

ومن ريب أمر النون مع الكاف: أنهما إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة دلت على أثر في الشيء، ويكون مصحوباً بالإيلام، والإيجاع: فنكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ، فنكسها قال:

ولَمْ تنسني أوفى المصيباتِ بعْدَهُ
ولكنَّ نكْء القَرْحِ بالقَرْحِ أوجعُ

ونكب عنه: عدل، ونكب الإناء: أراق ما فيه، والنكبة: المصيبة، وأثرها بليغ، ومنه: الريح النكباء، وهي التي تهب بين الصبا والشمال

خاصة. ونكت الأرض بقضيبه، أو: بأصبعه، ومرّ الفرسُ ينكت: إذا نبا عن الأرض في عدوه، ونكت العظم: أخرج مخه، وفلان نكّات في الأعراض؛ أي: طعّان، فما يستعمله العامة قريب من الصحيح. ونكث الحبل، والسواك، والسأف في أصول الأظفار، وقد انتكث بنفسه؛ أي: انتقض، واختل، وهذه نكاثة الحبل: لما انتكثت من طرفه، ونكاثة السواك لما تشعّث من رأسه، ومن مجازه: نكث العهد، والبيعة: نقضهما، وهو نكاث للعهود. ونكح المرأة، واستنكحها. قال النابغة:

وهُمْ قتلوا الطائيَّ بالحجر عنوةً
أبا جابرٍ واستَنْكَحُوا أمَّ جابرِ

واستنكح النوم عيونهم. قال عمر بن أبي ربيعة:

واستَنْكَحَ النَّوْمُ الذين تخافُهُمُ
ورمى الكرى بوَّابَهُمْ فتَجَدَّلا

ونكد فلاناً حاجته: منعه إياها، أو: لم يعطه إلا القليل منها، ونكد الغراب: استقصى في شحيحه، ونكد العيش بكسر الكاف: اشتد وعسر، ونكد عيشه بالتشديد؛ أي: جعله نكداً، وعطاء منكود، ومنكّد؛ أي: قليل غير مهنأ. قال:

وأعطِ ما أعطيتَهُ طيباً لا خير في المنْكُودِ والنَّاكِد

ونكّد عطاءه بالمنِّ. وأنكر الشيء، ونكره واستنكره، وقيل: نكر بالكسر أبلغ من أنكره، وهذا غريب، وقيل: نكر بالقلب، وأنكر بالعين، قال الأعشى:

وَأَنْكَرَتْني وما كانَ الذي نَكِرَتْ
مِنَ الحوادثِ إلا الشَّيبَ والصَّلعا

ونكزت الحية، تنكز بأنفها، ونكز البحر: غاض. ونكش البئر: نزفها، أو أخرج ما فيها من الطين، فما تستعمله العامة لا غبار عليه. ونكص على عقبيه معروف، ويقال: فلان حظه ناقص، وجده ناكص. ونكف منه بكسر

الكاف، واستنكف: امتنع، وانقبض أنفاً، وحمية. ونكل عن اليمين، وعن العدو، نكولاً، ونكلته عن كذا: فطمته، ونكلت به بالتشديد: أصبته بنازلة، أو جعلت غيره ينكل أن يفعل مثل فعله، والقعاب النكال. ونكهته: تشممت ريح فيه، ونكه الشارب في وجهه، ولا يخفى ما يحدثه من أثر، وقد يأتي بمعنى الطيب، يقال: هو طيب النكهة، وقد استعملها أبو الشمقمق في المعنيين بقوله يهجو داود بن بكر وكان والي الأهواز:

وَلَـــهُ لِحْيَـــةُ تَيْـــسٍ وَلَـــهُ مِنْقَـــارُ نســـرٍ
ولـــه نَكْهَـــةُ لَيْـــثٍ خَـــالَطَـــتْ نَكْهَـــةَ صَقْـــرِ

ونكيت في العدو نكاية: إذا أكثرت الجراح، تقول: فلان قليل النكاية، طويل الشكاية، قال:

قليـــلُ النِّكـــايـــةِ أعْـــدَاءَهُ يُراعي الفِرارَ يُراخي الأجل

○ الإعراب:

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لاستعراض حال الإنسان؛ كيف يستحيل إلى ضعف بعد قوة، وإلى نقص بعد تمام. ومن: اسم شرط جازم، ونعمره: فعل الشرط، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والهاء: مفعول به، وننكسه: جواب الشرط، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والهاء: مفعول به، وفي الخلق: متعلقان بننكسه، أو: بمحذوف حال، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، ولا: نافية، ويعقلون: فعل مضارع مرفوع، وفاعله. ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ كلام مستأنف، مسوق للرد على من زعموا: أن القرآن شعر. وما: نافية، وعلمناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، والشعر: مفعول به ثان، وما: عطف، وينبغي: فعل مضارع معطوف على علمناه، وله: متعلقان بينبغي، وسيأتي مزيد بيان حول هذا الموضوع.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾ إنْ: نافية، وهو: مبتدأ، وإلا: أداة حصر،

وذكر: خبر، وقرآن: عطف على ذكر، ومبين: صفة. ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ اللام: للتعليل، وينذر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور: متعلقان بمحذوف تدل عليه قرينة الكلام، أي: أنزل عليه لينذر، ومَنْ: مفعول به، وجملة كان: صلة، واسم كان: ضمير مستتر، تقديره: هو، وحياً: خبرها، ويحق: عطف على لينذر، والقول: فاعل، والمراد به: العذاب، وعلى الكافرين: متعلقان بيحق. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري، وقد تقدم: أنَّ في هذا التركيب وجهين صحيحين؛ أولهما: أن أصل التركيب: وألم يروا، ولكن لما كان الاستفهام له الصدارة قدمت الهمزة على الواو، والوجه الثاني: أن يكون الكلام على حاله، والواو: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، وقد جرينا على هذا الوجه في أكثر ما قدمناه، والتقدير: ألم يتفكروا، ولم يروا، وقد أعدناه هنا لطول العهد به. ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويروا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: فاعل، والرؤية: علمية، وأنا، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي يروا، وأنَّ، واسمها، وجملة خلقنا: خبرها، وخلقنا: فعل، وفاعل، ولهم: متعلقان بخلقنا؛ أي: لأجلهم، وانتفاعهم، ومما: متعلقان بمحذوف حال، وجملة عملت: صلة، والعائد: محذوف، أي: عملته، وأيدينا: فاعل، وأنعاماً: مفعول خلقنا، والفاء: عاطفة، وهم: مبتدأ، ولها: متعلقان بمالكون، ومالكون: خبر هم، وهي كالإبل والبقر، والغنم، والخيل، والحمير.

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ وذللناها: فعل ماض، وفاعل، ومفعول، ولهم: متعلقان بذللناها، والفاء: للتفريع، ومنها: خبر مقدم، وركوبهم: مبتدأ مؤخر، ومنها: متعلقان بيأكلون، ويأكلون: فعل مضارع مرفوع، وفاعل. ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الواو: عاطفة، ولهم: خبر مقدم، وفيها: حال، ومنافع: مبتدأ مؤخر، ومشارب: عطف

على منافع، وهو جمع: مشرب، مصدر ميمي، واسم مكان، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة، كما تقدم، ولا: نافية، ويشكرون: فعل مضارع، فاعل. ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾ الواو: عاطفة على مقدر يستدعيه السياق، أي: ما فعلوا الشكر. واتخذوا: فعل أمر، وفاعل، ومن دون الله: في موضع المفعول الثاني لاتخذوا، وآلهة: مفعوله الأول، ولعلَّ، واسمها، وجملة ينصرون: خبرها، والواو: نائب فاعل، وجملة الرجاء: حالية، أي: حال كونهم راجين النصر من آلهتهم. ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ لا: نافية، ويستطيعون: فعل مضارع، وفاعل، أسند ضمير العقلاء إلى آلهتهم تنزيلاً لها منزلة العقلاء، ونصرهم: مفعول به، والواو: للحال، وهم: مبتدأ، ولهم: حال من جند؛ لأنه كان في الأصل صفة له، وقدمت عليه، وجند: خبر هم، ومحضرون: خبر ثان لهم، أو: نعت لجند.

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ الفاء: الفصيحة؛ أي: إنْ علمت ما تقدم، وأيقنت أنهم يعلّقون أطماعهم الفارغة على ما يستوجب الخسران، ويستدعي تقويض الأحلام، وتبديد الأوهام؛ فلا يحزنك قولهم؛ ولا: ناهية، ويحزنك: فعل مضارع مجزوم بلا، والكاف: مفعول به، وقولهم: فاعل، ثم علل النهي، فقال: إنا بكسر الهمزة ولو فتحت لفسد المعنى: وإنَّ، واسمها، وجملة نعلم: خبرها، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، وما: مفعول به، وهي موصولة، أو: مصدرية، وجملة يسرون: لا محل لها على كل حال، أي: الذي يسرونه، أو: إسرارهم، وما يعلنون: عطف على ما يسرون، أي: والذي يعلنون، أو: وإعلانهم، وللزمخشري فصل ممتع بين كسر همزة إنَّ وفتحها نورده في باب الفوائد.

* الفوائد:

حاول بعض المنتصرين للنثر، الطاعنين على الشعر، أن يحتج بأنَّ

القرآن كلام الله تعالى منثور، وأنَّ النبي ﷺ غير شاعر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ ويرى: أنه قد أبلغ في الحجة، ولكن الواقع: أنَّ الله تعالى لما بعث رسوله أمياً غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة، واشتهرت البلاغة آية للنبوة، وحجة على الخلق، وإعجازاً للمتعاطين، وجعله منثوراً ليكون أظهر برهاناً؛ لفضله على الشعر؛ الذي يترتب على صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام، وتحدي جميع الناس من شاعر وغيره بمثل مثله، فأعجزهم ذلك، فمن هنا قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ أي: لتقوم عليكم الحجة، ويصح قبلكم الدليل، ويدحض أباطيلكم البرهان، والمعنى: أنَّ القرآن ليس بشعر، وما هو من الشعر في شيء، وأين هو عن الشعر؟ والشعر إنما هو كلام موزون مقفى، يدل على معنى، فأين الوزن؟ وأين التقفية؟ وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه؟ وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه؟ فإذاً لا مناسبة بينه وبين الشعر، قال الزمخشري: فإن قلت فقوله:

أنـــا النَّبـــيُّ لا كَـــذِبْ أنـــا ابـــنُ عَبْـــدِ المطَّلِـــبْ

وقوله:

هــل أنــتِ إلاَّ إِصبـعٌ دمِيْــتِ وفــي سبيــلِ اللهِ مــا لَقِيْــتِ

قلت: ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة، من غير صنعة، ولا تكلف، إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك، ولا التفات منه إليه أن جاء موزوناً، كما يتفق في كثير من انشاءت الناس في خطبهم، ورسائلهم، ومحاوراتهم أشياء موزونة، لا يسميها أحد شعراً، ولا يخطر ببال المتكلم، ولا السامع: أنها شعر، وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز، على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعراً.

قلت: وقد تقدم في موضع آخر بحث مستفيض عن الشعر، فجدد به عهداً.

بين كسر همزة إن وفتحها:

وقال الزمخشري في صدد قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾: فإن قلت: فما تقول فيمن يقول: إنْ قرأ قارىء: أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاتـه، وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر؟ قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يكون على حذف لام التعليل، وهو كثير في القرآن، وفي الشعر، وفي كل كلام، وقياس مطَّرد، وهذا معناه ومعنى الكسر سواء، وعليه تلبية رسول الله ﷺ: إنَّ الحمد والنعمة لك، كسر أبو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل. والثاني: أن يكون بدلاً من قولهم، كأنـه قيل: فلا يحزنك أنـا نعلم ما يسرون وما يعلنون، وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول، فقد تبين أن تعلّق الحزن بكون الله عالماً، وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إنَّ وفتحها، وإنما يدوران على تقديرك، فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل، ولا تقدر البدل، كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت، ولا تقدر معنى المفعولية، ثم إن قدرته كاسراً وفاتحاً على ما عظم فيه من الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله ﷺ عن الحزن على كون الله عالماً بسرهم وعلانيتهم، وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئاً؛ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾، ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا

أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

☆ **اللغـة:**

﴿خَصِيمٌ﴾: مخاصم، مجادل، والخصومة: الجدل، قال في القاموس: خاصمه، مخاصمة، وخصومة، فخصمه، يخصمه: غلبه، وهو شاذ؛ لأن فاعلته، ففعلته يرد يفعل منه إلى الضم إن لم تكن عينه حرف حلق؛ فإنه بالفتح، كفاخره، ففخره، يفخره، وأما المعتل، كوجدتُ، وبعت؛ فيرد إلى الكسر إلا ذوات الواو؛ فإنها ترد إلى الضم، كراضيته، فرضوته، أرضوه، وخاوفني، فخُفته أخوفه، وليس في كل شيء يقال: نازعته؛ لأنهم استغنوا عنه بغلبته، واختصموا: تخاصموا، والخصم: المخاصم، والجمع: خصوم، وقد يكون للاثنين، والجمع، والمؤنث، والخصيم: المخاصم، والجمع: خصماء، وخُصمان، ورجل خَصِم، كفرح: مجادل، والجمع: خصمون، ومن قرأ «وهم يخصِّمون» أراد: يختصمون، فقلب التاء صاداً، فأدغم، ونقل حركته إلى الخاء، ومنهم من لا ينقل ويكسر الخاء لاجتماع الساكنين، وأبو عمرو يختلس حركة الخاء اختلاساً، وأما الجمع بين الساكنين فلحن، والخصم بالضم: الجانب، والزاوية، والناحية، وطرف الزاوية الذي بحيال العزلاء في مؤخرها، والجمع: اخصام، وخصوم وأخصام العين: ما ضُمت عليه الأشفار. وإنما نقلنا لك هذه المادة بطولها لفائدتها، ولنبين لك مدى الوهم الذي وقع فيه صاحب المنجد، فقد خلط فيها خلطاً عجيباً، وجعل الأخصام جمعاً للخصم، والخصيم، وهو كما رأيت وهم من أوهام هذا الكتاب العجيب!!

﴿رَمِيمٌ﴾: بالية، وفي المختار: رم بالفتح يرم بالكسر: إذا بلي، وبابه: ضرب. فهو اسم لا صفة، ولذلك لم يؤنث، وقد وقع خبراً لمؤنث، ولا هو فعيل بمعنى: فاعل، أو مفعول. وإيضاح هذا الكلام: أنَّ فعيلاً

بمعنى فاعل لا تلحق التاء في مؤنثه إلا إذا بقيت وصفية، وما هنا انسلخ عنها، وغلبت عليه الإسمية، أي: صار بالغلبة اسماً لما بلي من العظام.

○ الإعراب:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقبيح إنكارهم للبعث، وقد سما الزمخشري في تقرير هذا المعنى كما سيأتي في باب الفوائد. والهمزة: للاستفهام الإنكاري التعجبي، والواو: عاطفة، وقد تقدم القول فيها مسهباً، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وير: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه: حذف حرف العلة، والإنسان: فاعل، وأنَّا، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي ير؛ لأن الرؤية هنا علمية، وأنَّ، واسمها، وجملة خلقناه: خبرها، وخلقناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، ومن نطفة: جار ومجرور متعلقان بخلقناه، والفاء: حرف عطف، وإذا: فجائية، وهو: مبتدأ، وخصيم: خبر، ومبين: صفة، وجملة إذا هو خصيم مبين: عطف على جملة لم ير الإنسان، داخلة معها في حيز الإنكار والتعجب. ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ﴾ الواو: عاطفة، وضرب: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، ولنا: متعلقان بضرب، ومثلاً: مفعول به، ونسي: عطف على ضرب، وخلقه: مفعول به، والعطف داخل في حيز التعجب والإنكار، أو: الواو: للحال بتقدير قد؛ أي: وقد نسي خلقه.

﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ مَنْ: اسم استفهام مبتدأ، وجملة يحيي العظام خبر، والواو: حالية، وهي مبتدأ، ورميم: خبر، والجملة: في موضع نصب على الحال. ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ جملة يحييها: مقول القول، وهو: فعل مضارع، ومفعول به، والذي: فاعل، وجملة أنشأها: صلة، وأول مرة: نصب على الظرف، متعلق بأنشأها، والواو: استئنافية، أو: حالية، وهو: مبتدأ، وبكل: متعلقان بعليم، وعليم: خبر هو. ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا

﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ الذي: بدل من الذي الآنفة الذكر، وجملة جعل: صلة، ولكم: في موضع المفعول الثاني، ومن الشجر الأخضر: حالاً؛ لأنه كان في الأصل صفة لناراً، وناراً: مفعول جعل الأول، فإذا: الفاء: عاطفة، وإذا: فجائية، وأنتم: مبتدأ، ومنه: متعلقان بتوقدون، وجملة توقدون: خبر أنتم.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: للعطف على مقدر يقتضيه المقام، أي: أليس الذي أنشأها أول مرة، وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً، وليس الذي خلق السموات والأرض بقادر، وليس: فعل ماض ناقص، والذي: اسمها، وجملة خلق السموات والأرض: صلة، والباء: حرف جر زائد، وقادر: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس، وعلى: حرف جر، وأنْ، وما في حيزها: في محل جر بعلى، والجار والمجرور: متعلقان بقادر، وفاعل مستتر، تقديره: هو، ومثلهم: مفعول به.

﴿بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ حرف جواب لإثبات النفي، والواو: عاطفة على ما يفيده الإيجاب، أي: بلى هو قادر على ذلك، وهو الخلاق، وهو: مبتدأ، والخلاق: خبر، والعليم: خبر ثان. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، وأمره: مبتدأ، وإذا: ظرف مستقبل، وجملة أراد: مضاف إليها الظرف، وشيئاً: مفعول به، وأن، وما في حيزها: خبر أمره، وله: متعلقان بيقول، وجملة كن: مقول القول، وكن: فعل أمر تام، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، والفاء: عاطفة، ويكون: فعل مضارع مرفوع؛ لأنه وفاعله جملة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، والجملة: عطف على أمره، وقرىء بالنصب عطفاً على يقول.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الفاء: الفصيحة، وسبحان: مفعول مطلق لفعل محذوف، والذي: مضاف إليه، وبيده: خبر مقدم، وملكوت كل شيء: مبتدأ مؤخر، والجملة: لا محل لها؛ لأنها صلة

الموصول، وإليه: الواو: عاطفة، وإليه: متعلقان بترجعون، وترجعون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل.

□ **البلاغة:**

حسن البيان:

في قوله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ﴾ . . . الآيات. حسن البيان، وحقيقته: إخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها، وقد تأتي العبارة عنه من طريق الإيجاز، وقد تأتي من طريق الإطناب بحسب ما تقتضيه الحال، وقد أتى بيان الكتاب العزيز في هذه الآية من الطريقين، فكانت جامعة مانعة في الاحتجاج القاطع للخصم، وقد أتى منفصلاً عما قبله؛ لأنه سبحانه ذكر المثل، وليس في الكلام كله لا قبله ولا بعده ما خرج مخرج المثل، ولا ما يصح أن يكون مثلاً، وهو أن أمية بن خلف أتى رسول الله ﷺ بعظم نخر في يده، وقال: يا محمد! أتزعم ربك يحيي هذا بعد أن صار إلى هذه الحال؟ فنزلت، وفي رواية: أنه العاصي بن وائل، وقيل: هو أبي بن خلف الجمحي.

وقد آن أن ننقل الفصل البليغ الذي أورده الزمخشري في صدد هذه الآيات قال: قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحاً لا ترى أعجب منه، وأبلغ، وأدل على تمادي كفر الإنسان، وإفراطه في جحود النعم، وعقوق الأيادي، وتوغله في الخسة، وتغلغله في القحة؛ حيث قرر: أنَّ عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء، وأمهنه، وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل؛ الذي هو قناة النجاسة، ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله، ودناءة أوله لمخاصمة الجبار، وشرز صفحته لمجادلته، ويركب متن الباطل، ويلج، ويمحك، ويقول: من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به، وهو كونه منشأ من موات، وهو ينكر إنشاءه من موات، وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها.

وروي: أن جماعة من قريش منهم أبي بن خلف الجمحي، وأبو جهل، والعاصي بن وائل، والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أُبَيٌّ: ألا ترون إلى ما يقول محمد: إن الله يبعث الأموات. ثم قال: واللات والعزّى لأصيرن إليه، ولأخصمنه، وأخذ عظماً بالياً، فجعل يفته بيده، وهو يقول: يا محمد! أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ؟! قال ﷺ: «نعم، ويبعثك، ويدخلك جهنم».

* * *

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ
لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا
بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ
وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ
فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿دُحُورًا﴾ : مصدر دحره، أي: طرده، وأبعده، وهو من باب خضع. وللدال مع الحاء فاء وعيناً للفعل معنى القذف، والطرد، والدفع، فمن ذلك: دح الشيء في الأرض، أي: دسه فيها، ودح الطعام بطنه: ملأه حتى يسترسل إلى أسفل، ودح الرجل: دعّه في قفاه، والعامة تستعمله بهذا المعنى، فيقولون: دحَّه على ظهره، فهي من العامي الفصيح. ودحرج الشيء فتدحرج؛ أي: قلبه، وأداره على نفسه متتابعاً في حدور فانقلب.

ودحس بين القوم: أفسد بينهم، ودحس الشيء: ملأه، ودحس برجله: فحص، ويقال: ما بي من داحس، وهو تشعث الإصبع، وسقوط الظفر، وما تسميه العامة ورم حار في طرف الإصبع، فهي عربية فصيحة قال مزرِّد:

تَشَاخَت إبهاماكَ إنْ كُنْتَ كاذباً

ولا برئا مِنْ داحسٍ وكُنَاعِ

وخرج الحجاج في بعض الليالي فسمع صوتاً هائلاً، فقال: إن كان هذا صاحب عائر، أو قادح، أو داحس فلا تحدث شيئاً، وإلا فأخرج لسانه من قفاه، أي: صاحب رمد، أو وجع ضرس، ويقال للرجل والدابة إذا أصابهما الجرح فارتكضا للموت: تركته يفحص، ويدحَصُ الأرض برجله. ودحضت رجله: زلقت، دحضاً، ودحوضاً، وأدحض فلان قدمه، ومَزْلَقَةٌ مدحاض، وهذه مَدْحضة القدم، ودحض الحجة: أبطلها. ودحقه، يدحقه، من باب: فتح، دحقاً: طرده، وأبعده، ودحقت الرحم بماء الفحل: رمت به، فلم تقبله، ودحقت الحامل بولدها: أجهضته، وولد دحيق، وقيل: دحقت به: ولدته، وأصابها دُحاق، وهو أن تخرج رحمها بعد الولادة، وهي دحوق، وداحق، وأدحقه الله: باعده من الخير، وهو دحيق، تقول: أسحقه الله، وأدحقه، وهو سحيق دحيق. ودحل: توارى في دحل، وهو حفرة غامضة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل، تقول: طُلبوا بالذحول، فتواروا في الدحول، ودحل البئر: حفر في جوانبها، ونصب الصائد الدواحيل، وهي مصائد للحمر، الواحد: داحول، وبئر دحول: ذات تلحف، وهو تكسر جوانبها مما أكلها من الماء، فما يستعمله العامة منها محرف، ولم يرد في اللغة بهذا المعنى إلا على مجاز بعيد، وتسميتهم أخيراً المدحلة بالمعنى الشائع فيه تسامح، ولكننا نتسامح به أيضاً. ودحمه، دحماً: دفعه دفعاً شديداً، فاستعمال العامة لها بهذا المعنى لا غبار عليه. ودحمس الليل: أظلم، أو: ألقى بظلامه على كل شيء. ودحمل به: دحرجه على الأرض. ودحا الله الأرض: افترشها، وبسطها، ودحا المطر

الحصى عن وجه الأرض: أي دفعها، وبابه: نصر، وفتح، يقال: دحا، يدحو، ودحى، يدحى، وليس معنى البسط: أنها ليست كالكرة ولكنها ممدودة متسعة، كما يأخذ الخباز الفرزدقة فيدحوها. قال ابن الرومي:

ما أنسى لا أنسى خبَّازاً مررتُ به
يدحو الرِّقاقة مِثْلَ اللَّمْحِ بالبصر
ما بَيْنَ رُؤْيَتِهَا في كفِّهِ كرةً
وبَيْنَ رُؤْيتِهَا قوراءَ كالقَمَرِ
إلا بمقدارِ ما تَنْدَاحُ دائرةٌ
في لجةِ الماء يُرْمىٰ فيهِ بالحَجَرِ

وهذا من أعاجيب لغتنا العربية الشريفة.

﴿ وَاصِبٌ ﴾: دائم، وفي المختار: وصب الشيء، يصب بالكسر، وصوباً: دام، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾

﴿ فَأَتْبَعَهُۥ ﴾: في المختار: تبعه من باب: طرب: إذا مشى خلفه، أو: مرَّ به فمضى معه، وكذا: اتبعه، وهو افتعل، وأتبعه على أفعل، وقال الأخفش: تبعه، وأتبعه بمعنى، مثل: ردفه، وأردفه، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾

﴿ ثَاقِبٌ ﴾: أي: يثقبه، أو يحرقه، ونقل القرطبي في تفسير الثاقب قولين: قيل: بمعنى المضيء، وقيل: بمعنى المستوقد، من قوله: اثقب زندك، أي: استوقد نارك، وقال البيضاوي: ثاقب: مضيء، كأنه يثقب الجو بضوءِه ولهذه المادة عجائب في التنويع والتصرف، ففي الأساس، واللسان: ثقب الشيء بالمثقب، وثقب القداح عينه ليخرج الماء النازل، وثقب اللّآل الدر، ودر مثقب، وعنده در عذارى: لم يثقّبن، وثقّبن البراقع لعيونهن، قال المثقب العبدي:

أرين محاسناً وكنَنّ أُخرى وثَقَّبْنَ الوَصاوِصَ لِلْعُيُون

وبه سمي المثقّب. وكوكب ثاقب ودرّيء: شديد الإضاءة والتلألؤ، كأنه يثقب الظلمة فينفذ فيها، ويدرؤها، ورجل ثقيب، وامرأة ثقيبة، مشبهان للهب النار في شدة حمرتهما، وفيهما ثقابة، وحسب ثاقب: شهير، ورجل ثاقب الرأي: إذا كان جزلاً نظّاراً، وأتتني عنك عين ثاقبة: أي خبر يقين، وثقب الطائر: إذا حلق، كأنه يثقب السُكاك، وثقّب الشيب في اللحية: أخذ في نواحيها.

○ الإعراب:

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ الواو: حرف قسم وجر، والصافات: مجرور بواو القسم، والجار والمجرور: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، والصافات: اسم فاعل من صف، قيل: هم الملائكة المصطفون في السماء يسبحون، لهم مراتب يقومون عليها صفوفاً، كما يصطف المصلون، وقيل: هم المجاهدون، وقيل: هم المصلون، وقيل: هي الطير الصافات أجنحتها، كقوله: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ وفي الصافات ضمير مستتر، هو الفاعل، والمفعول به: محذوف، أي: نفوسها، أو: أجنحتها، وصفاً: مفعول مطلق مؤكد.

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ الفاء: حرف عطف، قال الزمخشري: فإن قلت ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات؟ قلت: إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله:

يا لهفَ زيَّابةَ للحارثِ الصَّا ... بحِ فالغانمِ فالآيبِ

كأنه قيل: الذي أصبح فغنم فآب، وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه، كقولك: خذ الأفضل، فالأكمل، واعمل الأحسن، فالأجمل، وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك، كقوله: رحم الله المحلقين فالمقصرين، فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات، وسيأتي تعقيب مفيد على هذا التقرير في باب البلاغة.

والزاجرات: عطف على الصافات، والمراد بها، قيل: نفوس العلماء، لأنها تزجر العصاة بالنصائح والمواعظ، أو: الملائكة تزجر السحاب، أي: تسوقه، وزجراً: مصدر مؤكد أيضاً. ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ قيل: أراد نفوس العلماء؛ لأنها تتلو آيات الله، وتدرس شرائعه، وقيل: نفوس قواد الغزاة في سبيل الله؛ التي تصف الصفوف، وتزجر الخيل، وتتلو الذكر مع ذلك، لا تشغلها عنه تلك الشواغل، وذكراً: مفعول مطلق؛ لأنها في معنى التاليات، ويجوز أن تكون مفعولاً به للتاليات، وسيأتي معنى القسم بهذه الأشياء في باب الفوائد.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ الجملة لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وواحد: خبرها. ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ رب السموات: بدل من واحد، أو: خبر ثان، أو: خبر لمبتدأ محذوف، وما: عطف على السموات، والظرف: متعلق بمحذوف صلة الموصول، ورب المشارق: عطف على رب السموات، وسيأتي سر إعادة الرب، وعدم ذكر المغارب في باب البلاغة. ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير لطائف صنعه، وبديع خلقه. وإنَّ، واسمها، وجملة زينا: خبرها، وزينا: فعل ماض، ونا: فاعل، والسماء: مفعول به، والدنيا: صفة، أي: القريبة منكم، والتي تتراءى لأعينكم، وهي الجديرة بالتدبر والاعتبار، وبزينة: جار ومجرور، متعلقان بزينا، والكواكب: عطف بيان، أو: بدل لزينة، وهناك قراءات أخرى، وأعاريب طريفة، سنوردها في باب الفوائد. ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ الواو: عاطفة، وحفظاً: في نصبه أوجه، أرقاها من جهة المعنى ما نحا إليه الزمخشري، قال: وحفظاً مما حمل على المعنى؛ لأن المعنى: إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ ويجوز أن يقدر الفعل المعلل، كأنه قيل: وحفظاً من كل شيطان زيناها بالكواكب، وقيل: وحفظناها

حفظاً. وهذا الوجه الثاني أسهل من حيث الإعراب، وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين: وحفظاً: إما منصوب على المصدر بإضمار فعل؛ أي: حفظناها حفظاً، وإما على المفعول من أجله، على زيادة الواو، والعامل فيه: زينا، أو: على أن يكون العامل مقدراً، أي: لحفظها زيناها، أو: على الحمل على المعنى المتقدم، أي: إنا خلقنا السماء الدنيا زينة وحفظاً. واقتصر أبو البقاء على المفعولية المطلقة، ومن كل شيطان: متعلقان بحفظاً إن لم يكن مصدراً مؤكداً، وبالمحذوف إن جعل مصدراً مؤكداً، ويجوز أن يكون صفة لحفظاً.

﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ في إعراب هذه الجملة كلام كثير، ونقاش طويل، نرجئه إلى باب الفوائد، ولا: نافية، ويسمعون: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه: ثبوت النون، والواو: فاعل، وإلى الملأ الأعلى: متعلقان بيسمعون، وسيأتي سر هذا التعدي في باب الفوائد، والأعلى: صفة للملأ، ويقذفون: الواو: عاطفة، ويقذفون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، ومن كل جانب: متعلقان بيقذفون، أي: من أي جهة صعدوا ليسترقوا السمع. ﴿ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾ دحوراً: مفعول من أجله، أي: يقذفون للدحور، أو: مدحورين على الحال، أو: مفعول مطلق، وينوب عن المصدر مرادفه، والقذف والطرد متقاربان، والواو: عاطفة، ولهم: خبر مقدم، وعذاب: مبتدأ مؤخر، وواصب: نعت لعذاب. ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ إلا: أداة حصر واستثناء؛ لأن الكلام تام منفي، ومَنْ: في محل رفع بدل من الواو على الأول، أو: في محل نصب على الاستثناء على الثاني، ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً، فيتعين النصب على الاستثناء، والخطفة: مفعول مطلق، فهو مصدر معرف بأل الجنسية، أو العهدية، فأتبعه: الفاء عاطفة، وأتبعه: فعل، ومفعول به مقدم، وشهاب: فاعل مؤخر، وثاقب: نعت لشهاب.

□ **البلاغة:**

التقديم والتأخير:

أثبتنا في باب الإعراب تقرير الزمخشري عن الفاء العاطفة للصفات، وقد انتهى الزمخشري من تقريره إلى القول: فعلى هذا: إن وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل، وإن ثلثته فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه، ومعنى توحيدها: أن تعتقد أن صنفاً مما ذكر في التفاسير المذكورة جامع للصفات الثلاث، على أن الأول هو الأفضل، أو على العكس، ومعنى تثليثها أن تجعل كل صفة لطائفة، ويكون التفاضل بين الطوائف إما أن الأول هو الأفضل، أو على العكس. ووجهة الزمخشري قوية، وتقريره ممتع مفيد، ولكنه لم يبين وجه كل واحدٍ منهما. وخلاصة ما يقال فيه: إن للعرب في التقديم مذهبان؛ أولهما:

١ ـ الاعتناء بالأهم، فهم يقدمون ما هو أولى بالعناية وأجدر بأن يقرع السمع.

٢ ـ الترقي من الأدنى إلى الأعلى، ومنه قوله:

بهاليلُ منهم جعفرُ وابنُ أمِّه عليٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخَيَّرُ

ولا يقال: إن هذا إنما ساغ لأن الواو لا تقتضي رتبة، فإن هذا غايته أنه عذر، وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة.

كلمة عامة في التقديم والتأخير:

هذا وقد عقد عبد القاهر فصلاً مطولاً في كتابه دلائل الإعجاز عن التقديم والتأخير يرجع إليه القارىء إن شاء، ونلخص هنا ما قاله علماء المعاني في صدد التقديم والتأخير؛ فمن المعلوم: أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعة واحدة، بل لا بد من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض، وليس شيء منها في نفسه أولى بالتقديم من الآخر؛ لاشتراك جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ في درجة الاعتبار، فلا بد لتقديم هذا على ذاك

من داع يوجبه، وهذه الدواعي كثيرة فمنها:

١ ـ التشويق إلى المتأخر إذا كان المتأخر مشعراً بغرابة؛ كقول أبي العلاء:

والَّـذي حـارتِ البـريـةُ فيـه حيـوانٌ مستحـدثٌ مِـنْ جَمَـادِ

٢ ـ تعجيل المسرة

أوضح المساءة، نحو: العفو عنك صدر به الأمر، أو: القصاص حكم به القاضي.

٣ ـ كون المتقدم محط الإنكار والتعجب، نحو: أبعد طول التجربة تنخدع؟

٤ ـ النص على عموم السلب، أو سلب العموم، فالأول يكون بتقديم أداة العموم على أداة النفي، نحو: كل ذلك لم يقع؛ أي: لم يقع هذا، ولا ذاك، والثاني: يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم، نحو: لم يكن كل ذلك؛ أي: لم يقع المجموع، فيحتمل ثبوت البعض، ويحتمل نفي كل فرد.

٥ ـ التخصيص نحو: ما أنا قلت، و: إياك نعبد.

٦ ـ ومما يرى عبد القاهر تقديم الاسم فيه كاللازم (مثل) و(غير) في نحو قوله:

مثلُك يثني المزنَ عَنْ صَوْبِه ويستـردُّ الـدَّمْـعَ عَـنْ غَـرْبِـهِ

وقول أبي تمام:

وغيري يأكلُ المعروفَ سُحْتاً وتُشْجَبُ عِنْدَهُ بِيْضُ الأَيادي

وفي التعبير الأول لا يقصد بمثل إلى إنسان سوى الذي أضيف إليه، ولكنهم يعنون: أن كلّ من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس، وموجب العرف والعادة أن يفعل ما ذكر وألا يفعل، وكذلك في التعبير الثاني لا يراد بغير أن يومىء إلى إنسان، فيخبر عنه بأنه يفعل، بل لم يرد إلا أن يقول: لست ممن يأكل المعروف سحتاً.

* الفوائـد :

١ ـ الواو في هذا التركيب :

مذهب سيبويه والخليل في مثل ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴾ أنَّ الواو الثانية، وما بعدها عواطف، وغير الخليل وسيبويه يذهب إلى أنها حروف قسم، فوقوع الفاء في ﴿ وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴾ موقع الواو، والمعنى واحد؛ إلا أن ما تزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق للعطف لا للقسم.

٢ ـ معنى القسم :

اختلف الناس في المقسم به، والراجح هو: أنَّ المقسم به هذه الأشياء لظاهر اللفظ، فالعدول عنه خلاف الدليل، وأما النهي عن الحلف بغير الله فهو نهي للمخلوق عن ذلك، والقول الثاني: أن المقسم به هو رب هذه الأشياء؛ لنهيه ﷺ عن الحلف بغير الله تعالى فلا بد من إضمار كلمة «رب» وتقدير الكلام: ورب الصافات صفاً. . الخ، وعلى كل حال ففي هذا القسم تنويه بهذه الأشياء، وتعظيم لها، وسيرد المزيد من هذا الحديث.

٣ ـ في إعراب ﴿ بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾ :

قال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين: قوله: ﴿ بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ﴾ قرأ أبو بكر بتنوين زينة، ونصب الكواكب، وفيه وجهان؛ أحدهما: أن تكون الزينة مصدراً، وفاعله: محذوف، تقديره: بأن زين الله الكواكب في كونها مضيئة حسنة في أنفسها، والثاني: أن الزينة اسم لما يزان به كالليقة لما تلاق به الدواة، فتكون الكواكب على هذا: منصوبة بإضمار أعني، أو تكون: بدلاً من سماء الدنيا بدل اشتمال، أي: كواكبها، أو: من محل بزينة، وحمزة وحفص كذلك، إلا أنهما خفضا الكواكب على أن يراد بزينة ما يزان به، والكواكب: بدل، أو: بيان للزينة، والباقون بإضافة زينة إلى الكواكب، وهي تحتمل ثلاثة أوجه؛ أحدها: أن تكون إضافة أعم إلى

أخص، فتكون للبيان، نحو: ثوب خز، والثاني: أنها مصدر مضاف لفاعله، أي: بأن زينت الكواكب السماء بضوئها، والثالث: أنه مضاف لمفعوله؛ أي: بأن زينها الله؛ بأن جعلها مشرقة مضيئة في نفسها.

٤ ـ إعراب جملة ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾:

أفاض المعربون، والمفسرون، والنحاة في إعراب هذه الجملة، ونورد هنا مختارات من أقوال المشهورين منهم، ونبدأ بالزمخشري:

فإن قلت: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ كيف اتصل بما قبله؟ قلت: لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان، أو استئنافاً، فلا تصح الصفة؛ لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له، وكذلك الاستئناف؛ لأن سائلاً لو سأل: لم تحفظ من الشياطين؟ فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم، فبقي أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأ اقتصاصاً لما عليه حال المسترقة للسمع، وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة، أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب، مدحورون عن ذلك، إلا أن من أمهل حتى خطف خطفة، واسترق استراقة، فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب. ومضى الزمخشري في تقريره قائلاً: فإن قلت: هل يصح قول من زعم أنَّ أصله: لئلا يسمعوا، فحذف اللام، كما حذفت في قولك: جئتك أن تكرمني، فبقي: أن لا يسمعوا فحذفت أن، وأهدر عملها كما في قول طرفة:

ألا أيُّهذا الزاجريُّ أَحْضُرُ الوغى
وأَنْ أشْهَدَ الَّلذاتِ هَلْ أنت مخلدي

قلت: كل واحدٍ من هذين الحذفين غير مردود على انفراده، فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات، على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب.

وتعقبه ابن المنير صاحب الانتصاف فقال: كلا الوجهين مستقيم، والجواب عن إشكاله الوارد على الوجه الأول: أن عدم سماع الشيطان سببه

الحفظ منه، فحال الشيطان حال كونه محفوظاً منه هي حاله حال كونه لا يسمع، وإحدى الحالين لازمة للأخرى، فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه، وكونه موصوفاً بعدم السماع في حالة واحدة، لا على أن عدم السماع ثابت قبل الحفظ، بل معه وقسمه. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فقوله: مسخرات: حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذي هو سخر، ومعناه مستقيم؛ لأن تسخيرها يستلزم كونها مسخرة، فالحال التي سخرت فيها هي الحال التي كانت فيها مسخرة، لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك، وما أشار إليه الزمخشري في هذه الآية قريب من هذا التفسير إلا أنه ذكر معه تأويلاً آخر كالمستشكل لهذا الوجه، فجعل مسخرات جمع: مسخر مصدر، كممزّق، وجعل المعنى: وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعاً من التسخير، وفيما ذكرناه كفاية. ومن هذا النمط. ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ وهم ما كانوا رسلاً إلا بالإرسال، وهؤلاء ما كانوا لا يسمعون إلا بالحفظ، وأما الجواب على إشكاله الثاني: فورود حذفين في مثل قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ وأصله: لئلا تضلوا، فحذف اللام ولا جميعاً من محليهما.

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين: وهذه الجملة منقطعة عما قبلها في الإعراب، ولا يجوز فيها أن تكون صفة لشيطان على المعنى؛ إذ يصير التقدير: من كل شيطان مارد غير سامع أو مستمع، وهو فاسد، ولا يجوز أيضاً أن يكون جواباً لسؤال سائل: لم تحفظ من الشيطان؟ إذ يفسد معنى ذلك، وقال بعضهم: أصل الكلام: لئلا يسمعوا، فحذفت اللام وإن، وارتفع الفعل. وفيه تعسف، وقد وهم أبو البقاء فجوز أن تكون صفة، وأن تكون حالاً، وأن تكون مستأنفة، فالأولان ظاهرا الفساد، والثالث إنْ عنى به الاستئناف البياني؛ فهو فاسد أيضاً، وإن أراد الانقطاع على ما قدمته؛ فهو صحيح.

أما عبارة أبي البقاء التي شجبها السمين فهي: قوله تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ جمع على معنى كل، وموضع الجملة: جر على الصفة، أو: نصب على الحال، أو مستأنف، وعدّاه بإلى حملاً على معنى يصغون.

أما ابن هشام فقد عقد في «المغني» تنبيهاً خاصاً حول هذه الجملة فقال: من الاستئناف ما قد يخفى، وله أمثلة كثيرة؛ أحدها: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ فإن الذي يتبادر إلى الذهن: أنه صفة لكل شيطان، أو: حال منه، وكل منهما باطل؛ إذ لا معنى للحفظ من شيطان لا يسمع، وإنما هي للاستئناف النحوي، ولا يكون استئنافاً بيانياً لفساد المعنى أيضاً، وقيل: يحتمل أن الأصل: لئلا يسمعوا، ثم حذفت اللام، كما في: جئتك أن تكرمني، ثم حذفت أن، فارتفع الفعل، كما في قوله:

ألا أيُّهذا الزَّاجريُّ أَحْضُرُ الوغى . . . .

فحين رفع أحضر، واستضعف الزمخشري الجمع بين الحذفين، فإن قلت: اجعلها حالاً مقدرة، أي: وحفظاً من كل شيطان مارد مقدراً عدم سماعه بعد الحفظ، قلت: الذي يقدر وجود معنى الحال هو صاحبها، كالممرور به في قولك: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً، أي: مقيداً حال المرور به أن يصيد غداً، والشياطين لا يقدرون عدم السماع ولا يريدونه.

ملاحظة هامة:

الاستئناف قسمان: بياني ونحوي: أما البياني: فهو ما كان جواباً لسؤال مقدر، نحو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ فإن جملة القول الثانية جواب لسؤال مقدر تقديره: فماذا قال لهم؟ ولهذا فصلت عن الأولى فلم تعطف عليها، وأما النحاة فقالوا: هي المقتطعة عما قبلها، سواء كانت جواباً عن سؤال أم لا، فالاستئناف عندهم أعم.

هذا وقد ردّ الدماميني على ابن هشام فقال: إذا كانت للاستئناف النحوي فيكون قد أخبر عن الشياطين المتحفظ منهم بعدم السماع، وحينئذ يعود الإشكال بأنه كيف يتحفظ من شيطان لم يسمع في نفس الأمر، إذ المتحفظ منه من يسمع، فإن قلت: إن المراد لا يسمعون بعد الحفظ. قلنا: قدر ذلك في الصفة، ويكون المعنى لا غبار عليه، فما بالك قدرته في الاستئناف النحوي دون الصفة، مع أن المعنى على كل حال ظاهر فهذا تحكم. وأجاب الشمني بأنه إخبار عن حال الشياطين لا يوصف كونه محفوظاً منهم، وفيه: أنه لا يصح الإخبار عنهم بعدم السماع مع قطع النظر عن الحفظ؛ لأنهم يحفظون في نفس الأمر وما إلى عدم السماع إلا من الحفظ، وإلا لما كان للحفظ معنى.

والذي حدانا إلى إيراد هذه الأقوال ما فيها من رياضة ذهنية، ولعل ابن المنير كفانا مؤونة الرد على هذه الأقوال، فارجع إليه، وتمعن فيه؛ فإنه قد أصاب المحز.

فرق دقيق:

قال الزمخشري: فإن قلت: أي فرق بين: سمعت فلاناً يتحدث، وسمعت إليه يتحدث، وسمعت حديثه، وإلى حديثه؟ قلت: المعدى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك.

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَم مَّنۡ خَلَقۡنَآۚ إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ﴿١١﴾ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ﴾: فاستخبرهم: يقال: استفتى استفتاء العالم في مسألة:

سأله أن يفتيه فيها، والفُتوى، والفَتوى، والفُتيا: اسم من أفتى العالم إذا بيّن الحكم، والجمع: الفتاوي، والفتاوى.

﴿لَّازِبٍ﴾: لازم، لاصق، يقال: لزب، يلزب، لزوباً، من باب: دخل: اشتد، وثبت، ولزب به: لصق، ولزب، يلزب، لزباً، من باب: تعب، ولزب، يلزب، لزباً، ولزوباً، من باب: كرم: الطين لزق، وصلب، ولزب الشيء: دخل بعضه في بعض، واللازم اسم فاعل: الثابت، يقال: صار الأمر ضربة لازب، أي: صار لازماً ثابتاً، وطين لازب: يلزق باليد لاشتداده، وفي المختار: تقول: صار الشيء لازباً؛ أي: ثابتاً، وهو أفصح من لازماً.

وقال النابغة:

ولا تَحْسَبُونَ الخيــر لا شــرَّ بَعْــدَهُ
ولا تَحْسَبُونَ الشَّــرَّ ضَــرْبَـةَ لازِبِ

﴿دَاخِرُونَ﴾: صاغرون، يقال: دخر، يدخر، من باب: فتح، ودخر، يدخر، من باب: تعب، دخراً، ودخوراً؛ أي: ذل، وصغر.

○ **الإعـراب:**

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إنْ شئت أن تبكتهم، وترد عليهم في أمر إثبات المعاد، فاستفتهم؛ لأن الفرق بيِّن، والبون بعيد بين المعاد، وهو: الأجزاء الأصلية كما سيأتي، ولك أن تجعلها الفاء العاطفة المعقبة، أي: استفتهم عقب عدّ هذه الأشياء المذكورة آنفاً. واستفتهم: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والفاعل: مستتر وجوباً، تقديره: أنت، والهاء: مفعول به، والهمزة: للاستفهام، وهم: مبتدأ، وأشد: خبر، وخلقاً: تمييز، وأم: حرف عطف، وهي هنا متصلة، عطفت مَنْ على هُمْ، وجملة خلقنا: صلة الموصول. ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة خلقناهم: خبر، وخلقناهم: فعل، وفاعل،

ومفعول، ومِنْ طين: جار ومجرور متعلقان بخلقناهم، ولازب: نعت لطين، وناهيك بهذا دليلاً على ضعفهم، وهوان أمرهم، وضآلة شأنهم، وأن من كان بهذه المثابة لا يتأتى له أن يتكبر ويتطاول ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ بل: حرف إضراب وعطف، والمعطوف عليه مقدر دل عليه الاستفهام، أي: هم لا يقرون، وعجبت: فعل، وفاعل، والخطاب للنبي، والمتعلق: محذوف، أي: من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة. وفي قراءة بضم التاء، وإسناد العجب إلى الله تعالى محال؛ لأن العجب روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء، وذلك على الله تعالى محال، ولكن الكلام جرى على طريق تخيل العجب، وافتراضه على طريق المشاكلة، وقد تقدمت لها أمثلة. والواو: حالية، وجملة يسخرون: خبر لمبتدأ محذوف، أي: وهم يسخرون، والجملة: نصب على الحال.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة ذكروا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وذكروا: بالبناء للمجهول والتشديد، والواو: نائب فاعل، ولا: نافية، وجملة لا يذكرون: لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم، أي: وديدنهم عدم الاتعاظ بشيء مهما يكن جديراً بالاعتبار. ﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ عطف على ما تقدم، والمراد بالآية: المعجزة التي تدعو إلى الإذعان، ولكن هؤلاء لا تؤثر فيهم المعاجز، ومعنى الاستسخار: دعوة بعضهم لبعض بالسخرية، أو أن زيادة السين والتاء لمجرد المبالغة في السخر. ﴿وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ الواو: عاطفة، وقالوا: فعل، وفاعل، وإنْ: نافية، وهذا: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وسحر: خبر هذا، ومبين: نعت، أي: ظاهر للعيان، والجملة: مقول القول. ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ الجملة: مقول قول محذوف أيضاً، أي: وقالوا منكرين للبعث، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة: متنا في محل جر بإضافة الظرف إليها، وكنا: فعل ماض ناقص، ونا: اسمها،

وتراباً: خبرها، وعظاماً: عطف على تراباً، والهمزة: للاستفهام الإنكاري أيضاً، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، ومبعوثون: خبرها.

﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام، والواو: حرف عطف، وآباؤنا: معطوف على محل إنَّ واسمها، أو: على الضمير في مبعوثون، وإنما جاز العطف مع أن ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله: أن الهمزة الثانية مؤكدة للأولى، فهي في النية مقدمة، فصحّ عمل ما قبلها فيما بعدها، ولك أن تعرب آباؤنا: مبتدأ محذوف الخبر، والتقدير: أو آباؤنا يبعثون أيضاً، وقرىء: أو بسكون الواو، فهي حرف عطف، وليس هناك همزة استفهام، وفيمايلي تقرير السمين عن هذه الآية:

قوله: ﴿أَوَ ءَابَآؤُنَا﴾ قرأ ابن عامر بسكون الواو على أنها أو العاطفة المقتضية للشك، والباقون بفتحها على أنها همزة استفهام دخلت على واو العطف، وهذا الخلاف جار أيضاً في الواقعة، وقد تقدم مثل هذا في الأعراف في قوله: ﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ فمن فتح الواو أجاز في ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا﴾ وجهين؛ أحدهما: أن يكون معطوفاً على محل إنَّ واسمها، والثاني: أن يكون معطوفاً على الضمير المستتر في ﴿ لَمَبْعُوثُونَ﴾ واستغنى بالفصل بهمزة الاستفهام، ومن سكنها تعين فيه الأول دون الثاني على قول الجمهور لعدم الفاصل. ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾ فعل أمر، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: أنت، ونعم: حرف جواب، والواو: للحال، وأنتم: مبتدأ، وداخرون: خبر، والجملة: نصب على الحال، والعامل فيها نعم بالنظر لمعناها، أي: نعم تبعثون وأنتم داخرون.

﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ الفاء: الفصيحة؛ لأنها واقعة في جواب شرط مقدر، تقديره: إذا كان ذلك فإنما، وإنما: كافة ومكفوفة، وهي: مبتدأ، وزجرة: خبر، وواحدة: صفة، وهي ضمير مبهم لأنه لا يرجع إلى شيء، وإنما يوضحه خبره، وأجازوا أن تعود هي على البعثة المدلول عليها بسياق الكلام لما كانت بعثتهم ناشئة عن الزجرة جعلت إياها

مجازاً. والزجرة: الصيحة المخيفة، قال:

زَجْـرُ أبـي عـروةَ السِّبـاعَ إذا أَشْفَقْـنَ أَنْ يَخْتَلِطْـنَ بِـالغَنَـم

يريد تصويته بها. والفاء: عاطفة، وإذا: فجائية، وهم: مبتدأ، وجملة ينظرون: خبر، ومفعوله: محذوف، أي: ينظرون ما يفعل بهم، أو هي بمعنى: ينتظرون.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ الواو: استئنافية، وقالوا: فعل، وفاعل، ويا: حرف تنبيه، أو: المنادى محذوف، وويلنا: مصدر لا فعل له من لفظه، أو: منادى، وجملة النداء: مقول قولهم، وجملة هذا يوم الدين: يحتمل أن تكون من تتمة مقولهم، ويحتمل أن يتم الوقف على ويلنا، والجملة: مستأنفة، فتكون من قول الملائكة لهم، وهذا: مبتدأ، ويوم الدين: خبره. ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ هذا: مبتدأ، ويوم الفصل، خبر، ويحتمل أن تكون الجملة من تتمة مقولهم، ويكون قوله تكذبون التفاتاً من التكلم إلى الخطاب، والذي: صفة ليوم، وكنتم: كان، واسمها، وبه: متعلقان بتكذبون، وجملة تكذبون: خبر كنتم. ﴿۞ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ خطاب من الله تعالى للملائكة، أو خطاب بعضهم لبعض. واحشروا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والذين: مفعول به، وجملة ظلموا: صلة، واسم الموصول: عبارة عن المشركين، ومفعول ظلموا: محذوف، تقديره: أنفسهم، وأزواجهم: عطف على

الموصول، أو: مفعول معه، وما: عطف أيضاً، أو: مفعول معه، وكان، واسمها، وجملة يعبدون: خبرها.

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ من دون الله: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال، والفاء: عاطفة، واهدوهم: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، وإلى صراط الجحيم: متعلقان باهدوهم. ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ وقفوهم: على ما تقدم، أي: واحبسوهم عند الصراط، وإنَّ، واسمها، ومسؤولون: خبرها، والجملة: تعليل للأمر. ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ الجملة: مقول قول محذوف، أي: ويقال توبيخاً لهم. وما: اسم استفهام مبتدأ، ولكم: خبر، وجملة: لا تناصرون حالية، ولا: نافية، وتناصرون: فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه، والأصل: لا تتناصرون: أي: لا ينصر بعضكم بعضاً. ﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ بل: حرف إضراب، وعطف، وهم: مبتدأ، واليوم: ظرف متعلق بمستسلمون، ومستسلمون: خبر هم، أي: قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز.

* **الفوائـد:**

يجوز في المضارع المبدوء بتاءين زائدتين الإدغام والفكّ، ونورد هنا مناقشة بين علماء العربية، نورد خلاصتها لفائدتها وطرافتها، فقد ذكر ابن مالك في «شرح الكافية»، وتبعه ابنه في «شرح الخلاصة»: أنك إذا أدغمت التاء الأولى في الثانية اجتلبت همزة الوصل ليتوصل بها إلى النطق بالتاء المسكنة للإدغام، فتقول في تتجلى: اتجلى. ورد ابن هشام في أوضح المسالك، وتبعه الشيخ خالد الأزهري عليهما بقولهما: وفيه نظر، فإنه لم يخلق الله أحداً من الفصحاء فيما نعلم أدخل همزة وصل في أول الفعل المضارع، وإنما إدغام هذا النوع في الوصل دون الابتداء، قال الحوفي: فإن وقف ابتدىء بالإظهار، ولا يجوز إدخال ألف الوصل عليه؛ لأن ألف الوصل لا تدخل على الفعل المضارع، وذكر الناظم ـ أي: ابن مالك ـ في بعض كتبه هذه المسألة على الصواب فقال: يجوز إدغام تاء

المضارعة في تاء أخرى بعد مد أو حركة، نحو: ولا تيمموا، وتكاد تميز.

ورد عليهما بعض العلماء، فقال: في هذا النقد نظر؛ لأن ابن مالك وابنه من أجلِّ علماء العربية، وقد ذكرا: أنه يجوز الإدغام في الابتداء وتجتلب همزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن، ولا يخلو حالهما من أمرين: إما أن يكون استندا فيه إلى فهم ذلك من لغة العرب، أو: استنباط ذلك منها لعدم ما يناقضه وينافيه، وعلى كلٍ لا يحسن الرد عليهما بمجرد عدم العلم؛ بأن الله لم يخلق همزة وصل في أول الفعل المضارع؛ لأنهما مثبتان، والراد عليهما نافٍ، والمثبت مقدم على النافي، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، ولا تظن بهما أنهما أقدما على ما ذهبا إليه بمجرد التشهي من غير استناد إلى شيء يعتمدان عليه، ويستندان إليه، لأن سوء الظن بالأئمة غير لائق، كيف وقد نقل الثقات: أنَّ ابن مالك قال: طالعت الصحاح فلم أستفد منه إلا ثلاث مسائل، ولا يضرهما عدم ذكرهما المستند في ذلك صريحاً، وإن ذكراه تلويحاً، قال ابن المصنف: ومنهم من يدغم ويسكن أوله ويدخل عليه همزة وصل، فيقول: اتجلى، لأنهما ثقتان مؤتمنان، وقد ذكر صاحب القاموس في فصل الجيم من باب النون لما تكلم على جيان: ومنها إماما العربية ابن مالك وأبو حيان.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤)﴾

○ الإعراب:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ الواو: استئنافية، وأقبل: فعل ماض،

وبعضهم: فاعل، وعلى بعض: متعلقان بأقبل، وجملة يتساءلون: حالية، أي: يتلاومون، وينحي بعضهم باللائمة على بعض. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، وإنَّ، واسمها، وجملة كنتم: خبرها، وكان، واسمها، وجملة تأتوننا: خبرها، وتأتوننا: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، وعن اليمين: حال من فاعل تأتوننا، واليمين: إما أن يراد بها الجارحة تعبيراً بها عن القوة، وأما الحلف لأن المتعاقدين بالحلف يؤكدون حلفهم بأن يتصافحوا باليمين، ويتماسحوا بها. وهناك أقوال كثيرة ضربنا عنها صفحاً، ويرجع إليها في المطولات، وخاصة المعنى: إنكم غررتم بنا، وأضللتمونا. ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ وهذا أحد أجوبة المتبوعين الخمسة، وأولها، وهو إضراب إبطالي لما ادعاه التابعون، أي: أنكم لم تتصفوا بالإيمان في وقت من الأوقات. وقالوا: فعل، وفاعل، وبل: إضراب إبطالي، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتكونوا: فعل مضارع مجزوم بلم، والواو: اسمها، ومؤمنين: خبرها.

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ﴾ وهذا هو الجواب الثاني، وهو مبني على افتراض أنهم أضلوهم، فهم لم يجبروهم عليه. وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، ولنا: خبرها المقدم، وعليكم: حال، ومن: حرف جر زائد، وسلطان: مجرور لفظاً، اسم كان محلاً. ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ بل: إضراب إبطالي أيضاً، وكنتم: كان، واسمها، وقوماً: خبرها، وطاغين: نعت لقوماً، وهو الجواب الثالث. ﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ﴾ وهذا هو الجواب الرابع، والفاء: حرف عطف، وحق: فعل ماض، وعلينا: جار ومجرور متعلقان بحق، وقول ربنا: فاعل، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وذائقون: خبرها، والجملة الاسمية: تعليل لما تقدم، ومفعول ذائقون: محذوف، أي: العذاب، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن. ﴿فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وأغويناكم: فعل، وفاعل، ومفعول به، وهذا هو الجواب الخامس، وإنَّ، واسمها، وجملة كنا: خبرها،

وكان، واسمها، وغاوين: خبرها. ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إن شئت أن تعرف مصائر الأتباع والرؤساء المتبوعين، وإنَّ، واسمها، ويومئذ: ظرف متعلق بمحذوف حال، وإذ: ظرف أضيف إلى مثله، والتنوين: عوض عن جملة، أي: يوم إذ يتساءلون، ويتلاومون، ويتخاصمون، وفي العذاب: متعلقان بمشتركون، ومشتركون: خبر إنَّهم. ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ إنَّ، واسمها، وكذلك: نعت لمصدر محذوف مقدم على فعله، وجملة نفعل: خبر، إنا: وبالمجرمين: متعلقان بنفعل.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بِكَأْسٍ﴾: يقال للزجاجة فيها الخمر كأس، وتسمى الخمر نفسها كأساً، قال الأعشى:

وكأسٍ شربتُ على لذةٍ وأخرى تداويتُ منها بها
لِكَيْ يعلم النَّاسُ أنِّي امرؤ أتيتُ المعيشةَ مِنْ بابِها

والكأس تطلق على الزجاجة فيها الخمر، وعلى الخمر مجازاً مشهور، وهي مؤنثة بدليل ضميرها وصفتها، وتجمع على كؤوس، وأكؤس، وكاسات، وكئاس، يقول الأعشى: ورب كأس شربتها مع لذة أو لأجل لذة فضرتني، فشربت كأساً أخرى تداويت من الأولى بها ليعلم الناس أني مجرب للأمور، وكنى عن ذلك بقوله: «أتيت المعيشة من بابها» وشبه

المعيشة مع أسبابها المناسبة لها بدار لها باب على طريق الاستعارة المكنية، وإثبات الباب تخييل، ومن هذا المعنى أخذ أبو نواس قوله المشهور:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فإِنَّ اللومَ إغراءُ
وداوِني بالتي كانَتْ هيَ الدَّاءُ

ويروى عن الأخفش: كل كأس في القرآن فهي الخمر. وقال أبو حيان: الكأس ما كان من الزجاج فيه خمر، أو نحوه من الأنبذة، ولا يسمى كأساً إلا وفيه خمر، وإلا: فقدح، وقد تسمى الخمر كأساً تسمية للشيء باسم محله.

﴿مَعِينٍ﴾: قال أبو حيان: اسم فاعل من: معن بضم العين، كشريف من: شرف. أي: من شراب معين، أو: نهر معين، ظاهر للعيون أو: خارج من العيون، وهو صفة للماء، من: عان الماء: إذا نبع، وصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماء وسنتبسط في هذه الكلمة، لأنها تستعمل اليوم كثيراً لشكل هندسي، فنقول: جاء في معاجم اللغة في مادة معن ما يلي: معن، يمعن، من باب: فتح، الماء، ومعن، يمعن، من باب: ظرف، معناً، ومعوناً: جرى جرياً سهلاً، فهو معين، ومعن الفرس: تباعد في عدوه، ومعن المطر الأرض: تتابع عليها، فأرواها، ومعن، يمعن، من باب: شرب، معْناً المكان، أو النبت: روي من الماء، والمعين: الماء الجاري، ويقال: ماء معين، أي: جار، وفي مدة عين «الماء المعين: الظاهر؛ الذي تراه العين جارياً على وجه الأرض، وعين معيونة: لها مدة غزيرة من الماء» أما الشكل الهندسي: فالأرجح إنه المعين بضم الميم وتشديد الياء المكسورة، فهو اسم فاعل من عين المضعفة الياء، وهو في الهندسة: شكل مسطح متساوي الأضلاع الأربعة المستقيمة المحيطة به، غير قائم الزوايا.

﴿غَوْلٌ﴾: ما يغتال العقول، يقال: غاله، يغوله، غولاً: إذا أفسده، ومنه: الغول الذي في تكاذيب العرب، وفي أمثالهم: الغضب غول الحلم، وغالته الخمر: شربها، فذهبت بعقله، أو بصحة بدنه، والغول مصدر،

والصداع، والسكر، وبعد المفازة، والمشقة، وما انهبط من الأرض، والتراب الكثير.

﴿ يُنزَفُونَ ﴾: بالبناء للمجهول، من: نزف الشارب: إذا ذهب عقله، يقال للسكران: نزيف، منزوف، ويقال للمطعون: نزف، فمات: إذا خرج دمه كله، ونزحت الركية حتى نزفتها، وفي أمثالهم «أجبن من المنزوف ضرطاً».

وقصة هذا المثل: أنَّ رجلين خرجا في فلاة، فلاحت لهما شجرة، فقال أحدهما: أرى قوماً قد رصدونا، فقال الآخر: إنما هي عُشرة، فظنه يقول: عَشرة، فجعل يقول: وما غناء اثنين عن عشرة ويضرط حتى مات. ويروى من وجه آخر: أنَّ نسوة لم يكن لهن رجل، فزوجت إحداهن رجلاً كان ينام الصبحة، فإذا أتينه بصبوح، ونبهنه، قال: لو نبهتنني لعادية! فلما رأين ذلك قلن: إنَّ صاحبنا لشجاع، تعالين حتى نجربه، فأتينه فأيقظنه، فقال كعادته، فقلن: هذه نواصي الخيل، فجعل يقول: الخيل! الخيل! ويضرط حتى مات، وفيه أقوال أخرى، ضربنا عنها صفحاً.

وفي الصحاح: نزفت ماء البئر: إذا نزحته كله، ونزفت هي: يتعدى، ولا يتعدى، ونزفت أيضاً: على ما لم يسم فاعله.

﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾: حابسات الأعين على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم، ويجوز أن يكون من باب الصفة المشبهة، أي: قاصرات أطرافهن، كمنطلق اللسان، وأن يكون من باب اسم الفاعل على أصله، وسيأتي الفرق بينهما في الإعراب.

﴿ عِينٌ ﴾: نجل العيون جمع: عيناء، والنجل: جمع نجلاء، وهي التي اتسع شقها سعة غير مفرطة.

○ الإعـراب:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة

كانوا: خبرها، وكان، واسمها، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة قيل: في محل جر بالإضافة، ولهم: متعلقان بقيل، ونائب الفاعل مستتر، تقديره: هو، وجملة لا إله إلا الله: مقول قول محذوف، أي: قولوا: لا إله إلا الله، وقد تقدم إعراب كلمة التوحيد مفصلاً، وجملة يستكبرون: خبر كانوا، وجواب إذا: محذوف دل عليه ما قبله. ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ ويقولون: عطف على يستكبرون، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، وإنَّ واسمها، واللام: المزحلقة، وتاركو: خبر إنَّ، ولشاعر: متعلقان بتاركو، أي: لأجل شاعر، ومجنون: صفة. ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إضراب إبطالي، وجاء: فعل، وفاعل مستتر، وبالحق: متعلقان بجاء، وصدَّق المرسلين: عطف على جاء بالحق. ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ إنَّ، واسمها، وسيأتي سر هذا الالتفات في باب البلاغة، واللام: المزحلقة، وذائقو العذاب: خبر إنَّ، والأليم: صفة.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وتجزون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، وإلا: أداة حصر، وما: مفعول به ثان، وهو على حذف مضاف، أي: جزاء ما، وجملة كنتم تعملون: صلة ما، وجملة تعملون: خبر كنتم.

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ إلا: أداة استثناء بمعنى لكن؛ لأن الاستثناء منقطع، وعباد الله: مستثنى من الواو في تجزون، والمخلصين: صفة لعباد الله. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ كلام مستأنف لتقرير ما أعد لعباد الله المخلصين، وأولئك: مبتدأ، ولهم: خبر مقدم، ورزق: مبتدأ مؤخر، ومعلوم: صفة لرزق، ونائب الفاعل مستتر، تقديره: وقته، أو معلوم ما يتميز به من خصائص، منها: الديمومة، ومحض اللذة، وطيب الطعم، وحسن الرداء، والمنظر، وجملة لهم رزق معلوم: خبر أولئك. ﴿فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ فواكه: بدل، أو عطف بيان للرزق، بدل كل من كل، وسيأتي المزيد من مزايا هذا البدل في باب البلاغة، والواو: عاطفة، أو حالية،

وهم: مبتدأ، ومكرمون: خبر. ﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ متعلقان بمكرمون، أو: هو خبر ثان، أو: هما متعلقان بمحذوف في محل نصب على الحال. ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ على سرر: متعلقان بمتقابلين، ومتقابلين: حال، أو: كلاهما حال، وفي الكلام تصوير لمجالس الشراب سيأتي المزيد منه في باب البلاغة.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ الجملة صفة لمكرمون، أو: حال من الضمير في متقابلين، أو: جملة مستأنفة، وعليهم: متعلقان بيطاف، وبكأس: ناب مناب المفعول المطلق، وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً، ومن معين: صفة لكأس. قال الضحاك: كل كأس في القرآن فهي الخمر. ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ وبيضاء: صفة ثانية لكأس، ولذة: صفة ثالثة لكأس، وصفت بالمصدر مبالغة، أو: على حذف المضاف، أي: ذات لذة، أو: هي تأنيث اللذ، يقال: لذ الشيء، فهو لذ، ولذيذ، كقولك: رجل طب، أي: طبيب، قال:

لذٍّ كطعمِ الصَّرخديِّ تركتُه بأرضِ العِدا من خشيةِ الحَدَثان

فاللذ وصف، واللذة مؤنثه، وهي اسم للكيفية القائمة بالنفس، واسم للشيء اللذيذ، والصَّرخد: موضع بالشام ينسب إليه الشراب، والحدثان: مصدر كالحدث، إلا أنه يدل على التجدد والتكرر، يقول: ورب شيء لذيذ يعني النوم طعمه كطعم الشراب تركته بأرض الأعداء خوف نزول المكاره بي. ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ الجملة صفة رابعة لكأس ولا نافية وفيها خبر مقدم وغول مبتدأ مؤخر ولا عطف، وهم: مبتدأ، وعنها: متعلقان بينزفون، وجملة ينزفون: خبر هم، وهو مبني للمجهول. ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾ الواو: عاطفة، والظرف: متعلق بمحذوف خبر مقدم، وقاصرات الطرف: مبتدأ مؤخر، والطرف: مضاف إليه مرفوع المحل؛ على أن قاصرات صفة مشبهة، أو: منصوب المحل؛ على أن قاصرات اسم فاعل، وعين: صفة لقاصرات الطرف.

﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾ صفة ثانية لقاصرات، وإذا اعتبرت قاصرات صفة كانت صفة ثالثة، وكأنَّ، واسمها، وبيض: خبرها، ومكنون: صفة. وسيأتي بحث هذا التشبيه في باب البلاغة.

□ **البلاغـة:**

١ ـ الالتفات:

في قوله: ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴾ فقد التفت من الغيبة إلى الخطاب لمجابهتهم بالغضب، وإنه بلغ أقصى آماده وحدوده.

٢ ـ الإيجاز:

وفي قوله: ﴿ فَوَٰكِهُ ﴾ وإبداله من رزق إيجاز قصر، دل على أنهم قد بلغوا غاية ما يتمناه المتمني، ويغتبط به المغتبط، فالفواكه مساوية للرزق، فهي تشبه الخبز، واللحم؛ لأن أكلهم لا لإقامة الصحة وحفظها، وإنما هو للتلذذ والتفكه، فأجسامهم هناك محكمة لا يعتورها وهن، ولا يتطرق إليها ضعف، أو فتور.

وهناك إيجاز آخر بقوله معلوم، فقد نابت هذه الكلمة عن الأوقات والمدد، واندرجت فيها العشايا والأصائل والبكر، كم نابت عن الطعوم المتفاوتة، والروائح المتباينة؛ التي تختلف في المظهر، وتتفق في طيبها وتفاوح أرجها المسكر.

٣ ـ التجسيد:

والصورة الفنية الرائعة تبدو في قوله ﴿ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾ وليس أشهى للشاربين في أويقات الصبوح، أو الغبوق، وفي البكر، والأماسي من أن يتقابلوا، فالتقابل أتم للسرور، وأدعى إلى الحبور، وسيأتي أيضاً تبادلهم للأحاديث والمتع.

٤ ـ الإيجاز أيضاً:

وفي وصف الخمر إيجاز بليغ، وهو قوله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ فقد جمعت هاتان الكلمتان جميع عيوب خمر أهل الناس؛ التي حرِّمت بسببها: من مغص، أو صداع، أو خمار، أو عربدة، أو لغو، أو تأثيم، أو غير ذلك.

٥ ـ التشبيه المرسل:

وفي قوله ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ تشبيه مرسل، والمراد بالبيض هنا: بيض النعام، والمكنون: مِنْ: كننته؛ أي: جعلته في كن، والعرب تشبه المرأة به في لونه، وهو بيض مشرب بعض صفرة، وهو الذي نطلق عليه اليوم اللون الكافوري. وأول من شبه المرأة بالبيضة امرؤ القيس بقوله:

وبيضةِ خِـدْرٍ لا يُـرامُ خبـاؤُها ... تَمَتَّعْتُ من لهوٍ بها غَيْرَ مُعْجِلِ

والنساء يشبهن بالبيض من ثلاثة أوجه؛ أحدها: بالصحة والسلامة عن الطمث، ومنه قول الفرزدق:

خَرَجْنَ إِليَّ لم يطمثْنَ قبلي ... وَهُنَّ أصحُّ من بَيْضِ النَّعَامِ

والثاني: في الصيانة والسِّتر؛ لأن الطائر يصون بيضه ويحصنه. والثالث: في صفاء اللون ونقائه؛ لأنّ البيض يكون صافي اللون نقيه إذا كان تحت الطائر. هذا، وهو من التشبيهات التي رغب المحدثون عنها اليوم وإن كانت بديعة في ذاتها لأن البيئة لم تعد تستسيغ تلك التشبيهات.

التشبيه بين البيئات المختلفة:

ولإيضاح الفرق بين البيئات نقول: كان العرب يستحسنون تشبيه الأصابع والبنان بدودة تكون في الرمل، وتسمى جماعتها: بنات النقا. فمن ذلك قول امرىء القيس:

وتعطو برخصٍ غير شثنٍ كأنَّه ... أساريعُ ظبيٍ أومساويكُ إِسحلِ

فقد شبه البنانة بالأسروعة، أي: دودة الرمل. وقال ذو الرمة:

خزاعيبُ أمثالٍ كأنَّ بنانَها بناتُ النَّقفا تخفى مِراراً وتَظْهَرُ

فهي كأحسن البنان ليناً، وبياضاً، وطولاً، واستواء، ودقة، وحمرة رأس، كأنه ظفر قد تخضب. إلا أن النفس ما لبثت أن اجتوت هذا التشبيه فعدل أبو نواس عنه بقوله:

تعاطيكها كفٌّ كأنَّ بنانَها
إذا اعترضَتْها العينُ صفُّ مداري

وابن الرومي أيضاً بقوله:

سقى اللهُ قصراً بالرُّصافةِ شاقني
بأعلاه قصريّ الدلالي رصافي
أشارَ بقضبانٍ هي الدرُّ قمعت
يواقيت حمراً فاستباحَ عفافي

أو قول عبد الله بن المعتز:

أَشَرْنَ على خوفٍ بأغصانِ فضَّةٍ
مقومةٌ أثمارُهنَّ عقيقُ

وهكذا يختلف التشبيه باختلاف البيئات. وسيأتي المزيد من هذا البحث الهام وحسبنا الآن ما قدمناه.

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾
يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم
مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا
نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، والجملة: معطوفة

على يطاف عليهم، والمعنى: يشربون، فيتحادثون على الشراب، كعادة الشرب، قال:

وما بَقِيَتْ مِنَ اللَّذاتِ إلا أحاديثُ الكرامِ على المُدامِ

فيقبل بعضهم على بعض. والبيت للفرزدق، يقول: ما بقيت لذة من اللذات إلا لذة أحاديث الكرام، أو ما بقيت شهوة من الشهوات اللذيذة إلا أحاديث الكرام على الخمر، وأتى بحرف الاستعلاء؛ لأن الشراب يكون بين أيديهم، والحديث من أفواههم فوقه. وأقبل بعضهم: فعل، وفاعل، وعلى بعض: جار ومجرور متعلقان بأقبل، وجملة يتساءلون: حالية، والتعبير بصيغة الماضي للتأكيد، والدلالة على تحقق الوقوع، وتلك عادة الله في أخباره. ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ قال قائل: فعل، وفاعل، ومنهم: صفة لقائل، أي: من أهل الجنة، وإنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها، وجملة إنَّ، واسمها، وخبرها: مقول القول، ولي: خبر كان مقدم، وقرين: اسمها مؤخر؛ أي: كان لي في الدار العاجلة صاحب. ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ جملة يقول: صفة لقرين، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، ومن المصدقين: خبر إنَّ، والجملة: مقول القول.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة متنا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وكنا: فعل ماض ناقص، ونا: اسمها، وتراباً: خبرها، وعظاماً: عطف على تراباً، والهمزة: للاستفهام، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، ومدينون: خبر إنَّ، أي: مجزيون ومحاسبون. ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ قال: فعل ماض ناقص، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: هو، يعود على ذلك القائل من أهل الجنة، أي: قال لإخوانه، وهل حرف استفهام، وأنتم: مبتدأ، ومطلعون: خبره، والاستفهام معناه الأمر، أي: تعالوا نتطلع من كوى الجنان لنطّلع على حال أهل النار. ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ

ٱلْجَحِيمِ ﴾ الفاء: عاطفة، واطلع: فعل ماض، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: هو، يعود على ذلك القائل: فرآه: فعل ماض، وفاعل مستتر، ومفعول به، أي: رأى قرينه، وفي سواء الجحيم: متعلقان برآه؛ أي: في وسطها، ولك أن تعلق الجار والمجرور بمحذوف حال، ولعله أولى، أي: مرتطماً في وسط جهنم. ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ قال: فعل ماض، وفاعل مستتر، وتالله: التاء: حرف قسم وجر، وهو مع مجروره متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، وإنَّ مخففة من الثقيلة، ولك أن تعملها، فيكون اسمها محذوفاً، أي: إنَّك، وجملة كدت: خبرها، ويجوز أن تهملها، فتكون جملة كدت: جواب القسم، لا محل لها، وقد سبق أن قلنا: إن إن إذا خففت فالأكثر أن تدخل على كاد، كما تدخل على كان ونحوه، واللام: هي الفارقة بينها وبين النافية، وتردين: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: أنت، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، وحذفت الياء تبعاً لسنة المصحف.

﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ الواو: عاطفة، ولولا: حرف امتناع لوجود، ونعمة: مبتدأ، وربي: مضاف إليه، وخبر المبتدأ محذوف وجوباً، والتقدير: موجودة، واللام واقعة في جواب لولا، وكان، واسمها، ومن المحضرين: خبرها، أي: من الذين أحضروا العذاب، كما أحضرته أنت وأمثالك. ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴾ الهمزة: للاستفهام، والفاء: عاطفة على محذوف، تقديره: أنحن مخلدون منعمون، فما نحن بميتين، وما: نافية حجازية، ونحن: اسمها، والباء: حرف جر زائد، وميتين: مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما. ﴿ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ إلا: أداة حصر، والاستثناء مفرغ، وموتتنا: مفعول مطلق، وقيل: هو استثناء منقطع، فينصب على الاستثناء، والأولى: صفة، أي: الموتة التي في الدنيا، والواو: حرف عطف، وما: نافية حجازية، ونحن: اسمها، وبمعذبين: الباء حرف جر زائد، ومعذبين: مجرور لفظاً منصوب

محلاً على أنه خبر ما. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ إنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وهو: مبتدأ، أو ضمير فصل، والفوز: خبر هو، والجملة: خبر إنَّ، أو: خبر إن، والعظيم: صفة للفوز.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه ترغيباً للمكلفين في عمل الطاعات، ويحتمل أن يكون من كلام بعضهم لبعض، وقيل: يبعد الاحتمال الثاني قوله: ﴿فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ فإن العمل والترغيب فيه إنما يكون في الدنيا. وعلى كل حال فالجار والمجرور متعلقان بيعمل، وهذا: مضاف إليه، والفاء: الفصيحة، أي: إن تبين حقيقة حال أهل الجنة فليعمل، واللام: لام الأمر، ويعمل: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والعاملون: فاعل.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿نُّزُلًا﴾: النزل بضمتين، أو بضم النون وسكون الزاي: المنزل، وما هُيِّئَ للضيف، والجمع: أنزال، والنزل أيضاً بضمتين: الطعام ذو البركة، والمنزل، والقوم النازلون، وريع ما يزرع، ونماؤه، والعطاء، والفضل، وقد استعير للحاصل من الشيء، وحاصل الرزق المعلوم: اللذة والسرور، وحاصل شجرة الزقوم: الألم.

﴿ٱلزَّقُّومِ﴾: قال في القاموس: الزقْم: اللقم، والتزقّم: التلقم وأزقمه، فازدقمه: أبلعه، فابتلعه، والزقوم كتنور: الزبد بالتمر، وشجرة بجهنم، ونبات بالبادية له زهر ياسميني الشكل، وطعام أهل النار وقال في الأساس: تقول: من أنكر أن يقوم أطعمه الله الزقوم، ويقال: إن أهل إفريقية يسمون الزبد بالتمر: زقوماً، وهو من قولهم: إنَّه ليزقم اللقم، ويتزقمها، ويزدقهما: يبتلعها، وبات يتزقّم اللبن: إذا أفرط في شربه. وفي الخازن: والزقوم: ثمر شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم، يُكره أهل النار على تناولها، فهم يتزقمونه على أشد كراهية، وقيل: هي شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر. وسيأتي المزيد من الحديث عن شجرة الزقوم في باب البلاغة.

﴿طَلْعُهَا﴾: الطلع: حقيقة اسم لثمر النخيل في أول بروزه، فإطلاقه على ثمر هذه الشجرة مجاز بالاستعارة، كما سيأتي في باب البلاغة، والطلع من النخل: شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان، والحمل بينهما منضود، وما يبدو من ثمرته في أول ظهورها.

﴿لَشَوْبًا﴾: بفتح الشين، وهو مصدر على أصله، وقيل: يراد به اسم المفعول، ويدل له قراءة بعضهم ﴿لَشُوبًا﴾ بالضم، قال الزجاج: المفتوح مصدر، والمضموم اسم بمعنى المشوب، كالنقض بمعنى المنقوض، والفعل منه: شابه، يشوبه، من باب: قال: إذا خلطه فهو الخلط.

﴿حَمِيمٍ﴾: ماء حار، وهو المقصود هنا، ويطلق على الماء البارد، فهو من الأضداد.

○ الإعراب:

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ الجملة مقول قول محذوف، يعود إلى ذكر الرزق المعلوم؛ أي: قل لهم يا محمد! على سبيل الإنكار، والتوبيخ، والتهكم: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ فالهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي،

وذلك: مبتدأ، وخير: خبر، ونزلاً: تمييز لخير، وأم: حرف عطف وشجرة الزقوم: عطف على ذلك. وقال الزمخشري: وانتصاب نزلاً على التمييز، ولك أن تجعله حالاً، كما تقول: أثَمَرُ النخلِة خيرٌ بلحاً أم رطباً؟. ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة جعلنا: خبر، وجعلناها: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، وفتنة للظالمين: مفعول به ثان، وللظالمين: صفة لفتنة؛ أي: ابتلاء، وتعذيباً، ومحنة لهم؛ لأنهم قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبته؟! ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ إنَّ، واسمها، وشجرة: خبرها، وجملة تخرج: صفة لشجرة، وفي أصل الجحيم: متعلقان بتخرج. ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ طلعها: مبتدأ، وجملة التشبيه: خبر، وكأن، واسمها، ورؤوس الشياطين: خبر كأن. ﴿فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾ الفاء: عطف، وإنَّ، واسمها، واللام المزحلقة: وآكلون: خبر إنَّ، ومنها: متعلقان بآكلون، فمالئون: الفاء: عاطفة للترتيب مع التعقيب، ومالئون: معطوف على آكلون، ومنها: متعلقان بمالئون، والبطون: مفعول مالئون لشدة جوعهم.

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وإن: حرف مشبه بالفعل، ولهم: خبرها المقدم، وعليها: متعلقان بمحذوف حال، واللام: المزحلقة، وشوباً: اسمها المؤخر، ومن حميم: صفة لشوباً. ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وإلى الجحيم: خبرها. ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ الجملة تعليل لما سبق من ابتلائهم بأفانين العذاب، وإنَّ، واسمها، وجملة ألفوا: خبرها، وآباءهم: مفعول ألفوا الأول، وضالين: مفعول ألفوا الثاني. ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ الفاء: تعليلية، وهم: مبتدأ، وعلى آثارهم: متعلقان بيهرعون، وجملة ﴿يُهْرَعُونَ﴾ الفاء: تعليلية، وهم: مبتدأ، وعلى آثارهم: متعلقان بيهرعون، وجملة يهرعون: خبر هم، والإهراع: السير الشديد بحثٍّ وانزعاج. وفي

المصباح: هرع، وأهرع بالبناء للمفعول فيهما: إذا أعجل. ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ اللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وضلَّ: فعل ماض مبني على الفتح، وقبلهم: ظرف متعلق بمحذوف حال، وأكثر الأولين: فاعل. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وأرسلنا: فعل وفاعل، وفيهم: جار ومجرور متعلقان بأرسلنا، ومنذرين: مفعول به. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الفاء: الفصيحة، وانظر: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم، وعاقبة: اسمها المؤخر، والمنذرين بفتح الذال: مفعول به. ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ إلا: أداة استثناء بمعنى لكن؛ لأن الاستثناء منقطع، وعباد الله: مستثنى، والمخلصين: صفة.

□ البلاغة:

حفلت هذه الآيات بضروب من البلاغة، سنبسط القول فيها، وسننقل لك خلاصات وافية لما أورده أساطين البلاغة في صددها، فأول ما فيها من فنون:

١ ـ التشبيه برؤوس الشياطين:

وهو تشبيه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، وهو تشبيه خيالي، وقد سبق ذكره فيما قدمناه من أقسام التشبيه، ونورد لك هنا خلاصة ما قاله ابن رشيق فيه:

واعلم أنَّ التشبيه على ضربين: تشبيه حسن، وتشبيه قبيح، فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض إلى الأوضح، فيفيد بياناً. والتشبيه القبيح: ما كان خلاف ذلك. قال الرماني: وشرح ذلك: ما تقع عليه الحاسة أوضح مما لا تقع عليه الحاسة، والمشاهد أوضح من الغائب، فالأول في العقل أوضح من الثاني، والثالث أوضح من الرابع، وما يدركه

الإنسان من نفسه، أوضح مما يعرفه من غيره، والقريب أوضح من البعيد في الجملة، وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف. ثم انتقل ابن رشيق إلى التشبيه الوارد في الآية فقال: قال الله عز وجل: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ فقال قوم: إن شجرة الزقوم ـ وهي أيضاً الأستن ـ لها صورة منكرة، وثمرة قبيحة، يقال لها: رؤوس الشياطين. والأستن كما يقول المجد: الأستن والأستان بفتح الهمزة وسكون السين فيهما: أصول الشجر يغشو في منابته، فإذا نظر إليه الناظر شبهه بشخوص الناس. إلى أن يقول: والأجود الأعرف: أنه شبه بما لا يشك أنه منكر وقبيح لما جعل الله عز وجل في قلوب الإنس من بشاعة صور الجن.

فصل رائع للجاحظ:

وكم كنا نتمنى أن يكون كتاب «نظم القرآن» موجود بين أيدينا لنطلع على الفصل الرائع الذي كتبه الجاحظ بصدد هذا التشبيه، ولكن الكتاب فقد مع ما فقد من آثارنا العربية، فلا بد لنا من أن ننقل شذرات منه وردت في كتبه الأخرى، فقد جاء في كتاب الحيوان ما نصه: وليس أنَّ الناس رأوا شيطاناً قط على صورة، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين، واستسماجه، وكراهيته، وقد أجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك، رجع بالإيحاش والتنفير، وبالإخافة، والتقريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين، والآخرين، وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم، وهذا التاويل أشبه من قول من زعم من المفسرين: أنَّ رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن.

وتعرض الجاحظ لهذا التشبيه مرة أخرى فقال: فزعم ناس: أن رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كريه، والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير، وقالوا: ما عنى إلا رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم من فسقة الجن، ومردتهم، فقال أهل الطعن والخلاف: ليس يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره، فنتوهمه، ولا وصفت لنا صورته في

كتاب ناطق، أو خبر صادق. ومخرج الكلام يدل على: أنَّ التخويف بتلك الصورة، والتفزيع منها، وعلى أنه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره، فكيف يكون الشأن كذلك، والناس لا يفزعون إلا من شيء هائل شنيع، قد عاينوه، أو صوّره لهم واصف صدوق اللسان بليغ في الوصف، ونحن لم نعانيها، ولا صوّرها لنا صادق، وعلى أنَّ أكثر الناس من هذه الأمم التي لم تعايش أهل الكتابين، وحملة القرآن من المسلمين، ولم تسمع الاختلاف لا يتوهمون ذلك، ولا يقفون عليه، ولا يفزعون منه، فكيف يكون ذلك وعيداً عاماً؟ قلنا: وإن كنا نحن لم نر شيطاناً قط، ولا صور رؤوسها لنا صادق بيده، ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين؛ أحدهما: أن يقولوا: لهو أقبح من الشيطان، والوجه الآخر: أن يسمى الجميل شيطاناً على جهة التطيّر له؛ كما تسمى الفرس الكريمة: شوهاء، والمرأة الجميلة: صمّاء، وقرناء، وخنساء، وجرباء، وأشباه ذلك على جهة التطيّر له، ففي إجماع المسلمين والعرب، وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح.

لقد فصل الجاحظ في المقال وجوه التشبيه، وتصرف الأسلوب القرآني في المشبه به ووجه الشبه ينتزعه من غير مدرك بالحس اعتماداً على ثبوته في الإدراك عن طريق العادة والعرف، وتناقل الناس له، وقد أجاز الجاحظ مثل هذا التشبيه، وبين وجهته، وناقش آراء غيره في التشبيه في ضرورة الاعتماد على الحس البصري لتصوير المعنى في الذهن، ومنذ ذلك العهد أو قبله بقليل اهتم الناس بهذين النوعين من التشبيه، وتابعوهما في القرآن، وفي البيان عامة، ودارت بحوث البلاغة حول هذه النقطة، وتفرعت من هذين النوعين أنواع أخرى، وهكذا كان لهذه الآية ومثلها أثر في تنبيه الناس إلى التشبيه، فبحثه فيها أبو عبيدة، وجدّد الجاحظ البحث، وتوسّع فيه، وظلت الآية على رأس الشواهد في التشبيه المعنوي في كتب النقد والبلاغة بعدهما.

ورفض الجاحظ تفسير اللغويين الحسي، وهو يتفق ووجهة نظر أهل الظاهر في التفسير، ويعارض وجهة أهل النظر من المتكلمين والمعتزلة أيضاً، وقد فسر أولئك رؤوس الشياطين برؤوس نبات ينبت باليمن، أو شجر كريه المنظر، أو حيات قبيحة الشكل، وكلها مدلولات مادية لكلمة شيطان، قد يكون لها أصل من الواقع، وقد تكون من ابتكار هؤلاء، وهي على الحالين لا تبلغ في أثرها في النفس مبلغ صورة الشيطان التي تثب إلى الخيال، وتجمع كل سمات الفزع والقبح، وإن تكن غير واضحة وضوح النبات والشجر والحيات، وهذا الغموض يضفي عليها مزيداً من التخويف.

لهذا كان تفسير الجاحظ أكثر إدراكاً لمرمى التعبير القرآني في النفوس، وهو إدراك له قيمته من الوجهة النقدية، ذلك هو أثر الأدب في النفس، وهي لفتات جاءت عابرة في كتب الأقدمين، وأولاها النقد الحديث عنايته، وهو يذكر أمثلة من التشبيه بالحيوان في القرآن، وذلك لغلبة صفة ما في كل نوع منها أراد السياق إبرازها، فيضرب الله مثلاً بالعنكبوت في وهن البيت وضعفه، والحمار في الجهل والغفلة، وفي قلة المعرفة، وغلظ الطبيعة، والقرد في القبح والتشويه، ونذالة النفس.

ولعل هذه الآية، أو قل: هذا التشبيه؛ هو الذي حدا بأبي عبيدة إلى تأليف كتابه «مجاز القرآن» الذي لم نطلع عليه، ولكن ذكره ابن النديم صاحب «الفهرس» والخطيب صاحب «تاريخ بغداد» وابن الأنباري في «نزهة الألباء» وياقوت في «إرشاد الأريب» وابن خلكان في «الوفيات» والسيوطي في «بغية الوعاة» ويذكر ياقوت: أنَّ أبا عبيدة ألف كتاب «المجاز» عام ثمانية وثمانين ومئة من هجرة النبي ﷺ، يذكر على لسان أبي عبيدة: أرسل إليَّ الفضل بن الربيع في الخروج إليه سنة ثمان وثمانين ومئة، فقدمتُ إلى بغداد، واستأذنت عليه، فأذن لي، وهو في مجلس له طويل عريض، فيه بساط واحد قد ملأه، وفي صدره فرش عالية، لا يرتقى إليها إلا على كرسي، ثم دخل علي رجل في زي الكتاب، له هيئة، فأجلسه

إلى جانبي وقال له: أتعرف هذا؟ قال: لا! قال هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة، أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل، وقرّظه لفعله هذا؟ وقال: إني كنت مشتاقاً إليك، وقد سألت عن مسألة أفتأذن لي أن أعرفك إياها؟ فقلت: هات، قال: قال الله عز وجل: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ وإنما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله، وهذا مما لم يعرف. فقلت: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرىء القيس:

أيقتُلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونة زرقٍ كأنيابِ أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به. فاستحسن الفضل ذلك، واستحسنه السائل، وعزمت في ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه، وما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته «المجاز».

وعبارة السمين بهذا الصدد: قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ فيه وجهان؛ أحدهما: أنه حقيقة، وأنَّ رأس الشياطين شجر بعينه بناحية تسمى الأستن، وهو شجر مرّ منكر الصورة، سمته العرب بذلك تشبيهاً برؤوس الشياطين في القبح، ثم صار أصلاً يشبه به، وقيل الشياطين: صنف من الحيات، وقيل: هو شجر يقال له: الصرم، فعلى هذا قد خوطب العرب بما تعرف، وهذه الشجرة موجودة، فالكلام حقيقي، والثاني: أنه من باب التمثيل، والتخيل، وذلك: أن كل ما يستنكر، ويستقبح في الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وإن لم يره، والشياطين وإن كانوا موجودين لكنهم غير مرئيين للعرب، إلا أنه خاطبهم بما ألفوه من الاستعارات.

أما الزمخشري فقد جمع بين الأقوال كلها، ولكنه قدم ما هو أولى، فقال بأسلوبه الممتع: والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجر الزقوم من حملها، إمَّا استعارة لفظية، أو معنوية، وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر؛ لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس؛ لاعتقادهم أنه شر محض، لا يخلطه خير، فيقولون في القبيح

الصورة: كأنه وجه شيطان، كأنه رأس شيطان. وإذا صوره المصورون جاؤوا بصورته على أقبح ما يقدروا هوله، كما أنهم اعتقدوا في الملَك: أنَّه خير محض، لا شرّ فيه، فشبهوا به الصورة الحسنة، قال الله تعالى: ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ وهذا تشبيه تخييلي، وقيل: الشيطان حية عرفاء، لها صورة قبيحة المنظر، هائلة جداً، وقيل: إن شجراً يقال له الأستن خشناً مراً منتناً منكر الصورة، يسمى ثمره: رؤوس الشياطين، وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين إلا قصداً إلى أحد التشبيهين، ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلاً ثالثاً يشبه به.

٢ ـ سر العطف بـ «ثم»:

وفي قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴾ سر لطيف المأخذ، دقيق المسلك، قلَّ من يتفطن إليه، فإن في معنى التراخي وجهين:

أحدهما: أنهم يملؤون البطون من شجر الزقوم، وهو حارّ يحرق بطونهم، ويزيد في عطشهم، وغلتهم، فلا يسقون إلا بعد ملي، تعذيباً بذلك العطش، ثم يسقون ما هو أحر من العطش، وهو الشراب المشوب بالحميم، والوجه الثاني: أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة، ثم ذكر الشراب بما هو أوغل في الكراهة، وأبعد في البشاعة، فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام، ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه، ومعنى الثاني: أنه يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم، وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم، فيأكلون إلى أنْ يملؤوا بطونهم، ويسقون بعد ذلك، ثم يرجعون إلى دركاتهم، ومعنى التراخي في ذلك واضح المفهوم.

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى

ٱلْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في تفصيل ما أجمل فيما سبق. واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، ونادانا نوح: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، والفاء: عاطفة، واللام: جواب قسم محذوف، وجواب كل من القسمين محذوف، لدلالة السياق عليه، والتقدير: والله لقد نادانا نوح لما يئس من إيمان قومه، بعد أن استنزف ألف سنة إلا خمسين عاماً بين أظهرهم، فلم يزدادوا إلا عتواً واستكباراً ونفوراً، فأجبناه أحسن إجابة، فوالله لنعم المجيبون نحن. ونعم: فعل ماض جامد لإنشاء المدح، والمجيبون: فاعل نعم، والمخصوص بالمدح محذوف، تقديره: نحن، وهذه هي الأولى من قصص ست ستأتي تباعاً.

﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الواو: عاطفة، ونجيناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وأهله: عطف على الهاء، أو: مفعول معه، ومن الكرب: جار ومجرور متعلقان بنجيناه، العظيم: نعت للكرب. ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ وجعلنا: عطف على نجيناه، وذريته: مفعول به، وهم: ضمير فصل لا محل له، والباقين: مفعول جعلنا الثاني. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ الواو: عاطفة، وتركنا: فعل، وفاعل، وعليه صفة للمفعول المحذوف؛ أي ثناء كائناً عليه، وفي الآخرين: في موضع نصب مفعول به ثان لتركنا، وقيل في إعراب هذه الآية غير ذلك. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ سلام: مبتدأ، وسوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعاء، وعلى نوح: خبر متعلق بمحذوف صفة لسلام، أو متعلق بما تعلق به الأول، وجملة سلام على نوح في العالمين: مفسرة لتركنا. وقال السمين: قوله ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾

مبتدأ، وخبر، وفيه أوجه: أحدها: أنه مفسر لتركنا، أي: تركنا عليه شيئاً، وهو هذا الكلام، وقيل: ثَمَّ قول مقدر، أي: فقلنا: سلام، وقيل: ضمن تركنا معنى قلنا، وقيل: سلط تركنا على ما بعده. قال الزمخشري: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ هذه الكلمة، وهي: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني: يسلمون عليه تسليماً، ويدعون له، وهو من الكلام المحكي، كقولك: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ وهذا الذي قاله قول الكوفيين؛ جعلوا الجملة في محل نصب مفعولاً بتركنا، لا أنَّه ضمن معنى القول، بل هو على معناه، بخلاف الوجه قبله، وهو أيضاً من أقوالهم.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إنَّ، واسمها، وكذلك: نعت لمصدر محذوف، وجملة نجزي: خبر إنا، وفاعل نجزي: مستتر، تقديره: نحن، والمحسنين: مفعول به لنجزي، والجملة: تعليل لمجازاة نوح بتلك التكرمة السامية، وهي خلود ذكره، وتسليم العالمين عليه أبد الدهر. ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ تعليل للإحسان بالإيمان، تنويهاً بشأن الإيمان، وتشريفاً له، وحثاً على الازدياد منه. وإنَّ، واسمها، ومن عبادنا: خبرها، والمؤمنين: نعت لعبادنا. ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ عطف على نجيناه وأهله، فالترتيب حقيقي؛ لأن نجاتهم حصلت قبل غرق الباقين، ولكن بينهما تراخياً.

﴿ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ
وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾
فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾
فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ

إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا
تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا
وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ
فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ
وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

☆ **اللغة:**

﴿شِيعَتِهِ﴾: في المختار: الشيعة: أتباع الرجل، وأنصاره. وفي المصباح: الشيعة: الأتباع، والأنصار، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، ثم صارت الشيعة اسماً لجماعة مخصوصة، والجمع: شيع، سدرة، وسدر، والأشياع: جمع الجمع. وفي الأساس: شيّعته يوم رحيله، وشايعتك على كذا: تابعتك عليه، وتشايعوا على الأمر، وهم شيعته، وشيعه، وأشياعه، وهذا الغلام شَيْع أخيه: وُلد بعده، وآتيك غداً، أو شَيْعَهُ قال:

قال الخليط: غداً تصدُّعُنا أو شَيْعَهُ أفلا تُشَيِّعنا

وأقمت عنده شهراً، أو: شيع شهر، وكان معه مئة رجل، أو شيع ذلك، ونزلوا موضع كذا، أو شَيْعَه، وشاع الحديث والسر، وأشاعه صاحبه، ورجل مشياع مذياع، وقطرت قطرة من اللبن في الماء فتشيع فيه: تفرق، وأشاعت الناقة بولها، وأشاعت به، وجاءت الخيل شوائع: متفرقة، وتشايعت الإبل، وله سهمٌ في الدار شائع، ومُشاع، وشيّع بالإبل، وشايع بها: صاح بها، ومنه قيل لمنفاخ الراعي: الشياع، وشايع بهم الدليل،

فأبصروا الهدى: نادى بهم. ومن المجاز: شيعنا شهر رمضان بصوم الستة، وشيّعت النار بالحطب، وأعطني شياعاً، كما تقول: شِباباً لما تشيّع به وتشبّ، وشيّع هذا بهذا: قواه به، قال الراعي:

إليـك يقطـعُ أجـوازَ الفـلاةِ بنـا
نـصٌّ تُشَيِّعُـهُ الصُّهْـبُ المـراسيـلُ

ورجل مُشيّع القلب: للشجاع، وقد شُيّع قلبه بما يركب كلَّ هول، وشاع في رأسه الشيب، وشاعكم الله تعالى بالسلام، وشاعكم السلام قال

ألا يـا نخلـةً فـي ذاتِ عِـرْقٍ
بَـرودَ الظِّـلِّ شَـاعَكُـمُ السَّـلامُ

لمحة عن الشيعة:

وقول صاحب المصباح: اسم لجماعة مخصوصة؛ يقصد الشيعة أقدم الفرق الإسلامية، وقد ظهروا بمذهبهم السياسي في آخر عصر عثمان، ونما وترعرع في عهد علي، وقوام هذا المذهب: أنَّ الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، ويتعين القائم بها بتعيينهم، بل هي ركن الدين، وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفالها، وتفويضها إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويجب أن يكون معصوماً عن الكبائر والصغائر، وأنَّ علي بن أبي طالب كان هو الخليفة المختار من النبي، وأنَّه أفضل الصحابة. وله فرق كثيرة يرجع إليها في الملل والنحل للشهرستاني، والفصل في الملل والنحل لابن حزم.

﴿فَرَاغَ﴾: مال في خفية، وأصله من روغان الثعلب، وهو تردده وعدم ثبوته، وفي المختار: راغ الثعلب من باب: قال، وروغاناً بفتحتين، والاسم منه: الرواغ بالفتح، وأراغ، وارتاغ؛ أي: طلب وأراد، وراغ إلى كذا: مال إليه سراً وحاد، وقوله تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي: أقبل، وقال الفراء: مال عليهم. وفلان يراوغ في الأمر مراوغة.

﴿يَزِفُّونَ﴾: يسرعون في المشي، من: زفيف النعام، ويزفون، من:

أزفّ: إذا دخل في الزفيف، أو من أزفّه: إذا حمله على الزفيف، أي: يزف بعضهم بعضاً، وفي الأساس: زف العروس إلى زوجها، وهذه ليلة الزّفاف، وزف الظليم، وزفزف، وزفت الريح، وزفزفت، زفيفاً، وزفزفة، وهي سرعة الهبوب والطيران مع صوت، وريح زفزف، زفزفته الريح: حرّكته، وبات مُزَفْزَفاً، وأنشدني سلامة بن عياش الينبعي بمكة يوم الصّدَر:

فبتُّ مزفزَفاً قد أنشبتني رسيسة ورد بينهم أحاحا

لعلمي أنَّ صرفَ البَيْنِ يضحي ينيلُ العينَ قرَّتها لِماحا

ومن المجاز: زفوا إليه: أسرعوا، ويقال للطائش الحلم: قد زفّ رأله، وجئته زفة، أو زفتين: مرة، أو مرتين، وهي المرة من الزفيف، كما أنَّ المرة من المرور.

﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾: صرعه على شقه، فوقع أحد جنبيه على الأرض تواضعاً على مباشرة الأمر بصبر وجلد، وفي المصباح: والجبين: ناحية الجبهة من محاذاة النزعة إلى الصدغ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها، قاله الأزهري، وابن فارس، وغيرهما، فتكون الجبهة بين جبينين، وجمعه: جبن بضمتين، مثل: بريد، وبرد، وأجبنة: مثل أسلحة. وفي القاموس: تلَّه تلاًّ من باب: قتل، فهو متلول، وتليل: صرعه، أو ألقاه على عنقه وخدِّه.

﴿الْجَحِيمِ﴾: النار الشديدة الوقود، وقيل: كل نار على نار، وجمر فوق جمر فهي جحيم، وفي القاموس: الجحيم: النار الشديدة التأجج، وكل نار بعضها فوق بعض كالجَحمة وتضم، وكل نار عظيمة في مهواة، والمكان الشديد الحر كالجاحم، وجحمها، كمنعها: أوقدها فجحمت، ككرمت، جحوماً، وكفرح، جحماً، وجحيماً، وجحوماً: اضطرب والجاحم: الجمر الشديد الاشتغال.

○ الإعـراب:

﴿ ۞وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ الواو: عاطفة، عطفت القصة الثانية على القصة الأولى، ولك أن تجعلها استئنافية، فتكون الجملة مستأنفة مسوقة للشروع في قصة إبراهيم بعد قصة نوح. وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، ومن شيعته: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وإبراهيم: اسمها المؤخر. ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ﴾ لك أن تعلق الظرف بفعل محذوف، تقديره: اذكر، ولك أن تعلقه بما في الشيعة من معنى الاشتقاق، فهو معمول له لما فيه من معنى المتابعة، وجملة جاء: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والفاعل: مستتر، تقديره: هو، يعود على إبراهيم، وربه: مفعول به، وبقلب: متعلقان بجاء، وسليم: صفة. ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾ الظرف الثاني: بدل من الظرف الأول، وأجاز أبو البقاء أن يكون ظرفاً لسليم، أو: لجاء، وجملة قال: في محل جر بالإضافة، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: هو، ولأبيه: متعلقان بقال، وماذا: تقدم إعرابها كثيراً، فما: مبتدأ، وذا: اسم موصول خبر، أو هي بكاملها: اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لتعبدون، وجملة تعبدون: لا محل لها على الأول، وجملة ماذا: مقول القول على الثاني.

﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وإفكاً: في نصبه أوجه؛ أحدها: أنه مفعول من أجله، أي: أتريدون آلهة دون الله إفكاً، فآلهة: مفعول به، ودون الله: ظرف متعلق بتريدون، وقدمت معمولات الفعل اهتماماً به؛ لأنه مكافح لهم بأنهم على إفك وباطل، وبهذا الوجه بدأ الزمخشري والجلال، والثاني: أنَّه مفعول به بتريدون، ويكون آلهة: بدلاً منه، جعلها نفس الإفك مبالغة، فأبدلها منه، وفسره بها، والثالث: أنَّه حال من فاعل تريدون، أي: أتريدون آلهة آفكين، أو: ذوي إفك. ﴿ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وما: اسم استفهام للإنكار، والتوبيخ، أي: ليس لكم سبب ولا عذر يحملكم على الظن، وهو في محل

رفع مبتدأ، وظنكم: خبره، وبرب العالمين: متعلقان بظنكم، وفي البيضاوي: والمعنى: إنكار ما يوجب ظناً فضلاً عن قطع يصدّ عن عبادته، أو يجوز الإشراك به، أو يقتضي الأمن من عقابه على طريقة الإلزام، وهي كالحجة على ما قبله.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ الفاء: عاطفة، ونظر: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو: ونظرة: مفعول مطلق، وفي النجوم: متعلق بنظر، قيل الكلام على حذف مضاف، أي: في علم النجوم، ولم يقل: إلى النجوم مع أن النظر إنما يتعدى بإلى لأن «في» تأتي بمعنى «إلى» لقوله تعالى: ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ أي: إليها، وقيل: إن نظر ضمن معنى فكر، وهو يتعدى بفي. ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ الفاء: عاطفة، وقال: فعل ماض، وفاعل مستتر، وإني: إنَّ، واسمها، وسقيم: خبرها، وإنَّ، وما في حيزها: في محل نصب مقول القول، وسيأتي الكلام في تجويز الكذب على إبراهيم.

﴿فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وتولوا: فعل ماض، وفاعل، وعنه: متعلقان بتولوا، ومدبرين: حال من الواو في تولوا. ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وراغ: فعل ماض، وفاعل، وإلى آلهتهم: متعلقان براغ، فقال: عطف على راغ، والهمزة: للاستفهام، ولا: نافية، وتأكلون: فعل مضارع مرفوع، وفاعل، وجملة الاستفهام: مقول القول. ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ﴾ ما: اسم استفهام مبتدأ، ولكم: خبر، وجملة لا تنطقون: في محل نصب على الحال، وجملة مالكم: مقول قول محذوف، والتقدير: فلم ينطقوا، فقال: ﴿مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ﴾ ﴿فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، تقديره: فلم يجيبوا، فراغ، وعليهم: جار ومجرور متعلقان براغ، وضرباً: مصدر واقع موقع الحال؛ أي: فراغ عليهم ضارباً، أو: مصدر لفعل مقدر؛ أي: يضرب ضرباً، والجملة: في محل نصب على الحال، وباليمين: متعلقان بضرباً، أو بعامله.

﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ الفاء: عاطفة، وأقبلوا: فعل ماض، والواو: فاعل، وإليه متعلقان بأقبلوا، وجملة يزفون: في محل نصب على الحال من فاعل أقبلوا، ويجوز تعلق إليه به. ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ قال: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، والهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وتعبدون: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل، وما: مفعول به، وجملة تنحتون: صلة، والعائد: محذوف، ويجوز أن تكون ما: مصدرية، أي: نحتكم، ويجوز أن تكون: نكرة موصوفة، أي: منحوتكم، وقيل: استفهامية للتوبيخ؛ أي: وأي شيء تعملون؟ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الواو: حالية، والله: مبتدأ، وجملة خلقكم: خبر، والكاف: مفعول به، والواو: عاطفة، وما: يجوز أن تكون موصولة، أو: مصدرية، وقيل: هي استفهامية للتوبيخ؛ أي: وأي شيء تعملون؟ وقيل: هي نافية؛ أي: أن العمل في الحقيقة ليس لكم، فأنتم لا تعملون شيئاً، وسيأتي مزيد بحث في هذا التركيب الذي شجر فيه الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة، وجملة والله خلقكم: حال، ومعناها: أتعبدون الأصنام على حالة تنافي ذلك، وهي: أن الله خالقكم وخالقهم جميعاً، ويجوز أن تكون الواو: استئنافية، والجملة: مستأنفة. ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، وابنوا: فعل أمر، والواو: فاعل، والجملة: مقول القول، وله: متعلقان بابنوا، وبنياناً: مفعول به، فألقوه: عطف على ابنوا، وهو فعل أمر، والواو: فاعل، والهاء: مفعول به، وفي الجحيم: متعلقان بألقوه.

﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ الفاء: عاطفة، وأرادوا: فعل ماض، وفاعل، وبه: متعلقان بأرادوا، وكيداً: مفعول به، فجعلناهم: عطف على فأرادوا، وهو فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والأسفلين: مفعول به ثان لجعلناهم. ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ الواو: عاطفة على محذوف، تقديره: فخرج من النار سالماً وقال: وإنَّ، واسمها، وذاهب:

خبرها، وإلى ربي: متعلقان بذاهب، والسين: حرف استقبال، ويهدين: فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء، والنون: للوقاية، وياء الضمير المحذوفة لرعاية الفواصل: مفعول به؛ أي: سيهديني، وسيأتي معنى ذهابه إلى ربه في باب الفوائد. ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ رب: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وقد تقدمه له نظائر، وهب: فعل دعاء، وفاعله: ضمير مستتر تقديره: أنت، ولي: متعلقان بهب، ومن الصالحين: صفة لمفعول به محذوف؛ أي: ولداً من الصالحين. ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، تقديره: فاستجبنا له، وبشرناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وبغلام: متعلقان ببشرناه، وحليم: صفة، وفي الكلام إيجاز سيأتي في باب البلاغة.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ الفاء: استئنافية، ولما: حينية، أو: رابطة، وبلغ فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، والظرف: متعلق بمحذوف حال، وعبارة الزمخشري: فإن قلت بم يتعلق معه؟ قلت: لا يخلو إما أن يتعلق ببلغ، أو بمحذوف، فلا يصح تعلقه ببلغ؛ لاقتضائه بلوغهما معاً حد السعي، ولا بالسعي؛ لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه، فبقي أن يكون بياناً؛ كأنه لما قال: فلما بلغ السعي؛ أي: الحد الذي يقدر فيه على السعي، قيل: مع من؟ فقال: مع أبيه، والمعنى في اختصاص الأب: أنَّه أرفق الناس به، وأعطفهم عليه، وغيره ربما عنف به في الاستسعاء، فلا يحتمله؛ لأنه لم تستحكم قوته، ولم يصلب عوده. ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ جملة قال: لا محل لها؛ لأنها جواب لما، ويا: حرف نداء، وبني: منادى مضاف لياء المتكلم، وإنَّ، واسمها، وجملة أرى: خبرها، وفي المنام: متعلقان بأرى، وإنَّ، واسمها، وجملة أذبحك: خبرها، وأنَّ، وما بعدها: سدت مسد مفعولي رأى الحلمية، فانظر: الفاء: الفصيحة، وانظر: فعل أمر، وفاعله: مستتر وجوباً، تقديره: أنت، وماذا ترى: يجوز أن تكون ماذا: مركبة استفهامية، فتكون منصوبة بترى، وما

بعدها: في محل نصب بانظر؛ لأنها معلقة له، ويجوز أن تكون ما: استفهامية، وذا: موصولة فتكون ماذا: مبتدأ، وخبراً، والجملة معلقة أيضاً، وأن تكون ماذا بمعنى الذي، فتكون معمولاً لأنظر، وترى: فعل مضارع من الرأي، لا من رؤية العين، ولا المتعدية إلى مفعولين، بل كقولك: هو يرى رأي الخوارج.

﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ يا: حرف نداء، وأبت: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المعوض عنها بالتاء، وقد تقدم القول فيها وافياً مراراً، والتاء: في محل جر؛ لأن المعوض عنه كذلك، وافعل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وما: اسم موصول مفعول افعل، وجملة تؤمر: صلة، والعائد: محذوف، تقديره: ما تؤمر به، فحذف الجار كما حذف في قولك: أمرتك الخير فافعل ما أمرت به، ويجوز أن تكون ما: مصدرية، أي: أمرك، على إضافة المصدر للمفعول، والسين: حرف استقبال، وتجدني: فعل مضارع مرفوع، والنون: للوقاية، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: أنت، والياء: مفعول به، ومن الصابرين: في موضع المفعول الثاني. ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ الفاء: عاطفة، ولما: حينية، أو: رابطة، وأسلما: فعل ماض، والألف: فاعل، أي: استسلما، وخضعا، وانقادا لأمر الله، وتله: الواو: عاطفة، وتله: فعل ماض، وفاعل مستتر، تقديره: هو، أي: إبراهيم، والهاء: مفعول به، وللجبين: متعلقان بمحذوف حال، وجواب لما: محذوف، تقديره: ظهر صبرهما، أو: أجزلنا لهما أجرهما، أو: كان ما كان مما تنطق به الحال. وقال الكوفيون، والأخفش: الجواب: وتله للجبين بزيادة الواو، وقيل: وناديناه بزيادة الواو أيضاً، والأول أرجح. ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾ الواو: عاطفة، وناديناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وأنْ: مفسرة؛ لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه، ويا: حرف نداء، وإبراهيم: منادى مفرد علم مبني على الضم.

﴿ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ قد: حرف تحقيق،

وصدقت: فعل، وفاعل، والرؤيا: مفعول به، وإن، واسمها، وكذلك: نعت لمصدر محذوف مقدم على عامله، وجملة نجزي المحسنين: خبر إن، وجملة إنا: تعليل لما منَّ عليهما من الفرج بعد الشدة، والرجاء بعد اليأس. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ﴾ إنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وهو: مبتدأ، أو: ضمير فصل، والبلاء: خبر هو، أو: خبر إنَّ، والمبين: نعت للبلاء. ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الواو: عاطفة، وفديناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة: معطوفة على ناديناه، وبذبح: جار ومجرور متعلقان بفديناه، والذبح: اسم ما يذبح كبشاً كان أم وعلاً، وعظيم: صفة لذبح.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ تقدم إعراب نظير هذه الآية، ومفعول تركنا: محذوف، وفي الآخرين: صفة لهذا المحذوف، أي: ثناء حسناً. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ سلام: مبتدأ، وعلى إبراهيم: خبر، وساغ الابتداء بالنكرة لما فيها من معنى الدعاء، وجملة ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ مقول قول محذوف، أي: يقال له هذا في الآخرين.

﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ كذلك: نعت لمصدر محذوف، ونجزي المحسنين: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به. ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إنَّ، واسمها، ومن عبادنا: خبر، والمؤمنين: صفة، والجملة: تعليلية لا محل لها. ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الواو: حرف عطف، وبشرناه: فعل وفاعل، ومفعول به، وبإسحق: متعلقان ببشرناه، ونبياً: حال من إسحاق، ومن الصالحين: صفة لنبياً، أو: حال ثانية، وورودها على سبيل الثناء والتقريظ؛ لأن كل نبي لابد أن يكون صالحاً. ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ وباركنا: عطف على ما تقدم، وعليه: متعلقان بباركنا، وعلى إسحاق: عطف على عليه ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ من ذريتهما: خبر مقدم، ومحسن: مبتدأ مؤخر، وظالم: عطف على محسن، ولنفسه: متعلقان بظالم، ومبين: صفة لظالم.

□ **البلاغة:**

انطوت هذه الآية على فنون شتى نورد أهمها فيمايلي:

١ ـ في قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ فن الرمز والإيماء، وهو أن يريد المتكلم إخفاء أمر ما في كلامه، فيرمز في ضمنه رمزاً، إما تعمية للمخاطب، وتبرئة لنفسه، وتنصلاً من التبعة، وإما ليهتدي بواسطته إلى طريق استخراج ما أخفاه في كلامه، وقد كان قوم إبراهيم نجّامين فأوهمهم: أنه استدل بأمارة في علم التنجيم على أنَّه يسقم ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أي: مشارف للسقم، وهو الطاعون، وكان أغلب الأسقام عليهم، وكانوا يخافون العدوى، فقال ذلك ليوجسوا خوفاً، ويتفرقوا عنه، فهربوا منه إلى عيدهم، وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد، ففعل بالأصنام ما فعل، وقد يوهم ظاهر الكلام: أنَّه ارتكب بذلك جريرة الكذب والأنبياء معصومون عنه، والصحيح: أنَّ الكذب حرام إلا إذا عرض عنه وورَّى، ولقد نوى إبراهيم أن من في عنقه الموت سقيم، ومنه المثل: «كفى بالسلامة داء» وقال لبيد:

كانتْ قناتي لا تلينُ لغامزٍ فألان منها الإصباحُ والإمساءُ
فدعوتُ ربي بالسلامة جاهداً ليصحنـي فـإذا السـلامـة داءُ

يصف لبيد قوته زمن الشباب، ثم ضعف حال المشيب بتتابع الأزمان عليه، وأنَّه طلب فسحة الأجل، فكانت سبب اضمحلاله. والقناة: الرمح، استعارها لإقامته، أو قوته، على طريق الاستعارة التصريحية، والليونة، والغمز؛ ترشيح للاستعارة، والغمز: الجس باليد، ومات رجل، فالتف عليه الناس، وقالوا: مات وهو صحيح، فقال أعرابي: أصحيح مَن الموت في عنقه؟ وقيل: أراد بقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ النفس لكفركم، على أن بعض الناس قد جوزه في المكيدة في الحرب، والتقية، وإرضاء الزوج، والصلح بين المتخاصمين، والمتهاجرين، وسيأتي المزيد من هذه القصة الفريدة في باب الفوائد.

٢ ـ الإيجاز :

في قوله : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ إيجاز قصر ، وقد تقدم تعريفه ، فقد انطوت هذه البشارة الموجزة على ثلاث : أن الولد ذكر ، وأنه يبلغ أوان الحلم ، وأنه يكون حليماً ، وأي حلم أدل على ذلك من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح ، فلم يضطرب ، ولم يتخاذل ، ولم يعترض على مشيئة أبيه ، بل قال : ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ثم استسلم لذلك ، ولم يكن ليدور له في خلد أن الله سيفديه ، وسيهيىء له كبش الفداء .

* الفوائـد :

١ ـ من هو الذبيح؟

اختلف المفسرون في المأمور بذبحه ، فعن ابن عباس ، وابن عمر ، وجماعة من التابعين : أنَّه إسماعيل ، وحجتهم فيه : أن رسول الله ﷺ قال : «أنا ابن الذبيحين» وقال له أعرابي : يابن الذبيحين! فتبسم ، فسئل عن ذلك فقال : إن عبد المطلب لمّا حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحنَّ أحد ولده ، فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله ، وقالوا له : أفديناك بمئة من الإبل ، ففداه بمئة من الإبل ، والثاني : إسماعيل . واحتجوا أيضاً بأن الله وصفه بالصبر دون إسحاق في قوله تعالى : ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ وهو صبره على الذبح ، وعن علي بن أبي طالب ، وابن مسعود ، والعباس ، وعطاء ، وعكرمة ، وغيرهم : أنه إسحاق وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى ، والحجة فيه : أنَّ الله تعالى أخبر خليله إبراهيم حين هاجر إلى الشام بأنه استوهبه ولداً ، ثم أتبع ذلك البشارة بغلام حليم ، ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ، ويدل عليه كتاب يعقوب إلى يوسف الذي جاء فيه : من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله . وقال الزجاج : الله أعلم أيهما الذبيحين . وهذا مذهب ثالث ، وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين ، وتفويض علم ذلك إلى الله

تعالى، ولعلَّ هذا أولى؛ فإنَّ هذه المسألة ليست من العقائد التي كلفنا بمعرفتها، فهي مما ينفع علمه، ولا يضر جهله، والله أعلم. هذا وللمفسرين والمؤرخين كلام طويل في قصة الذبح يرجع إليها في المطولات.

٢ ـ مناقشة بين أهل السنة والمعتزلة:

وهناك مناقشة يجدر بنا تلخيصها بين أهل السنة والمعتزلة لطرافتها، ولعلاقتها الوثيقة بالإعراب؛ فقد تساءل الزمخشري حول قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ فقال: كيف يكون الشيء الواحد لله تعالى معمولاً لهم، وأجاب بأن هذا كما يقال: عمل النجار الباب، فالمراد: عمل شكله لا جوهره، وكذلك الأصنام، جواهرها مخلوقة لله تعالى، وأشكالها وصورها معمولة لهم، فإن قلت: ما منعك أن تكون ما مصدرية لا موصولة، ويكون المعنى: والله خلقكم وعملكم، كما يقول المجبرة. وأجاب: بأن أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد بطلانه بالحجج العقلية: أن معنى الآية يأباه فإن الله تعالى احتج عليهم بأنه خلق العابد والمعبود، فكيف يعبد المخلوقُ المخلوقَ، على أنَّ العابد فيهما هو الذي عمل صورة المعبود. قال: ولو قلت: والله خلقكم وعملكم؛ لم يكن للكلام طباق، وشيء آخر، وهو: أن قوله وما تعملون شرحه في قوله: أتعبدون ما تنحتون، ولا يقال في أن ما هذه موصولة، فالتفرقة بينهما تعسف وتعصب. قال: فإن قلت: اجعلها موصولة، ومعناها: وما تعملونه من أعمالكم، وحينئذ توافق الأولى في أنها موصولة، فلا يلزمني التفرقة بينهما. وأجاب: بل الإلزامان في عنقك، لا يفكهما على المصدر الذي هو جوهر الضم، وفي ذلك فكٌّ للنظم، وتبتير، كما لو جعلتها مصدرية.

وتعقبه ابن المنير فقال: يتعين حملها على المصدرية، وذلك: أنَّهم لم يعبدوا هذه الأصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة، فلو كان كذلك لم يتعاونوا في تصويرها، ولا اختصوا بعبادتهم حجراً دون حجر، فدل أنهم إنما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التي هي أثر عملهم، ففي الحقيقة:

أنَّهم عبدوا عملهم، وصلحت الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أوضح قيام وأبلغه، فإذا ثبت ذلك فليتتبع كلامه بالإبطال، أما قوله: إنها موصولة وإنَّ المراد بعملهم لها عمل أشكالها فمخالف للظاهر، فإنه مفتقر إلى حذف مضاف في موضع اليأس، يكون تقديره: والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته، بخلاف توجيه أهل السنة، فإنه غير مفتقر إلى حذف البتة، ثم إذا جعل المعبود نفس الجوهر فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد، مع موافقته على أن جواهر الأصنام ليست من عملهم، فما هو من عملهم وهو الشكل ليس معبوداً لهم على هذا التأويل، وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم، فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد، وعلى ما قررناه يتضح، وأما قوله: إنَّ المطابقة تنفكّ على تأويل أهل السنة بين ما ينحتون وما يعملون فغير صحيح، فإنَّ لنا أن نحمل الأولى على المصدرية، وأنهم في الحقيقة إنَّما عبدوا نحتهم؛ لأن هذه الأصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها، فلما عملوا فيها النحت عبدوها، ففي الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم، فالمطابقة إذاً حاصلة، والإلزام على هذا أبلغ وأمتن، ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة، ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافحين لقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ لا ولا كرامة، ولا يخلق الله ما نعمل نحن، لأنا عملنا التشكيل والتصوير، وهذا لم يخلقه الله، وكانوا يجدون الذريعة إلى اقتحام الحجة.

٣ ـ معنى الذهاب إلى ربه:

اختلف في معنى قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ والأكثرون على أن هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة، أي: إني مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي، فإنه سيهديني سواء السبيل، وفي سين الاستقبال إيذان بأن الفعل واقع لا محالة.

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ
ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾
وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ
مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا
ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في القصة الثالثة، ولك أن تجعل الواو: عاطفة على ما سبق، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، ومننا: فعل، وفاعل، وعلى موسى وهارون: متعلقان بمننا؛ أي: أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المزايا الدينية والدنيوية. ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الواو: عاطفة، ونجيناهما: عطف على مننا، وهو فعل، وفاعل، ومفعول به، والميم والألف: حرفان دالان على التثنية، وقومهما: مفعول معه، أو: معطوف على الضمير في نجيناهما، ومن الكرب: متعلقان بنجيناهما، والعظيم: صفة للكرب، والمراد به: استعباد فرعون إياهم، وسومه إياهم سوء العذاب. ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ عطف على ما تقدم، وجمع الضمير لأنه عائد على موسى وهارون وقومهما، فكانوا: الفاء: عاطفة، وكان، واسمها، وهم: ضمير فصل لا محل له، والغالبين: خبر كانوا، وأجاز بعضهم أن يكون هم تأكيداً للواو، أو: بدلاً منها. ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴾ عطف على ما تقدم أيضاً، والكتاب: مفعول به ثان، والمستبين: نعت للكتاب، والمراد به: التوراة وما اشتملت عليه من تشريعات وأحكام. ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ عطف على ما تقدم، والصراط: مفعول به ثان، أو: منصوب بنزع الخافض، كما تقدم، والمستقيم: نعت للصراط.

﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْآخِرِينَ ﴾ تقدم إعرابها أكثر من مرة. ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ سلام: مبتدأ، وعلى موسى وهارون: خبره ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ إنَّ، واسمها، وكذلك: نعت لمصدر محذوف، وجملة نجزي المحسنين: خبر إنا، وقد تقدمت لها نظائر.
﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إنَّ، واسمها، ومن عبادنا: خبر، والمؤمنين: نعت.

* الفوائـد:

حقيقة القول في موسى:

الصحيح: أنَّ موسى علم أعجمي مشتق، وقول بعضهم: أنَّه مشتق من أوسيت الشجر ـ أي: أخذت ما عليه من الورق ـ ضعيف، ورد ابن السراج هذا كله، وقال: من اشتق شيئاً من لغة العجم من لغة العرب كان بمنزلة من ادعى: أنَّ الطير ولد الحوت، ومع كون موسى أعجمياً اختلف في وزنه، فقال سيبويه: وزنه: مفعل، وهو قول أبي عمرو، وقال الكسائي: وزنه: فعلى، واحتج لسيبويه بأن زيادة الميم أولاً أكثر من زيادة الألف آخراً، ورد الفارسي على الكسائي بصرفه في النكرة، ولو كانت فعلى لكانت ألفه للتأنيث ولا يصرف نكرة أيضاً، ومن جوز فعلل في الأبنية ـ كما صار إليه الأخفش ـ يجوز عنده كون ألفه للإلحاق، فيصرف في النكرة، وتقول في جمعه بالواو والنون: موسون، وموسين بفتح السين عند البصريين والكوفيين إن كان وزنه مفعلاً، وتقول على طريقة الكسائي: موسون بضم السين قبل الواو، وموسين بكسر السين قبل الياء، هذا كله في موسى اسم لواحد من بني آدم، وأما الموسى التي يحلق بها الشعر فعربية، ثم قيل: إنها مشتقة من أسوت الشيء: إذا أصلحته، والأصل مؤسى بالهمزة، فأبدلت الهمزة واواً، وقيل: من أوسيت: حلقت، وهذا أشهر، ولا أصل لواوه على هذا في الهمزة، والمشهور تأنيثها، وقيل: هو مذكر، ووزنها على الباعث

فعلى، فيمتنع الصرف سواء سميت بها، أو لم تسم؛ إلا إذا أثبت فعللاً فيصرف في النكرة والله أعلم.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا
وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿بَعْلًا﴾ : بعل: اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً، مضافاً إلى بك اسم البلد في الأصل، ثم لما عبد فيها هذا الصنم المسمى ببعل سميت: بعلبك، وفي تاج العروس: قال الأزهري: هما اسمان جعلا اسماً واحداً لمدينة بالشام، والنسبة إليها: بعلي، أو: بكي على ما ذكر في عبد شمس. وعبارة الزمخشري: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ وهو علم لصنم كان لهم، كمناة، وهبل، وقيل: كان من ذهب، وكان طوله عشرين ذراعاً، وله أربعة أوجه، فتنوا به، وعظموه: حتى أخدموه أربعمئة سادن، وجعلوهم أنبياءه، فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة، والسدنة يحفظونها، ويعلمونها الناس، وهم أهل بعلبك من بلاد الشام، وبه سميت مدينتهم: بعلبك، وقيل: البعل: الرب بلغة اليمن، يقال: من بعل هذه الدار؟ أي: من ربها؟. وسيأتي المزيد من هذه القصة في باب الفوائد.

﴿أَتَدْعُونَ﴾ : تنادون.

﴿وَتَذَرُونَ﴾ : تتركون، وسمعنا عمن له نصاب في العربية: أن كلمتي ذر ودع أمران في معنى الترك؛ إلا أنَّ دع أمر للمخاطب بترك الشيء قبل العلم به، وذر أمر له بتركه بعد ما علمه، وروي: أن بعض الأئمة سأل الإمام

الرازي عن قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ لمَ لم يقل: وتدعون أحسن الخالقين، وهذا أقرب من الفصاحة للمجانسة بينهما؟ فقال الإمام: لأنهم اتخذوا الأصنام آلهة، وتركوا الله بعد ما علموا أن الله ربهم ورب آبائهم الأولين استكباراً، فلذلك قيل لهم: وتذرون، ولم يقل: وتدعون، هذا وقد أمات العرب ماضي دع، وذر، ومصدرهما، ولكن روي في الحديث: «لتنتهين أقوام من ودعهم الجمعات» أي: عن تركهم الجمعات. وقال في القاموس: ودعه؛ أي: اتركه، أصله: ودع كوضع، وقد أميت ماضيه، وإنما يقال في ماضيه: تركه، وجاء في الشعر: ودعه، وهو مودوع، وقرىء شاذاً: (ما وَدَعَكَ ربك) وهي قراءته صلى الله عليه وسلم» وقال الجوهري: ولا يقال: وادع، وينافيه وروده في الشعر والقراءة به إلا أن يحمل قولهم: وقد أميت ماضيه على قلة الاستعمال، فهو شاذ استعمالاً، صحيح قياساً.

﴿إِلْ يَاسِينَ﴾: قال الزمخشري: قرىء: على إلياسين، وإدريسين، وإدارسين، وإدرايسين على أنها لغات في إلياس، وإدريس، ولعل لزيادة الياء والنون في السريانية معنى. وقيل: المراد بياسين هذا: إلياس المتقدم، فعلى هذا هو مفرد مجرور بالفتحة لأنه غير منصرف للعلمية والعجمية، وقيل: هو ومن آمن معه، فجمعوا معه تغليباً، كقولهم للمهلب: المهلبون، فعلى هذا هو مجرور بالياء لأنه جمع مذكر سالم.

○ الإعراب:

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ عطف، أو: استئناف لذكر القصة الرابعة، وإنَّ، واسمها، وإلياس: علم أعجمي، وستأتي ترجمته في باب الفوائد، واللام: المزحلقة، والمرسلين: خبر. ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ إذ: ظرف لما مضى من الزمن متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، واختار بعضهم تعليقه بالمرسلين، وجملة قال: في محل جر بإضافة الظرف إليها ولقومه: جار ومجرور متعلقان بقال: والهمزة: للاستفهام، ولا: نافية وتتقون: فعل

مضارع مرفوع، وفاعل، والجملة: مقول القول. ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، وتدعون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل، وبعلاً: مفعول به، والواو: عاطفة، وتذرون: عطف على تدعون، ويجوز أن تكون حالية، والجملة: في محل نصب على الحال، وأحسن الخالقين: مفعول به.

﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ لفظ الجلالة: بدل من أحسن الخالقين، فهو منصوب، وربكم: بدل من الله، ورب آبائكم الأولين: عطف، فالكلمات الثلاث منصوبة، وقرىء بالرفع على أنها أخبار لمبتدأ محذوف، أي: هو، أو: الله مبتدأ، وربكم: خبره، ورب آبائكم الأولين: عطف على ربكم. ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وكذبوه: فعل، وفاعل، ومفعول به، والفاء في فإنهم: الفصيحة، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، ومحضرون: خبر إن. ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ إلا: أداة استثناء، وعباد الله: استثناء متصل من فاعل فكذبوه، والمخلصين: نعت لعباد الله. ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ تقدم إعرابها قريباً، فجدد به عهداً ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ تقدم إعرابها ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ❊ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدم إعرابها أيضاً.

❊ الفوائـد:

في قصة إلياس النبي طرافة، ومتعة، وتصوير فني، ليكون وسيلة للتأثير الوجداني، فهي تخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية؛ لأن القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه، وطريقة أدائه، وعرضه، وسرد حوادثه، وقبل أن نبدأ بتلخيص القصة كما روتها السير نبدأ بذكر لمحة عن إلياس النبي، فقد ذكر أهل التفسير: أنَّه نبي من أنبياء بني إسرائيل، قال محمد بن إسحاق: هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران والله أعلم. وجاء في المنجد للآداب والعلوم: أنَّه إيليا النبي من أنبياء بني إسرائيل، حارب العبادات الوثنية التي أدخلتها في

إسرائيل إيزابيل زوجة آحاب، فنفي إلى صرفت، حيث رد إلى الحياة ابن امرأة أرملة، وبإذن الله أهطل المطر على الأرض بعد انقطاعه عنها ثلاث سنوات قرب جبل الكرمل، وخذل كهنة بعل وعشروت، وأمر بقتلهم، فلحقته إيزابل بوابل غضبها فهرب إلى صحراء سيناء، ثم عاد فتنبأ لآحاب بانتقام الله عليه؛ لأنه اغتال نابوت وأخذ كرمه، رفع إلى السماء على مركبة نارية، خلفه بالنبوة تلميذه إليشع.

وفيما يلي ما ذكره محمد بن إسحاق وعلماء السير والأخبار ملخصاً:

لما قبض الله حزقيل النبي عظمت الأحداث في بني إسرائيل، وظهر فيهم الفساد، ونصبوا الأصنام، فبعث الله إليهم إلياس نبياً، وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني إسرائيل، وأنَّ سبطاً منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها، وعليهم ملك يومئذ اسمه: أرحب، وكان قد أضل قومه، وكان له صنم من ذهب اسمه: بعل، فغضب الملك على إلياس، وهمَّ بتعذيبه وقتله، فلما أحس إلياس بالشر خرج هارباً، ولاذ بشواهق الجبال، وصعيد المغاور، وظل سبع سنين هائماً يفترش الأرض، ويتوسد الحجارة، ويأكل من نبات الأرض، وثمار الشجر، وكانوا قد وضعوا عليه العيون، فلما طال عليه الأمر، وضاق ذرعاً دعا ربه، فقيل: انظر يوم كذا وكذا، فاخرج إلى موضع كذا، فما جاءك من شيء فاركبه، فخرج إلياس ومعه إليسع، حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به إذ أقبل فرس من نار، فوثب عليه، فانطلق به الفرس، فناداه: يا إلياس ما تأمرني؟ فقذف إليه إلياس بكسائه من الجو، فكان ذلك علامة استخلافه، إلى آخر تلك القصة البديعة التي تصور الجهاد في سبيل العقيدة، والثبات على المبدأ.

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى

ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ وهذه هي القصة الخامسة، والواو: استئنافية، أو: عاطفة، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، ومن المرسلين: خبرها. ﴿ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾ الظرف: متعلق بمحذوف، تقديره: اذكر، وجملة نجيناه من الفعل، والفاعل، والمفعول: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وأهله: مفعول معه، أو: عطف على الهاء، وأجمعين: تأكيد. ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴾ إلا: أداة استثناء، وعجوزاً: مستثنى، وفي الغابرين: صفة. ﴿ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، ودمرنا الآخرين: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وهم كفار قومه.

﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴾ الواو: عاطفة، أو: حالية، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وتمرون: فعل مضارع، وفاعل، وعليهم: متعلقان بتمرون، ومصبحين: حال، وهي تامة. ﴿ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الواو: عاطفة، وبالليل: عطف على مصبحين، فهو حال أخرى، والحال هنا محمول على المكان، والباء للملابسة، والهمزة داخلة على مقدر عطف عليه قوله: فلا تعقلون، والتقدير: تشاهدون ذلك فلا تعقلون، أي: تعتبرون به.

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾
لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ
شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ
إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا

ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿أَبَقَ﴾: هرب من قومه بغير إذن ربه، وهو للعبد خاصة؛ إذ يهرب من سيده، ولكن أطلق على يونس على طريق الاستعارة التصريحية التبعية، أو على طريق المجاز المرسل، والعلاقة هي استعمال المقيد في المطلق، وفي المصباح: أبق العبد أبقاً من بابي: تعب، وقتل في لغة، والأكثر من باب: ضرب: إذا هرب من سيده من غير خوف، ولا كد، والإباق بالكسر: اسم منه، فهو آبق، والجمع: أبّاق، مثل: كافر، وكفار.

﴿ٱلْمُدْحَضِينَ﴾: المغلوبين بالقرعة، وساهم: أي: قارع، وغالب أهل السفينة بالقرعة، وستأتي قصة يونس مختصرة في باب الفوائد.

﴿مُلِيمٌ﴾: داخل في الملامة يقال: ألام فلان: إذا فعل ما يلام عليه، وفي المصباح: لامه لوماً من باب: قال: عذله، فهو ملوم على النقص، والفاعل: لائم، والجمع: لوم، مثل: راكع، وركع، وألامه بالألف لغة؛ فهو ملام، والفاعل: مليم، والاسم: الملامة، والجمع: ملاوم، واللائمة: مثل: الملامة، وألام الرجل: إذا فعل ما يستحق عليه اللوم، وتلوّم، تلوماً: تمكث.

﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾: المكان الخالي لا شجر فيه، ولا شيء يغطيه، وهو مشتق من العري، وهو عدم السترة، شبهت الأرض الجرداء بذلك لعدم استتارها بشيء، العرا بالقصر: الناحية، ومنه: اعتراه، أي: قصد عراه، وعبارة القاموس: العراء: الفضاء لا يستتر فيه بشيء، وجمعه: أعراء وأعرى: سار فيه، وأقام.

﴿يَقْطِينٍ﴾: قال في القاموس: مالا ساق له من النبات، ونحوه، وبهاء:

القرعة الرطبة. وعبارة الزمخشري: واليقطين: كل ما ينسدح على وجه الأرض، ولا يقوم على ساق، كشجرة البطيخ، والقثاء، والحنظل، وهو يفعيل، من: قطن بالمكان: إذا أقام به، وقيل: هو الدباء. وإنما خص القرع لأنه يجمع بين برد الظل، ولين الملمس، وكبر الورق، وإنَّ الذباب لا يقربه.

○ الإعراب:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ استئناف، أو: عطف مسوق لسرد القصة السادسة، وهي قصة يونس عليه السلام، وسيأتي خلاصة وافية عنها في باب الفوائد، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، ومن المرسلين: خبر إنَّ. ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ إذ: ظرف للمرسلين، أي: هو من المرسلين حتى في هذه الحالة، وجملة أبق: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وإلى الفلك: جار ومجرور متعلقان بأبق، والمشحون: نعت. ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وساهم: فعل ماض، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: هو، فكان: عطف على فساهم، واسمها: مستتر، تقديره: هو، ومن المدحضين: خبر كان. ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف يدرك من سياق الكلام، أي: فألقوه في البحر، فالتقمه الحوت، وقيل فألقى نفسه في الماء. والتقمه: فعل، ومفعول به مقدم، والحوت: مبتدأ مؤخر، والواو: للحال، وهو: مبتدأ، ومليم: خبر، والجملة: في محل نصب على الحال، والمعنى: أنه أتى ما يستحق عليه اللوم.

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ الفاء: عاطفة، ولولا: حرف امتناع لوجود، وأنَّ، وما في حيزها: مبتدأ، خبره: محذوف وجوباً، وأنَّ، واسمها، وجملة كان: خبرها، واسم كان: مستتر، تقديره: هو، ومن المسبحين: خبرها. ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ اللام: واقعة في جواب لولا، ولبث: فعل ماض، وفاعله: ضمير مستتر تقديره هو، وفي بطنه: متعلقان بلبث، أو: بمحذوف حال، أي: مستقر، وإلى يوم: متعلقان

بلبث، وجملة يبعثون: مضاف إليها الظرف، ويبعثون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل. ﴿ ۞فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف، أي: أمرنا الحوت بنبذه فنبذناه، والواو: حالية، وهو: مبتدأ، وسقيم: خبر، أي: معتل مما حلّ به. ﴿ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾ وأنبتنا: عطف على فنبذناه، وعليه: متعلقان بأنبتنا، وشجرة: مفعول به، ومن يقطين: نعت لشجرة. ﴿ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِا۟ئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ الواو: حرف عطف، وأرسلناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وإلى مئة ألف: متعلقان بأرسلناه، وأو: حرف عطف، ويزيدون: فعل مضارع مرفوع، وسيأتي القول مفصلاً في «أو» في باب الفوائد. ﴿ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ الفاء: عاطفة، وآمنوا: فعل ماض مبني على الضم، والواو: فاعل، والفاء: عاطفة، ومتعناهم: فعل، وفاعل، ومفعول به، وإلى حين: متعلقان بمتعناهم.

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ الفاء: حرف عطف، وعطفت هذه الجملة على قوله ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾ وإنْ بعد المدى، قال البيضاوي: ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾ معطوف على مثله في أول السورة، فأمر أولاً باستفتائهم عن وجه إنكار البعث، وساق الكلام في تقديره جاراً لما يلائمه من القصص موصولاً بعضها ببعض، ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة، حيث جعلوا لله البنات، ولأنفسهم البنين في قولهم: «الملائكة بنات الله» وقد تقدم: أنَّ الفاء الأولى هي الفصيحة؛ لأنها واقعة في جواب شرط مقدر، وقد ثار نقاش حول هذا العطف البعيد، سنفصل فيه القول في باب الفوائد. واستفتهم: فعل أمر، وفاعل مستتر، تقديره: أنت، والهاء: مفعول به، والهمزة: للاستفهام الإنكاري، وسيأتي معناه في باب البلاغة، ولربك: خبر مقدم، والبنات: مبتدأ مؤخر، والواو: حرف عطف، ولهم: خبر مقدم، والبنون: مبتدأ مؤخر. ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴾ أم: حرف عطف معادلة للهمزة، كأن المستفهم

يدعي ثبوت أحد الأمرين، ويطلب تعيينه منهم قائلاً: أي هذين الأمرين تدعونه. وخلقنا: فعل، وفاعل، والملائكة: مفعول به، وإناثاً: حال، والواو: للحال، وهم مبتدأ، وشاهدون: خبر، والجملة: نصب على الحال.

﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لإبطال مذهبهم الفاسد ببيان أنَّه إفك صريح، لا دليل يدعمه، وألا: أداة تنبيه، وإنَّ، واسمها، ومن إفكهم: متعلقان بيقولون، واللام: المزحلقة، وجملة يقولون: خبر إنهم. ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ ولد الله: فعل، وفاعل، والجملة: مقول قولهم، والواو: للحال، وإنَّ واسمها، واللام: المزحلقة، وكاذبون: خبرها. ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴾ الهمزة المفتوحة للاستفهام الإنكاري، استغنى بها عن همزة الوصل في التوصل للنطق بالساكن، واصطفى: فعل ماض، والفاعل مستتر، تقديره: هو يعود على الله، والبنات: مفعول به، وعلى البنين: متعلقان باصطفى بعد تضمينه معنى أفضل. ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ ما: اسم استفهام، ولكم: خبر؛ أي: ماثبت، واستقر لكم، على جهة الإنكار، والجملة: مستأنفة، وكيف: اسم استفهام في محل نصب على الحال، أو: المفعولية المطلقة، وتحكمون: فعل مضارع، وفاعل، والجملة: مستأنفة أيضاً، فليس لإحدى الجملتين تعلق بالأخرى. ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري أيضاً، والفاء: عاطفة على محذوف مفهوم من السياق، أي: أعميتم عن الحقائق، وضللتم عن الشواهد، ولا: نافية، وتذكرون: فعل مضارع مرفوع، وفاعل، وأصله: تتذكرون، ومفعول تذكرون: محذوف، تقديره: أنه منزه عن الولد.

﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴾ أم: حرف عطف بمعنى بل، فهو للإضراب الانتقالي، ولكم: خبر مقدم، وسلطان: مبتدأ مؤخر، ومبين: نعت لسلطان.

□ البلاغة:

في هذه الآيات يبدو الأسلوب المكي واضح الدلالة، ظاهر المفهوم، مرهف العاطفة، فقد تكرر فيه الاستفهام الإنكاري، ناعياً عليهم جهلهم المفرط في الغباء، القائم على ثلاث جهالات: أولاها: التجسيم؛ لأن الولادة من خصائص الأجسام، وثانيتها: تفضيل أنفسهم على ربهم؛ حيث جعلوا أوضع الجنسين ـ في اصطلاحهم ومفهومهم ـ له وأرفعهما لهم، وتلك جهالة ما بعدها جهالة، وثالثهما: أنهم استهانوا بأكرم. خلق الله، وأقربهم إليه، حيث أنثوهم، وقد كانوا يتعايرون بوصف الأنوثة، ويعتبرونه من دلائل المهانة، وسمات الخسة.

* الفوائد:

١ ـ اختلف في «أو» هذه اختلافاً كثيراً فقال الفراء: معناها: بل يزيدون، فتكون عنده للإضراب، ويكون الإخبار الأول بحسب ما يظهر للناس إذا رأوهم، والثاني إضراب لما في الواقع ونفس الأمر، فالمعنى: أرسلناه إلى جماعة يحزرهم الناس مئة ألفٍ وهم أزيد من ذلك، وفيه نكتة جليلة، وهي الانتقال من الأدنى إلى الأعلى، لما له من الوقع في النفس، ولفت النظر إليه، بخلاف ما إذا أخبر بالأعلى من أول الأمر، وقال بعض الكوفيين: هي بمعنى الواو، أما البصريون فلهم فيها أقوال:

١ ـ قيل: هي للإبهام.

٢ ـ وقيل: هي للتخيير، أي: إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول هم مئة ألف، أو يقول: هم أكثر، قال ابن هشام: نقل ابن الشجري هذا القول عن سيبويه، وفي ثبوته عنه نظر، ولا يصح التخيير بين شيئين الواقع أحدهما.

٣ ـ وقيل: هي للشك مصروفاً إلى الرائي.

٤ ـ وقيل: إنَّها للإباحة، أي: لك أن تحزرهم وتقدر عددهم كيف تشاء.

٥ ـ وقيل: هي للشك بمعنى أن أصدق الحادسين يشك في عددهم.

وأحسن ما قرأناه قول الزمخشري: في مرأى الناظر؛ أي: إذا رآها الرائي قال هي مئة ألفٍ، أو أكثر، والغرض: الوصف بالكثرة.

٢ ـ العطف البعيد:

قوله ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ ﴾ .. الآية: معطوف على ما قبله، وهو قوله: ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقاً﴾ وقد منع النحاة الفصل بجملة، فما بالك بجمل، بل بسورة، ولكن ما استقبحه النحاة وارد في عطف المفردات، وأما الجمل فلاستقلالها يغتفر فيها، وهذا الكلام لتلاحمه وتعانقه صار بمثابة الجملة الواحدة فانتفى عنه البعد.

٣ ـ خلاصة قصة يونس:

غاضب ذو النون قومه لما لم ينزل بساحتهم العذاب الذي وعدهم به، فذهب مغاضباً وكان من حقه ألا يذهب، فقد كان ضيق العطن، قليل الذرع، ولما ركب السفينة وقفت في لج البحر، فقال ملاحوها: هنا عبد أبق من سيده، تظهره القرعة، وكان من عادتهم: أنَّ السفينة إذا كان منها آبق، أو مذنب لم تسر، وكان ذلك بدجلة؛ لأنه أرسل إلى أهل نينوى من أرض الموصل، فلما ساهم؛ أي: قارع أهل السفينة كان من المغلوبين بالقرعة، فألقوه في البحر، فابتلعه الحوت.. إلى آخر تلك القصة البديعة.

﴿ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْجِنَّةِ ﴾: بكسر الجيم: الملائكة، سموا بذلك لاجتنابهم عن

الأبصار، وفي الأساس: جنه: ستره، فاجتنَّ، واستجن بجُنَّة: استتر بها، واجتن الولد في البطن، وأجنّته الحامل، وحبذا مجن ابن أبي ربيعة.

○ الإعراب:

﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ الفاء: الفصيحة، وائتوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، وبكتابكم: متعلقان به، وإنْ: شرطية، وكنتم: فعل ماض ناقص، والتاء: اسمها، وصادقين: خبرها، وجواب الشرط: محذوف، دل عليه ما قبله. ﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ الواو: استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق للإنحاء عليهم باللائمة، واستركاك عقولهم، بأن مَنْ نسبوهم إلى الله تعالى يعلمون مصائرهم المحزنة. وجعلوا: فعل، وفاعل، والظرف: متعلق بمحذوف مفعول به ثان لجعلوا، وبين الجنة: عطف، ونسباً: مفعول جعلوا الأول، فهي حكاية يجب أن تذيع، وتشيع، لتكون شاهد على حقيقة خبالهم. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ الواو: حالية، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وعلمت الجنة: فعل، وفاعل، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، ومحضرون: خبرها، وإنَّ، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي علمت، وإنَّما كسرت همزتها لدخول اللام في خبرها، والضمير في ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ للكفرة، والمعنى: إنَّهم يقولون ما يقولون في الملائكة، والحال: أنَّ الملائكة عالمون أنَّهم في ذلك القول الهراء كاذبون.

﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ سبحان الله: مفعول مطلق لفعل محذوف، وعما: متعلقان بسبحان، وجملة يصفون: صلة، والعائد: محذوف، والجملة: معترضة، وهي مسوقة لحكاية تنزيه الملائكة الله، سبحانه عما وصفه به المشركون. ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ إلا: أداة استثناء، وعباد الله المخلصين: استثناء منقطع من المحضرين، كأنهم ليسوا منهم، والمستثنى منه إما فاعل جعلوا، وإما فاعل يصفون، وإما ضمير محضرون، أي: لكن عباد الله المخلصين ناجون، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً، واختاره أبو

البقاء، وليس ببعيد ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴾ الفاء: تعليلية، وإنَّ، واسمها، والواو: واو المعية، وما: موصول مفعول معه، وقد سدت مسد خبر إنَّ؛ أي: إنَّكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها، على حد قولك: كل رجل وصنيعته، أي: مقترنان، وسيأتي تفصيل هذه القاعدة في باب الفوائد. وما: نافية حجازية، وأنتم: اسمها، وعليه: متعلقان بفاتنين، والباء: حرف جر زائد، وفاتنين: خبر ما، ويجوز أن تكون ما: معطوفة على اسم إنَّ، وجملة ما أنتم: خبر إنَّ، والمعنى: على هذا: إنَّكم ومعبودكم ما أنتم ولا هو، فغلب المخاطب، يقال: فتن فلان على فلان امرأته، أي: أفسدها عليه، ورجح الزمخشري، والبيضاوي هذا الوجه.

﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ إلا: أداة حصر، ومَنْ: مفعول فاتنين، والاستثناء: مفرغ، ويجوز أن تقدر مفعولاً لفاتنين، أي: أحد، فتكون إلا: أداة استثناء، ومَنْ: مستثنى من المفعول المحذوف، وهو: مبتدأ، وصال: خبر مرفوع بالضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجحيم: مضاف إليه، وقد أفرد حملاً على لفظ مَنْ، كما أفرد هو والجملة صلة الموصول. ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ الواو: استئنافية، وما: نافية، ومنا: خبر مقدم، والمبتدأ: محذوف، أقيمت صفته مقامه، والتقدير: وما منا أحد إلا له مقام معلوم، كقوله:

أنـا ابـنُ جـلا وطـلاعُ الثَّنـايـا متى أضعِ العمامةَ تعرفوني

أي: أنا ابن رجل جلا الأمور. ويجوز أن تكون منا: صفة لمحذوف، هو المبتدأ، والخبر: جملة ﴿ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ وإلا: أداة حصر، وله: خبر مقدم، ومقام: مبتدأ مؤخر، ومعلوم: صفة، وعبارة القرطبي: وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ والتقدير: عند الكوفيين: ومامنا إلا من له مقام معلوم، فحذف الموصول، وهو مَنْ وتقديره عند البصريين، ومامنا ملك إلا له مقام معلوم، أي: مكان معلوم في العبادة.

* الفوائد :

يجب حذف الخبر إذا كان المبتدأ معطوفاً عليه اسم بواو هي نصّ في المعية، نحو: كل رجل وضيعته، أي: حرفته، سميت بذلك لأن صاحبها يضيع فيها، وكل صانع وما صنع، فكل: مبتدأ، وصانع: مضاف إليه، وما صنع: معطوف على المبتدأ، والخبر: محذوف وجوباً، أي: مقترنان، وإنما حذف لدلالة الواو وما بعدها على المصاحبة والاقتران، أما إذا لم يكن هناك نص على المعية فيجوز حذفه، ويجوز ذكره، ومن الثاني قول الفرزدق:

تمنَّوا لي الموت الذي يُشْعِبُ الفتى
وكلُّ امرىءٍ والموتُ يلتقيان

فآثر ذكر الخبر، وهو جملة يلتقيان. ويشعب: يفرق.

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾ الواو: عاطفة، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، ونحن: مبتدأ، أو: ضمير فصل، والصافون خبر نحن، والجملة الاسمية: خبر إنا، أو: الصافون: خبر إنَّا؛ أي: نقف صفاً واحداً في الصلاة، أو: في ساحة الجهاد، ومفعول الصافون: محذوف؛ أي: نصفُّ أقدامنا. ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾ عطف على الآية السابقة. ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وإنْ: مخففة من الثقيلة مهملة، أو: اسمها ضمير

الشأن، وجملة كانوا: خبرها إن أعملت، وكان، واسمها، واللام: الفارقة، وجملة يقولون: خبر كان، وجملة لو، وما في حيزها: مقول قولهم، ولو: شرطية، وإنَّ، وما في حيزها: فاعل لفعل محذوف؛ أي: ثبت، وأنَّ: حرف مشبه بالفعل، والظرف: متعلق بمحذوف خبر أنَّ المقدم، وذكراً: اسمها المؤخر، ومن الأولين: نعت لذكراً. ﴿ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ اللام: واقعة في جواب لو، وكان، واسمها، وعباد الله: خبرها، والجملة: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والمخلصين: نعت لعباد الله. ﴿ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ الفاء: الفصيحة، وكفروا: فعل ماض، وفاعل، والفاء: عاطفة، وسوف: حرف استقبال، ويعلمون: فعل مضارع مرفوع، وفاعل.

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير الوعيد وتصويره بالقسم لتأكيده، والعناية به، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وسبقت: كلمتنا: فعل، وفاعل، ولعبادنا: متعلقان بسبقت، والمرسلين: نعت لعبادنا. ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴾ إنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وهم: مبتدأ، أو: ضمير فصل، والمنصورون: خبر هم، والجملة: خبر إنَّهم، أو: خبر إنَّهم، وضمير الفصل: لا محل له. ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ عطف على نظيرتها الآنفة الذكر.

* **الفوائـد:**

عودة إلى ضمير الفصل:

تقدم في هذا الكتاب بحث ضمير الفصل، ونضيف هنا إلى ما تقدم: أنَّ تسميته ضميراً مجاز؛ لمشابهة صورته، وقد اتفق جمهور البصريين على أنَّه ملغى لا محل له، لكنهم اختلفوا مع ذلك في كونه اسماً، أو: حرفاً، فقال جمهورهم: هو اسم ألغي كما ألغيت أسماء الأفعال، وأل الموصولة، وقال بعضهم: هو حرف، وذلك لاستنكارهم خلو الاسم عن الإعراب لفظاً ومحلاً، ولأن الغرض به دفع التباس الخير الذي بعده بالوصف، وهذا هو

معنى الحرف، يعني: إفادة المعنى في غيره، فلذا صار حرفاً، وانخلع عنه لباس الاسمية نظير كاف الخطاب، فإنه لما تجرد عن معنى الاسمية، ودخل في معنى الحرف، وهو إفادته في غيره، وقيل: له محل من الإعراب، وهو مذهب الكوفيين، ويقولون: هو توكيد لما قبله، فإنَّ ضمير الرفع قد يؤكد به المنصوب، والمجرور، نحو: ضربتك أنت، ومررت بك أنت.

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بِسَاحَتِهِمْ ﴾: بفنائهم، قال الفراء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم، وأصل الساحة: الفناء الخالي من الأبنية، وجمعها: سوح، فألفها منقلبة عن واو، فتصغر: سويحة، والجمع، والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها. وقال الراغب: إنها من ذوات الياء، حيث عدها في مادة سيح، ثم قال الراغب: الساحة المكان الواسع، ومنه: ساحة الدار، والسائح: الماء الجاري في الساحة، وساح فلان في الأرض: مرَّ مرَّ السائح، ورجل سائح، وسياح. وعلى هذا يكون لها مادتان، ولكن كلام الراغب فيه قصور. وفي الأساس ذكرها في مادة سوح، ونص عبارته: عمر الله تعالى بك ساحتك، وتقول: احمرَّ اللّوح، واغبرّت السوح: إذا وقع الجدب، وقال أبو ذؤيب:

وكـانَ سِيَّـان أنْ لايسـرحـوا نَعمـاً

أو يسـرحـوه بهـا واغبـرتِ السُّـوحُ

ولم يذكر في الأساس الساحة في مادة سيح، فهما مادتان، وفي

القاموس أورد الساحة من بنات الواو فقال: الساحة: الناحية، وفضاء بين دور الحي، والجمع: ساحٌ، وسُوحٌ، وساحات. ولم يذكرها في مادة ساح، يسيح، سيحاً، وسيحاناً... الخ.

○ الإعراب:

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إن تبينت حقيقة أمرهم فتول عنهم، وتول: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، أي: أعرض عنهم، والفاعل، ضمير مستتر، تقديره: أنت، وعنهم: متعلقان بتول، وحتى: حرف غاية وجر، وحين: مجرور بحتى، والجار والمجرور: متعلقان بتول. ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ الواو: عاطفة، وأبصرهم: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به، أي: إذا نزل بساحتهم العذاب، والفاء: رابطة لجواب الطلب، وسوف: حرف استقبال، ويبصرون: فعل مضارع، وفاعل، والمفعول به: محذوف؛ أي: ما يحيق بهم جزاء كفرهم. ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام، ومعنى الاستفهام هنا: التهديد، والوعيد، والفاء: عاطفة على محذوف يقدر بحسب المقام، وبعذابنا: متعلقان بيستعجلون، ويستعجلون: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل. ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، ونزل: فعل ماض، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: هو، أي: العذاب، وبساحتهم: متعلقان بنزل، والفاء: رابطة لجواب إذا، وساء: فعل جامد لإنشاء الذم، وصباح المنذرين: فاعل، والمخصوص بالذم محذوف، تقديره: صباحهم، وقيل: إن ضمير ساء يعود على المخصوص، وإنَّ التمييز محذوف، وإنَّ المذكور مخصوص لا فاعل، وسيأتي المزيد من هذا البحث.

﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ عطف على ما تقدم، وقد سبق إعراب هذه الآية المكررة. ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ تقدم إعرابها، وحذف مفعول أبصر اختصاراً لدلالة الأول عليه. ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ سبحان

ربك: مفعول مطلق لفعل محذوف، ورب العزة: بدل، وعما: متعلقان بسبحان، وجملة يصفون: صلة ما. ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ سلام: مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى الدعاء، وعلى المرسلين: خبر. ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الحمد: مبتدأ، ولله: خبر، ورب العالمين: بدل، أو: صفة.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ استعارة تمثيلية، فقد شبه العذاب النازل بهم ـ بعد ما أنذروا به فلم يبالوا الإنذار، وأصموا آذانهم عنه ـ بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم، فلم يكترثوا لإنذاره، ولم يتخذوا الأهبة والاحتياط، وما عسى أن ينجيهم من هول الكارثة، ويمكنهم من تفادي ويلاتها الطارئة، وإنما خصص الصباح لأنه كان من عادة مساعيرهم وكماتهم الإغارة، فسميت الغارة: صباحاً لأنها تقع فيه عادة، ولهذا استفصح العرب هذه الآية.

* الفوائد:

كل فعل ثلاثي؛ متصرف؛ تام؛ مثبت؛ قابل للتفاوت؛ مبني للمعلوم؛ وليس الوصف منه على وزن أفعل فعلاء؛ صالح للتعجب منه، فإنه يجوز استعماله على فعل بضم العين إما بالأصالة، كظرف، وشرف، أو بالتحويل بأن يكون في الأصل مفتوح العين، كضرب، وقتل، أو مكسورها، كعلم، وفهم بضم العين فيهن، وإنما حولت لتلحق بأفعال الغرائز، ولتصير قاصرة وجامدة، ثم يجري حينئذ مجرى نعم وبئس في إفادة المدح والذم، وفي حكم الفاعل وحكم المخصوص، تقول في المدح: فهم الرجل زيد، وفهم رجلاً زيد، وفي الذم: خبث الرجل عمرو، وخبث رجلاً عمرو، ومن أمثلته: ساء، فإنه في الأصل سوأ بالفتح من السوء ضد السرور، من: ساءه الأمر يسوءه: إذا أحزنه، فهو متعدٍّ، متصرّف، فحوّل إلى فعل بالضم،

فصار قاصراً، ثم ضمن معنى بئس، فصار جامداً قاصراً محكوماً لفاعله بما يحكم لفاعل بئس، تقول: ساء الرجل زيد، وفي التنزيل ﴿ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ومما يحتمل الفاعلية والتميز ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ وقد تقدم بحثه.

* * *

سورة ص

آياتها ٨٨ — ترتيبها ٣٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ۝١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ۝٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن
قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣ وَعَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ
هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ ﴾ ص: تقدم القول فيها مفصلاً، وسيرد مزيداً منه في باب الفوائد. والواو: حرف قسم، والقرآن: مجرور بواو القسم، والجار والمجرور: متعلقان بفعل القسم المحذوف، وجواب القسم: محذوف على الأرجح، تقـديره: إنه لمعجز، أو: لقد جاءكم الحق، وسيرد المزيد من إعراب هذه الآيـة وما قيل فيها، وذي الذكر: نعت للقرآن، ومعنى الذكر: البيان، أو: الشرف، أو: الموعظة، والذكرى، وكلها صحيح. ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ بل: حرف عطف وإضراب انتقالي، والذين: مبتدأ، وكفروا: صلته، وفي عزة: خبره، وشقاق:

عطف على عزة؛ أي: تكبر، وتجبر، وشقاق؛ أي: امتناع عن قبول الحق. ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ كم: خبرية في محل نصب مفعول مقدم لأهلكنا، وأهلكنا: فعل، وفاعل، ومن قبلهم: متعلقان بأهلكنا، ومن قرن: تمييز كم الخبرية، والمراد بالقرن: الأمة، فنادوا: الفاء: عاطفة، ونادوا: فعل ماض، والواو: فاعل، والواو: حالية، ولات: حرف مشبه بليس، وسيأتي القول عنها وعن التاء المتصلة بها مفصلاً في باب الفوائد، واسمها: محذوف، تقديره: الحين، وحين مناص: خبرها؛ أي: نجاة.

﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ الواو: عاطفة، وعجبوا: فعل ماض، والواو: فاعل، وأنْ: مصدرية، وهي مع مافي حيزها: مصدر منصوب بنزع الخافض، أيْ: عجبوا من مجيء منذر، ومنذر: فاعل مؤخر، ومنهم: نعت لمنذر، والواو: حرف عطف، وقال الكافرون: فعل، وفاعل، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً للكفر عليهم، وإمعاناً في الغضب عليهم، وإشعاراً بأن كفرهم حداهم إلى هذا القول، وهذا: مبتدأ، وساحر: خبر، وكذاب: خبر ثان، أو: نعت لساحر. ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ الهمزة: للاستفهام التعجبي، أي: تعجبوا من هذا الحصر؛ لأنهم قاسوا الغائب على الشاهد جهلاً منهم، وارتطاماً بسوء الغفلة، وجعل: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، والآلهة: مفعول به أول، وإلهاً: مفعول به ثان، وواحداً: صفة، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وشيء: خبرها، وعجاب: صفة لشيء. قال الجوهري: العجيب: الأمر الذي يتعجب منه، وكذلك العجاب بالضم، والعجاب بالتشديد أكثر منه.

* الفوائد:

١ ـ جواب القسم المحذوف وتقديره:

تقدم القول مفصلاً في فواتح السور، ورجحنا: أنَّها خبر لمبتدأ

محذوف؛ أي هذه صاد. وأما جواب القسم: فقد اختلفوا فيه كثيراً، وأصح ما رأيناه: هو أنه محذوف، وقد اقتصر عليه الزمخشري والبيضاوي، قال الحوفي تقديره: لقد جاءكم الحق، وقال ابن عطية: تقديره: ما الأمر كما تزعمون، وقال الزمخشري: تقديره: إنه لمعجز.

٢ ـ القول في لات:

لات: هي إحدى الحروف العاملات عمل ليس، وهي: ما، ولا، ولات، وإنْ لشبهها بها في النفي، وأما لات فأصلها: لا النافية، ثم زيدت عليها التاء لتأنيث اللفظ، أو: للمبالغة في معناه، وخصت بنفي الأحيان، وزيادة التاء هنا أحسن منها في ثمت، وربت؛ لأن لا محمولة على ليس، وليس تتصل بها التاء، ومن ثم لم تتصل بلا المحمولة على إنْ، وهي كلمتان عند الجمهور: لا النافية، وتاء التأنيث، وحركت لالتقاء الساكنين، وقال أبو عبيدة، وابن الطراوة: كلمة، وبعض كلمة، وذلك: أنَّها لا النافية، والتاء الزائدة في أول الحين، وقيل: كلمة واحدة، وهي فعل ماض، وعلى هذا: هل هي ماضي يليت بمعنى ينقص، استعملت للنفي، أو: هي ليس بكسر الياء، قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وأبدلت السين تاء قولان حكاهما في المغني، وعملها إجماع من العرب، وله شرطان: كون معموليها اسمي زمان، وحذف أحدهما، والغالب في المحذوف هو الاسم، نحو: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي: ليس الحين حين فرار، ومن القليل قراءة بعضهم برفع الحين على أنَّه اسمها، وخبرها: محذوف، أي: ليس حين فرار حيناً لهم، وقرىء أيضاً: (ولات حِيْنِ مناص) بخفض حين، فزعم الفراء: أنَّ لات تستعمل حرفاً جاراً لاسم الزمان خاصة، كما أن مذ ومنذ كذلك. وقد جرى المتنبي على هذا القول بقوله:

لقـدْ تصبَّـرْتُ حتَّـى لاتَ مصطبـرِ
فـالآن أقحـمُ حتَّـى لات مقتحـمِ

قال أبو البقاء: والجر به شاذ، وقد جر به العرب، وأنشدوا:

طلبُــــوا صُلْحَنــــا ولاتَ أوانِ
فـــأجَبْنـــا أنْ حيـــنِ بقـــاءِ

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ۝٨ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ۝٩ أَمۡ لَهُم مُّلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ فَلۡيَرۡتَقُواْ فِي ٱلۡأَسۡبَٰبِ ۝١٠ جُندٞ مَّا هُنَالِكَ مَهۡزُومٞ مِّنَ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝١١﴾

○ الإعـراب:

﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾ الواو: عاطفة على محذوف، سيأتي تقديره في باب الفوائد، ويجوز أن تكون استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق لتقرير تآمرهم بعد انصرافهم من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب. وانطلق الملأ: فعل، وفاعل، ومنهم: حال، وأن: مصدرية، وهي مع ما بعدها: في تأويل مصدر مقول قول محذوف، أي: انطلقوا بقولهم: أن امشوا، ورجح الزمخشري أن تكون مفسرة لانطلقوا؛ لأنه متضمن معنى القول، قال الزمخشري: لأن المنطلقين من مجلس التقاول لابد لهم أن يتكلموا، ويتفاوضوا فيما جرى لهم. وعلى كل هي في موضع نصب على الحال أيضاً، والمعنى: انطلقوا حال كونهم قائلين بعضهم لبعض، ويجوز أن تكون مصدرية منصوبة هي ومدخولها بنزع الخافض، أي: بأن امشوا، واصبروا: عطف على امشوا، وعلى آلهتكم: متعلقان باصبروا على حذف مضاف، أي: على عبادتها، أي: ليس لكم يدان في مغالبة محمد، فما لكم إلا الصبر. وليس المراد بالانطلاق هنا: المشي، بل انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام، كما أنه ليس المراد: المشي المتعارف، بل الاستمرار على الشيء.

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ الجملة: تعليل للأمر بالصبر، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وشيء: خبرها، وجملة يراد: صفة لشيء. ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ ما: نافية وسمعنا: فعل، وفاعل، وبهذا: متعلقان بسمعنا، والإشارة إلى التوحيد الذي يدعو إليه محمد، وفي الملة: حال من هذا، والآخرة: نعت، والمراد بها: ملة عيسى عليه السلام: وإن: نافية، وهذا: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، واختلاق: خبر هذا، أي: افتعال ومحض كذب. ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، وأنزل؛ فعل ماض مبني للمجهول، وعليه: متعلقان بأنزل، والذكر نائب فاعل، ومن بيننا: حال، فهم أنكروا أن يتميز محمد ﷺ بهذا الشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم، وقد كرروا هذا المعنى كثيراً، فقالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ قالوا ذلك، ورددوه مراراً تنفيساً عن الغيظ الذي تجيش به نفوسهم، والموجدة التي تعتلج في ضمائرهم.

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾ بل: إضراب انتقالي عن مقدر، فكأنه قال: إنكارهم للذكر ليس عن علم، بل هم في شك منه. وهم: مبتدأ، وفي شك: خبر، ومن ذكري: نعت لشك، وبل: إضراب انتقالي أيضاً، مسوق لبيان سبب الشك الـذي ترسّب في ضمـائرهم، وهو: أنهم لمّا يذوقوا العذاب، ولو أنهم ذاقوه، وعانوا بلاءه، وكابدوا هوانه؛ لصدقوا، ولمـا لجؤوا إلى مدافعة اليقين بالشك. ولما: حرف نفي، وجزم، ويذوقوا: فعل مضارع مجزوم بلما، والواو: فاعل، وعذاب: مفعول به، وعلامة نصبـه: فتحـة مقـدرة على ما قبل يـاء المتكـلم المحذوفة لمراعاة الفواصل. ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾ أم: حرف عطف بمعنى بل، فهي منقطعة، وعندهم: ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وخزائن رحمة ربك: مبتدأ مؤخر، والعزيز الوهاب: صفتان لربك.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أم: حرف عطف بمعنى بل، وعبارة الزمخشري والبيضاوي متشابهة، قال البيضاوي: كأنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته؛ بأنه ليس عندهم خزائن رحمته؛ التي لا نهاية لها؛ أردف ذلك بأنه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني؛ الذي هو جزء يسير من خزائن رحمته، فمن أين لهم أن يتصرفوا بها؟. ولهم: خبر مقدم، وملك السموات والأرض: مبتدأ مؤخر، وما: عطف على السموات والأرض، والظرف: متعلق بمحذوف صلة ما. ﴿فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: هي جواب شرط مقدر، تقديره: إن زعموا ذلك فليصعدوا في المعارج الموصلة إلى العرش حتى يستووا عليه، واللام: لام الأمر، ويرتقوا: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، وفي الأسباب: متعلقان بيرتقوا.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ اختلف المعربون في إعراب هذه الآية اختلافاً كثيراً؛ لأنها تحمل عدة وجوه، نورد أهمها فيما يلي:

جند: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم جند، وما: نكرة تامة صفة لجند على سبيل التحقير؛ أي: هم جند حقير، فإن ما إذا كانت صفة تستعمل للتعظيم أو التحقير، والثاني هو المراد، ولك أن تعربها زائدة، وهنالك: اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية، وتعلق بمحذوف صفة لجند، ومهزوم: نعت ثالث لجند، أو: خبر ثان لمبتدأ المحذوف، ويجوز أن يكون جند مبتدأ ساغ الابتداء به لوصفه، وهنالك: خبره، واختار هذا الوجه أبو البقاء، وسنورد لك عبارته في باب الفوائد، ومن الأحزاب: جار ومجرور متعلقان بمهزوم.

* الفوائـد:

١ ـ الفرق بين لمّا ولم:

ونثبت هنا الفرق الدقيق بين لمّا ولم، وبه يتبين لماذا أوثرت لمّا في قوله

﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ فهما تشتركان في أمور، وهي: الحرفية، والاختصاص بالمضارع، والنفي، والجزم، والقلب للمضي، وجواز دخول همزة الاستفهام عليهما، وتنفرد لم عن لمّا بمصاحبة أداة الشرط، نحو ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ لأن الشرط يليه مثبت لم، ولا يليه مثبت لمّا، وتنفرد لم عن لما أيضاً بجواز انقطاع نفي منفيها، نحو: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ لأن المعنى: أنَّه قد كان بعد ذلك شيئاً مذكوراً، وتنفرد لمّا عن لم بجواز حذف مجزومها، كقاربت المدينة ولما، أي: ولمّا أدخلها، ولا يجوز ذلك في لم، وحملوا قول إبراهيم بن علي بن محمد الهرمي على الضرورة وهو:

احفظْ وديعتَك التي استودعتها
يوم الأعازب إنْ وصلت وإنْ لم

أي: وإن لم تصل، وتنفرد لما عن لم أيضاً بتوقع ثبوت منفيها، كقوله تعالى: ﴿ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ ﴾ أي: إلى الآن ما ذاقوه، وسوف يذوقونه، وفرق سيبويه بينها وبين لم في هذا الصدد: بأن لم: نفي لفعل يتوقع وجوده لم يقبل مثبته قد، ولما: نفي لما يتوقع وجوده أدخل على مثبته قد، ومن الفرق الدقيق أنه لا يجوز أن تقول: الحجر لم يتكلم، ويجوز أن تقول: الحجر لا يتكلم؛ لأنه ما بعد لم يفيد التوقع، وذلك مستحيل.

٢ ـ قصة إسلام عمر:

يروي التاريخ: أن هذه الآيات نزلت بعد إسلام عمر، ولإسلام عمر قصة محبوكة الحلقات فيها متعة، وفيها طرافة، ولكن لها روايات كثيرة وطرقاً مختلفة، نجتزىء منها برواية عطاء ومجاهد التي نقلها ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجيح، وهي تذكر: أن عمر قال: كنت للإسلام مباعداً، وكنت صاحب خمر في الجاهلية، أصبها وأشربها، وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش، فخرجت أريد جلسائي أولئك، فلم أجد منهم أحداً فقلت لو أنني جئت فلاناً الخمار، فجئته فلم أجده، قلت لو أنني جئت

الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين، فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فإذا رسول الله ﷺ، قائم يصلي، وكان إذا صلى استقبل الشام، وجعل الكعبة بينه وبين الشام، واتخذ مكانه بين الركنين: الركن الأسود والركن اليماني، فقلت حين رأيته: والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول، وقام بنفسي أنني لو دنوت منه أسمع لأروعنه، فجئت من قبل الحجر، فلما سمعت القرآن رقَّ قلبي، فبكيت ودخلني الإسلام. ولما أسلم عمر شقَّ ذلك على قريش، فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم، فأتوا أبا طالب، فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ـ يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك! فأحضره وقال له: يابن أخي! هؤلاء قومك يسألونك السواء والإنصاف، فلا تمل كلّ الميل على قومك، فقال النبي: «ماذا تسألونني»؟ فقال: ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا، وندعك وإلهك، فقال: «أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيَّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم»؟ قالوا: نعم، وعشر أمثالها. فقال: «قولوا: لا إله إلا الله»! فقاموا، وانطلق الملأ منهم. وقد تبين بذلك العطف الذي ألمعنا إليه في إعراب ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾. الخ.

٣ ـ نص عبارة أبي البقاء:

وعدناك بنقل نص عبارة أبي البقاء في إعراب قوله ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ قال: جند: مبتدأ، وما: زائدة، وهنالك: نعت، ومهزوم: الخبر، ويجوز أن يكون هنالك: ظرفاً لمهزوم، ومن الأحزاب: يجوز أن يكون نعتاً لجند، وأن يتعلق بمهزوم، وأن يكون نعتاً لمهزوم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا

يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾﴾

☆ اللغة:

﴿ٱلۡأَوۡتَادِ﴾ : في المصباح: الوتد بكسر التاء في لغة الحجاز، وهي الفصحى، وجمعه: أوتاد، وفتح التاء لغة، وأهل نجد يسكنون التاء، فيدغمون بعد القلب، فيبقى ودّ، ووتدت الوتد، أتده، وتداً، من باب: وعد: أثبته بحائط، أو بالأرض، وأوتدته بالألف لغة. وفي الأساس: ضرب الوتد، والودّ، والأوتاد، بالميتدة، ويقال: تدْ وتدك، وأوتده، وانتصب كأنه وتد، وهو «أذل من وتد» ووتد واتد: ثابت، ومن المجاز: وتد الله الأرض بالجبال، وأوتدها، ووتّدها، والجبال أوتاد الأرض، وقيل لأعرابي: ما النطشان؟ فقال: يوتد العطشان، وروي: شيء نتد به كلامنا. وفي القاموس: الوتد بالفتح والتحريك، وككتف: مارُزَّ في الأرض، أو الحائط من خشب، وما كان في العروض على ثلاثة أحرف، كعلى، والهنيّة الناشزة في مقدّم الأذن، والجمع: أوتاد، ووتدٌ واتدٌ: تأكيد، وأوتاد الأرض: جبالها، ومن البلاد: رؤساؤها، ومن الفم: أسنانه.

﴿لۡـَٔيۡكَةِۚ﴾ : الغيضة، والأشجار الملتفة المجتمعة، وقد تقدم القول فيها مبسوطاً.

﴿فَوَاقٖ﴾ : بفتح الفاء، وضمها: أي رجوع، وقد قرىء بهما معاً، فقيل هما لغتان بمعنى واحد، وهو الزمان الذي بين حلبتي الحالب، ورضعتي الراضع، والمعنى: مالها من توقف قدر فواق ناقة، وفي الحديث: «العيادة قدر فواق ناقة» وفي المختار: الفواق: الزمن الذي بين الحلبتين؛ لأنها تحلب، ثم تترك ساعة يرضعها الفصيل لتدر، ثم تحلب، يقال: ما أقام عنده إلا فواقاً، وفي الحديث: «العيادة قدر فواق ناقه» وقوله تعالى: ﴿مِن فَوَاقٖ﴾ يقرأ بالفتح، أي: مالها من نظرة، وراحة، وإفاقة» وعبارة الزمخشري في الكشاف: ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ وقرىء بالضم: مالها من توقف مقدار فواق وهو

ما بين حلبتي الحالب، ورضعتي الراضع، يعني: إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان، كقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ وعن ابن عباس: مالها من رجوع وترداد، من: أفاق المريض: إذا رجع إلى الصحة، وفواق الناقة: ساعة ترجع الدرّ إلى ضرعها، يريد أنها نفخة واحدة فحسب، لا تثنى ولا تردد. ولهذه المادة خصائص عجيبة، أنها تتوزع على أنحاء شتى من المعاني، وها نحن أولاء ننقل لك خلاصة ما ورد في اللسان والأساس منها: ما بقي في كنانتي إلا سهم أفوق، وهو الذي في إحدى زنمتيه كسر، أو ميل، وفوّق السهم: جعل الوتر في فوقه عند الرمي، وتقول: لا زالت للخير موفقاً، وسهمك في الكرم مفوّقاً، وفوّقه: جعل له فوقاً، وفاقه كسر فوقه، وفاق قومه: فضلهم، ورجل فائق في العلم، وهو يتفوق على قومه، وفوقته عليهم: أفضلته، وأفاق فلان من المرض، واستفاق، وفلان مدمن لا يستفيق من الشراب، وتفوّق الفصيل أمه رضعها فواقاً فواقاً، وفوّقه الراعي. ومن المجاز: تفوقت الماء: شربته شيئاً بعد شيء، وتفوّقت مالي: أنفقته على مهل، قال:

تفـوَّقْـتُ مـالـي مـن طـريـفٍ وتـالـد
تفـوّقـي الصَّهبـاء مِنْ حلـب الكـرم

وتفوقت وردي: أخذته قليلاً قليلاً، وأتيته فيقةَ الضُّحى، وميعته، وخرجنا بعد أفاويق من الليل، ومجت السحابة أفاويقها، وأرضعني أفاويق بره، وفوّقني الأماني، وما أقام عنده إلا فواق ناقة، وفيقة ناقة. ولعل في هذا غنية.

○ الإعراب:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير أحوال الطغاة، وبيان مصائر العتاة. وكذبت: فعل ماض، وقبلهم: ظرف متعلق بكذبت، وقوم نوح: فاعل، وعاد: عطف على قوم نوح، وفرعون: عطف أيضاً، وذو الأوتاد: أي ذو الملك الثابت، وسيأتي ذكر

استعارة الأوتاد في باب البلاغة. ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ عطف أيضاً، وأولئك الأحزاب: لك أن تجعل اسم الإشارة: بدلاً مما قبله، والأحزاب: بدل منه، وإما أن تجعلها جملة مستقلة مؤلفة من مبتدأ، هو: اسم الإشارة، والأحزاب: خبره. ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ إن: نافية لا عمل لها، لانتقاض النفي بإلا، وكل: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وجملة كذب الرسل: خبر كل، فحق: الفاء: حرف عطف، وحق: فعل ماض، وعقاب: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة لمراعاة الفواصل. ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ الواو: إستئنافية، والكلام مستأنف مسوق لتقرير عقاب كفار مكة بعد بيان عقاب من سبقوهم في الغواية. وما: نافية، وينظر: فعل مضارع، أي: ينتظر، وهؤلاء: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع فاعل، وإلا: أداة حصر، وصيحة: مفعول به، وواحدة: صفة لها، وما: نافية حجازية، أو تميمية، ولها: خبر مقدم، ومن: حرف جر زائد، وفواق: اسم مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنَّه اسم ما، أو: مبتدأ مؤخر.

□ البلاغة:

في قوله «ذو الأوتاد» استعارة تصريحية، أي: ذو الملك الثابت الموطَّد، وأصله: من ثبات البيت المطنب بأوتاده، قال الرفادة الأودي:

البيــتُ لا يُبتنــى إلا علــى عُمُــدٍ
ولا عمــادَ إذا لــمْ تُــرْسَ أوتــادُ

يقول: لا ينال الأمر إلا بتوفر أسبابه، شبه توقف الأمر على أسبابه، وتوقف أسبابه على أسبابه، بتوقف ضرب الخيمة على انتصاب الأعمدة، وتوقف انتصابها على إثبات الأوتاد المشدودة بالحبال وبعده:

فــإنْ تُجمــع أسبــابٌ وأعمــدةٌ
وسـاكـنٌ بلغـوا الأمـرَ الـذي كـادوا

ثم قال: فإن اجتمعت الحبال المشدودة بالأوتاد الثابتة، وانتصبت الأعمدة، ووجد الساكن، بلغ مراده، وهو بمعنى الجمع، فصح جمع ضميره، ومعنى كادوا: عالجوا، يقال: كاده كيداً، أي: عالجه علاجاً، والمعنى بلغوا الأمر الذي كادوه، أي: عالجوه لتحصيله. وقال الأسود بن يعفر:

ماذا أومِّلُ بعد آل محرقٍ ... تركوا منازلهم وبعد إيادِ
جرت الرياحُ على مقرِّ ديارهم ... فكأنَّهم كانوا على ميعادِ
ولقد غَنوا فيها بأنعم عيشةٍ ... في ظلِّ ملكٍ ثابتِ الأوتاد
فإذا النعيمُ وكلُّ ما يُلهى به ... يوماً يصير إلى بلىً ونفادِ

يقول: لا أتمنى بعدهم شيئاً من الدنيا. ومحرق: هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي، والإياد في الأصل: تراب يجمع حول الحوض والبيت يحفظه من المطر والسيول، من: الأيد، أي: القوة، أو هو: ما أيد به الشيء مطلقاً، والكنف، والجبل الحصين، وإياد الجيش: جناحاه أي: ميمنته وميسرته، والأيّد: القوي، وإياد هنا: علم على ابن نزار بن معد بن عدنان، فهو أخو مضر وربيعة، وأراد به في البيت: القبيلة، وروي: وآل إياد عطفاً على آل محرق، وغني بالمكان، كرضي: أقام به والبلى: الانمحاق، والنفاد: الفناء؛ يقول: تركوا منازلهم، وهي جملة مستأنفة لبيان نفي التأميل، أو: اعتراضية بين المتعاطفين، وجملة: جرت الرياح مستأنفة مسوقة بيان حال القبيلتين يقول: تفانوا فجرت الرياح على محل ديارهم، وجريان الرياح على مقر الديار لانهدام الجدران التي كانت تمنع الرياح، وذلك كناية عن موتهم، وأشار إلى أن فناءهم كان سريعاً، كأنه دفعة واحدة بقوله: فكأنهم كانوا على ميعاد واحد، ولقد أقاموا ردحاً من الزمن بأرغد عيش، وشبه الملك الذي به عزهم وصولتهم بخيمة مضروبة عليهم، والظل: ترشيح، والأوتاد: تخييل، وإذا: فجائية، أي: فظهر بغتة: أنَّ كل نعيم لا محال زائل.

هذا وقيل لا استعارة في الآية، وأن فرعون كان يَتِدُ لِكُلِّ من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه، ورجليه، ويعذبه حتى يموت، والأول أولى وأبلغ.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿قِطَّنَا﴾: نصيبنا، وحظنا من العذاب، وأصله: من: قطَّ الشيء، أي: قطعه، ومنه: قط القلم، قالوا ذلك استهزاء، أي: عجل لنا قطعة مما وعدتنا به، ويطلق على الصحيفة، والصك: قط؛ لأنهما قطعتان، وقيل للجائزة: قط؛ لأنها قطعة من العطية، ويجمع على قطوط، مثل: حمل، وحمول، وعلى قططة، مثل: قرد، وقردة، وقرود، وفي القلة على أقططة، مثل: قدح، وأقدحة، وأقداح، وفي القاموس: القط: القطع عامة، أو عرضاً، أو قطع شيء صلب، كالحقة، كالاقتطاط، والقصير الجعد من الشعر، كالقطط محركة، وقد قطط كفرح، وقد قطّ، يَقَطُّ، كَيَمَلُّ، قططاً محركة، وقطاطة، والقطّاط: الخراط، صانع الحقق. إلى أن يقول: والقط بالكسر: النصيب، والصك، وكتاب: المحاسبة، وجمعه: قطوط، والسنور، وجمعه: قطاط، وقططه، والساعة من الليل. وقال أبو عبيدة والكسائي: القط: الكتاب بالجوائز، وقال الأعشى:

ولا الملكُ النُّعمانُ يومَ لقيتُه ... بغبطته يُعطي القطوط ويأفِقُ

○ **الإعراب:**

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لسرد

أنماط من تمحلهم، واستهزائهم، بعد أن نزل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾.. الآية، وقالوا: فعل، وفاعل، وربنا: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وعجّل لنا: فعل أمر، ولنا: متعلقان به، وفاعله: مستتر وجوباً، تقديره: أنت، وقطنا: مفعول به، وقبل يوم الحساب ظرف متعلق بعجل أيضاً، أو: بمحذوف حال. ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ اصبر: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وعلى ما يقولون: متعلقان باصبر، وجملة يقولون: صلة، والعائد محذوف، أي: يقولونه، واذكر: عطف على اصبر، أي: تأسَّ بقصة داود ومنِّ نفسك عن إهمال أمر مصابرتهم، وتحمل أذاهم، لئلا يستهدف لما استهدف له، وعبدنا: مفعول به، وداود: بدل، وذا الأيد: نعت لداود، أي: صاحب القوة، وقد تقدم شرح اليد، وجملة إنه أواب: تعليل لكونه من أصحاب الأيد، أي راجع إلى مرضاة الله، وإنَّ، واسمها، وخبرها.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة سخرنا الجبال: من الفعل، والفاعل، والمفعول: خبر إنا، وجملة يسبحن: حالية من الجبال، وسيأتي سر العدول عن مسبحات إلى يسبحن في باب البلاغة، وبالعشي: متعلقان بيسبحن، والإشراق: عطف على بالعشي، أي: غدوة وعشية، وسيأتي حديث ابن عباس عن العشي والإشراق في باب البلاغة أيضاً. ﴿وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ والطير: عطف على الجبال، أو: مفعول به لفعل محذوف، دل عليه ما قبله، أي: وسخرنا الطير، ومحشورة: حال، أي: مجموعة تسبح له، وكل: مبتدأ، وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم؛ أي: كل من الجبال والطير، وله: جار ومجرور متعلقان بأواب، وأواب: خبر كل، أي: رجاع مبالغة آيب، أي: راجع له بالتسبيح. ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ وشددنا ملكه: فعل، وفاعل، ومفعول به، أي: قويناه بالجنود والحرس، وآتيناه: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والحكمة: مفعول به ثان، وفصل

الخطاب: عطف على الحكمة، وسيأتي معنى فصل الخطاب في باب البلاغة.

□ **البلاغة:**

انطوت في هذه الآيات فنون متعددة تبهر السامعين وإليك التفصيل.

١ ـ العدول عن الاسمية إلى الفعلية:

في قوله ﴿يسبحن﴾ عدول عن الإسم إلى الفعل، والنكتة فيه الدلالة على التجدد والحدوث شيئاً بعد شيء، وحالاً بعد حال، وكأن السامع حاضر تلك الحال يسمع تسبيحها، ومثله قول الأعشى:

لعمري لقدْ لاحتْ عيونٌ كثيرة
إلى ضوءٍ بالیفاع تحرَّق

ولو قال: محرقة لم يكن له ذلك الوقع.

٢ ـ الطباق:

وفي قوله: ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ طباق بديع بين صلاة العشاء وصلاة الضحى، وروي عن ابن عباس: أنَّه قال: كنت أمرُّ بهذه الآية: ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ ولا أدري ما هي، حتى حدثتني أم هانيء أنَّ رسول الله ﷺ دخل عليها، فدعا بوضوء، فتوضأ، ثم صلى صلاة الضحى، وقال: يا أم هانيء هذه صلاة الإشراق. وعن طاوس عن ابن عباس أيضاً: قال: هل تجدون ذكر الضحى في القرآن؟ قالوا: لا، فقرأ: ﴿إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ﴾ وعنه أيضاً: ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية.

٣ ـ معنى فصل الخطاب:

الفصل: التمييز بين الشيئين، وقيل للكلام المبين: فصل، بمعنى المفعول، وأصله: أنَّهم يقولون كلام ملتبس، وفي كلامه لبس، والملتبس: المختلط الذي لا يبين لتداخله، أو معاظلته، فقيل في نقيضه: كلام فصل، أي: مفصول بعضه عن بعض، وملخصه: أن لا يخطيء مظان

الوصل والفصل، فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه، ولا يتلو قوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ إلا موصولاً بما بعده، ولا ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ﴾ حتى يصله بقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ ونحو ذلك، وكذلك مظان العطف، وتركه، والإضمار، والاظهار، والذكر، والحذف، والتكرار، وغير ذلك من الفنون التي مرَّ بك معظمها في هذا الكتاب، ويجوز أن يكون الفصل بمعنى الفاعل، أي: الفاصل بين الحق والباطل، وبين الصحيح والفاسد، وبين السمين والغث.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾: قصدوا سوره، ونزلوا من أعلاه، والسور: الحائط المرتفع، والمحراب: سبق تفسيره، والخصم: المخاصم، والمنازع، وقد يقع للاثنين، والجمع، والمؤنث، فيقال: هما خصم، وهم خصم، وهي خصم؛ لأنه مصدر في أصله، وقد تقدم له نظير، وهو ﴿ضَيْفِ﴾ في قوله: ﴿حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾.

﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ ولا تجر، وهو بضم التاء، وسكون الشين، وكسر الطاء الأولى، من: أشطط، يشطط، إشطاطاً: إذا تجاوز الحد، قال أبو عبيدة:

شططت في الحكم، وأشططت فيه: إذا جرت، فهو مما اتفق فيه فعل، وأفعل.

﴿سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾: وسط الطريق الصواب، ومحجته.

﴿أَكۡفِلۡنِيهَا﴾: اجعلني كافلها، والمراد: ملكنيها، وفي المختار: كفل عنه بالمال لغريمه، وأكفله المال: ضمنه إياه، وكفله إياه بالتخفيف، فكفل، هو من باب: نصر، ودخل، وكفله إياه تكفيلاً مثله.

﴿وَعَزَّنِي﴾: وغلبني في الجدال، وأتى بحجاج لا أقدر على رده، وفي المختار: وعز عليه: غلبه، وبابه: رد، وفي المثل «من عزَّ بزَّ» أي: من غلب سلب، والاسم: العزة، وهي القوة، والغلبة وعزه في الخطاب وعازه: أي غلبه. وقال مجنون ليلى:

قطاةٌ عزَّها شِرْكٌ فباتتْ تُجاذِبُه وقَدْ عَلِقَ الجناح

وقبله:

كأنَّ القلبَ ليلةَ قِيْل يُغْدَى بليلى العامرية أو يُراح

شبه قلبه حين سمع برحيلها بحمامة أمسك الشِّرك جناحها في كثرة الخفقان.

﴿ٱلۡخُلَطَآءِ﴾: الشركاء الذين خلطوا أموالهم، الواحد: خليط. هذا وقد أوردت معاجم اللغة للخليط عدة معان؛ منها: المخالط، والمشارك، والقوم الذين أمرهم واحد، والزوج، والجار، والصاحب، وخليط الرجل: مخالطه، كالجليس: المجالس.

○ الإعراب:

﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لإيراد قصة داود، وهل: حرف استفهام، معناه: التعجب، والتشويق إلى استماع ما يرد بعده، كما تقول لمن تخاطبه: هل تعلم ما وقع اليوم، ثم تذكر له ما وقع، وأتاك نبأ الخصم: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر،

وإذ: ظرف لمضاف محذوف، أي: نبأ تخاصم الخصم إذ تسوروا، وعبارة الزمخشري: فإن قلت: بم انتصب إذ؟ قلت: لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك، أو بالنبأ، أو بمحذوف، فلا يسوغ انتصابه بأتاك؛ لأن إتيان النبأ رسول الله لا يقع إلا في عهده، لا في عهد داود، ولا بالنبأ؛ لأن النبأ واقع في عهد داود، فلا يصح إتيانه رسول الله ﷺ، وإن أردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصباً، فبقي أن يكون منصوباً بمحذوف، وتقديره: وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ، ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل. وجملة تسوروا: مضاف إليها الظرف، وتسوروا: فعل ماض، وفاعل، والمحراب: مفعول به.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ إذ: بدل من إذا الأولى، وجملة دخلوا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعلى داود: متعلقان بدخلوا، والفاء: عاطفة، وفزع: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، ومنهم: متعلقان بفزع. ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ الجملة مستأنفة، مسوقة للرد على سؤال نشأ من حكاية فزعه؛ كأنه قيل: فماذا قالوا لما شاهدوا أمارات الفزع مرتسمة على وجهه، فقال: قالوا. ولا: ناهية، وتخف: فعل مضارع مجزوم بلا، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وخصمان: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: نحن خصمان، وجملة بغى: صفة لخصمان، وبعضنا: فاعل، وعلى بعض: متعلقان ببغى. ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ الفاء: الفصيحة، واحكم: فعل أمر، وفاعله: مستتر، وبيننا: ظرف متعلق باحكم، واهد: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ونا: مفعول به، وإلى سواء الصراط: متعلقان باهدنا. ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ إن، واسمها، وأخي: بدل من هذا، أو: خبر إنَّ، وله: خبر مقدم، وتسع: مبتدأ مؤخر، والجملة: خبر إنَّ، أو: خبر ثان، وتسعون: عطف على تسع، ونعجة: تمييز، ولي: خبر مقدم، ونعجة: مبتدأ مؤخر، وواحدة: نعت، وسيأتي حديث الكناية بالنعجة في باب البلاغة.

﴿ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴾ الفاء: عاطفة، وقال: فعل ماض، وجملة أكفلنيها من الفعل، والفاعل المستتر، والمفعولين: مقول القول، وعزني: عطف على فقال، وفي الخطاب: متعلقان بعزني. ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾ اللام: جواب قسم محذوف، وقد: حرف تحقيق، وظلمك: فعل، وفاعل مستتر، والكاف: مفعول به، وبسؤال: جار ومجرور، متعلقان بظلمك، ونعجتك: مضاف إليه، من إضافة المصدر إلى مفعوله، والفاعل: محذوف، أي: بأن سألك نعجتك، وإلى نعاجه: متعلقان بمحذوف، تقديره: ليضمها. ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ الواو: عاطفة، ويجوز أن تكون حالية، وإنَّ، واسمها، ومن الخلطاء: نعت لكثيراً، واللام: المزحلقة، ويبغي بعضهم: فعل مضارع، وفاعل، وعلى بعض: متعلقان بيبغي. ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ إلا: أداة استثناء، والذين: مستثنى متصل، وجملة آمنوا: صلة، وعملوا: عطف على آمنوا، والصالحات: مفعول به، والواو: حالية، وقليل: خبر مقدم، وما: زائدة لتأكيد القلة، وهم: مبتدأ مؤخر.

﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ عطف على محذوف، أي: قال الملكان: قضى الرجل على نفسه، فتنبه. وظنَّ داود: فعل، وفاعل، وأنما: كافة، ومكفوفة، وهي مع مدخولها سدت مسد مفعولي ظنَّ، وفتناه: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، فاستغفر: عطف على وظن، وربه: مفعول به، وخر: عطف أيضاً، والفاعل: مستتر، تقديره: هو، وراكعاً: حال، وأناب: عطف أيضاً. ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ عطف أيضاً، وغفرنا: فعل، وفاعل، وله: متعلقان بغفرنا، وذلك: مفعول به، أي: ذلك الذنب، وإنَّ: الواو: عاطفة، وإن: حرف مشبه بالفعل، وله: خبر مقدم، وعندنا: ظرف متعلق بمحذوف في محل نصب على الحال، واللام: المزحلقة، وزلفى: اسم إنَّ، وحسن مآب: عطف على زلفى.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ الآية كناية عن المرأة، فقد كانوا يكنون عن المرأة بالنعجة، والشاة، في نحو قول عنترة:

يا شاةُ ما قنص لمن حلَّتْ له حَرُمَتْ عليَّ وليتَها لَمْ تَحْرُم

وإنما ذكر امرأة أبيه، وكان يهواها، وقيل: بل كانت جاريته، فلذلك حرمها على نفسه، وهذه الكناية تتمشى مع القول بأن القصة جارية مجرى التمثيل، وسنودر خلاصتها مع القصة الخرافية الموضوعة تحريراً للأذهان من الأساطير التي تتنافى مع طهارة الأنبياء ونزاهتهم.

القصة كما يرويها المفسرون:

كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضاً النزول له عن امرأته إذا أعجبته فيتزوجها، وقد روي مثله عن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك، فوقعت عين داود على امرأة أوريا، فأعجبته، فسأله إيثاره بها ليتزوجها، فاستحيا منه، فنزل عنها، فتزوجها، وأولدها سليمان، فقيل له: مع كثرة نسائك لم يكن لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها، وكان الأفضل قهر الهوى، وقيل: خطبها أوريا، ثم خطبها داود، فرغب إليه أهلها، فاندرج في الخاطب على خطبة أخيه.

وأما ما يذكر من أن داود تمنى منزلة آبائه، فقيل له: إنهم ابتلوا فصبروا، فسأل الابتلاء ليصبر، فقيل له: إنك تبتلى يوم كذا، فاحترس ذلك اليوم، وأغلق عليه محرابه، فتمثل له الشيطان في صورة حمامة ذهب، فمد يده ليأخذها لابن صغير له، فطارت، فتبعها، فرأى امرأة جميلة قد نقضت شعرها، فكتب إلى أيوب بن حوريا صاحب بعث البلقاء: أن ابعث أوريا، وقدمه على التابوت، وكان المتقدم يحرم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يده، أو يستشهد، فقدم، فسلم، فأمر بتقديمه مرة أخرى، وثالثة، فقتل، فلم يحزن عليه كما يحزن على الشهداء، وتزوج امرأته المذكورة. فهذه

الرواية مما يقبح الحديث به عن متسم بصلاحٍ من آحاد المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء.

وعن سعيد بن المسيب: أن علي بن أبي طالب قال: من حدثكم بقصة داود كما يرويها القصاص جلدته مئة وستين حدّ الفرية مضاعفاً.

وروي: أن عمر بن عبد العزيز حدثه رجل بذلك بحضرة عالم محقق، فكذب الحديث وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب الله فالتماس خلافها فرية، وإن كانت على ما ذكرت، وكف الله عنها ستراً لنبيه، فما ينبغي لك إظهار ما ستره الله، فقال عمر بن عبد العزيز: استماعي إلى هذا الكلام أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس.

قال الزمخشري: والذي يدل عليه المثل الذي ضربه الله: أن قصته ليست إلا طلبه إلى زوج المرأة أن ينزل له عنها فقط، ثم نبه الزمخشري على مجيء الإنكار على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح، وذلك: أن التعريض داع إلى التأمل، والتنبيه إلى وجه الخطأ، مع ما فيه من اجتناب المجاهرة في الإنكار، والتوبيخ، وألقاه بطريق التمثيل ليستقبح ذلك من غيره، فيجعله مقياساً لاستقباح ذلك من نفسه مع البقاء على الحشمة، كما أوصى بذلك في سياسة الوالد لولده إذا حصلت منه هنة منكرة، قال: وجاء ذلك على وجه التحاكم ليحكم بقوله: لقد ظلمك، فتقوم الحجة عليه محكمة.

وقال: قوله: ﴿۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ﴾ جاء على وجه الاستفهام تنبيهاً على أن هذه القصة قصة عجيبة من حقها أن تشيع، ولا تخفى على أحد، وتشويقاً إلى سماعها أيضاً.

وقال: ﴿فِي ٱلۡخِطَابِ﴾ يحتمل أن يكون من المخاطبة، ومعناه: أتاني بما لم أقدر على ردّه من الجدال، ويحتمل أن يكون من الخطبة مفاعلة، أي: خطبت، فخطب على خطبتي، فغلبني، والمفاعلة لأن الخطبة صدرت عنهما جميعاً.

وقال في ذكر النعاج: إنها تمثيل، فكان تحاكمهم تمثيلاً، وكلامهم

أيضاً تمثيلاً؛ لأنه أبلغ لما تقدم، وللتنبيه على أن هذا أمر يستحيا من التصريح، وأنه مما يكنى عنه لسماجة الإفصاح به، وللستر على داود عليه السلام، ووجه التمثيل فيه: أن مثلت قصة أوريا برجل له نعجة، ولخليطه تسع وتسعون، فأراد أن يتمها مئة بالنعجة المذكورة، فإن قلت: طريقة التمثيل إنما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة، فإن كان من الخطبة فما وجهه؟ قال: الوجه حينئذ أن تجعل النعجة استعارة للمرأة، كما استعاروا لها الشاة في قوله: يا شاة ما قنص لمن حلت له . . . البيت . . . قال: والفرق بين التمثيل والاستعارة: أنه على التمثيل يكون الذي سبق إلى فهم داود عليه السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم، ثم انتقل بواسطة التنبيه إلى فهم أنَّه تمثيل لحاله، وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم في النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية، ثم استشعر أنه المراد بذلك.

قلت: ونقل بعضهم، أن هذه القصة لم تكن من الملائكة، وليست تمثيلاً، وإنما كانت من البشر، إما خليطين في الغنم حقيقة، وإما كان أحدهما موسراً، وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري، والثاني معسر، وما له إلا امرأة واحدة، فاستنزله عنها، وفزع داود، وخوفه أن يكونا مغتالين، لأنهما دخلا عليه في غير وقت القضاء، وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر، ونسبه إلى الظلم قبل مسألته.

قلت: إنما قصد هذا القائل بما قال تنزيه داود عن ذنب يبعثه عليه شهوة النساء، فأخذ الآية على ظاهرها، وصرف الذنب إلى العجلة في نسبة الظلم إلى المدعى عليه، لأن الباعث على ذلك في الغالب إنما هو التهاب الغضب، وكراهيته أخف مما يكون عليه الباعث عليه الشهوة والهوى، ولعل هذا القائل يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ فما جرت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالأحكام إلا والذي صدر منه

أولاً، وبان منه من قبيل ما وقع له في الحكم بين الناس.

وعبارة أبي حيان: والظاهر إبقاء لفظ النعجة على حقيقتها من كونها أنثى الضأن، ولا يكنى بها عن المرأة، ولا ضرورة تدعو إلى ذلك لأن ذلك الإخبار كان صادراً من الملائكة على سبيل التصوير للمسألة، فمثلوا بقصة رجل له نعجة، ولخليطه تسع وتسعون، فأراد صاحبه تتمة المئة، فطمع في نعجة خليطه، وأراد انتزاعها منه، وحاجّه في ذلك محاجّة حريص على بلوغ مراده، ويدل على ذلك قوله: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾ وهذا التصوير والتمثيل أبلغ في المقصود، وأدل على المراد. إلى أن يقول: وما حكى القصاص مما فيه غض من منصب النبوة طرحناه، ونحن كما قال الشاعر:

ونـؤثـرُ حُكْـمَ العقـل فـي كـلِّ شُبْهَـةٍ
إذا آثَـرَ الأخبـارَ جـلاسُ قصَّـاصِ

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لحكاية ما خوطب به داود بعدما تقدم، ولك أن تقدر قولاً محذوفاً معطوفاً على قوله ﴿غفرنا﴾ أو: حال من فاعل غفرنا، أي: وقلنا، أو: قائلين، ويا: حرف نداء، وداود: منادى مفرد علم مبني على الضم، وإنَّ، واسمها، وجملة

جعلناك: خبرها، وجعلناك: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به أول، وخليفة: مفعول جعلنا الثاني، وفي الأرض: نعت لخليفة. ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ الفاء: الفصيحة، واحكم: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وبين الناس: متعلقان بقوله: ﴿فَٱحْكُم﴾ وبالحق: حال. ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الواو: عاطفة، ولا: ناهية، وتتبع: فعل مضارع مجزوم بلا، وفعله: مستتر، تقديره: أنت، والهوى: مفعول به، والفاء: هي فاء السببية لوقوعها في جواب النهي، ويضلك: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، والفاعل: مستتر، تقديره: هو، يعود على الهوى، والكاف مفعول به، وعن سبيل الله: متعلقان بيضلك، ولا مانع من جعل الفاء: عاطفة، ويضلك: معطوف على تتبع.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ الجملة: تعليلية للنهي عن اتباع الهوى، وإنَّ، واسمها، وجملة يضلون: صلة الذين، وعن سبيل الله: متعلقان بيضلون، ولهم: خبر مقدم، وعذاب: مبتدأ مؤخر، والجملة الإسمية: خبر إنَّ، وشديد: نعت لعذاب، والباء: حرف جر، وما: مصدرية مؤولة مع بعدها بمصدر مجرور بالباء، والجار والمجرور: متعلقان بمحذوف حال، أي: بسبب نسيانهم، ويوم الحساب: مفعول به لنسوا، أو: ظرف لقوله: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾ أو: صفة ثانية له، أي: لهم عذاب شديد كائن في يوم القيامة بسبب نسيانهم. ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير مضمون ما تقدم من أمر البعث والحساب والجزاء. وما: نافية، وخلقنا: فعل، وفاعل، والسماء: مفعول به، والأرض: عطف على السماء، وما بينهما: عطف أيضاً، والظرف: متعلق بمحذوف صلة ما، وباطلاً: نعت لمصدر محذوف، أي: خلقاً باطلاً، ويجوز أن يكون حالاً من فاعل خلقنا، أي: مبطلين، أو: ذوي باطل.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ ذلك: اسم الإشارة مبتدأ،

أي: خلقها باطلاً، وظن: خبره، والذين: مضاف إليه، وجملة كفروا: صلة، فويل: الفاء: عاطفة لترتيب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل، وويل: مبتدأ، وللذين كفروا: خبره، وجملة كفروا: صلة، ومن النار: صفة لويل. وفي وضع الموصول موضع ضمير هم إشعار بأنهم استحقوا النار بكفرهم. ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أم: عاطفة منقطعة، وفيها معنى الاستفهام الإنكاري، ونجعل: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: نحن، والذين آمنوا: مفعول نجعل الأول، وآمنوا: صلة، وعملوا الصالحات: عطف على آمنوا، والكاف: اسم بمعنى مثل في محل نصب مفعول به ثان لنجعل، وفي الأرض: متعلقان بالمفسدين. ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ عطف على ما تقدم، وفي الإنكار إبطال لما يدعونه من أن الجزاء غير وارد؛ لأنه لو صح كلامهم لاستوت عند الله حال من أصلح، أو أفسد، ومن اتقى، أو فجر.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ كتاب: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هذا كتاب، وجملة أنزلناه: صفة، وإليك جار ومجرور متعلقان بأنزلناه، ومبارك، نعت ثان، ومنعه بعضهم بحجة أن النعت غير الصريح لا يتقدم على النعت الصريح، فهو عندهم خبر ثان، أو خبر مبتدأ محذوف، وقرىء: مباركاً بالنصب على الحال اللازمة، وليدبروا: اللام: لام التعليل، ويدبروا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والواو: فاعل، والجار والمجرور: متعلقان بأنزلناه، وآياته: مفعول به، أي: ليتفكروا فيها، وليذكر عطف على ليدبروا، وأولو الألباب: فاعل.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ

وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ
مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾
وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ
أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ﴾ : جمع صافنة، وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر من رجل، أو يد، وفي المختار: الصافن من الخيل: القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر، وقد صفن الفرس من باب: جلس، والصافن من الناس: الذي يصف قدميه، وجمعه: صفون. وعبارة الزمخشري: الصفون: لا يكاد يكون في الهجن وإنما هو في العراب الخلّص، وقيل: وصفها بالصفون والجودة ليجمع ما بين الوصفين المحمودين: واقفة، وجارية، يعني: إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها، وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها.

﴿ ٱلْجِيَادُ ﴾ جمع: جود، وهو السابق، وقيل: جمع جيد، وفي أدب الكاتب لابن قتيبة: ويقال للفرس: عتيق، وجواد، وكريم، ويقال للبرذون، والبغل، والحمار: فاره، والسوابق من الخيل أولها: السابق، ثم المصلي، وذلك لأن رأسه عند صلا السابق، ثم الثالث، والرابع، كذلك إلى التاسع، والعاشر: السُّكيت، ويقال أيضاً: السَّكّيت مشدداً، فما جاء بعد ذلك لم يعتد به، والفِسْكل: الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل. هذا ما أورده ابن قتيبة، وقد سموا الثالث المتلي؛ لأنه يتلي الثاني، وسموا الرابع: التالي، وسموا الخامس: المرتاح، وسموا السادس: العطف، وسموا السابع: المؤمل، وسموا الثامن: الحظي، وسموا التاسع: اللطيم.

﴿ مَسْحًۢا ﴾ : المسح: القطع، وفي المختار ومسحه بالسيف: قطعه.

﴿ بِٱلسُّوقِ ﴾ : جمع ساق، ومن غريب أمر الساق: أن له العديد من

المعاني، فأولها ـ وهو المراد هنا ـ: أنه ما بين الكعب والركبة، مؤنث، وجمعه: سوق، وسيقان، وأسوق، وساق الشجرة: جذعها، ومن معانيه: ساق الحمام، والغراب: نباتان، وساق حر: ذكر القماري، ويقال: كشف الأمر عن ساقه، أي: اشتدَّ، وعظم، وقامت الحرب على ساق: أي: اشتدت، وولدت المرأة ثلاثة بنين على ساق واحدة: أي بعضهم في إثر بعض، لا جارية بينهم، والحديث في هذه المادة يطول فنحيل القارىء إلى المعاجم.

﴿رُخَآءً﴾: لينة، طيبة، لا تزعزع.

﴿أَصَابَ﴾: أراد، وقصد، وفي الكشاف: حكى الأصمعي عن العرب: أصاب الصواب، فأخطأ الجواب. وعن رؤبة: أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة، فخرج إليهما، فقال: أين تصيبان؟ فقالا: هذه طلبتنا، ورجعا، ويقال: أصاب الله بك خيراً. وفي الأساس: وأصاب الله تعالى بك خيراً: أراده رخاء حيث أصاب.

﴿ٱلْأَصْفَادِ﴾: الأغلال، وفي القاموس: صفده، يصفده، من باب: ضرب: شده، وأوثقه، كأصفده، وصفّده، والصفد محركة: العطاء، والوَثاق، وبلا لام: بلد بالشام، وككتاب: ما يوثق به الأسير من قد، أو قيد، والأصفاد: القيود. فلا معنى لقول بعض المفسرين رداً على الجلال الذي فسر الأصفاد بالقيود؛ إذ قال ذلك المفسر: من المعلوم أن القيد يكون في الرجل فلا يلتئم هذا التفسير مع قوله يجمع أيديهم... الخ. فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أوضح. وفي المختار: صفده: شده، وأوثقه، من باب: ضرب، وكذا: صفده، تصفيداً، والصفد بفتحتين، والصفاد بالكسر: ما يوثق به الأسير من قد، وقيد، وغل، والأصفاد: القيود واحدها صفد.

○ الإعراب:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ الواو: استئنافية، والكلام

مستأنف، مسوق لبسط قصة سليمان بعد أن بسط قصة داود، ووهبنا: فعل ماض، وفاعل، ولداود متعلقان بوهبنا، وسليمان: مفعول، ونعم: فعل ماض جامد لإنشاء المدح، والعبد: فاعله، والمخصوص بالمدح: محذوف لتقدم ذكره، أي: هو، وإنه أواب: إنَّ، واسمها، وخبرها: والجملة تعليل للمدح، علل كونه ممدوحاً بكونه أواباً رجاعاً إليه بالتوبة، أو مسبحاً مؤوباً للتسبيح، مرجعاً له؛ لأن كل مؤوب أواب. ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ إذ: يجوز أن يكون ظرفاً لأواب أن يكون العامل فيه نعم، أن يكون منصوباً بمقدر، أي: اذكر يا محمد وقت وقوع هذه القصة، وجملة عرض: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعليه متعلقان بعرض، وبالعشي: متعلقان بمحذوف حال، أي: كائناً في ذلك الوقت، والصافنات: نائب فاعل، والجياد: نعت، والأولى أن يكون المفعول محذوفاً، أي: الخيل، والصافنات الجياد: صفتين للخيل، والظاهر أن العرض قد استهواه، وخيل إليه أنه يستطيع الاعتماد على هذه الخيل المطهمة في جهاده العدو إرضاء لربه، فشغله حيناً من الوقت عن ذكر الله تعالى، وكان به لهجاً.

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ الفاء: عاطفة، وقال: فعل ماض، وفاعله: مستتر، وإنَّ، واسمها، وجملة أحببت: خبرها، وأحببت ليست جارية على معناها الأصيل، وإنما هي متضمنة معنى فعل يتعدى بعن، بمعنى: آثرت، وحب الخير: مفعول به لذلك الفعل، أو مفعول مطلق، وقيل: مفعول من أجله، وعبارة السمين: حب الخير: فيه أوجه. أحدها: أنه مفعول أحببت؛ لأنه بمعنى: آثرت و«عن» على هذا بمعنى «على» والثاني: أن حب مصدر على حذف الزوائد، والناصب له: أحببت، والثالث: أنه مصدر تشتهي[١]، أي: حباً مثل حب الخير، الرابع: أنه ضمن معنى: أنبت، فلذلك تعدى بعن، والخامس: أن

(١) كذا في الأصل!

أحببت بمعنى: لزمت، والسادس: أن أحببت: من أحب البعير: إذا سقط، وبرك من الإعياء والمعنى: قعدت عن ذكر ربي، فيكون ﴿ حُبَّ ٱلْخَيْرِ ﴾ على هذا مفعولاً من أجله، عن ذكر ربي: متعلقان بأحببت، والإضافة: من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: عن أن أذكر ربي، أو إلى الفاعل، أي: عن أن يذكرني ربي، وسيأتي المزيد من بحث هذه الآية في باب البلاغة وحتى: حرف غاية وجر، وتوارت: فعل ماض، وفاعله: ضمير مستتر، تقديره: هي، أي: الشمس، وقيل: الخيل، وبالحجاب: متعلقان بتوارت. ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾ ردوها: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، والجملة: مقول قول محذوف، أي: قال: ردوها، وعليَّ: متعلقان بردوها، فطفق: عطف على محذوف، أي: فردوها، وطفق: فعل ماض من أفعال الشروع وهي تعمل عمل كان، واسمها: ضمير مستتر، تقديره: هو، ومسحاً: مفعول مطلق لفعل محذوف، أي: يمسح مسحاً، والجملة: خبر طفق، وبالسوق: متعلقان بمسحاً، والأعناق: عطف على بالسوق، وسيأتي قول للإمام فخر الدين الرازي طريف جداً خالف فيه جمهرة المفسرين، وهو جدير بالاعتبار، فانظره في باب الفوائد.

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ الواو: استئنافية، واللام: موطئة للقسم، وقد حرف تحقيق، وفتنا: فعل، وفاعل، وسليمان: مفعول به، وألقينا: عطف على فتنا، وعلى كرسيه: جار ومجرور متعلقان بألقينا، وجسداً: مفعول به، ثم أناب: عطف أيضاً، ولكنه بعد تراخ، وسيأتي القول في فتنة سليمان، ومناقشتها. ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ رب: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، وهب: فعل أمر للدعاء، ولي: متعلقان به، وملكاً: مفعول به، وجملة لا ينبغي: صفة لملكاً، ولأحد: متعلقان بينبغي، ومن بعدي: صفة لأحد. ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ الجملة تعليلية للدعاء بالمغفرة والهبة، وإنَّ واسمها، وأنت: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والوهاب: خبر إن، أو: خبر

أنت، والجملة: خبر إنَّك. ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف يفهم من مضمون الكلام، أي: فاستجبنا له دعاءه، وأعدنا له هذا الملك السليب، وسخرنا: فعل، وفاعل، وله: متعلقان بسخرنا، والريح: مفعول به، وجملة تجري بأمره في محل نصب على الحال من الريح، ورخاء: حال من الضمير في تجري، وحيث ظرف متعلق بتجري، أو بسخرنا، وجملة: أصاب في محل جر بإضافة الظرف إليها.

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ الواو: حرف عطف، والشياطين: عطف على الريح، وكل بناء: بدل من الشياطين، وغواص: عطف على بناء. ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ وآخرين: عطف على كل بناء، أدخل معه في حكم البدل، وهو بدل الكل من الكل، ومقرنين: نعت لآخرين، أي: قرن بعضهم مع بعض في الأصفاد. ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الجملة: مقول قول محذوف، أي: وقلنا له، وهذا: مبتدأ، وعطاؤنا: خبر، فامنن: الفاء: الفصيحة، وامنن: فعل أمر، أي: أعط منه من شئت، وأو: حرف عطف للتخيير، وأمسك: فعل أمر معطوف على امنن، وبغير حساب: متعلقان بعطاؤنا، أي: أعطيناك بغير حساب، ولا تقدير، وفيه إلماع إلى كثرة العطاء، أو: متعلقان بامنن، أو: أمسك، ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف نصباً على الحال مما تقدم، أي: حال كونك غير محاسب عليه؛ لأنه يتعالى عن الحساب والضبط. ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ تقدم إعراب مثله كثيراً.

* الفوائـد:

القول في هذه الآيات، وفي فتنة سليمان بالخيل والجياد، لا يتسع له صدر هذا الكتاب، وهو خارج عن نطاقه، ولكننا سنحاول الإلماع إلى هذه الفتنة، وما قيل فيها، وما نسج حولها من أكاذيب وأضاليل لفقّتها اليهودية الضالعة مع الأهواء، وقبل أن نشرع في ذلك ننقل فصلاً للإمام فخر الدين

الرازي أطاح بكل الأضاليل التي لابست هذا القصص الموشى بنسج الخيال قال:

التفسير الحق المطابق لألفاظ القرآن أن نقول: إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم، كما إنه كذلك في ديننا، ثم إنَّ سليمان عليه السلام احتاج إلى غزو، فجلس، وأمر بإحضار الخيل، وأمر بإجرائها، وذكر: أنني لا أحبها لأجل الدنيا، ونصيب النفس، وإنما أحبها لأمر الله تعالى، وتقوية دينه، وهو المراد بقوله: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ ثم إنّه عليه الصلاة والسلام أمر بإعدادها، وإجرائها حتى توارت بالحجاب، أي: غابت عن بصره، ثم أمر برد الخيل إليه، وهو قوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ فلما عادت طفق يمسح سوقها وأعناقها، والغرض من ذلك المسح: أمور؛ الأول: تشريفها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو، الثاني: أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ إلى أنه يباشر الأمور بنفسه، الثالث: أنه كان أعلم الناس بأحوال الخيل، وأمراضها، وعيوبها من غيره، فكان يمسحها، ويمسح سوقها، وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض، فهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق على لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات، والمحظورات، والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة، فإن قيل: فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه، فما قولك فيه؟ فنقول: لنا هاهنا مقامان: المقام الأول: أن ندعي: أنْ لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها، وقد ظهر والحمد لله أن الأمر كما ذكرنا ظهوراً لا يرتاب عاقل فيه، والمقام الثاني: أن يقال: هب أن لفظ الآية لا يدل عليه إلا أنه كلام ذكره الناس، وأن الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الأنبياء، ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات.

أسطورة خاتم سليمان:

هذا وما يروى عن فتنة سليمان من حديث الخاتم والشياطين وعبادة الوثن في بيت سليمان؛ فقد أبى العلماء المحققون قبوله، وقالوا: إنَّه من

نسج خيال اليهود، فقد روت الأساطير: أنَّ سليمان بلغه خبر صيدون، وهذه مدينة في بعض الجزر، وأنَّ بها ملكاً عظيم الشأن معتصماً بالبحر، لا يقدر عليه أحد، فخرج إليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها، وأصاب بنتاً له من أحسن الناس وجهاً، فاصطفاها لنفسه، وأسلمت، وأحبها، وكانت لا يرقأ دمعها حزناً على أبيها، فأمر الشياطين، فمثلوا لها صورة أبيها، فكستها مثل كسوته، وكانت تغدو إليها وتروح مع ولائدها يسجدن له، كعادتهن إبان حياته، فأخبر آصف سليمان بذلك، فكسر الصورة، وعاقب المرأة، ثم خرج وحده إلى فلاة، وفرش له الرماد، فجلس عليه تائباً متضرعاً، وكانت له أم ولد يقال لها: أمينة إذا دخل عليها للطهارة وضع خاتمه عندها، وكان ملكه في خاتمه، فوضعه عندها يوماً، وأتاها الشيطان المارد الذي دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس ـ واسمه: صخر ـ على صورة سليمان فقال: يا أمينة! خاتمي، فتختم به، وجلس على كرسي سليمان، وعكفت عليه الطير، والجن، والإنس، ولما أتى سليمان لطلب الخاتم أنكرته، وطردته، فعرف: أن الخطيئة أدركته، فكان يدور على البيوت يتكفف، فإذا قال: أنا سليمان حثوا عليه التراب، وسبوه، ثم عمد إلى السماكين ينقل لهم السمك، فيعطونه كل يوم سمكتين، فمكث على ذلك أربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان، وسأل آصف نساء سليمان فقلن: ما يدع امرأة منّا في دمها، ولا يغتسل من جنابة، ثم طار الشيطان، وقذف الخاتم في البحر، فابتلعته سمكة، ووقعت السمكة في يد سليمان، فبقر بطنها، فإذا هو بالخاتم، فتختم به، ووقع ساجداً، ورجع إليه ملكه، وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر، فأتوه به، فأدخله في جوف صخرة، وسد عليه بأخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقذف في البحر إلى آخر تلك الأسطورة التي تشبه ما يصوره خيال شهرزاد في ألف ليلة وليلة من حكايات الجن وأساطير القماقم وغيرها، وما أجمل ما يقوله القاضي عياض في هذا الصدد: لا يصح ما نقله

الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلطه على ملكه، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه.

والذي عليه علماء الإسلام: أن سبب فتنته ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال سليمان: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بفارس مجاهد في سبيل الله تعالى، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن امرأة إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وايم الله الذي نفسي في يده! لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً» قال الزمخشري وهذا ونحوه مما لا بأس به. بقي قوله: «وألقينا على كرسيه جسداً» ما هو؟ ما حقيقته؟ إن الذين يروون الأسطورة على علاتها كالجلال وغيره من أكابر العلماء يقولون: إنه الجني صخر، والذين ينكرون الأسطورة يحارون في الجسد الذي ألقي على كرسيه، فتارة يقولون: إنَّه الشق الذي ولدته المرأة، قالوا: والشق: هو الجسد الذي ألقي على كرسيه حين عرض عليه، وهو عقوبته، ومحنته؛ لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص، وغلب عليه من التمني، وقيل: نسي أن يستثني، كما صح في الحديث: لينفذ أمر الله، ومراده فيه، وقيل: إن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه: أنَّه ولد له ولد، فاجتمعت الشياطين، وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء، فسبيلنا أن نقتل ولده، أو نخبله، فعلم بذلك سليمان، فأمر السحاب، فحمله، فكان يربيه في السحاب خوفاً من الشياطين، فبينما هو مشتغل في بعض مهماته؛ إذ ألقي الولد ميتاً على كرسيه، فعاتبه الله على خوفه من الشياطين، حيث لم يتوكل عليه في ذلك، فتنبه لخطئه، فاستغفر ربه، فذلك قوله عز وجل: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ . . . الخ.

على أن المسألة ليست مما يمكن البت فيه، أو الترجيح بالرأي، وإنما هي مسائل تاريخية تضاربت فيها الأقوال والله أعلم.

المراد بالخير:

واختلف العلماء والمفسرون أيضاً في المراد بالخير بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ . . . الآية، فقال قوم: هو المال، مستدلين بقوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيۡرًا﴾ أي: مالاً، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾ وقيل: هو مجاز، والمراد به: الخيل التي شغلته، وأنسته ذكر ربه، أو سمى الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخبر بها، قال رسول الله ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة» وقال أيضاً في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم: «ما وصف لي رجل فرأيته إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل، وسماه زيد الخير» وفي القرطبي: يعني بالخير: الخيل، والعرب تسميها كذلك، ويعاقب بين الراء واللام فتقول: انهملت العين، وانهمرت، وختلت، وخترت، قال الفراء: الخير في كلام العرب والخيل واحد.

ومن الكلام البليغ الذي رمق الشعراء سماءه قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ فقد كان سليمان يقرن مردة الشياطين بعضهم في بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد. وعن السدي: كان يجمع أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع، والصفد: القيد، وسمي به العطاء: لأنه ارتباط للمنعم عليه، ومنه قول علي بن أبي طالب: من برّك فقد أسرك، ومن جفاك فقد أطلقك. وقال أبو تمام الطائي من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري:

همي معلقةٌ عليك رقابُها مغلولةٌ إنَّ العطاء إسارُ

وتبعه أبو الطيب، فقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة:

وقيدتُ نفسي في ذراك محبةً ومَنْ وجدَ الإحسانَ قيداً تقيدا

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

☆ **اللغة:**

﴿ بِنُصْبٍ ﴾: النصب بضم فسكون، وبفتح فسكون، وبضمتين: الداء، والبلاء، قيل: جمع نصب، كأسد، وأسد، وقيل: هو لغة في النصب، وقد تقدم كلام كثير في هذه المادة.

﴿ ضِغْثًا ﴾: حزمة من حشيش، وقضبان، وفي القاموس: والضغث بالكسر: قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس، واضطغثه: احتطبه، وأضغاث أحلام: رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها، وقد تقدم القول فيها. والتضغيث: ما بلّ الأرض والنبات من المطر. وفي المثل «ضغث على إباله» والإبالة بالتشديد: الحزمة من الحشيش، والحطب، ومعناه: بلية على أخرى، ويضرب أيضاً مثلاً للرجل يحمل صاحبه المكروه، ثم يزيده منه.

○ **الإعراب:**

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ عطف على ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ﴾، ولم يذكر ذلك في قصة سليمان لكمال الاتصال بين سليمان وداود، كأن قصتهما قصة واحدة. واذكر: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وعبدنا: مفعول اذكر، وأيوب: بدل، أو: عطف بيان لعبدنا، وإذ: الظرف بدل اشتمال من أيوب، وجملة نادى: في محل جر بإضافة الظرف إليها والفاعل: مستتر، تقديره: هو يعود على داود، وربه: مفعول به. ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ أن، وما في حيزها: نصب بنزع الخافض، أي: بأني مسني الشيطان، حكاية لكلامه الذي نادى ربه به بعبارته، وإلا لقيل إنَّه مسه، ومسني الشيطان: فعل ماض، ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر، وبنصب: متعلقان بمسني، وعذاب: عطف على نصب، وسيأتي سر إسناد المس إلى الشيطان ـ مع عصمة الأنبياء عن مس الشيطان إياهم وتسلطه عليهم ـ في باب

الفوائد، كما يأتي فيه ما ذكر من سبب بلائه.

﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ كلام مقول قول محذوف، أي: وقيل له، واركض: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ومعنى اركض: اضرب، وبرجلك: جار ومجرور متعلقان باركض، ومفعول اركض: محذوف، أي: الأرض، وفي معاجم اللغة: ركض الأرض، والثوب: ضربهما برجله» أي: فهو متعد بهذا المعنى، وهذا: مبتدأ، ومغتسل: خبر، وهو اسم مكان للماء الذي، يغتسل به، سمي الماء باسم مكانه مجازاً، علاقته: المحلية، وبارد: صفة لمغتسل، وشراب: عطف. ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ عطف على ما تقدم مما اقتضاه المقام، كأنه قيل: فاغتسل، واشرب، فكشفنا بذلك ما به من ضر، ومسحنا عنه ما ألمّ به من أوصاب. ووهبنا: فعل، وفاعل، وله: متعلقان بوهبنا، وأهله: مفعول به، ومثلهم: عطف على أهله، والظرف متعلق بمحذوف حال، أي: كائناً معهم، ورحمة: مفعول من أجله، ومنّا: صفة لرحمة، وذكرى: عطف على رحمة، أي: إن الهبة كانت للرحمة له، وللتذكير لأولي الألباب، والأولي: نعت لذكرى، والألباب: مضاف إليه.

﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ وخذ: عطف على ما تقدم، وبيدك: متعلقان بخذ، وضغثاً: مفعول به، فاضرب: عطف على خذ، وبه: متعلقان باضرب، والمفعول: محذوف، أي: امرأتك، ولا تحنث: عطف على اضرب، ولا: ناهية، وتحنث: فعل مضارع مجزوم بلا، وسيأتي القول في ضرب امرأته في باب الفوائد. ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة وجدناه: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، وصابراً: مفعول به ثان، ونعم العبد: فعل، وفاعل، والمخصوص بالمدح: محذوف للعلم به، أي: هو، وإنه أواب: إنَّ، واسمها، وخبرها، والجملة: تعليل لمدحه.

* الفوائـد:

إنما أسند ما مسَّه من نصب وعذاب إلى الشيطان مع أنَّه من البدائه الأولية: أنَّ الشيطان لا يسلط على الأنبياء تأدباً مع الله؛ لأن الشيطان كان يوسوس إليه، ويغريه على الكراهة، والجزع. وذكر في سبب بلاء أيوب: أنَّ رجلاً استغاثه على ظالم فلم يغثه، وقيل: كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه، وقيل: أعجب بكثرة ماله، أما قصة ضرب امرأته فقد كان حلف في مرضه: ليضربن امرأته مئة إذا برأ وذلك لإبطائها عليه يوماً.

وفي القرطبي: وفي سبب حلفه أربعة أقوال:

أحدها: ما حكاه ابن عباس: أن إبليس لقيها في صورة طبيب، فدعته إلى مداواة أيوب، فقال: أداويه على أنه إذا برىء يقول: أنت شفيتني، لا أريد جزاء سواه، قالت: نعم، فأشارت على أيوب بذلك، فحلف: ليضربنها، وقال: ويحك ذلك الشيطان.

ثانيها: ما حكاه سعيد بن المسيب: أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز، فخاف خيانتها، فحلف ليضربنها.

ثالثها: ما حكاه يحيى بن سلام وغيره: أنَّ الشيطان أغواها أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة تقرباً إليه، وأنه يبرأ، فذكرت ذلك له، فحلف: ليضربنها إن عوفي مئة.

رابعها: أنها باعت ذوائبها برغيفين إذ لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب، وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام، فلهذا حلف: ليضربنها، فلما شفاه الله أمره أن يأخذ ضغثاً فيضربها به، فأخذ شماريخ قدر مئة، فضربها بها ضربة واحدة.

وقصة صبر أيوب تدخل في حيز أغراض القصص في القرآن، وأسمى أغراضها إنشاء العقيدة الدينية الخاصة المجردة، وموطن هذه العقيدة

الخالدة هو الضمير والوجدان فلم يكن الداعي إلى الاستمساك بالصبر والاعتصام به مجرداً لقداسته الدينية، ولكن اتساع الآفاق النفسية وانفتاح منافذ المعرفة أمام النفس.

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ الواو: عاطفة، اذكر: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، أي: اذكر يا محمد صبرهم على ما أصابهم، وثباتهم على عقائدهم، وتأسّ بهم، وعبادنا: مفعول به، وإبراهيم: بدل، أو: عطف بيان، وإسحاق ويعقوب: عطف على إبراهيم، وأولي الأيدي: أي أصحاب الأيدي: مفعول به، وسيأتي القول مسهباً في معنى: أولي الأيدي في باب البلاغة، والأبصار: عطف على الأيدي. ﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ الجملة تعليلية لما وصفوا به من علو الرتبة، وسموها بالعلم والعمل، وإنَّ، واسمها، وجملة أخلصناهم: خبر إنا، وبخالصة: متعلقان بأخلصناهم، والباء: إما للسببية إن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين، وإما للتعدية إن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم، وخالصة: صفة لموصوف محذوف، أي: بخصلة خالصة، وذكرى الدار: يجوز فيها أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف، أو: بدل من خالصة، وإذا اعتبرت خالصة مقدراً بمعنى الإخلاص، فتكون ذكرى: مفعولاً به لخالصة، وإذا كانت مصدراً بمعنى الخلوص، فتكون ذكرى: فاعلاً لها، فقد تمت لها أربعة أوجه، وأما إضافة ذكرى إلى الدار فمن إضافة المصدر إلى المفعول، أي: ذكرهم الدار الآخرة، وهناك قراءة متعددة يرجع إليها في المطولات.

﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ وإنَّهم: إنَّ، واسمها، وعندنا: ظرف متعلق بمحذوف حال، ولمن: اللام: المزحلقة، ومن المصطفين: خبر إنهم، والأخيار: صفة. ﴿ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ واذكر: عطف على ما تقدم، واذكر اسماعيل: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، واليسع وذا الكفل: معطوفان على إسماعيل، وكل: مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، ومن الأخيار: خبر.

□ البلاغة:

الكناية في قوله: ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ وهي كناية عن العمل الصالح، قال الزمخشري: أولي الأعمال والفكر، وكأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة، ولا يجاهدون في الله، ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات، ولا يستبصرون في حكم الزمنى، الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم، والمسلوبي العقول، الذين لا استبصار بهم. وفيه أيضاً: فن التعريض؛ بأن من لم يكن من عمال الله، ولا من المستبصرين في دين الله، خليق بالتوبيخ وأسوأ المذام، والأيدي: جمع: يد، وهي الجارحة، فالكناية بها؛ لأن جميع الأعمال تزاول بها، وإذا كانت جمعاً ليد بمعنى النعمة فهي مجاز مرسل، علاقته السببية، وقد تقدم بحث ذلك؛ لأن اليد هي سبب النعمة، وإنما حذفت الياء في خط المصحف اجتزاء عنها بالكسرة[1]، وفسر بعضهم الأيد بمعنى القوة، وهي وإن كانت جائزة من حيث اللغة إلا أن المقام يضعف استعمالها بهذا المعنى، قال الزمخشري: وتفسيره بالأيد من التأييد قلق غير ممكن.

﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ

(١) لم تُحذف الياء في خط المصحف، ولعل المؤلف ـ رحمه الله ـ وهم في ذلك.

أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ
وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ
وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ
إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾: حابسات العين على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم.

﴿ أَتْرَابٌ ﴾: أسنانهن واحدة، سمين بذلك، كأن التراب مسَّهنَّ في وقتٍ واحد، ويقول البيضاوي: أتراب لأزواجهن، لدات لهم، أي: مساويات لأزواجهم في السن، فإن التحاب بين الأقران أثبت، ورجح الزمخشري أن يكون التساوي بينهن دون أزواجهن، وفي القاموس: والترب بالكسر: اللدة، والسن، ومن ولد معك، وهي تربي، وتاربتها: صارت تربها. قال عمر بن أبي ربيعة:

أبـرزوهـا مثـلَ المهـاةِ تهـادىٰ ... بيـن خمـس كـواعـب أتـرابِ

وقد نظم بعضهم معاني هذه المادة فقال:

وضـعُ تـرابٍ فـوقَ صـكٍّ تـرْبُ ... ضـرب تـرائـب كـذا والتِّـربُ
مِثْلُـكَ سِنّـاً والتـرابُ التُّـرب ... تـرائـبُ الشَّخـصِ عظـامُ الصَّـدْرِ
ومصـدرٌ لتُـرْبِ الشـيءِ التَّـرب ... وجمع تِرْبِ الشَّخصِ في العمر التِّربْ
وجمـع تَـربـة بضـم التَّـرَبْ ... أي قطعـة مـن التـراب فـادرِ

﴿وَغَسَّاقٌ﴾: ما يسيل من صديد أهل النار، وفي القاموس: وغسق الجرح: سال منه ماء أصفر. وقيل: الحميم يحرق بحرّه، والغساق يحرق ببرده.

○ الإعراب:

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ كلام مستأنف مسوق للإيذان بانتهاء ما تقدم من قصص والشروع في موضوع آخر. وهذا: مبتدأ، وذكر: خبر، وإن: الواو: استئنافية، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وللمتقين: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وحسن مآب: اسمها المؤخر. ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ جنات عدن: بدل، أو: عطف بيان لحسن مآب، ومفتحة: حال من جنات عدن، والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل، ولهم: متعلقان بمفتحة، والأبواب: نائب فاعل لمفتحة؛ لأنه اسم مفعول، وقال الزمخشري في صدد إعراب هذه الآية: ومفتحة: حال، والعامل فيها ما في للمتقين من معنى الفعل، وفي مفتحة: ضمير الجنات، والأبواب: بدل من الضمير، تقديره: مفتحة هي الأبواب، كقولهم: ضرب زيد اليد والرجل، وهو من بدل الاشتمال، وقرىء: جنات عدن مفتحة بالرفع، على أن جنات عدن: مبتدأ، ومفتحة: خبره، أو: كلاهما خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو جنات عدن هي مفتحة لهم.

﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ متكئين: حال من الهاء في لهم، والعامل فيها: مفتحة، وفيها: متعلقان بمتكئين، وجملة يدعون: إما مستأنفة لبيان حالهم فيها، ويجوز أن تكون حالية مما ذكر، وفيها: حال من فاعل يدعون، أي: حال كونهم فيها، وبفاكهة: متعلقان بيدعون، والاقتصار على الفاكهة يفيد الإيذان بأن مطاعمهم هناك ليست للتغذي، وإقامة الجسم، ولكن لمحض اللذة والتفكه، وكثيرة: صفة، وشراب: عطف على فاكهة. ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ الواو: عاطفة، والظرف: متعلق بمحذوف خبر مقدم، وقاصرات الطرف: مبتدأ مؤخر،

وأتراب: صفة لقاصرات. ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ اسم الإشارة: مبتدأ، وما: خبر، وجملة توعدون: صلة، وليوم الحساب: متعلقان بتوعدون، واللام: للتعليل، أي: لأجل يوم الحساب، وأرى أنَّه يجوز إعراب ما: بدلاً من اسم الإشارة، وليوم الحساب: هو الخبر، ولعله أولى. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ إن، واسمها، واللام: المزحلقة، ورزقنا: خبر إن، وما: نافية حجازية، أو: تميمية، وله: خبر مقدم، ومن: حرف جر زائد، ونفاد: اسم مجرور لفظاً بمن في محل رفع اسم ما المؤخر، أو: مبتدأ مؤخر.

﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ هذا: مبتدأ محذوف الخبر، أو: خبر لمبتدأ محذوف، والكلام مستأنف، وقد تقدم نظيره قريباً، قال ابن الأثير: هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو خير من الوصل، وهي علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام إلى كلام آخر. والواو: عاطفة، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وللطاغين: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وشر مآب: اسم إن المؤخر. ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ بدل من شر مآب، أو: عطف بيان له، وجملة يصلونها: حالية، وهو فعل مضارع، والواو: فاعل، والهاء: مفعول به، ولك أن تعرب جهنم: مفعولاً بفعل محذوف دل عليه يصلونها، والفاء: الفصيحة، أي: إن أردت أن تعلم حقيقة جهنم فهي بئس المهاد، وبئس: فعل جامد لإنشاء الذم، والمهاد: فاعل، والمخصوص: محذوف، تقديره: هي. ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾ هذا: مبتدأ، وحميم وغساق: خبراه، وجملة فليذوقوه: معترضة، والفاء: اعتراضية، واللام: لام الأمر، ويذوقوه: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والواو: فاعل، والهاء: مفعول به، وقد اضطربت أقوال المعربين في هذه الآية كثيراً، وفيما يلي ما قاله أبو البقاء:

هذا: هو مبتدأ، وفي الخبر وجهان؛ أحدهما: فليذوقوه، مثل قولك: زيد اضربه، وقال قوم: هذا ضعيف من أجل الفاء، وليست في معنى

الجواب؛ كالتي في قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟﴾ فأما حميم على هذا الوجه فيجوز أن يكون: بدلاً من هذا، وأن يكون: خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي: هو حميم، وأن يكون: خبراً ثانياً، والوجه الثاني أن يكون حميم: خبر هذا، وفليذوقوه: معترض بينهما، وقيل: هذا: في موضع نصب؛ أي: فليذوقوه هذا، ثم استأنف، فقال: حميم، أي: هو حميم، وأما غساق فيقرأ بالتشديد، مثل: كفار، وصبار، وبالتخفيف: اسم للمصدر، أي: ذو غسق، أو يكون فعال بمعنى فاعل.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ وآخر: عطف على حميم وغساق، ومن شكله: نعت له، وأزواج: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هي، أو: صفة للثلاثة. ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ الجملة: مقول قول محذوف، أي: ويقال لهم عند دخولهم النار، وهذا: مبتدأ، وفوج: خبر، ومقتحم: صفة لفوج، ومعكم: ظرف متعلق بمحذوف صفة ثانية لفوج، أو: حال من الضمير من مقتحم، أو: من فوج؛ لأنه وصف، ولا: نافية، ومرحباً: منصوب على المصدر، وبهم: متعلقان بمرحباً، وفي الجملة المنفية وجهان؛ أحدهما: أنها مستأنفة سيقت للدعاء عليهم بضيق المكان، أو: حالية؛ أي: هذا فوج مقتحم مقولاً لهم لا مرحباً بهم، وفي القرطبي: فقالت السادة: لا مرحباً بهم، أي: لا اتسعت منازلهم في النار، والرحب: السعة، ومنه: رحبة المجد وغيره، وهو بمعنى الدعاء، ولذلك نصب. وقال أبو عبيدة: العرب تقول: لا مرحباً بك؛ أي: لا رحبت عليك الأرض، ولا اتسعت، وجملة: ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ﴾ تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم، وإنَّ، واسمها، وصالوا النار: خبرها.

﴿قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، والضمير يعود على الاتباع، وبل: حرف إضراب، وأنتم: مبتدأ، ولا مرحباً: مقول قول محذوف هو الخبر؛ أي: يقال لكم، وأنتم: مبتدأ، وجملة قدمتموه: خبر، وقدمتموه: فعل ماض، والتاء: فاعل، والميم:

علامة جمع الذكور، والواو: لإشباع ضمة الميم، والهاء: مفعول به، ولنا: جار ومجرور متعلقان بقدمتموه، فبئس: الفاء: عاطفة، وبئس: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، والقرار: فاعل، والمخصوص بالذم محذوف، أي: النار.

﴿ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، وربنا: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، ومن: اسم موصول مبتدأ، وجملة قدّم خبر، والفاء: رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط، وجملة فزده: خبر، والأولى أن يكون مَنْ: مفعولاً لفعل محذوف يفسره ما بعده؛ أي: فزد مَن قدّم، والهاء: مفعول به أول، وعذاباً: مفعول به ثان، وضعفاً: نعت لعذاب، أي: مضاعفاً، وفي النار: ظرف لزده، أو: حال من الهاء، أي: فزده كائناً في النار، أو: نعت ثان لعذاباً. ﴿ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، والضمير: يعود على كفار مكة، كأبي جهل، وأمية بن خلف، وغيرهما، وما: اسم استفهام مبتدأ، ولنا: متعلقان بمحذوف خبر، وجملة لا نرى: حالية، وفاعل نرى: ضمير مستتر، تقديره: نحن، ورجالاً: مفعول به، وأرادوا بهم فقراء المسلمين، وكان، واسمها، وجملة كنّا: صفة لرجالاً، وجملة نعدهم: خبر كنّا، أي: نحسبهم في الدنيا، ومن الأشرار: متعلقان بنعدهم.

﴿ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري،

وهمزة الوصل سقطت استغناء عنها، واتخذناهم: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به أول، وسخرياً: مفعول به ثان، كأنهم أنكروا على أنفسهم ما كانوا يتخذونه في الدنيا، وسخرياً: يقرأ بكسر السين وضمها، والياء: للنسب، فالسخري أقوى من السخر، كما قيل في الخصوص: خصوصية، للدلالة على قوة ذلك، فافهمه، فإنه جيد، وأم: حرف عطف متصل بقوله مالنا، وزاغت عنهم الأبصار: فعل، وفاعل، وعنهم: متعلقان بزاغت، فلم نرهم، ومنهم: عمار بن ياسر، وبلال، وصهيب، وسلمان، وجملة اتخذناهم: مستأنفة، ونرى من المفيد أن ننقل عبارة الزمخشري، قال: أم زاغت عنهم الأبصار: له وجهان من الاتصال؛ أحدهما: أن يتصل بقوله: مالنا لا نراهم في النار، كأنهم ليسوا فيها، بل زاغت عنهم أبصارنا، فلا نراهم، وهم فيها، قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة، وبين أن يكونوا من أهل النار، إلا أنَّه خفي عليهم مكانهم، والوجه الثاني: أن يتصل باتخذناهم سخرياً، إما أن تكون أم متصلة، على معنى: أي الفعلين فعلنا بهم؛ الاستسخار منهم؛ أم الازدراء بهم والتحقير، وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم، وتقتحمهم، على معنى إنكار الأمرين جميعاً على أنفسهم، وعن الحسن: كل ذلك قد فعلوا، اتخذوهم سخرياً، وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم. وإما أن تكون منقطعة، كقولك: إنها الإبل أم شاء، و: أزيد عندك أم عندك عمرو.

﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ إنَّ، واسمها، أي: الذي حكيناه عنهم، واللام: المزحلقة، وحقٌّ: خبر، وتخاصم أهل النار: بدل من حق، أو خبر لمبتدأ محذوف، وجملة المبتدأ المحذوف وخبره: مفسرة لاسم الإشارة، وسيأتي معنى التخاصم في باب البلاغة. ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، وأنا: مبتدأ، ومنذر: خبر، والواو: حرف عطف، وما: نافية، ومِنْ: حرف جر زائد، وإله: مجرور لفظاً مرفوع بالابتداء محلاً، وإلا: أداة حصر، والله: خبر، والواحد القهار:

صفتان لله. ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ رب: نعت، أو: بدل، وما بينهما: عطف على السموات والأرض، والعزيز الغفار: نعتان أيضاً.

□ البلاغـة:

١ ـ في قوله﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ تشبيه تقاولهم، وما يدور بينهم من حوار، ويتبادلونه من سؤال وجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك؛ لأن قول الرؤساء لتابعيهم: ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ وقول التابعين: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ لا يعدو الخصومة التي يتراشقها المتخاصمون.

٢ ـ فائدة الحرف الزائد في كلام العرب إما معنوية، وإما لفظية، فالمعنوية: تأكيد المعنى الثابت، وتقويته، وأما اللفظية: فتزيين اللفظ، وكونه بزيادتها أفصح، أو كون الكلمة أو الكلام بها يصير مستقيم الوزن، أو حسن السجع، أو غير ذلك، ولا يجوز خلو الزيادة من اللفظية والمعنوية معاً، وإلا لعدت عبثاً، وقد تجتمع الفائدتان في حرف، وقد تنفرد إحداهما عن الأخرى.

* الفـوائـد:

تغييرات النسبة:

ذكرنا في الإعراب: أن السخري أقوى من السخر، والخصوصية أقوى من الخصوص، ونذكر هنا: أنَّ النسب يحدث في الاسم تغييرات:

١ ـ زيادة ياء النسب في آخره، وهذه الياء المشددة حرف بمنزلة تاء التأنيث، لا موضع لها من الإعراب.

٢ ـ كسر ما قبلها.

٣ ـ جعل الياء منتهى الاسم.

وإنما تطرق التغيير في اللفظ لتغيير المعنى، ألا ترى أنك إذا نسبت إلى

علم استحال نكرة، بحيث تدخله أداة التعريف، كالتثنية، والجمع، وصار صفة بمنزلة المشتق بعد الجمود، ويرفع الاسم بعده على الفاعلية إما مظهراً، أو مضمراً، تقول: مررت برجل تميمي أبوه، وآخر هاشمي جده، وإذا نسبت إلى المصدر زدته قوة، كما في قولك: سخرياً.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ﴾ قل: فعل، وفاعله مستتر، تقديره: أنت يا محمد، وتكرير القول لتأكيد النبأ وتضخيمه، وهو: مبتدأ، ونبأ: خبر، وعظيم: صفة. ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ الجملة: نعت ثان للنبأ، ويجوزأن تجعلها مستأنفة للفت الانتباه إلى فداحة ما يرتكبونه من جريرة الإعراض عن ذلك النبأ، هو القرآن، وما حفل به من شرائع وتعاليم، وأنتم: مبتدأ، وعنه: متعلقان بمعرضون، ومعرضون: خبر أنتم. ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتأكيد: أنه نبأ عظيم، وارد من الله تعالى، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، ولي: خبر كان المقدم، ومن: حرف جر زائد، وعلم: مجرور بمن لفظاً في محل رفع اسم كان المؤخر، وبالملأ: متعلقان بعلم على تقدير مضاف، أي: بأنباء الملأ واختصامهم،

والأعلى: صفة للملأ، وإذ: ظرف ماض متعلق بالمصدر أيضاً، وقال الزمخشري: «بمحذوف؛ لأن المعنى: ما كان لي بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم» وجملة يختصمون: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وقيل: الضمير في يختصمون عائد على قريش، أي: يختصمون في أمر الملأ الأعلى؛ لأن ذلك أمر تنوء العقول دون معرفته، والمدار في الإحاطة به على الوحي.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إن: نافية، ويوحى: فعل مضارع مبني للمجهول، وإلي: متعلق بيوحى، وإلا: أداة حصر، وإنما كافة ومكفوفة، وقد سدت مع مدخولها مسد نائب فاعل يوحى، أي: ما يوحى إلي إلا الإنذار، والقصر إضافي، وقد تكرر هنا، وقد تقدم بحث القصر، وأنا: مبتدأ، ونذير: خبر، ومبين: نعت. ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ إذ: بدل من إذ يختصمون، ويجوز أن تنصبها بأذكر محذوفاً، وجملة قال ربك: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وإن، وما بعدها: مقول قول، وإنَّ، واسمها، وخالق: خبرها، وبشراً: مفعول به لخالق، ومن طين: نعت لبشراً، وقد أغنى بهذا الوصف عن النعوت البشرية كلها، وتلك هي براعة الإيجاز. ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ الفاء: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وسويته: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، والجملة: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ونفخت: عطف على سويته، وفيه: متعلقان بنفخت، وكذلك قوله: من روحي، والمعنى: وأحييته، وجعلته حساساً، فقعوا: الفاء رابطة لجواب إذا، وقعوا: فعل أمر، وفاعل، وله: متعلقان بساجدين، وساجدين: حال، والمراد بالسجود: التكرمة، والاحترام.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وسجد الملائكة: فعل، فاعل، وكلهم: تأكيد أول، وأجمعون: تأكيد ثان، قال الزمخشري: «كل: للإحاطة، وأجمعون: للاجتماع، فأفادا معاً: أنهم سجدوا عن

آخرهم، ما بقي منهم ملك إلا سجد، وأنهم سجدوا في وقت واحد، غير متفرقين، في أوقات». ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إلا: أداة استثناء، وإبليس: مستثنى متصل، أو: منقطع، وذهب الزمخشري مذهباً غريباً، قال: فإن قلت: كيف استثنى إبليس من الملائكة وهو من الجن؟ قلت: قد أمر بالسجود معهم: فغلبوا عليه في قوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلاً. وجملة استكبر: مستأنفة لبيان كيفية امتناعه من السجود، وكان: عطف على استكبر، واسم كان: مستتر، تقديره: هو، يعود على إبليس، ومن الكافرين: خبر كان ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ قال: فعل ماض، وفاعله: يعود على الله تعالى، ويا: حرف نداء، وإبليس: منادى مفرد علم مبني على الضم، وما: اسم استفهام مبتدأ، وجملة منعك: خبر، وأنْ، وما في حيزها: منصوب على أنه مفعول ثان لمنع، وأنْ: حرف مصدري، ونصب، وتسجد: فعل مضارع منصوب بأن، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، واللام: حرف جر، وما: اسم موصول مجرور باللام، وجملة خلقت: صلة، والعائد: محذوف؛ أي: خلقته، وبيدي: متعلقان بخلقت.

﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، وهمزة الوصل: سقطت استغناء عنها، واستكبرت: فعل، وفاعل، وأم: عاطفة متصلة، ولا يمنع من ذلك اختلاف الفعلين، قال سيبويه: «وتقول: أضربت زيداً أم قتلته، فالابتداء هنا بالفعل أحسن؛ لأنك إنما تسأل عن أحدهما، لا تدري أيهما كان، ولا تسأل عن موضع أحدهما، كأنك قلت: أي ذلك كان؟» وكنت: كان، واسمها، ومن العالين: خبرها، أي: من المتكبرين. ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ أنا: مبتدأ، وخير: خبر، ومنه: متعلقان بخير، والجملة: مقول القول، وخلقتني: فعل، وفاعل، ومفعول به، ومن نار: متعلقان بخلقتني، وخلقته من طين: عطف على خلقتني من نار. ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ قال: فعل ماض، والفاعل:

هو، يعود على الله تعالى، فاخرج: الفاء: الفصيحة، واخرج: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، ومنها: متعلقان باخرج، فإنك: الفاء تعليل للأمر بالطرد، وإنَّ، واسمها، ورجيم: خبرها. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ عطف على فإنك رجيم، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وعليك: خبرها المقدم، ولعنتي: اسمها المؤخر، وإلى يوم الدين: متعلقان بمحذوف حال، أي: مستمرة، ومعنى الانتهاء: استمرارها في الدنيا حتى إذا كان يوم الدين تضاعفت عليه، حتى لتكاد الأولى تنسى، فكأنها انتهت لتستأنف من جديد.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ تغليب لليدين على غيرهما من الجوارح التي تباشر بها الأعمال؛ لأن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه، حتى قيل في عمل القلب: هو مما عملت يداك على المجاز، وحتى قيل في المثل: «يداك أو كتا وفوك نفخ» وقد أبى فريق من أهل السنة أن يكون من المجاز، كالشيخ أبي الحسن الأشعري، واحتجوا: بأن نعم الله لا تحصى، فكيف تحصر بالتثنية، وهذا حق، على أنَّ إمام الحرمين وغيره من أهل السنة جوّزوا حملها على المجاز، وأجابا عما ذكره الشيخ أبو الحسن: بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة، وهذا مما يحقق تفضيله على إبليس؛ إذ لم يخلق إبليس لنعمة الآخرة، وعلى أن المراد: القدرة، فالتثنية تعظيم، ومثل ذلك كثيرة في اللغة.

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾

○ الإعراب:

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ قال: فعل ماض، وفاعله: مستتر، يعود إلى إبليس، فأنظرني: الفاء: الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، وتقديره: إذا جعلتني رجيماً فأمهلني، وأنظرني: فعل أمر، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، وإلى يوم: متعلقان بأنظرني، وجملة يبعثون: في محل جر بإضافة الظرف إليها، طلب فسحة لإغواء بني آدم.

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الفاء: عاطفة لترتيب مضمون الجملة على الإنظار، والباء: حرف جر وقسم، وعزتك: مجرور بالباء، والجار والمجرور: متعلقان بفعل القسم المحذوف، واللام: واقعة في جواب القسم، وأغوينهم: جملة لا محل لها، وأغوينهم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، تقديره: أنا، ومفعول به، وأجمعين: تأكيد. ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ إلا: أداة استثناء، وعبادك: مستثنى، ومنهم: حال، والمخلصين: نعت لعبادك ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ الفاء: استئنافية، والحق: مبتدأ، خبره محذوف، تقديره: قسمي، أو: مني، أو: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الحق، والحق: مفعول مقدم لأقول؛ أي: لا أقول إلا الحق، يعني: أن تقديم المفعول أفاد الحصر، أو هو مصدر مؤكد لمضمون قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ وجملة ﴿وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾ اعتراضية بين القسم وجوابه. وقد قرىء بنصب الحق الأول.

﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ اللام: جواب للقسم، وأملأن: فعل مضارع مبني على الفتح، والفاعل: مستتر، تقديره: أنا، والجملة: خبر الحق، أو: لا محل لها؛ لأنها جواب قسم، ولم تتمحض لجواب القسم؛ لأنه غير نص في اليمين، بخلاف: لعمرك، ولهذا لم

يحذف الخبر وجوباً، وجهنم: مفعول به، ومنك: متعلقان بأملأن، وممن تبعك: عطف على منك، وجملة تبعك: صلة مَنْ، ومنهم: حال، وأجمعين: تأكيد للضمير في منهم، أو للكاف في منك، وما: عطف عليه. قال الزمخشري: فإن قلت: أجمعين تأكيد لماذا؟ قلت: لا يخلو أن يؤكد به الضمير في منهم، أو الكاف في منك مع مَنْ تبعك، ومعناه: لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين، لا أترك أحداً منهم.

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ما: نافية، وأسألكم: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به، وعليه: متعلقان بمحذوف حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لأجر، وتقدم عليه، ومن: حرف جر زائد، وأجر: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنَّه مفعول أسألكم، والواو: عاطفة، أو: حالية، وما: نافية حجازية، وأنا: اسمها، ومن المتكلفين: خبرها، أي: المتصنعين المتصفين بما ليسوا من أهله حتى أنتحل النبوة، وأتقوّل القرآن. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ إن: نافية، وهو مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وذكر: خبر هو، وللعالمين: صفة لذكر. و﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، وتعلمن: فعل مضارع مرفوع، لأن نون التوكيد لم تباشره، وعلامة رفعه: ثبوت النون المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين أيضاً: فاعل، والنون: نون التوكيد الثقيلة، ونبأه: مفعول به، وبعد حين: ظرف متعلق بتعلمن، وعلم بمعنى عرف، فهو متعد لواحد، وهو نبأه، ويجوز أن تكون على بابها، فيكون المفعول الثاني: بعد حين.

* * *

سورة الزمر

ترتيبها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ
بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾

○ الإعراب:

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ تنزيل: مبتدأ، والكتاب: مضاف إليه، ومن الله: خبر، والعزيز الحكيم: نعتان، ويجوز أن يكون تنزيل: خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هذا تنزيل، ومن الله: متعلقان بالمصدر، أو: بمحذوف خبر بعد خبر، أو: بمحذوف حال من الكتاب. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة أنزلنا: خبر، والجملة: مستأنفة، مسوقة لبيان المنزل عليه، وما يترتب عليه بعد نزوله، وإليك: متعلقان بأنزلنا، والكتاب: مفعول به، وبالحق: حال من الفاعل،

أو المفعول، أي: متلبسين بالحق، أو: متلبساً بالحق. ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ الفاء: الفصيحة، واعبد الله: فعل أمر، وفاعل، مستتر ومفعول به، ومخلصاً: حال، وله: متعلقان بمخلصاً، والدين: مفعول به. ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ كلام مستأنف، مقرر لما قبله، وألا: أداة تنبيه واستفتاح، ولله: خبر مقدم، والدين: مبتدأ مؤخر، والخالص: نعت.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ والذين: الواو: استئنافية، والذين: مبتدأ، وجملة اتخذوا: صلة الموصول، ومن دونه: حال، أو مفعول به ثان، وأولياء: مفعول به أول، وجملة ما نعبدهم: مفعول لقول محذوف، هو خبر الذين، أي: يقولون. وما: نافية، ونعبدهم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وإلا: أداة حصر، وليقربونا: اللام: للتعليل، ويقربونا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والواو: فاعل، ونا: مفعول به، وإلى الله: متعلقان بيقربونا، وزلفى: مصدر مؤكد على غير المصدر، ولكنه ملاق لعامله في المعنى، والتقدير: ليزلفونا زلفى، وأجاز أبو البقاء أن يعرب حالاً مؤكدة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة يحكم: خبرها، وأجاز بعضهم أن يكون قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ﴾ خبر الذين، فيكون موضع القول المضمر نصباً على الحال، أي: قائلين ذلك، وبينهم: ظرف متعلق بيحكم، وفيما: متعلقان بيحكم أيضاً، وهم: مبتدأ، وفيه: متعلقان بيختلفون، وجملة يختلفون: خبر هم، والجملة الاسمية: صلة ما. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة لا يهدي: خبرها، وفاعل يهدي: مستتر يعود على الله، ومَنْ: مفعول به، وهو: مبتدأ، وكاذب كفار: خبران له، والجملة الاسمية: صلة من.

* الفوائـد:

حروف التنبيه «ها» و«ألا» و«أما» والفرق بين «أما» و«ألا» أنَّ «أما»

للحال، أو للماضي و«ألا» للاستقبال؛ تقول: أما إنَّ زيداً عاقل، تريد أنه عاقل في الحال، ولا تقول: ألا، وتقول: ألا إنَّ زيداً لا يخاف، أي: في المستقبل، ولا تقول: أما، والفرق بينهما وبين «ها»: أنَّهما لا يدخلان إلا أول الكلام على الجملة بخلاف «ها» فتدخل على الضمير، وأسماء الإشارة، وإن لم تكن في أول الكلام، وتدخل «أما» على القسم، و«ألا» كثيراً على النداء.

إذا تقرر هذا فهل تكون هنا للاستقبال مع أن كون الدين لله هو في كل زمان؟ والجواب: أنَّ المراد هنا الاستقبال بالنسبة لمن يعتنقون الدين الخالص، على أنهما يتعاوران؛ أي: تأتي «ألا» لمجرد الاستفتاح، ولا يكون التنبيه مقصوداً.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّـٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يُكَوِّرُ﴾: التكوير: اللف واللي، يقال: كار العمامة على رأسه، وكورها، وفيه أوجه ـ كما يقول الزمخشري ـ:

١ ـ إنَّ الليل والنهار خلفة يذهب هذا، ويغشى مكانه هذا، فكأنما ألبسه ولف عليه، كما لف اللباس على اللابس، ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب:

تلوي الثنايا بِحِقْويها حواشِيه لَيَّ الملاءِ بأبوابِ التفاريجِ

والثنايا: العقبات، والحقو: الخصر، والحواشي: الجوانب، والملاء: جمع ملاءة، وهي: الجلباب، والتفاريج: جمع تفراج، وهو: الباب الصغير، والثوب من الديباج، وأسند اللي إلى الثنايا لأنها سبب الالتواء، شبه إحاطة جوانبه وتراكمه في جوانب العقبة بليِّ الجلباب في أبواب التفاريج.

٢ ـ إنَّ كلاًّ منهما يغيِّب الآخر إذا طرأ عليه، فشبه في تغييبه إياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار.

٣ ـ إنَّ هذا يكرُّ على هذا كروراً متتابعاً، فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على إثر بعض.

○ الإعراب:

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ لو: حرف شرط غير جازم، وأراد: فعل ماض، والله: فاعل، وأن، وما في حيزها: مفعول أراد، واللام: رابطة لجواب لو، واصطفى: فعل ماض، وفاعله: هو، أي: الله تعالى، والجملة: لا محل لها، ومما: متعلق باصطفى، وجملة يخلق: صلة ما، وما: مفعول به، وجملة يشاء: صلة ما، والعائد: محذوف، أي: يشاؤه ﴿سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ سبحانه: مفعول مطلق لفعل محذوف، تنزيه له تعالى عن أن يكون له أحد ما نسبوا إليه، وهو: مبتدأ، والله: خبره، والواحد القهار: نعتان لله. ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ خلق: فعل ماض، وفاعله: مستتر يعود على الله تعالى، والسموات: مفعول به، والأرض: عطف على السموات، وبالحق: حال. ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ الجملة: حالية، أو مستأنفة، مبينة لكيفية تصرفه في السموات والأرض، والليل: مفعول به، وعلى النهار: متعلقان بيكور ويكور النهار على الليل: عطف على مثيلتها.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ﴾ وسخر الشمس والقمر: عطف على خلق السموات والأرض، وكل: مبتدأ، وجملة يجري: خبر، ولأجل: متعلقان بيجري، ومسمى: نعت لأجل، وألا: أداة تنبيه، تصدرت الجملة لإظهار مدى الاهتمام بها، والاعتناء بفحواها، وهو: مبتدأ، والعزيز الغفار: خبران لهو. ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ خلقكم: فعل ماض، وفاعل مستتر، ومفعول به، ومن نفس: جار ومجرور متعلقان بخلقكم، وواحدة، نعت لنفس، والمراد بها: آدم، ثم: حرف للترتيب والتراخي، وسيأتي سر العطف بها في باب البلاغة، وجعل: فعل ماض، وفاعله: مستتر يعود على الله تعالى ومنها: متعلقان بجعل؛ لأنه بمعنى خلق، وزوجها: مفعول به. ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ وأنزل: عطف على خلقكم، ولكم: متعلقان بمحذوف حال، ومن الأنعام: متعلقان بأنزل، وثمانية أزواج: مفعول به، وقد تقدم معنى الزوجين في سورة الأنعام.

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ الجملة: حالية، أو: استئنافية مبينة لكيفية خلق ما ذكر، ويخلقكم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وفي بطون أمهاتكم: متعلقان بيخلقكم، وخلقاً: مفعول مطلق، ومن بعد خلق: صفة له، ويجوز أن يتعلق بيخلقكم، فيكون المصدر لمجرد التأكيد، قال البيضاوي: أي: حيواناً سوياً، من بعد عظام مكسوة لحماً، من بعد عظام عارية، من بعد مضغ، من بعد علق، من بعد نطف. وفي ظلمات: متعلقان بخلق المجرور الذي قبله، ولا يجوز تعلقه بخلقاً المنصوب؛ لأنه مصدر مؤكد، فلا يعمل، ولا بيخلق؛ لأنه تعلق به جار مثله، ولا يتعلق حرفان متحدان لفظاً ومعنى إلا بالبدلية والعطف، فإن جعلت في ظلمات: بدلاً من في بطون أمهاتكم بدل اشتمال؛ لأن البطون مشتملة عليها، ويكون بدلاً بإعادة العامل جاز ذلك، وسيأتي المراد بالظلمات الثلاث في باب الفوائد. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ

﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ ذلكم: مبتدأ، والله: خبره الأول، وربكم: خبره الثاني، وله: خبر مقدم، والملك: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية خبر ثالث، وجملة لا إله إلا هو: خبر رابع، وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلاً، فأنَّى: الفاء: استئنافية، وأنَّى: اسم استفهام متعلق بمحذوف حال، وتصرفون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل.

□ **البلاغة:**

في قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ عطف «ثم» التي تفيد الترتيب مع التراخي في الوجود، وظاهر الأمر يتنافى مع ذلك؛ لأن خلق حواء من آدم سابق على خلقنا منه، وقد استشكل علماء البيان والمفسرون هذا العطف، وأجابوا بأجوبة، نوردها، ثم نرجح ما هو أقرب إلى الرجحان؛ قال الزمخشري: فإن قلت ما وجه قوله ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وما يعطيه من معنى التراخي؟ قلت: هما آيتان من جملة الآيات؛ التي عددها دالاً على وحدانيته، وقدرته، وتشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم، وخلق حواء من قصرياه (والقصريان: ضلعان يليان الترقوتين) إلا أن إحداهما جعلها الله عادة مستمرة، والأخرى لم تجر بها عادة، ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل، فكانت أدخل في كونها آية، وأجلب لعجب السامع، فعطفها بثم على الآية الأولى؛ للدلالة على مباينتها لها فضلاً ومزية، وتراخيها عنها فيما يرجع إلى زيادة كونها آية، فهو من التراخي في الحال والمنزلة، لا من التراخي في الوجود.

وقال غيره: المعطوف متعلق بمعنى ﴿وَٰحِدَةٍ﴾ فثم عاطفة عليه لا على خلقكم، فمعناه: خلقكم من نفس واحدة أفردت بالإيجاد، ثم شفعت بزوج، فكانت هاهنا على بابها لتراخي الوجود.

ونرى أن كلا الوجهين مستقيم، ويصح حمل العطف عليه.

وهنا وقع ابن هشام في خطأ التلاوة فأورد هذه الآية بلفظ: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة)... الخ، وقد أوردها شاهداً على أن قوماً خالفوا في معناها، وهو الترتيب تمسكاً بها قال: والجواب عن الآية من خمسة أوجه: (أحدها): أنَّ العطف على محذوف، أي: من نفس واحدة أنشأها، ثم جعل منها زوجها. (الثاني): أنَّ العطف على واحدة على تأويلها بالفعل؛ أي: من نفس توحدت، أي: انفردت، ثم جعل منها زوجها. (الثالث): أنَّ الذرية أخرجت من ظهر آدم عليه الصلاة والسلام كالذر، ثم خلقت حواء من قصيراه. (الرابع): أنَّ خلق حواء من آدم لما لم تجر عادة بمثله جيء بثم إيذاناً بترتبه وتراخيه في الإعجاب وظهور القدرة، لا لترتيب الزمن وتراخيه. (الخامس): أنَّ ثم لترتيب الأخبار، لا لترتيب الحكم، وأنَّه يقال: بلغني ما صنعت اليوم، ثم ما صنعت أمس أعجب، أي: ثم أخبرت أنَّ الذي صنعته أمس أعجب.

* الفوائد:

أراد بقوله: ﴿فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ﴾ ظلمة البطن، وظلمة الرحم بفتح الراء وكسر الحاء، والرحم بكسر الراء وسكون الحاء مؤنثة، وهي: مستودع الجنين في أحشاء الحبلى، وظلمة المشيمة، وهي كما في المصباح: وزان كريمة، وأصلها: مفعلة بسكون الفاء وكسر العين، لكن ثقلت الكسرة على الياء، فنقلت إلى الشين، وهي: غشاء ولد الإنسان. وقال ابن الأعرابي: يقال لما يكون فيه الولد: المشيمة، والكيس، والغلاف، والجمع: مشيم بحذف الهاء، ومشايم، مثل: معيشة، ومعايش، ويقال لها من غيره: السلا.

﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ

تَعْمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾

○ الإعراب:

﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ ﴾ إن: حرف شرط جازم، وتكفروا: فعل الشرط، وعلامة جزمه: حذف النون، والواو: فاعل، والفاء: رابطة، وإنَّ، واسمها، وخبرها، والجملة: جواب الشرط، وعنكم: متعلقان بغني، وإن تشكروا: عطف على إن تكفروا، ويرضه: جواب الشرط، وعلامة جزمه: حذف حرف العلة، والفاعل: مستتر، تقديره: هو، يعود على الله تعالى، والهاء: ضمير متصل في محل نصب مفعول به، بضم، وسكونها، وبإشباع، ودونه. ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَۚ ﴾ الواو: حرف عطف، ولا: نافية، وتزر: فعل مضارع مرفوع، ووازرة: فاعل، ووزر: مفعول به، أي: لا تحمل نفس وزر نفس أخرى، وأخرى: مضاف إليه على حذف منعوت، أي: نفس أخرى، ثم: حرف عطف للتراخي، وإلى ربكم: خبر مقدم، ومرجعكم: مبتدأ مؤخر، والفاء: حرف عطف، وينبئكم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وبما: متعلقان بينبئكم، وكنتم: كان، واسمها، وجملة تعملون: خبرها، وجملة كنتم تعملون: صلة الموصول. ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ إنَّ، واسمها، وخبرها، وبذات الصدور: متعلقان بعليم، والجملة: تعليل للتنبئة بالأعمال.

﴿ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ الواو: استئنافية، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، ومسَّ: فعل ماض مبني على الفتح، والإنسان: مفعول به مقدم، وضرٌّ: مبتدأ مؤخر، والمراد بالضر: جميع

المكاره، وجملة دعا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وربَّه: مفعول به، ومنيباً: حال، وإليه: متعلقان بمنيباً. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ ثم: حرف عطف للتراخي، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة خوله: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وخوله: فعل ماض، وفاعل مستتر يعود على الله تعالى، والهاء: مفعوله الأول، ونعمة: مفعوله الثاني، ومنه: صفة لنعمة، ولك أن تعلقه بخوَّله وجملة نسي: لا محل لها، والفاعل: مستتر، تقديره: هو، يعود على الإنسان، وما: مفعول به، وجملة كان: صلة ما، واسم كان مستتر يعود على الإنسان، وجملة يدعو: خبر كان، وإليه: متعلقان بيدعو، ومن قبل: متعلقان بمحذوف حال، ويجوز في ما أن تكون مصدرية، أي: نسي كونه داعياً.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وجعل: عطف على نسي، وفاعله: مستتر، يعود على الإنسان، ولله: متعلقان بمحذوف هو مفعول جعل الثاني، وأنداداً: مفعول جعل الأول، وليضل: اللام للتعليل، ويضل: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وقيل: اللام للعاقبة، وهي تتمشى مع قراءة يضل بفتح الياء، وهما قراءتان سبعيتان، وعن سبيله: متعلقان بيضل. ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ قل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وتمتع: فعل أمر أيضاً، وفاعل مستتر، والجملة: مقول القول، والمقصود بالأمر: التهديد، وبكفرك: متعلقان بتمتع، وقليلاً: ظرف زمان، أو: مفعول مطلق صفة لمصدر محذوف، وجملة إنك من أصحاب النار: تعليل للأمر بالتمتع، وإنَّ، واسمها، ومن أصحاب النار: خبرها.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

☆ اللغة:

﴿قَـٰنِتٌ﴾: قائم بوجائب الطاعات ووظائفها، ومنه قوله ﷺ: «أفضل الصلاة طول القنوت» وهو القيام فيها، ومنه: القنوت في الوتر؛ لأنه دعاء المصلي قائماً، وفي القاموس: القنوت: الطاعة، والسكوت، والدعاء، والقيام في الصلاة، والإمساك عن الكلام. وأقنت: دعا على عدوه، وأطال القيام في صلاته، وأدام الحج، وأطال الغزو، وتواضع لله تعالى، وامرأة قنيت: بينة القناتة، قليلة الطعم، وسقاء قنيت: مسّيك. وقول القاموس: مسيك بكسر الميم، وسكون السين، أي: يمسك الماء.

﴿ءَانَآءَ﴾: جمع: إنىٰ بكسر الهمزة والقصر، كمعى بكسر الميم والقصر، والجمع: أمعاء، وفي المصباح: الآناء على أفعال، هي: الأوقات، وفي واحدها لغتان: إنـي بكسر الهمزة والقصر وإني بوزن حمل. وفي المختار: وآناء الليل: ساعاته، قال الأخفش: واحدها: إنى، مثل معى، وقيل: واحدها: إني، وإنو، يقال: مضى من الليل أنيان، وأنوان.

○ الإعراب:

﴿أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ أم: يجوز أن تكون متصلة، ومعادلها محذوف، تقديره: الكافر خير أم الذي هو قانت، وقد دخلت على مَنْ الموصولة فأدغمت الميم في الميم، أو منقطعة، فتقدر ببل والهمزة، أي: بل أمن هو قانت كغيره؟ وقرىء بالتخفيف، فالهمزة للاستفهام الإنكاري، وعلى كلٍّ فمَنْ: اسم موصول مبتدأ، خبره: محذوف كما تقدم، وهو: مبتدأ، وقانت: خبره، والجملة: صلة مَنْ، وآناء الليل: ظرف متعلق بقانت، وساجداً: حال، وقائماً: عطف

عليه، وجملة يحذر الآخرة: حال ثالثة، وجملة يرجو رحمة ربه: عطف على جملة يحذر الآخرة.

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ هل: حرف استفهام معناه الإنكار، ويستوي الذين: فعل مضارع، وفاعل، وجملة يعلمون: صلة، والذين لا يعلمون: عطف على الذين يعلمون، وفي هذه الآية تنزيل المتعدي منزلة القاصر، ولا يقدر المفعول في قوله يعلمون؛ لأن المقدر كالموجود، أي: هل يستوي من ثبتت له حقيقة العلم ومن لم تثبت له، والاستفهام إنكاري، أي: لا يستويان؛ لأن المقصود بيان ثبوت الفعل للفاعل لا بيان وقوعه على المفعول، وإيضاح الفرق بين المنزل وغيره: أن قولك: فلان يعطي؛ لبيان كونه معطياً، فيكون كلاماً مع من جهل أصل الإعطاء، وقولك: فلان يعطي الدنانير؛ لبيان جنس ما يتناوله الإعطاء، لا لبيان كونه معطياً، ويكون كلاماً مع من ثبت له أصل الإعطاء، لا مع من جُهل إعطاؤه. ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ إنما: كافة ومكفوفة، ويتذكر: فعل مضارع مرفوع، وأولو الألباب: فاعل، والجملة: مستأنفة مسوقة لبيان عدم تأثير ما تقدم من قوارع وزواجر في قلوبهم لاختلال عقولهم.

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ﴾ يا: حرف نداء، وعبادي: منادى مضاف، والذين: صفة لعبادي، وجملة آمنوا: صلة الذين، والجملة مقول القول، واتقوا ربكم: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به. ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ﴾ للذين: خبر مقدم، وجملة أحسنوا: صلة، وفي هذه: متعلقان بأحسنوا، والدنيا: بدل من اسم الإشارة، وحسنة: مبتدأ مؤخر، وأرض الله: مبتدأ، وواسعة خبر. ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ الجملة: تعليل لما تقدم، ترغيباً في الصبر، وإنما: كافة ومكفوفة، والصابرون: نائب فاعل، وأجرهم: مفعول به ثان، وبغير حساب: حال من الأجر.

ولو لم يكن في الصبر إلا ما جاء في هذه الآية لكان في ذلك كفاية، وفي الحديث: «انتظار الفرج بالصبر عبادة» وقيل لعلي بن أبي طالب: أي شيء أقرب إلى الكفر؟ قال ذو فاقة لا صبر له. ومن كلامهم: «الصبر مرّ لا يتجرعه إلا حر» وكان عبد الله بن المقفع يقول: إذا نزل بك أمر مهم فانظر؛ فإن كان لك فيه حيلة فلا تعجز، وإن كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع. وما أحسن قوله: تعجز وتجزع وهذا الذي يسمى: قلب البعض، وهو معدود عند أرباب البديع من الجناس.

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾
قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾
فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ
يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى
ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة أمرت: خبرها، والجملة: مقول القول، وأمرت: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء: نائب فاعل، وأنْ، وما في حيزها: نصب بنزع الخافض المتعلق بأمرت، ومخلصاً: حال، وله: متعلقان بمخلصاً، والدين: مفعول به. ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ وأمرت: عطف على أمرت الأولى، ولأن أكون: متعلقان بأمرت، أي: بأن أكون، فاللام بمعنى الباء، واسم أكون: مستتر، تقديره: أنا، وقيل: اللام للتعليل، أي: لأجل أن أكون،

وللزمخشري تقرير مطول بهذا الصدد، ننقله في باب الفوائد لأهميته، وأول: خبر أكون، والمسلمين: مضاف إليه. ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة أخاف: خبر، وفاعل أخاف: مستتر، تقديره: أنا، وإنْ: شرطية، وعصيت: فعل وفاعل، وهو في محل جزم فعل الشرط، والجواب: محذوف، دل عليه ما قبله، أي: فإني أخاف، وعذاب يوم: مفعول أخاف، وعظيم: صفة ليوم.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ لفظ الجلالة: مفعول مقدم لأعبد، وأعبد: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنا، ومخلصاً: حال، وله: متعلقان بمخلصاً، وديني: مفعول مخلصاً، أي: ليكون سالماً من الشرك والرياء، وكل ما يشوب الأعمال مما يفسدها. ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ الفاء: الفصيحة، واعبدوا: فعل أمر، الغاية منه التهديد، والوعيد، والواو: فاعل، وما: مفعول به، وجملة شئتم: صلة، ومن دونه: حال. ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ إنَّ، واسمها، والذين: خبرها، وجملة خسروا: صلة الذين، وأنفسهم: مفعول به، وأهليهم: عطف على أنفسهم، ويوم القيامة: ظرف لخسروا، أو: حال من أهليهم، يعني: أزواجهم، وخدمهم. ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ ألا: أداة تنبيه، وذلك: مبتدأ، وهو: مبتدأ ثان، والخسران: خبر هو، والجملة: خبر ذلك، والمبين: صفة للخسران، ولك أن تجعل هو: ضمير فصل لا محل له، وسيأتي مزيد من القول في هذه الآية في باب البلاغة.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ لهم: خبر مقدم، ومن فوقهم: حال، وظلل: مبتدأ مؤخر، وفي الكلام إبهام، سيأتي تقريره في باب البلاغة، ومن النار: صفة لظلل، ومن تحتهم ظلل: عطف على من فوقهم ظلل. ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ ذلك: مبتدأ، أي: ذلك العذاب، وجملة يخوف الله به: خبر، وعباده: مفعول يخوف، ويا: حرف نداء، وعباد: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة اتباعاً لرسم المصحف،

والفاء: الفصيحة، واتقون: فعل أمر، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة كما تقدم: مفعول به. ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ﴾ الذين: مبتدأ، وجملة اجتنبوا: صلة، والطاغوت: مفعول به، وقد تقدم القول فيه، وأنه يطلق على الواحد، والجمع، وعلى المذكر، والمؤنث، وأن يعبدوها: مصدر مؤول في محل نصب بدل اشتمال من الطاغوت، أي: عبادتها، وسيأتي مزيد من القول في الطاغوت في باب البلاغة، ولهم: خبر مقدم، والبشرى: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: خبر الذين.

﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ﴾ الفاء: الفصيحة، وبشر: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وعباد: مفعول به، وعلامة نصبه: فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اتباعاً لرسم المصحف، وفيه إظهار الضمير، أي: فبشرهم اهتماماً بهم. ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ الذين: صفة لعباد، وجملة يستمعون: صلة، والقول: مفعول به، والفاء: عاطفة، ويتبعون: عطف على يستمعون، وأحسنه: مفعول به. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ أولئك: مبتدأ، والذين: خبر، والإشارة إلى الموصوفين بما ذكر، وجملة هداهم الله: صلة، وأولئك: مبتدأ، وهم: مبتدأ ثانٍ، أو: ضمير فصل، وأولو الألباب: خبر هم، والجملة: خبر أولئك.

□ البلاغة:

١ ـ التهويل:

في قوله: ﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ تهويل رائع، فقد جعل الجملة مستأنفة، وصدرها بحرف التنبيه، ووسط ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر، وعرف الخسران كأنه مما تعورف أمره، واشتهر هوله، ووصفه بالمبين، فجعل خسرانهم غاية في الفظاعة، ونهاية في الشناعة.

٢ ـ المبالغة:

وفي تشبيه الشيطان بالطاغوت وجوه ثلاثة من المبالغة:

١ ـ تسميته بالمصدر؛ كأنه نفس الطغيان.

٢ ـ بناؤه على فعلوت، وهي صيغة مبالغة، كالرحموت، وهي: الرحمة الواسعة، والملكوت، وهو: الملك الواسع.

٣ ـ والوجه الثالث: تقديم لامه على عينه، ليفيد اختصاصه بهذه التسمية.

* الفوائد:

وعدناك بنقل الفصل الممتع الذي عقده الزمخشري في إعراب قوله «إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين، وأمرت لأن أكون من المسلمين» قال: فإن قلت: كيف عطف أمرت على أمرت، وهما واحد؟ قلت: ليسا بواحد، لاختلاف جهتيهما، وذلك: أنَّ الأمر بالإخلاص، وتكليفه شيء، والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء، وإذا اختلف وجها الشيء وعطفا ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين، ولك أن تجعل اللام مزيدة، مثلها في: أردت لأن أفعل، ولا تزاد إلا مع أنْ خاصة، دون الاسم الصريح، كأنها زيدت عوضاً من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه، كما عوض السين في اسطاع عوضاً من ترك الأصل الذي هو أطوع، والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ وفي معناه أوجه: أن أكون أول من أسلم في زماني، ومن قومي؛ لأنه أول من خالف دين آبائه، وخلع الأصنام، وحطمها، وأن أكون أول الذين دعوتهم إلى الإسلام إسلاماً، وأن أكون أول من دعا نفسه إلى أول ما دعا إليه غيره، لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعاً، ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون، وأن أفعل ما أستحق به الأولوية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب فتأمله فإنه من غرر الأقوال.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَنَٰبِيعَ﴾: في المختار: نبع الماء: خرج، وبابه: قطع، ودخل، ونبع، ينبع بالكسر، نبعاناً بفتح الباء لغة أيضاً، والينبوع: عين الماء، ومنه قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ والجمع: الينابيع. فما يقوله العامة وهو «نبع» مولّد غير معروف، وإنما النبع مصدر، وشجر تتخذ منه السهام والقسي، يقال: قرعوا النبع بالنبع؛ أي: تلاقوا، وتطاعنوا، وما رأيت أصلب منه نبعاً؛ أي: أشد منه.

﴿يَهِيجُ﴾: ييبس، ويتم جفافه؛ لأنه إذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب، وفي المختار: وهاج النبت، يهيج، هياجاً بالكسر: يبس. وفي المصباح: وهاج البقل، يهيج: اصفر.

﴿حُطَٰمًا﴾: فتاتاً، وفي المصباح: حطم الشيء حطماً من باب: تعب، فهو حطم: إذا تكسر، ويقال للدابة إذا أسنت: حطمة، ويتعدى بالحركة، يقال: حطمته حطماً، من باب: ضرب، فانحطم، وحطمته بالتشديد مبالغة.

○ **الإعراب:**

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: حرف عطف على محذوف يدل عليه السياق، والتقدير:

أأنت مالك أمرهم، فمن حق عليه العذاب، فأنت تنقذه، ومَنْ: شرطية، أو: موصولة في محل رفع بالابتداء، والخبر: محذوف، فقدره أبو البقاء: كمن نجا، وقدره الزمخشري: فأنت مخلصه، حذف لدلالة أفأنت تنقذه؟ وقدره غيره: تتأسف عليه، والهمزة الثانية: للاستفهام، وأعيدت لتأكيد الإنكار، والفاء: رابطة، وأنت: مبتدأ، وجملة تنقذ: خبر، ومن في النار: مفعول به، وقد أوقع الظاهر موقع المضمر، وهو ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ وكأن الأصل: أفأنت تنقذه؟ وأنت: مبتدأ، وجملة تنقذ: خبر، ومن في النار: مفعوله، فالآية على هذا جملة واحدة، واعترض بجمع الاستفهام والشرط، ولا مساغ لهذا الاعتراض؛ لأن أداة الاستفهام داخلة على جملة محذوفة عطفت عليها جملة الشرط، ولم تدخل على جملة الشرط، وسيأتي مزيد من القول في هذه الآية في باب البلاغة. ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ لكن: حرف عطف وإضراب، بمعنى: بل، وليست للاستدراك؛ لأنه لم يسبقها نفي، فالكلام إضراب عن موضوع إلى موضوع مغاير للأول، والذين: مبتدأ، وجملة اتقوا: صلة، وربهم: مفعول به، ولهم: خبر مقدم، وغرف: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: خبر الذين، ومبنية: صفة لغرف، أي: بنيت بناء المنازل، وجملة تجري من تحتها الأنهار: صفة ثانية، أو: حال من غرف.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ وعد الله: مصدر مؤكد لفعل محذوف دل عليه قوله: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ لأنه في معنى: وعدهم الله ذلك، ولا: نافية، ويخلف الله الميعاد: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به. ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف مسوق لتمثيل الحياة الدنيا، وسرعة زوالها، والهمزة: للاستفهام التقريري، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتر: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، وأن، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي تر، أو مفعولها؛ لأنها قلبية، أو: بصرية، وأنَّ، واسمها، وجملة أنزل: خبرها، ومن السماء: متعلقان بأنزل، وماء: مفعول به، فسلكه

الفاء: عاطفة، وسلك: فعل ماض مبني على الفتح، وفاعله: مستتر، تقديره: هو يعود على الله تعالى، وينابيع: إن كان بمعنى المنبع: ظرف للمصدر المحذوف، أي: سلكه سلوكاً في ينابيع، فلما أقيم مقام المصدر جعل انتصابه على المصدر، وإن كان بمعنى النابع؛ كان انتصابه على الحال؛ أي: نابعات، واعترض الشهاب الخفاجي على الحالية، فقال: الحالية لا تخلو من الكدر؛ لأن حقه حينئذ أن يقال: من الأرض، وفي الأرض على الوجهين: صفة لينابيع، قلت: ولا أرى مانعاً من نصب ينابيع على التمييز على حد قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ لم يذكره أيٌّ واحدٍ ممن تصدوا لإعراب القرآن، ومنطوق كلام الزمخشري يؤيد هذا الإعراب قال: عيوناً، ومسالك، ومجاري، كالعروق في الأجسام. وأحجم الكثيرون عن إعراب ينابيع لدقتها، وفي الشوكاني: فسلكه ينابيع في الأرض: أي: فأدخله، وأسكنه فيها، والينابيع: جمع ينبوع، من: نبع الماء، ينبع، والينبوع: عين الماء، والأمكنة التي ينبع فيها الماء، فهو على الوجه الثاني منصوباً بنزع الخافض، قال مقاتل: فجعله عيوناً وركايا في الأرض.

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، ويخرج: فعل مضارع، والعدول إليه عن الماضي كما يقتضيه أسلوب العطف لاستحضار الصورة، وبه: متعلقان بيخرج، وزرعاً: مفعول به، ومختلفاً: نعت لزرعاً، وألوانه: فاعل لمختلف. ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ ثم يهيج: عطف على ثم يخرج، فتراه: الفاء: حرف عطف، والهاء: مفعول به ومصفراً: حال؛ لأن الرؤية بصرية. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ عطف على ما تقدم، ويجعله حطاماً: فعل مضارع، وفاعل مستتر، والهاء: مفعول به أول، وحطاماً: مفعول به ثان، وإنَّ: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبرها المقدم، واللام: المزحلقة، وذكرى: اسمها المؤخر ولأولي الألباب: صفة لذكرى، أو متعلقان بنفس الذكرى؛ لأنها بمعنى التذكرة.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ مجاز مرسل علاقته السببية، فقد أطلق السبب، وأراد المسبب، والمعنى: أفأنت تهديه بدعائك له إلى الإيمان، فتنقذه من النار.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

☆ اللغة:

﴿تَقْشَعِرُّ﴾: اقشعر جلده: ارتعد، وتقبّض، وتخشن، وتغير لونه، فهو مقشعر، واقشعرت السنة: أمحلت، وأجدبت، واقشعرت الأرض: تقبضت، وتجمعت: إذا لم ينزل عليها المطر، ويقال: اقشعر الشَعر؛ أي: قام وانتصب من فزع، أو برد، والمصدر: الاقشعرار، وقال الزمخشري: اقشعر الجلد: إذا تقبض تقبضاً شديداً، وتركيبه: من حروف القشع، وهو الأديم اليابس، مضموماً إليها حرف رابع وهو الراء، ليكون رباعياً دالاً على معنى زائد، وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المادة في باب البلاغة.

○ الإعراب:

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾ كلام مستأنف، مسوق ليجري مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى بأولي الألباب،

والهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: عاطفة على جملة مقدرة، أي: أكل الناس سواء، ومَنْ: موصولة، أو: شرطية في محل رفع مبتدأ، فعلى الأول يكون خبرها محذوفاً، تقديره: كمن طبع على قلبه، وعلى الثاني يكون خبرها: فعل الشرط وجوابه معاً، والفاء: عاطفة على كل حال، وهو: مبتدأ، وعلى نور: خبر، ومن ربه: صفة لنور. ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الفاء: رابطة، وويل: مبتدأ، وساغ الابتداء لما فيها من معنى الدعاء بالعذاب والخسران، وللقاسية: خبر، وقلوبهم: فاعل للقاسية، ومن ذكر الله: متعلقان بالقاسية، ومِنْ: إما للتعليل؛ أي: من أجل ذكره، وقيل: مِنْ بمعنى عن، والمعنى: غلظت عن قبول الذكر، وأولئك: مبتدأ، وفي ضلال مبين: خبره. ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ ﴾ لفظ الجلالة مبتدأ، وسيأتي سر التقديم في باب البلاغة، وجملة نزل أحسن الحديث: خبر، وكتاباً: بدل من أحسن الحديث، ويجوز أن يكون حالاً منه، أي: قرآناً متشابهاً، ومتشابهاً: نعت أول، ومثاني: نعت ثان، وقد مرّ معنى هذه الكلمة، وسيأتي مزيد من النكت البلاغية في باب البلاغة.

﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ جملة تقشعر: نعت ثالث، ومنه: متعلقان بتقشعر، وجلود الذين يخشون ربهم: صلة، وثم: حرف عطف للتراخي، وتلين جلودهم: فعل مضارع، وفاعل، وقلوبهم: عطف على جلودهم، وإلى ذكر الله: متعلقان بتلين؛ لأنه متضمن معنى تسكن، وتطمئن إلى ذكر الله. ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ ذلك: مبتدأ، وهدى الله: خبر، أو: بدل من اسم الإشارة، وجملة يهدي: إما حال، أو: خبر، وبه: متعلقان بيهدي، ومن يشاء: مفعول به، وجملة يشاء: صلة، والإشارة إلى الكتاب، فالجملة: حال منه. ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ الواو: استئنافية، ومَنْ: اسم شرط جازم في محل نصب مفعول مقدم ليضلل، والله فاعل، والفاء:

رابطة، وما: نافية، أو: نافية حجازية، وله: خبر، أو: خبر هاد المقدم، ومن: حرف جر زائد، وهاد: مبتدأ مؤخر مرفوع محلاً، أو: اسم ما مجرور لفظاً، وعلامة جره: كسرة مقدرة على ما قبل الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله: ﴿ مَّثَانِيَ ﴾:

وصف الواحد بالجمع؛ لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل، ألا تراك تقول: القرآن أسباع، وأخماس، وسور، وآيات، وأقاصيص، وأحكام، ومواعظ مكررات، ونظيره قولك: الإنسان عظام، وعروق، وأعصاب، وأجاز الزمخشري وجهاً لطيفاً آخر، قال: ويجوز أن لا يكون مثاني صفة، ويكون منصوباً على التمييز من متشابهاً، كما تقول: رأيت رجلاً حسناً شمائل، والمعنى: متشابهة مثانيه.

٢ ـ فائدة التكرير:

وفائدة التثنية والتكرير: ترسيخ الكلام في الذهن، فإن النفوس تملُّ عادة من الوعظ والتنبيه، وتسأم النصيحة بادىء الأمر، ففي تكرير النصح والموعظة تعويد لها على استساغة ذلك، والعمل به، وقد ثبت: أن رسول الله ﷺ كان يكرر عليهم ما يعظ وينصح به ثلاثاً، وسبعاً أحياناً؛ ليركز ذلك في نفوسهم، والمعلم النابه لا يفتأ يردد ما يلقيه على طلابه من دروس حتى يصبح مستساغاً إليهم، هشاً في نفوسهم، بعد أن كان صعباً ممجوجاً.

٣ ـ التجسيد الحي:

وفي قوله: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ نكت بلاغية بديعة، وأهمها: التجسيد الحي، أراد سبحانه أن يجسد فرط خشيتهم، فعرض عليك صورة من الجلد اليابس،

وصورة من الشعر الواقف، ألا نقول: وقف شعر رأسه من الخوف، وفي ذكر الجلود وحدها أولاً، وقرنها بالقلوب ثانياً؛ لأن ذكر الخشية التي محلها القلوب مستلزم لذكر القلوب، فكأنه قيل: تقشعر جلودهم، وتخشى قلوبهم في أول الأمر، فإذا ذكروا الله، وذكروا رحمته وسعتها؛ استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم، وبالقشعريرة ليناً في جلودهم. وقيل: المعنى: أنَّ القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة، فكانوا إذا رأوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه إعظاماً له، وتعجباً من حسنه وبلاغته، ثم تلين جلودهم، وقلوبهم إلى ذكر الله.

﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْيَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ﴾ الهمزة: للاستئناف الإنكاري، والفاء: عاطفة على جملة مقدرة تفهم من مضمون السياق؛ أي: أكل الناس سواء فمن يتقي، ومَنْ: اسم موصول في محل رفع مبتدأ، وجملة يتقي بوجهه: صلة، وسوء العذاب: مفعول به، ويوم القيامة: ظرف متعلق بيتقي، وخبر مَنْ: محذوف، تقديره: كمن أمن من العذاب، وسيأتي معنى الإتقاء بالوجه في باب البلاغة. ﴿ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ وقيل: عطف على يتقي، أي: ويقال لهم: ذوقوا، وإنما عدل إلى الماضي للدلالة على تحقق وقوع القول، ويجوز أن تكون الواو: حالية، والجملة: في محل نصب على الحال من ضمير يتقي، وللظالمين: متعلقان بقيل، وفيه وضع

الظاهر موضع المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم، وجملة ذوقوا: مقول القول، وما: مفعول ذوقوا: وكنتم تكسبون: كان، واسمها، وخبرها، والجملة: صلة ما. ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان ما أصاب الكافرين من قبلهم من عذاب دنيوي، وكذب الذين: فعل، وفاعل، ومن قبلهم: متعلقان بمحذوف صلة الذين، فأتاهم العذاب: عطف على ما تقدم، وأتاهم: فعل، ومفعول به مقدم، والعذاب: فاعل مؤخر، ومن حيث: متعلقان بأتاهم، وجملة لا يشعرون: في محل جر بإضافة الظرف إليها.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلۡخِزۡيَ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ الفاء: عاطفة، وأذاقهم الله: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، والخزي: مفعول به ثان، وفي الحياة الدنيا: متعلقان بأذاقهم، أو: بمحذوف حال. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: لام الابتداء، وعذاب الآخرة: مبتدأ، وأكبر: خبر، ولو: شرطية، وكان، واسمها، وجملة يعلمون: خبرها، وجواب لو: محذوف دل عليه ما قبله، ومفعول يعلمون: محذوف أيضاً، تقديره: عذابها. ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: جواب للقسم المحذوف، وضربنا: فعل، وفاعل، وللناس: متعلقان بضربنا على أنه مفعول به ثان؛ لأن ضرب متضمن معنى جعل، وفي هذا القرآن: حال، ومن كل مثل: نعت لمفعول ضربنا الأول، أي: مثلاً كائناً من كل مثل، ولعلَّ، واسمها، وجملة يتذكرون: خبرها. ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ قرآناً: حال موطئة؛ لأنها ذكرت توطئة للنعت بالمشتق، بينما هي جامدة، وهي حال من القرآن، والاعتماد فيها على الصفة، وقال اللقاني: قرآناً: مصدر بمعنى القراءة، فهي مؤولة بـ: «مقروءاً عربياً» فهو مصدر، والمصدر للحال يؤول بمشتق» وقال الصفاقسي: قيل: الحال قرآناً، وعربياً: توطئة، ومعنى التوطئة: أنَّ الاسم الجامد لما وصف بما يجوز أن يكون حالاً صلح أن يكون

حالاً» وعلى هذا تضبط موطأة بفتح الطاء، وقال السمين: الثالث: أن ينتصب على الحال من القرآن، على أنها حال مؤكدة، وتسمى حالاً موطئة، لأن الحال في الحقيقة: عربياً، وقرآناً: توطئة له، نحو جاء زيد رجلاً صالحاً. وهكذا قرر الزمخشري. وأجاز الزمخشري وغيره أن ينتصب قرآناً على المدح؛ لأنه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقرآن، وأجاز أبو البقاء أن ينتصب بيتذكرون.

وغير ذي عوج: نعت ثان لقرآناً، وسيأتي معناه في باب البلاغة، ولعلهم يتقون: لعل، واسمها، وجملة يتقون: خبرها.

□ البلاغة:

١ ـ الكناية أو المجاز التمثيلي:

في قوله: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ كناية عن عدم الاتقاء؛ لأن الوجه لا يتقى به، وأما الذي يتقى به فهما اليدان، وهما مغلولتان، ولو لم يغلا لكان يدفع بهما عن الوجه؛ لأنه أعز أعضائه، وقيل: هو مجاز تمثيلي؛ لأن الملقى في النار لم يقصد الاتقاء بوجهه ولكنه لم يجد ما يتقي به النار غير وجهه، ولو وجد لفعل، فلما لقيها بوجهه كانت حاله حال المتقي بوجهه، فعبر عن ذلك بالاتقاء من باب المجاز التمثيلي وهو جميل أيضاً. قال النابغة:

سقطَ النَّصيفُ ولَمْ ترد إسقاطه
فتناولتهُ واتقتنا باليدِ

٢ ـ معنى العوج:

تقدم معنى العوج في الكهف، وأن العوج بالكسر مختص بالمعاني دون الأعيان والسرّ فيه، فارجع إليه هناك، وقيل: المراد بالعوج: الشك واللبس، قال:

وقَـدْ أتـاكَ يقيـنٌ غَيْـرَ ذي عِـوَجٍ
مـن الإلـهِ وقـولٌ غَيْـرَ مَكْـذوبِ

وعلى كل حال ففي الكلام استعارة تصريحية.

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ
يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ
إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى
ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾: متنازعون مختلفون، قال الزمخشري: والتشاكس والتشاخس: الاختلاف تقول: تشاكست أحواله، وتشاخست أسنانه. وفي المختار: رجل شكس بوزن فلس، أي: صعب الخلق، وقوم شكس بوزن قفل، وبابه: سلم، وحكى الفراء: شكس بكسر الكاف، وهو القياس قلت: وقوله تعالى: ﴿ فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ ﴾ أي: مختلفون، عسرو الأخلاق. وفي الصحاح: رجل شكس بالتسكين؛ أي: صعب الخلق، وقوم شكس، مثل: رجل صدق، وقوم صدق، وقد شكس بالكسر، من باب: سلم، شكاسة، وحكى الفراء: رجل شكس بكسر الكاف، وهو القياس.

وللشين والسين إذا كانتا فاء ولاماً للكلمة خاصة الصلابة، والامتناع، وسوء الخلق: يقال: شئس، كفرح، أي: صلب، فهو شئس وشأس، والشحس بالفتح: شجر مثل العتم إلا أنه أطول، ولا تتخذ منه القسي ليبسه، والشخس: الاضطراب، والاختلاف، وقد تقدم، والشرس محركة: سوء الخلق، وشدة الخلاف، كالشراسة، والأشرس: الجريء في القتال، والأسد، وهذا جمل لم يشرس، أي: لم يرض، والشَّسَسُ:

الأرض الصلبة، كأنها حجر واحد، والشطس: الدهاء، والعلم به، والشُطسي، كجمحيّ: الرجل المنكر المارد الداهية، والشمس: معروفة، وليس هناك أمنع منها، وشمس الفرس شموساً، وشِماساً: منع ظهره، فهو شامس، وشموس، والشموس: الخمر لأنها تجعل شاربها شموساً، والشَوَس محركة: النظر بمؤخر العين تكبراً، أو تغيظاً، كالتشاوس. وهذا من غريب أمر لغتنا الشريفة.

﴿ سَلَمًا ﴾: مصدر سلم، وقرىء: سالماً على أنه اسم فاعل، أي: خالصاً.

○ الإعراب:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتمثيل من يعبد آلهة كثيرة، ومن يعبد إلهاً واحداً. وضرب الله: فعل وفاعل، ومثلاً: مفعول به، ورجلاً: بدل من مثلاً، وقد تقدم إعراب نظيره، وقال الكسائي: انتصب رجلاً على إسقاط الخافض، أي: مثلاً في رجل. وفيه: خبر مقدم، وشركاء: مبتدأ مؤخر، والجملة الإسمية: صفة رجلاً، ومتشاكسون: نعت لشركاء، ورجلاً: عطف على رجلاً، وسلماً: نعت بالمصدر على سبيل المبالغة، ولرجل: متعلقان بالمصدر، وهل: حرف استفهام، ويستويان: فعل مضارع، وفاعل، ومثلاً: تمييز محول عن الفاعل، أي: لا يستوي مثلهما، وأفرد التمييز لاقتصاره عليه في الأول، وقرىء: مثلين، لمطابقة حالي الرجلين. ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الحمد: مبتدأ، ولله: خبر، والجملة الإسمية معترضة؛ لأن قوله ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إضراب انتقالي مرتبط بقوله: ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ وأكثرهم: مبتدأ، وجملة لا يعلمون: خبر.

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ جملة مستأنفة، مسوقة للرد عليهم، فقد كانوا يتربصون موته، ويستبطئونه، فأخبر الله تعالى: أن الموت يعمهم جميعاً، فلا معنى للتربص والاستبطاء، ولا مبرر لشماتة فانٍ بفانٍ، وإنك ميت: إنَّ،

واسمها، وخبرها، وإنهم ميتون: عطف على ما تقدم، وسيأتي مزيد من الكلام على هذه الآية في باب البلاغة. ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وإن، واسمها، ويوم القيامة: ظرف متعلق بيختصمون، وعند ربكم: ظرف متعلق بمحذوف حال، وسيأتي معنى الاختصام في باب الفوائد. ﴿ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ﴾ الفاء: عاطفة، ومَنْ: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، ومعناه: النفي؛ أي: لا أحد، ومِمَّنْ: متعلقان بأظلم، وجملة كذب على الله: صلة مَنْ، وكذب بالصدق: عطف على كذب إلى الله، وإذ جاءه: ظرف متعلق بكذب بالصدق، أي: كذب بالقرآن وقت مجيئه، وجملة جاءه: في محل جر بإضافة الظرف إليها.

﴿ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري، وليس: فعل ماض ناقص، وفي جهنم: خبرها المقدم، ومثوى: اسمها المؤخر، وللكافرين: صفة لمثوى، أو بنفس مثوى؛ لأنه اسم مكان، من: ثوى، أي: أقام.

□ البلاغة:

١ ـ فن المثل:

في قوله: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ ﴾ . . . الآية فن إرسال المثل، فقد شبه حال من يعبد آلهة شتى بمملوك اشترك فيه شركاء، شجر بينهم خلاف شديد، وخصام مبين، وهم يتجاذبونه، ويتعاورونه في شتى آرابهم، ومتباين أهوائهم، فهو يقف متحيراً لا يدري لأيهم ينحاز، ولأيّهم ينصاع، وأيهم أجدر بأن يطيعه، وحال من يعبد إلهاً واحداً، فهو متوفر على خدمته، يلبي كل حاجاته، ويصيخ سمعاً لكل ما ينتدبه إليه، ويطلب منه.

٢ ـ الفرق بين ميْت وميّت:

قال الفراء: الميت بالتشديد: من لم يمت، وسيموت، والميْت

بالتخفيف: من فارقته الروح. ولذلك لم يخفف في الآية؛ لأنه لمّا يمت، ولمّا يموتوا بالنسبة لنزول الآية، وقال الزمخشري: والفرق بين الميت والمائت: أن الميت صفة لازمة، كالسيد، وأما المائت: فصيغة حادثة، تقول: زيد مائت غداً، كما تقول: سائد غداً، أي: سيموت، وسيسود، وإذا قلت: زيد ميت، فكما تقول: حي في نقيضه، فيما يرجع إلى اللزوم والثبوت، والمعنى في قوله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ إنك وإياهم وإن كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى؛ لأنّ ما هو كائن فكأن قد كان.

* الفوائـد:

وهذه نبذة لا مندوحة عن إيرادها في معنى الاختصام: فقد جاء عن عبد الله بن الزبير قال: لما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير يا رسول الله! أتكون علينا الخصومة بعد الذي بيننا في الدنيا؟ قال: «نعم»، فقال: إنَّ الأمر إذاً لشديد. أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وقال ابن عمر رضي الله عنهما: عشنا برهة من الدهر، وكنا نرى: أن هذه الآية نزلت في أهل الكتابين: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قلنا: كيف نختصم وديننا واحد ونبينا واحد، فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفين، وشد بعضنا على بعض بالسيوف؛ قلنا: نعم هذا هو.

وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار» قال القسطلاني في شرحه: أي: فضرب كل واحد منهما الآخر إذا كان قتالهما بلا تأويل، بل على عداوة دنيوية، أو طلب ملك مثلاً، فأمَّا من قاتل أهل البغي، أو دفع الصائل، فقتل فلا، أما إذا كانا صحابيين فأمرهما عن اجتهاد لإصلاح الدين، وفيه: أن من عزم على المعصية أثم وإن لم يفعلها. وفي رواية إذا المسلمان حمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على حرف جهنم، فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعاً، قال: فقلنا: أو قيل: يا رسول الله! هذا القاتل فما بال المقتول؟

قال: إنه أراد قتل صاحبه، رواه البخاري ومسلم، قال العلماء: معنى كونهما في النار: أنهما يستحقان ذلك، ولكن أمرهما إلى الله تعالى إن شاء عاقبهما، ثم أخرجهما من النار، كسائر الموحدين، وإن شاء عفا عنهما، فلم يعاقبهما أصلاً، وقيل هو محمول على من استحل ذلك، وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق، وقتال الباغين، واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم، لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا الله تعالى عن المخطيء في الاجتهاد، بل ثبت: أنه يؤجر أجراً واحداً، وأنَّ المصيب يؤجر أجرين، وجعل هؤلاء الوعيد المذكور في الحديث على من قاتل بغير تأويل سائغ، بل بمجرد طلب الملك.

وقد أخرج البزّار في حديث: «القاتل والمقتول في النار» زيادة تبين المراد، وهي: «إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار» ويؤيده ما أخرجه مسلم بلفظ: «لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيم قَتَلَ؟ ولا المقتول فيم قتل؟» فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: «الهرج القاتل والمقتول في النار» هذا والكلام في هذا الباب طويل، يرجع فيه إلى المطولات؛ لأنه خارج عن نطاق هذا الكتاب.

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا
يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ
ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ
بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ
هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ

هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الواو: استئنافية، والذي: مبتدأ، وجملة جاء بالصدق: صلة، وصدق: عطف على الصلة، والذي: جنس المراد به بالنسبة للصلة الأولى: محمد، وبالنسبة للصلة الثانية: المؤمنون، ولذلك روعي معنى الذي في ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ وأولئك: مبتدأ، وهم: ضمير فصل، والمتقون: خبر أولئك، والجملة الإسمية: خبر الذي، ويؤيد هذا المعنى قراءة ابن مسعود (والذين جاءوا بالصدق وصدقوا به). ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ لهم: خبر مقدم، وما: مبتدأ مؤخر، وجملة يشاؤون: صلة، وعند ربهم: ظرف متعلق بمحذوف حال، والجملة: خبر ثان للذي، وذلك: مبتدأ، وجزاء المحسنين: خبر، والجملة: نصب على الحال. ﴿ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ ﴾ اللام: للتعليل، ويكفر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، ولام التعليل، ومجرورها: متعلقان بمحذوف؛ أي: يسر لهم ذلك ليكفروا، ولك أن تعلق اللام ومدخولها بالمحسنين، فتكون للعاقبة، أي: فكانت عاقبتهم التكفير، والله: فاعل يكفر، وعنهم: متعلقان بيكفر، وأسوأ: مفعول به، والذي: مضاف إليه، وجملة عملوا: صلة، وليس المراد هنا باسم التفضيل معناه على بابه، وإنما هي من إضافة الشيء إلى بعضه من غير تفضيل، ومنه قولهم: الأشج والناقص أعدل بني مروان؛ لأنَّ اسم التفضيل لو كان على بابه لاقتضى نظم الكلام: أنه يكفر عنهم أقبح السيئات فقط، وهذا غير مراد طبعاً.

﴿ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ عطف على ما تقدم، وأجرهم: مفعول به ثان ليجزيهم، وما قيل في معنى اسم التفضيل، وهو أسوأ، يقال هنا في معنى اسم التفضيل، وهو أحسن؛ لأنه تعالى لا يجزيهم

على أفضل الحسنات فقط. ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري؛ لأن همزة الإنكار إذا دخلت على النفي أثبتته بطريق المبالغة، وليس واسمها، والباء: حرف جر زائد، وكافٍ: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس، وعبده: مفعول كافٍ، والمراد به: النبي، أو: الجنس عامة، ويؤيده قراءة حمزة والكسائي: ﴿عباده﴾ ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ لك في الواو أن تجعلها للحال، فتكون الجملة: حالية، والمعنى: أليس الله كافيك حال تخويفهم إياك، هذا إذا أراد بالعبد نبيه ﷺ، ولك أن تجعلها استئنافية، فتكون الجملة مستأنفة، مسوقة لتفنيد ما يعمدون إليه من تخويف بالأصنام، ويخوفونك: فعل مضارع، ومفعول به، وبالذين: متعلقان بيخوفونك، ومن دونه: متعلقان بمحذوف هو الصلة، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ تقدم إعرابها بنصها قريباً، فجدد به عهداً. ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ الجملة معطوفة على الجملة السابقة، والإعراب متشابه، والهمزة: للاستفهام التقريري، وليس، واسمها، وبعزيز الباء: حرف جر زائد، وعزيز: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس، وذي انتقام: نعت.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ الواو: عاطفة، واللام: موطئة للقسم، وإن: شرطية، وسألتهم: فعل، وفاعل، ومفعول به، وهو في محل جزم فعل الشرط، ومَنْ: اسم استفهام في محل رفع مبتدأ، وجملة خلق السموات والأرض: خبر، والجملة: في محل نصب مفعول به ثان لسألتهم المعلقة عن العمل بالاستفهام، واللام: واقعة في جواب القسم، وجواب الشرط: محذوف وفقاً للقاعدة المشهورة، ويقولن: فعل مضارع معرب لعدم مباشرة نون التوكيد له، وقد تقدمت له نظائر كثيرة، والله: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو الله، أو: مبتدأ، والخبر محذوف، أي: خلقها. ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الهمزة:

للاستفهام، والفاء: الفصيحة، ورأيتم: بمعنى أخبروني، وقد تقدم القول فيها مفصلاً أكثر من مرة، وما تدعون: مفعول رأيتم الأول، ومن دون الله: حال، ويجوز أن تكون الفاء عاطفة على مقدر، أي: أتفكرتم بعد ما أقررتم به فرأيتم . . . ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ إن: شرطية، وأرادني الله: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وهو في محل جزم فعل الشرط، والجواب: محذوف، وجملة الشرط: اعتراضية، والجملة الاستفهامية ﴿هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ﴾: مفعول رأيتم الثاني، وهن: مبتدأ، وكاشفات ضره: خبر.

﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ عطف على الجملة السابقة، وقرىء بتنوين كاشفات، وممسكات، ونصب ضره، ورحمته، على المفعولية لاسمي الفاعل. ﴿قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ حسبي الله: مبتدأ، وخبر، أو: بالعكس، والجملة: مقول القول، وعليه: متعلقان بيتوكل، ويتوكل المتوكلون: فعل مضارع، وفاعل.

﴿ قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾
مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ
لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ
أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى
مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿قُلْ يَـٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَـٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ يا: حرف نداء، وقوم: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة، واعملوا: فعل أمر، وفاعل، وعلى مكانتكم: حال، وسيأتي معنى الاستعارة هنا في

باب البلاغة، وإنَّ، واسمها، وخبرها، وفي الكلام حذف، أي: على مكانتي، والفاء: عاطفة، وسوف: حرف استقبال، وتعلمون: فعل مضارع مرفوع، والواو: فاعل. ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ من: اسم موصول مفعول تعلمون، والعلم هنا بمعنى المعرفة، فينصب مفعولاً واحداً، وجملة يأتيه: صلة، وعذاب: فاعل يأتيه، وجملة يخزيه: صفة لعذاب، ويحل: عطف على يخزيه، وعليه: متعلقان بيحل، وعذاب: فاعل يحل، ومقيم: نعت، أي: دائم ثابت. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة أنزلنا: خبرها، وعليك: متعلقان بأنزلنا، والكتاب: مفعول به، وللناس: متعلقان بأنزلنا، أي: لأجلهم، وبالحق: حال، أي: متلبساً به، فهو من الفاعل، أو من المفعول. ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ﴾ الفاء: عاطفة، ومَنْ: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، واهتدى: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، الفاء: رابطة، ولنفسه: خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهدايته لنفسه، والجملة: في محل جزم جواب الشرط، وفعل الشرط، وجوابه: خبر المبتدأ، وجملة ومن ضل فإنما يضل عليها: عطف على نظيرتها.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية حجازية، وأنت: اسمها، وعليهم: متعلقان بوكيل، والباء: حرف جر زائد، ووكيل: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما. ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ الله: مبتدأ، وجملة يتوفى الأنفس: خبر، وحين موتها: متعلق بيتوفى، والواو: حرف عطف، والتي: معطوف على الأنفس، وجملة لم تمت في منامها: صلة، وفي منامها: ظرف ليتوفى، والمعنى: ويتوفى الأنفس التي: لم تمت في منامها، أي: يتوفاها حين تنام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾. ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ الفاء: عاطفة، ويمسك: فعل مضارع

معطوف على يتوفى، والتي: مفعول يمسك، وجملة قضى عليها الموت: صلة، والموت: مفعول قضى، ويرسل: عطف على يمسك، والأخرى: مفعول به، وإلى أجل: متعلقان بيرسل، أو: بيمسك، ومسمى: نعت لأجل.

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ إن: حرف مشبه بالفعل، وفي ذلك: خبر مقدم، واللام: المزحلقة، وآيات: اسم إنَّ، ولقوم: صفة لآيات، وجملة يتفكرون: نعت لقوم.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ . . . ﴾ الآية استعارة تصريحية، فقد شبهت الحال بالمكان القارّ فيه، ووجه الشبه: ثباتهم في تلك الحال بثبات المتمكن في مكانه.

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ﴾ أم: حرف عطف بمعنى بل، واتخذوا: فعل ماض، والواو: فاعل، أي: قريش، ومن دون الله: مفعول اتخذوا الثاني، وشفعاء: مفعول اتخذوا الأول. ﴿ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، ومدخولها: محذوف،

تقديره: أيشفعون، والواو: حالية، ولو: شرطية، وكان، واسمها، وجملة لا يملكون: خبرها، والجملة: في موضع نصب على الحال، والمعنى: أيشفعون في حالة كونهم لا يملكون، ولا يعقلون، وشيئاً: مفعول به، أو مفعول مطلق، وقد تقدم القول فيها، ولا يعقلون: عطف على لا يملكون، وجواب لو: محذوف، تقديره: تتخذونهم، أي: وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم. ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ لله: خبر مقدم، والشفاعة: مبتدأ مؤخر، واللام: للملك؛ أي أنَّه مختص بها، لا يملكها أحد إلا بتمليكه، وجميعاً: حال، وله: خبر مقدم، وملك السموات والأرض: مبتدأ مؤخر، ثم: حرف عطف للترتيب والتراخي، وإليه: متعلقان بترجعون.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِۖ﴾ الواو: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متعلق بالجواب، وجملة ذكر الله: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والله: نائب فاعل، ووحده: حال، وعلى المصدر عند الخليل وسيبويه، وجملة ﴿ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِۖ﴾: لا محل لها؛ لأنها جواب إذا. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ عطف على ما تقدم، ومن دونه: صلة الذين، وإذا: الفجائية، وقد جرينا على أنها حرف، فلا تحتاج إلى عامل، وإذا كانت ظرف زمان أو مكان كانت معمولة لما بعدها، وهم: مبتدأ، وجملة يستبشرون؛ أي: يستبشرون وقت ذكر الذين من دونه. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ اللهم: منادى، والميم المشددة: عوض عن يا، وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً، وفاطر السموات والأرض: منادى مضاف، وهناك أعاريب أخرى سيرد الكلام عنها مفصلاً في باب الفوائد، وكذلك قوله: ﴿عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾. ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أنت: مبتدأ، وجملة تحكم: خبر، وبين عبادك: الظرف متعلق بتحكم، وفيما: متعلقان بتحكم أيضاً، وكانوا: كان،

واسمها، وجملة يختلفون: خبر كانوا، وفيه: متعلقان بيختلفون، وجملة كانوا . . . الخ: صلة ما.

* الفوائـد:

١ ـ عودة إلى «اللهم»:

مذهب الخليل وسيبويه: أن هذا الاسم لا يوصف؛ لأنه صار عندهم مع الميم بمنزلة الصوت، أي: غير متمكن في الاستعمال، وذهب المبرد، والزجاج إلى جواز وصفه بمرفوع على اللفظ، ومنصوب على المحل، وجعل فاطر السموات والأرض: صفة له، قال أبو حيان: والصحيح مذهب سيبويه؛ لأنه لم يسمع مثل: اللهم الرحيم ارحمنا، والآية ونحوها محتملة للنداء.

وقال ابن هشام: وإنما قال في ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: إنه على تقدير يا، ولم يجعله صفة على المحلّ؛ لأن عنده أن اسم الله سبحانه وتعالى لما اتصلت به الميم المعوضة عن حرف النداء أشبه الأصوات، فلم يجز نعته. أي: فقد صار مثل «هلا» إذ الميم بمنزلة صوت مضموم إلى اسم الله مع بقائهما على معنييهما.

٢ ـ الاستبشار والاشمئزاز:

قال الزمخشري: الاستبشار: أن يمتلىء قلبه سروراً حتى تنبسط له بشرة وجهه، ويتهلّل، والاشمئزاز: أن يمتلىء غماً حتى يظهر الانقباض في أديم وجهه.

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ

ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾

○ الإعـراب:

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان نمط من أنماط الهول الذي ينتظرهم، والعذاب الشديد الذي أُعدَّ لهم. ولو: شرطية، وأن، وما في حيزها: فاعل لفعل محذوف على الأرجح، وقد تقدم تقرير ذلك أكثر من مرة، وللذين: خبرها المقدم، وما: اسمها المؤخر، وفي الأرض: صلة ما، وجميعاً: حال، ومثله: عطف على ما، ومعه: ظرف متعلق بمحذوف حال، واللام: واقعة في جواب لو، وافتدوا: فعل، وفاعل، وبه: متعلقان بافتدوا، ومن سوء العذاب: متعلقان بافتدوا أيضاً، ويوم القيامة: الظرف: حال من فاعل افتدوا، أي: حال كونهم في ذلك اليوم العصيب. ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴾ كلام معطوف على جملة: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ . . . الآية، وبدا: فعل ماض، ولهم: متعلقان به، ومن الله: حال، وما: فاعل، وجملة لم يكونوا: صلة ما، وجملة يحتسبون: خبر يكونوا، والعائد: محذوف، أي: يحتسبونه.

﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ عطف على ما تقدم، ولك أن تجعل الكلامين مستأنفاً مسوقاً لإبراز وعيدهم في أبلغ ما يكون الوعيد والتهديد، وإعرابها مماثل لما تقدم.

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ﴾ الفاء: عاطفة لترتيب ما بعدها من المناقضة على ما سبق ذكره، وسيأتي السر في إيثار الفاء؛ مع أنها تقدمت في أول السورة معطوفة بالواو، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، ومسَّ الإنسان ضر: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وجملة دعانا: لا محل لها لأنها جواب إذا. ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ

عِلۡمٍۚ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة خولناه: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وخولناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، ونعمة: مفعول به ثان، ومنَّا: صفة لنعمة، وجملة قال: لا محل لها، وإنَّما: كافة ومكفوفة، وأوتيته: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء: نائب فاعل، والهاء: مفعول به، وذكر الضمير لأن النعمة بمعنى الإحسان، والعطاء، ولك أن تعمل إنَّ، فتجعل ما: موصولة في محل نصب اسمها، وعلى علم: خبرها، والأول أرجح، وعلى علم، متعلقان بمحذوف حال، أي: حال كوني عالماً أني سأعطاه، لما أتمتع به من جدارة واستحقاق.

﴿بَلۡ هِيَ فِتۡنَةٞ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ بل: إضراب انتقالي، وهي: مبتدأ، وفتنة: خبر، أي: مقالته المذكورة، أو: النعمة، وهذا أرجح، ولكن: الواو: حالية، ولكنَّ، واسمها، وجملة لا يعلمون: خبرها. قال الفراء: أنّث الضمير في قوله: هي؛ لتأنيث الفتنة، ولو قال: بل هو فتنة؛ لجاز، وتذكير الأول في قوله: أوتيته؛ باعتبار معناها.

□ البلاغة:

إنما عطف قوله: ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ﴾ في آخر السورة بالفاء، وفي أولها بالواو؛ لأن هذه نشأت عن قوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ أي: أنهم يشمئزون عن ذكر الله، ويستبشرون بذكر الآلهة. أما الأولى فلم تنشأ عما قبلها، وإنما هو وصف الكلام اقتضى عطفها بالواو لمناسبة ما قبلها.

﴿قَدۡ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٥٠ فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا

هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

○ الإعـراب:

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قد: حرف تحقيق، وقالها: فعل ماض، ومفعول به مقدم، والهاء: عائدة على مقالتهم، وهي: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ لأنها كلمة، والذين: فاعله، ومن قبلهم: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وما: نافية، وأغنى: فعل ماض، وعنهم: متعلقان به، وما: نافية، وأغنى: فعل ماض، وعنهم: متعلقان به، وما: فاعل أغنى، وجملة كانوا: صلة، وكان، واسمها، وجملة يكسبون: خبرها. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ﴾ الفاء: عاطفة، وأصابهم سيئات: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وما: موصولة، أو: مصدرية في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ الواو: عاطفة، والذين: مبتدأ، وجملة ظلموا: صلة، من هؤلاء: حال، وجملة سيصيبهم سيئات ما كسبوا: خبر الذين، وما هم: ما: نافية حجازية، وهم: اسمها، والباء: حرف جر زائد، ومعجزين: مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: عاطفة على محذوف، تقديره: أقالوها ولم يعلموا، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويعلموا: فعل مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف النون، والواو: فاعل، وأنَّ، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي يعلموا، وأنَّ، واسمها، وجملة يبسط الرزق: خبرها ولمن: متعلقان بيبسط، وجملة يشاء: صلة، ويقدر: عطف على يبسط. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ إن، وخبرها المقدم، واللام: المزحلقة،

وآيات: اسمها المؤخر، ولقوم: صفة لآيات، وجملة يؤمنون: صفة لقوم.

﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم
مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾
أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى
ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى
فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ ۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان: أنَّ الإنابة مطلوبة؛ لأن الفسحة عظيمة للمسرف. ويا عبادي: منادى مضاف إلى ياء المتكلم المفتوحة، وقرىء: يا عبادِ بكسرها، وقد تقدم حكم المنادى المضاف لياء المتكلم، والذين: نعت لعبادي، وجملة أسرفوا: صلة، وعلى أنفسهم: متعلقان بأسرفوا، ولا: ناهية، وتقنطوا: فعل مضارع مجزوم بلا، والواو: فاعل، ومن رحمة الله: متعلقان بتقنطوا. وقنط من باب تعب، وسلم، فيجوز كسر نونه وفتحها في المضارع، وقد قرىء بهما، وفي المختار: القنوط: اليأس، وبابه: جلس، ودخل، وطرب، وسلم، فهو قنط، وقنوط، وقانط. وقد قرىء بالضم شذوذاً.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة يغفر: خبرها، والجملة: تعليل للنهي عن القنوط، ولذلك قيل: هذه أرجى

آية في القرآن، وسيأتي بيان ما فيها من أفانين البلاغة، والذنوب: مفعول به، وجميعاً: حال، وذلك بعد التوبة من الشرك، وإنَّ، واسمها، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والغفور الرحيم: خبران لإن، أو: لهو، والجملة: خبر إن. ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ وأنيبوا: الواو: عاطفة، وأنيبوا: فعل أمر، وفاعله، وإلى ربكم: متعلقان بأنيبوا، وأسلموا: عطف أيضاً، وله: متعلقان بأسلموا، ومن قبل: متعلقان بمحذوف حال، وأنْ، وما في حيزها: مصدر مؤول مضاف إلى الظرف، ويأتيكم: فعل مضارع منصوب بأن، والكاف: مفعول به مقدم، والعذاب: فاعل مؤخر، وثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي، وتؤمرون: فعل مضارع مرفوع لأنه لم يعطف على يأتيكم، وسيأتي السر في ذلك في باب البلاغة.

﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم ﴾ واتبعوا: عطف على وأنيبوا، وأحسن: مفعول به لاتبعوا، وما: اسم موصول مضاف لأحسن، وجملة أنزل إليكم: صلة، ومن ربكم: متعلقان بأنزل أيضاً. ﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ من قبل: متعلقان بمحذوف حال، وأنْ، وما في حيزها: في محل جر بالإضافة، وبغتة: حال، والواو: حالية، وأنتم: مبتدأ، وجملة لا تشعرون: خبر، والجملة: نصب على الحال. ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ أن، وما في حيزها: في محل نصب مفعول لأجله، وقدَّره الزمخشري: كراهة أن تقول، وقدّره أبو البقاء: أنذرناكم مخافة أن تقول، ونفس: فاعل تقول، وسيأتي السر في تنكيرها في باب البلاغة، ويا: حرف نداء، وحسرتا: منادى مضاف لياء المتكلم المنقلبة ألفاً، وأصله: يا حسرتي؛ أي: ندامتي، وعلى ما فرطت: أي: على تفريطي، فما: مصدرية، والمصدر المؤول مجرور بعلى، والجار والمجرور متعلقان بحسرتا، وفي جنب الله: متعلقان بفرطت، وسيأتي بحث هذه الكناية في باب البلاغة.

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ الواو: للحال، وإنْ: مخففة من الثقيلة، أي: والحال أني، وكان، واسمها، واللام: الفارقة، ومن الساخرين: خبر كنت، ومحل الجملة: نصب على الحال. ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أو: حرف عطف، وتقول: عطف على أن تقول، ولو: شرطية، وأنَّ، وما في حيزها: فاعل لفعل محذوف، تقديره: ثبت، وأنَّ، واسمها، وجملة هداني: خبرها، واللام: واقعة في جواب لو، وكان، واسمها، ومن المتقين: خبرها، والجملة: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط جازم. ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أو تقول: عطف على ما تقدم، والفاعل: مستتر، تقديره: هي يعود على نفس، وأو: للتنويع لما تقوله النفس في ذلك اليوم العصيب تعللاً بما لا يفيد، ولا يسفر عن فائدة، ولو: شرطية، وأنَّ، وما في حيزها: فاعل لفعل محذوف، وأنَّ، وخبرها المقدم، وكرة: اسمها المؤخر، فأكون: الفاء: عاطفة، وأكون: معطوف على كرة، فهو عطف على اسم خالص من التقدير بالفعل، وقد تقدمت الإشارة إليه، وإما أن تكون الفاء السببية، وأكونَ: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة جواباً للتمني المفهوم من قوله: لو أن لي كرة، والفرق بين الوجهين: أنه على الأول يكون فيه الكون من جملة المتمنى، وعلى الثاني يكون فيه الكون مترتباً على حصول المتمنى، لا متمنى.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بلى: حرف جواب جاء لرد النفي الذي تضمنه قول القائل: لو أن الله هداني، وقد: حرف تحقيق، وجاءتك آياتي: فعل، ومفعول به، وفاعل، فكذبت بها: عطف على جاءتك، وكنت: كان، واسمها، ومن الكافرين: خبرها.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ

﴿ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فنون متنوعة من علمي البديع والبيان نلخصها فيما يلي:

١ ـ إقباله سبحانه عليهم، وفي ذلك منتهى الاطمئنان لهم لمحو ما سبق لهم من ذنوب وأوضار، والإشعار بأنَّ أمامهم مندوحة من الوقت لاستدراك ما فرط، ورأب ما انصدع.

٢ ـ نداؤهم، وفي ذلك من التودّد إليهم، والتلطف بهم ما يهيب بذوي المسكة من العقول منهم إلى المبادرة بالإنابة، والرجوع بالتوبة.

٣ ـ إضافتهم إليه إضافة تشريف لهم، وأنهم خلقاء بآصرة العبودية، يمتون بها إليه سبحانه، وذلك كاف لمقابلتهم ذلك بالمثل وإعلان التوبة للازدلاف إليه بها.

٤ ـ إضافة الرحمة إلى أخص أسمائه تعالى، وأجلها، وأنها هي الأصل في معاملته لعباده.

٥ ـ إعادة الظاهر بلفظه في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾.

٦ ـ الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله: ﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ لتخصيص الرحمة بالاسم الكريم، كما تقدم آنفاً.

٧ ـ إبراز الجملة من قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ مؤكدة بأنَّ، وبضمير الفصل، وبالصفتين المودعتين للمبالغة، فهذه سبعة فنون كاملة في آية واحدة.

٢ ـ الإيضاح:

وذلك في قوله: ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ فلقائل أن يقول: لمَ لمْ يعطف تنصرون على أن يأتيكم المنصوب؟ والجواب عن هذا الإشكال: أنَّه أراد ـ وهو أعلم ـ العدة بإخبارهم أنه لن ينصرهم أبداً في الاستقبال ما داموا مصرين على عدم الإنابة، محجمين عن الإسلام، وقد تقدمت آية مماثلة لها في هذا الفن في سورة آل عمران.

٣ ـ التنكير :

والسر في تنكير النفس في قوله ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ التقليل، لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي نفس الكافر، وأنَّها نفس متميزة من الأنفس بهذه السمة من اللجاج في الكفر، وربما أريد بها التكثير على حد قول الأعشى :

وربَّ بقيعٍ لـو هتفْـتُ بجـوه   أتاني كريمٍ ينفضُ الرأس مُغْضَبا

يريد كراماً كثيرين، لا كريماً واحداً، ومثله : رب بلد قطعت، ورب بطل قارعت، وهو يقصد بلاداً وأبطالاً .

٤ ـ الكناية :

في قوله : ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنْبِ ٱللَّهِ﴾ والجنب : الجانب، يقال : أنا في جنب فلان، وجانبه، وناحيته، وفلان لين الجنب، والجانب، ثم قالوا : فرط في جنبه، وفي جانبه، يريدون : في حقه، قال جميل بن معمر :

أمـا تَتَّقِيـنَ الله فـي جَنْـبِ وامـقٍ
لـه كبـدٌ حـرَّى عليـكِ تَقَطَّـعُ
غـريـبٍ مشـوقٍ مـولـعٍ بـادِّكـارِكُمْ
وكلُّ غريبِ الدَّار بالشوقِ مولَعُ

يستعطف جميل صاحبته بثينة، ويتوجع إليها مما نابه فيها، أي : أما تخافين الله في جنب وامق، أي : في حقه الواجب عليك، فالجنب : كناية عن ذلك، والوامق : الشديد المحبة، يعني : نفسه، وحرَّى : أي ذات حر، واحتراق، وتقطع : أصله : تتقطع، والادكار أصله : الاذتكار، قلبت تاء الافتعال دالاً مهملة، وأدغمت الذال المعجمة فيها، وخاطبها خطاب جمع المذكر تعظيماً لها . وفي البيت الثاني رد العجز على الصدر، وهو من بديع الكلام . وهذه الكناية تسمى : كناية نسبة، وقد تقدم القول في أقسام الكناية، لأنك إذا أثبتّ الأمر في مكان الرجل وحيّزه فقد أثبتّه فيه، قال زياد الأعجم :

إنَّ السماحةَ والمروءةَ والنَّدى
في قبةٍ ضُربَتْ على ابن الحشْرَجِ

يعني: أنَّه مختص بهذه الصفات، لا توجد في غيره، ولا خيمةٌ هناك ولا ضربٌ أصلاً.

* الفوائد:

ألف الفصل:

ألف الفصل تزاد بعد واو الجماعة مخافة التباسها بواو النسق، مثل: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ ومثل: كفروا، ووردوا، ألا ترى أنهم لو لم يدخلوا الألف بعد الواو ثم اتصلت بكلام بعدها ظن القارىء أنها كفر وورد فحيزت الواو لما قبلها بألف الفصل، ولما فعلوا ذلك في الأفعال التي تنقطع واوها من الحروف قبلها، نحو: ساروا، وجاؤوا، فعلوا ذلك في الأفعال التي تتصل واوها بالحروف قبلها، نحو: كانوا، وبانوا؛ ليكون حكم هذه الواو في كل موضع حكماً واحداً.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾: المفازة: الفلاة المهلكة، سميت باسم المنجاة على

سبيل التفاؤل، وفوّز المسافر: ركب المفازة، ومضى فيها، قال حسان:

لله درُّ رافـعٍ أنَّـى اهتـدى فـوَّزَ مِـنْ قـراقِـرَ إلـى سـوى

وفوّز بإبله، وفوّز الرجل: مات فصار في مفازة ما بين الدنيا والآخرة من البرزخ الممدود، أو لأن المفازة صارت اسماً للمهلكة فأخذ منها، فوَّز بمعنى: هلك، وفاز سهمه، وخرج له سهم فائز: إذا غلب، وفاز بفائزة هنيّة، وأجيز بجائزة سنية. وقد سموا اللديغ سليماً تفاؤلاً ببرئه كما سموا القافلة للمسافرين تفاؤلاً بأوبتهم.

﴿مَقَالِيدُ﴾: المقاليد: جمع مقلاد، مثل: مفتاح، ومفاتيح، أو: مقليد، مثل: منديل، ومناديل، والكلام من باب الكناية، وعبارة القاموس: والإقليد: بُرَة الناقة، والمفتاح، كالمقلاد، والمقلد، وشريط يشد به رأس الجُلة، وشيء يطوّل مثل الخيط من الصُّفر يُقلد على البرة، وعلى خوق القرط، كالقلاد، والعنق، وجمعه: أقلاد، وناقة قلداء: طويلتها، وكسكيت ومصباح: الخزانة، وضاقت مقالده، ومقاليده: ضاقت عليه أموره، وكمنبر: الوعاء، والمخلاة، والمكيال، وعصا في رأسها اعوجاج. إلى أن يقول: والقلادة: ما جعل في العنق، وتقلد: لبسها. على أن الزمخشري وغيره من علماء اللغة يقولون: إنَّ أصل الكلمة فارسي، قال في الكشاف: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك أمرها، وحافظها، وهو من باب الكناية؛ لأن حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها، ومنه قولهم: ألقيت إليه مقاليد الملك، وهي المفاتيح، ولا واحد لها من لفظها، وقيل: مقلد، ويقال: إقليد، وأقاليد، والكلمة أصلها فارسية، فإن قلت: ما للكتاب العربي المبين وللفارسية؟ قلت: التعريب أحالها عربية، كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملاً.

○ الإعراب:

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ الواو:

استئنافية، والظرف: متعلق بترى، وترى: فعل مضارع مرفوع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، والذين: مفعوله، وجملة كذبوا على الله: صلة، ووجوههم: مبتدأ، ومسودة: خبر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الموصول؛ لأن الرؤية بصرية، ويجوز أن تكون الرؤية قلبية، فتكون الجملة في موضع المفعول الثاني لترى، والكذب على الله معناه: نسبة الشريك إليه. ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري، وليس، وخبرها المقدم، ومثوى: اسمها المؤخر، وللمتكبرين: نعت لمثوى، والجملة تعليلية لا سوداد وجوههم ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ الواو: عاطفة، وينجي الله الذين: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به، وجملة اتقوا: صلة، وبمفازتهم: متعلقان بينجي؛ لأنها سببية، ففوزهم بالفلاح سبب النجاة. ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا: نافية، ويمسهم السوء: فعل مضارع، ومفعول به، وفاعل، والواو: عاطفة، ولا: نافية، وهم: مبتدأ، وجملة يحزنون: خبر، وجملة لا يمسهم السوء: لا محل لها؛ لأنها مفسرة للمفازة، كأنه قيل: ما مفازتهم؟ فقيل: لايمسهم السوء. ولا يبعد أن تكون في موضع نصب على الحال من الذين اتقوا، وأجاز الزمخشري أن تكون مستأنفة.

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ الله: مبتدأ، وخالق كل شيء: خبر، وهو: مبتدأ، وعلى كل شيء: متعلقان بوكيل، ووكيل: خبر هو، والجملة: مستأنفة. ﴿لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ له: خبر مقدم، ومقاليد السموات والأرض: مبتدأ مؤخر، والجملة: مستأنفة أيضاً. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين: مبتدأ، وجملة كفروا بآيات الله: صلة، وهم: مبتدأ، والخاسرون: خبره، والجملة: خبر الذين، ولك أن تجعل هم: ضمير فصل، لا محل له كما تقدم، والجملة: معطوفة على ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عطف أحد المتقابلين على الآخر، ولا يمنع من هذا العطف كون المعطوف جملة اسمية والمعطوف عليه جملة فعلية. ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام

الإنكاري، والفاء: عاطفة على محذوف، وغير الله: نصب بأعبد، وجملة تأمروني: اعتراض، وسيأتي الكلام في حذف النون، وأعبد: فعل مضارع، والأصل: تأمرونني أن أعبد، فحذف أن، وارتفع أعبد، كما ارتفع في قول طرفة:

ألا أيُّهـذا الزاجـريُّ أحضرُ الوغـى
وأنْ أشهد اللذاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلدي

وفيما يلي النص الكامل لإعراب أبي البقاء لهذه الآية:

أفغير الله، في إعرابها أوجه، أحدها: أنه منصوب بأعبد مقدماً عليه، وقد ضعف هذا الوجه من حيث كان التقدير: أن أعبد، فعند ذلك يفضي إلى تقديم الصلة على الموصول، وليس بشيء؛ لأنَّ أنْ ليست في اللفظ، فلا يبقى عملها، فلو قدرنا بقاء حكمها لأفضى إلى حذف الموصول وبقاء صلته، وذلك لا يجوز إلا في ضرورة الشعر، والوجه الثاني: أن يكون منصوباً بتأمروني، وأعبد: بدلاً منه، والتقدير: قل: أفتأمروني بعبادة غير الله عز وجل، وهذا من بدل الاشتمال، ومن باب: أمرتك الخير، والثالث: أن غير منصوب بفعل محذوف، أي: أفتلزموني غير الله، وفسره فيما بعد، وقيل: لا موضع لأعبد من الإعراب، وقيل: هو حال، والعمل على الوجهين الأولين، وأما النون فمشددة على الأصل، وقد خففت بحذف الثانية، وقد ذكر نظائره. ونون تأمروني: نون الرفع، كسرت للمناسبة، وحذفت نون الوقاية لاجتماع المثلين، وقرىء بسكون الياء وفتحها، فالقراءات أربع، وكلها سبعية. وأيها: منادى نكرة مقصودة مبني على الضم، والهاء: للتنبيه، والجاهلون: بدل من أيها.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ اللام: موطئة للقسم، وقد: حرف تحقيق، وأوحي: فعل ماض مبني للمجهول، وإليك: سد مسد نائب الفاعل، وقيل: نائب الفاعل محذوف، يدل عليه سياق الكلام، أي: أوحي إليك التوحيد، وإلى الذين: عطف على إليك، ومن قبلك: متعلقان

بمحذوف صلة الموصول. ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ اللام: موطئة للقسم أيضاً، وإن: شرطية، وأشركت: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، واللام: واقعة في جواب القسم، وهذا القسم وجوابه جواب القسم الأول، وأما جواب الشرط، فمحذوف على حد قول ابن مالك:

واحذفْ لدى اجتماع شرطٍ وقسم
جـوابَ مـا أخّـرتَ فهـوَ مُلْتَـزَم

ويحبطن: فعل ماض مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وعملك: فاعل، ولتكونن: عطف على ليحبطن، واسم تكونن: مستتر، تقديره: أنت، ومن الخاسرين: خبر. ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ كلام معطوف على مقدر دل عليه السياق، أي: فلا تشرك، والله: نصب بفعل محذوف دل عليه فاعبد، أي: إن كنت عاقلاً فاعبد الله، والفاء: الفصيحة، واعبد: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وكن: عطف على اعبد، واسم كن: مستتر، تقديره: أنت، ومن الشاكرين: خبر كن.

* الفوائد:

أفرد سيبويه في كتابه فصلاً خاصاً لهذا التركيب، وهو ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ ﴾ وهذه خلاصته: الأصل فيه: فاعبد الله، ثم حذفوا الفعل الأول اختصاراً، فلما وقعت الفاء أولاً استنكروا الابتداء بها، ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه، فقدموا المفعول، وصارت متوسطة لفظاً، ودالة على أن ثم شرطاً محذوفاً اقتضى وجودها، ولتعطف عليه ما بعدها، ويضاف إلى هذه الغاية في التقديم فائدة الحصر، كما تقدم من إشعار التقديم بالاختصاص.

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي
ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ
فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ
بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا
عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ
إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ
ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ
ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى
ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا
جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا
خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ
ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ
ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

○ الإعراب:

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتصوير قدرته تعالى، وما: نافية، وقدروا الله: فعل وفاعل، ومفعول به، أي: ما علموا كنهه، وما عرفوه حق معرفته، وحق قدره: نصب على المفعولية المطلقة. ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ الواو: للحال، والأرض: مبتدأ، وجميعاً: حال، وقبضته: خبره، والجملة: حال من الله، ويوم القيامة: ظرف متعلق بمحذوف حال من قبضته، أو: هي متعلقة بها على تضمينها معنى: مقبوضة، والسموات: مبتدأ، ومطويات: خبر، وبيمينه: متعلقان بمطويات، وعبارة أبي البقاء: والأرض: مبتدأ، وقبضته: الخبر، وجميعاً: حال من الأرض، والتقدير: إذا كانت مجتمعة

قبضته، أي: مقبوضة، فالعامل في إذا: المصدر؛ لأنه بمعنى المفعول، وقد ذكر أبو علي في الحجة: التقدير: ذات قبضته، وقد رد عليه ذلك، وأن المضاف إليه لا يعمل فيما قبله، وهذا لا يصح؛ لأنه الآن غير مضاف إليه، وبعد حذف المضاف لا يبقى حكمه، ويقرأ قبضته بالنصب على معنى في قبضته، وهو ضعيف؛ لأن هذا الظرف محدود، فهو كقولك: زيد الدار، والسموات مطويات: مبتدأ، وخبر، وبيمينه: متعلقان بالخبر، ويجوز أن يكون حالاً من الضمير في الخبر، وأن يكون خبراً ثانياً، وقرىء: مطويات بالكسر على الحال، وبيمينه: الخبر، وقيل: الخبر محذوف، أي: والسموات قبضته. هذا وسيأتي مزيد من القول في هذه الآية في باب البلاغة.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سبحانه: مفعول مطلق لفعل محذوف، وتعالى: فعل ماض، وفاعله: مستتر يعود على الله تعالى، وعما: متعلقان بتعالى، وجملة يشركون: صلة ما. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ الواو: حرف عطف على ما تقدم، وعبر عما سيأتي بالماضي لتحقيق وقوعه، ونفخ: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: هو يعود على النافخ، قيل: هو إسرافيل، أو: إسرافيل وجبريل، وفي الصور: متعلقان بنفخ، فصعق: عطف على نفخ، ومَنْ: فاعل، وفي السموات ومن في الأرض: صلة مَنْ، وإلا: أداة استثناء ومن مستثنى واختلف في المستثنى من هم؟ على أقوال متعددة يرجع إليها في المطولات، وجملة شاء الله: صلة مَنْ. ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب مع التراخي لبعد ما بين النفختين، ونفخ: فعل ماض مبني للمجهول، وفيه: متعلقان بنفخ، وأخرى: نائب فاعل نفخ، على حد قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ ويجوز أن يكون الجار والمجرور هو القائم مقام نائب الفاعل، وأخرى: صفة لمصدر محذوف نابت عنه، أي: فهي مفعول مطلق، والفاء: عاطفة، وإذا:

الفجائية لا محل لها، وهم: مبتدأ، وقيام: خبر، وجملة ينظرون: خبر ثان، ومعنى ينظرون: يقلبون أبصارهم في الجهات نظر المبهوت المشدوه إذا فاجأه خطب.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الواو: عاطفة، وأشرقت الأرض: فعل، وفاعل، وبنور ربها: متعلقان بأشرقت، ووضع الكتاب: عطف على ما تقدم، ووضع: فعل ماض مبني للمجهول، والكتاب: نائب فاعل، وأل في الكتاب: للجنس، أي: أعطي كل واحد كتابه، أي: صحائف أعماله المدونة فيها حسناته أو سيئاته. ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وجيء: عطف على ما تقدم أيضاً، وبالنبيين: متعلقان بجيء، والشهداء: عطف على النبيين، وقضي: فعل ماض مبني للمجهول، وبينهم: إما ناب مناب الفاعل، وإما متعلق بقضي، ونائب الفاعل محذوف مقدر من المصدر المفهوم، أي: وقضي القضاء، وبالحق: متعلقان بمحذوف حال، والواو: حالية، وهم: مبتدأ، وجملة لا يظلمون: خبر، والجملة: في محل نصب على الحال.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ووفيت: عطف أيضاً، وكل نفس: نائب فاعل، وما: مفعول به ثان لوفيت، وجملة عملت: صلة، ولك أن تجعل ما: مصدرية، أي: عملها، فيكون المصدر المؤول: هو المفعول الثاني، والواو: حالية، أو: عاطفة، وهو: مبتدأ، وأعلم: خبر، وبما: متعلقان بأعلم، وجملة يفعلون: صلة. ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ الواو: عاطفة، وسيق الذين: فعل ماض مبني للمجهول، والذين: نائب فاعل، وجملة كفروا: صلة، وإلى جهنم: متعلقان بسيق، وزمراً: حال، وهي جمع: زمرة، والزمرة: الجماعة، واشتقاقها من الزمر، وهو الصوت؛ لأن الجماعة يكون لها صوت دائماً، يقال: زمر، يزمر، من بابي: دخل، وضرب، أي: غنّى بالنفخ في القصب ونحوه. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ حتى: ابتدائية، وقد تقدم القول مطولاً في حتى، وإذا

ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاؤوها: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة فتحت أبوابها: لا محل لها؛ لأنها جواب إذا، وأبوابها: نائب فاعل.

﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ ﴾ وقال: عطف على فتحت، ولهم: متعلقان بقال، وخزنتها: فاعل قال، والهمزة: للاستفهام التقريري الإنكاري، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويأت: فعل مضارع مجزوم بلم، والكاف: مفعول به، ورسل: فاعل، ومنكم: صفة لرسل، وجملة يتلون: صفة ثانية، أو: حال، وعليكم: متعلقان بيتلون، وآيات ربكم: مفعول يتلون. ﴿ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾ وينذرونكم: عطف على يتلون، ولقاء يومكم: مفعول به ثان، أو: نصب بنزع الخافض، ويومكم: مضاف للقاء، وأراد به وقت دخولهم النار، وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضاً في أوقات الشدة، وهذا: نعت ليومكم، أو: بدل منه. ﴿ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ بلى: حرف جواب لإثبات النفي، أي: بلى أتونا، وتلوا علينا، والواو: عاطفة، ولكن: حرف استدراك مهملة، وحقت كلمة العذاب: فعل، وفاعل، وعلى الكافرين: متعلقان بحقت.

﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ جملة مستأنفة، وجملة ادخلوا: مقول القول، وأبواب جهنم: مفعول به على السعة، وخالدين: حال، وفيها: متعلقان بخالدين، والفاء: أستئنافية، وبئس: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، ومثوى المتكبرين: فاعله، والمخصوص بالذم: محذوف، أي: هي. ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ تقدم إعرابها بنصها، وسيأتي الفرق بين السوقين في باب البلاغة. ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ حتى: الابتدائية، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاؤوها: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجوابها هنا: محذوف؛ لأنه في صفة أهل الجنة، فدل بحذفه

على أنه شيء لا يكتنه، ولا يحيط به الوصف، والواو: عاطفة، وجملة فتحت أبوابها: معطوفة على جاؤوها، وسيأتي مزيد من القول فيها.

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ الواو: عاطفة، وقال لهم خزنتها: فعل، وفاعل، وسلام: مبتدأ، وعليكم: خبره، وطبتم: فعل، وفاعل، فادخلوها: الفاء: تعليلية، وادخلوها: فعل، وفاعل، ومفعول، وخالدين: حال ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ كلام معطوف على جواب إذا المحذوف، أي: دخلوها، وقالوا، والحمد: مبتدأ، ولله خبره، والجملة: مقول القول، والذي: نعت، وجملة صدقنا: صلة، وهي فعل ماض، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، ووعده: مفعول به ثان. ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ جملة وأورثنا: عطف على صدقنا، والأرض مفعول به ثان، وجملة نتبوأ: حال من مفعول أورثنا، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، ومن الجنة: متعلقان بمحذوف حال، وحيث: ظرفية على بابها متعلقة بنتبوأ، أو: مفعول نتبوأ، قال الزمخشري: يكون لكل واحد منهم جنة لاتوصف سعة وزيادة على الحاجة؛ فيتبوأ من جنته حيث يشاء، ولا يحتاج إلى جنة غيره. والفاء: استئنافية، ونعم أجر العاملين: تقدم إعرابها.

﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق لوصف الملائكة المقربين في ذلك اليوم. وترى الملائكة: فعل مضارع، وفاعل مستتر، ومفعول به، وحافين: حال؛ أي: محدقين، محيطين بالعرش، مصطفين بحافته، وجوانبه، ومن حول العرش: متعلقان بحافين، وجملة يسبحون بحمد ربهم: حال ثانية. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الواو: عاطفة، وقضي: فعل مبني للمجهول، وبينهم: ظرف نائب عن نائب الفاعل، أو: متعلق بقضي، ونائب الفاعل: مصدر مفهوم من الفعل، أي: قضي القضاء، وبالحق: حال، والضمير في بينهم: يرجع إلى العباد، والملائكة معاً، وقيل: عطف

على قضي، وجملة الحمد لله رب العالمين: مقول القول.

□ البلاغة:

تميز ختام سورة الزمر بذكر أحوال القيامة، والتحميد، والتسبيح، كما تميز بالجزالة في اللفظ، ولسنا نعني بالجزالة أن يكون اللفظ وحشياً متوعراً عليه عنجهية البداوة، بل نعني بها: أن يكون اللفظ متيناً قوياً على عذوبة في الفم، وحلاوة جرسه في السمع، ولو نظرنا إلى قوارع القرآن عند ذكر الحساب والعذاب والميزان والصراط وعند ذكر الموت ومفارقة الدنيا، وما جرى هذا المجرى، فإننا لا نرى شيئاً من ذلك وحشي الألفاظ، ولا متوعراً موغلاً في الجساوة والنبو، وسنعمد إلى إيضاح ما ورد فيها من فنون.

١ ـ المجاز:

فأولها المجاز في قوله: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ فإن قبض الله الأرض عبارة عن قدرته، وإحاطته بجميع مخلوقاته، يقال: فلان في قبضتي، يعني: أنه في قدرته باعتبار ما يؤول إليه؛ لأن القابض يتصرف بما يقبضه كيف يشاء، والقبضة: المرة من القبض، والمراد بالأرض: الأرضون السبع، يشهد لذلك شاهدان. أولهما: قوله: جميعاً، والثاني: قوله: السموات، وطي السموات والأرض مجاز أيضاً ليس يريد به طياً كما نفهمه، وإنما المراد به: الذهاب والفناء، واليمين في كلام العرب تأتي بمعنى القدرة، والملك، كما قدمنا.

٢ ـ الفرق بين السوقين:

وفي قوله: ﴿وَسِيقَ﴾ بالنسبة لأهل النار وأهل الجنة؛ إذ عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ واحد فن دقيق المسلك، وهو: أن يأتي المتكلم بكلمة واحدة، فتكون تارة دالة على الهوان والعقاب، ثم يأتي بها ثانية، فتكون دالة على الإكرام وحسن الثواب، وما أجمل قول الزمخشري في هذا الصدد قال: فإن قلت: كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعاً بلفظ

السوق؟ قلت: المراد بسوق أهل النار: طردهم إليها بالهوان والعنف، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، والمراد بسوق أهل الجنة: سوق مراكبهم؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين، وحثها إسراعاً إلى دار الكرامة والرضوان، كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السَّوقين.

* الفوائـد:

١ ـ أقوال المعربين في جواب إذا:

أفاض المعربون كثيراً في جواب إذا، والسر في مجيء الواو بقوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ وقد أوردنا في الإعراب ما اخترناه، أما السمين فقد لخص أقوال المعربين بقوله: في جواب إذا ثلاثة أوجه. أحدها: قوله: وفتحت، والواو: زائدة، وهو رأي الكوفيين والأخفش، وإنما جيء هاهنا بالواو دون التي قبلها؛ لأن أبواب السجون مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريمة، فتفتح له، ثم تغلق عليه، فناسب ذلك عدم الواو فيها، بخلاف أبواب السرور والفرح، فإنها تفتح انتظاراً لمن يدخلها، والثاني: أن الجواب محذوف، قال الزمخشري: وحقه أن يقدر بعد خالدين يعني: لأنه لا يجيء بعد متعلقات الشرط ما عطف عليه، والتقدير: اطمأنوا، وقدره المبرد: سعدوا، وعلى هذين الوجهين فتكون الجملة من قوله ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ في محل نصب على الحال، وسمى بعضهم هذه الواو: واو الثمانية، قال: لأن أبواب الجنة ثمانية، وكذا قالوا في قوله تعالى: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وقيل: تقديره حتى إذا جاؤوها جاؤوها، وفتحت أبوابها، يعني: أن الجواب بلفظ الشرط، ولكنه يزيد بتقييده بالحال، فلذلك صح.

٢ ـ فصل ممتع للرماني:

هذا وننقل فيما يلي خلاصة وافية للفصل الذي عقده علي بن عيسى

الرماني في تفسيره الكبير المفقود، وكم يؤسفنا أن يضيع هذا الكتاب بين سمع الأرض وبصرها، ولكن الذي يعزينا: أنَّ السيوطي نقل عنه كثيراً، وذكره كل من ترجم للمؤلف، فقد كان الرماني نحوياً متكلماً، وكان شيخ العربية في زمانه، شغوفاً بالمنطق، حتى غلب عليه في جميع تآليفه وكلامه، قيل للصاحب: هلا صنفت تفسيراً؟ فقال: وهل ترك لنا علي بن عيسى شيئاً؟ وكان الرماني نفسه يقول: تفسيري بستان تجتني منه ما تشتهي. وقد اشتهر تفسيره بين الناس، وكثر ذكره في كتبهم، ولم يصل إلينا هذا التفسير، فهو يقول في صدد دراسته لسر الجمال في القرآن عندما يتحدث عن هذه الآية: كأنه قيل: حصلوا على النعيم المقيم الذي لا يشوبه التنغيص والتكدير، وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر، أن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر عن الوجه الذي تضمنه البيان.

* * *

سورة غافر

ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ
ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ
نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟
بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ
رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿حمٓ﴾ : تقدم القول في أوائل السور بما يغني عن المزيد، ونضيف هنا الآن ما قاله الجوهري: وآل حم: سور في القرآن، فأما قول العامة: الحواميم؛ فليس من كلام العرب. وقال أبو عبيدة: الحواميم: سور في القرآن على غير قياس. قال: والأولى أن تجمع بذوات حم. ويتلخص من

هذا: أن هذه السور السبع تسمى: الحواميم وتسمى: آل حم، وتسمى: ذوات حم، فلها جموع ثلاثة خلافاً للجوهري الذي أنكر الأول، وقال الكميت يمدح آل البيت:

وجدنا لكمْ في آلِ حم آيةً تأوَّلها منا تقيٌّ ومعربُ

فهو بمعنى: ذوات، أي: في السور المنسوبة إلى هذا اللفظ، ومن المعلوم: أنَّ لفظ آل كما يطلق على الأهل يطلق بمعنى ذو، فيذكر قبل مالا يصح تثنيته وجمعه من الأسماء المركبة ونحوها، كتأبط شراً، فإذا أرادوا تثنيته وجمعه؛ وهو جملة لا يتأتى فيها ذلك، ولم يعهد مثله في كلام العرب؛ زادوا قبله لفظ آل، أو: ذو، فقالوا: جاءني آل تأبط شراً، أو ذو تأبط شراً، أي: الرجلان، أو: الرجال المسمون بذلك، ومنه: آل حم بمعنى الحواميم في قول الكميت الآنف الذكر.

﴿ٱلتَّوۡبِ﴾: في المختار: التوب: الرجوع عن الذنب، وبابه: قال، وتوبة أيضاً: وقال الأخفش: التوب: جمع توبة، كدوم، ودومة.

﴿ٱلطَّوۡلِۖ﴾: الفضل، والزيادة، والإنعام الواسع، وفي الصحاح: والطول بالفتح: المن، يقال منه: طال، يطول، من باب: قال إذا امتنَّ عليه. وقال الماوردي: الفرق بين المنِّ والفضل: أن المنَّ عفوٌ عن ذنب، والتفضل: إحسان غير مستحق.

○ **الإعراب:**

﴿حمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ تقدم القول في إعراب فواتح السور، وأيسر ما فيه: أنها خبر لمبتدأ مضمر، أو: مبتدأ، والخبر: ما بعدها، وتنزيل الكتاب: مبتدأ، ومن الله: خبره، والعزيز العليم: صفتان. ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ هذه صفات أيضاً للجلالة، وسيأتي في باب الفوائد ما قيل في المغايرة بين بعض الصفات والموصوف من حيث التعريف والتنكير ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ يجوز أن تكون هذه

الجملة صفة كما قال أبو البقاء، ولكن يرد عليه: أنَّ الجملة لا تكون صفة للمعارف، ويمكن أنه يريد: أنه صفة لشديد العقاب، فالأولى أن تكون جملة مستأنفة، وأن تكون حالاً لازمة، وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلاً، وإليه: خبر مقدم، والمصير: مبتدأ مؤخر. ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ما: نافية، ويجادل: فعل مضارع مرفوع، وفي آيات الله: متعلقان بيجادل، وإلا: أداة حصر، والذين: فاعل، وجملة كفروا: صلة. ﴿فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ الفاء: الفصيحة، ولا: ناهية، ويغررك: فعل مضارع مجزوم بلا، والكاف: مفعول به، وتقلبهم: فاعل، وفي البلاد: متعلقان بتقلبهم، والمعنى: إذا ثبت عندك: أن المجادلين في آيات الله كفار؛ فلا تغترر بتقلبهم في البلاد بالتجارات المربحة، فإنهم مأخوذون بكفرهم.

﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ﴾ كذبت: فعل ماض، والتاء: للتأنيث، وقبلهم: ظرف متعلق بمحذوف حال، وقوم نوح: فاعل، والأحزاب: عطف على قوم نوح، وهم: قوم عاد، وثمود، وفرعون، وغيرهم، ومن بعدهم: متعلقان بمحذوف حال. ﴿وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ﴾ وهمت: عطف على كذبت، وكل أمة: فاعل، وبرسولهم: متعلقان بهمت، واللام: للتعليل، ويأخذوه: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والواو: فاعل، والهاء: مفعول به، ومعنى ليأخذوه: ليتمكنوا من الإيقاع به. ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ وجادلوا: عطف على همت، وبالباطل: متعلقان بمحذوف حال، وليدحضوا: اللام: للتعليل، ويدحضوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وبه: متعلقان بيدحضوا، والحق: مفعول به، فأخذتهم: عطف على جادلوا، فكيف: الفاء: عاطفة، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم، وعقاب: اسم كان مرفوع، وعلامة رفعه: ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة اتباعاً لرسم المصحف.

﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ الكاف: يجوز أن تكون نعتاً لمصدر محذوف، وقد تقدم تقرير ذلك أكثر من مرة، ويحتمل أن تكون خبر لمبتدأ محذوف، أي: والأمر كذلك، وكلمة ربك: فاعل، وعلى الذين كفروا: متعلقان بحقت، وأنهم أصحاب النار: المصدر المؤول في محل رفع بدل من كلمة ربك، أو: في محل نصب بنزع الخافض، وهو لام التعليل.

* الفوائـد:

١ ـ التغاير بين الموصوف والصفة:

من مباحث النحو الجليلة: وقوع التغاير في الظاهر بين الموصوف والصفة؛ فلقائل أن يقول: كيف جاز وصف المعرفة ـ وهو الله سبحانه ـ بغافر الذنب، وقابل التوب، وشديد العقاب؟ لأن هذه الثلاث مشتقات، وإضافة المشتق لا تفيده تعريفاً، فمن ثم وقع التغاير المشار إليه. وقد أجاب سيبويه عن ذلك بقوله: إنَّ كل ما إضافته غير محضة يجوز أن تجعل محضة، وتوصف به المعارف إلا الصفة المشبهة. أما الكوفيون فلم يستثنوا الصفة المشبهة أيضاً، فقالوا في نحو: حسن الوجه: إنه يجوز أن تصير إضافته محضة، فعلى مذهبهم يصح أنْ تكون الثلاث نعوتاً، وعلى مذهب سيبويه: يعرب ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ بدلاً، وفيما يلي تقرير الزمخشري بهذا الصدد قال: فإن قلت: كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً والموصوف معرفة يقتضي أن تكون مثله معارف؟ قلت: أما ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ ﴾ فمعرفتان لأنه لم يرد بهما حدوث الفعلين، وأنه يغفر الذنب، ويقبل التوب الآن، أو غداً، حتى يكونا في تقدير الانفصال، فتكون إضافتهما غير حقيقية، وإنما أريد ثبوت ذلك ودوامه، فكان حكمهما حكم: إله الخلق، ورب العرش، وأما ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ﴾ فأمره مشكل؛ لأنه في تقدير: شديدٌ عقابه، لا ينفك من هذا التقدير، وقد جعله الزجاج بدلاً، وفي كونه بدلاً وحده بين الصفات نبوٌّ ظاهرٌ، والوجه أن يقال: لما صودف بين هؤلاء

المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدالٌ غير أوصاف، ومثل ذلك: قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بأنها من بحر الرجز، فإن وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل، ولقائل أن يقول: هي صفات، وإنما حذف الألف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده لفظاً، فقد غيروا كثيراً من كلامهم عن قوانينه لأجل الازدواج... على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك، وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل كذا: أنه على نية الألف واللام، كما كان الجماء الغفير على نية طرح الألف واللام، ومما سهل ذلك: الأمنُ من اللبس، وجهالة الموصوف. ويجوز أن يقال: قد تعمد تنكيره وإبهامه للدلالة على فرط الشدة، وعلى مالا شيء أدهى منه وأمرّ لزيادة الإنذار. ويجوز أن يقال: هذه النكتة هي الداعية إلى اختيار البدل على الوصف، إذا سلكت طريق الإبدال.

٢ ـ نكتة زيادة الواو:

وفي زيادة الواو في قوله ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ نكتة جليلة، وهي: إفادة الجمع بين رحمتي مغفرة الذنب وقبول التوب، وروي أن عمر بن الخطاب افتقد رجلاً ذا بأس شديد من أهل الشام، فقيل له: تتايع في هذا الشراب، فقال عمر لكاتبه: اكتب: من عمر إلى فلان، سلام عليك، وأنا أحمد الله الذي لا إله إلا هو، بسم الله الرحمن الرحيم، حم إلى قوله إليه المصير، وختم الكتاب، وقال لرسوله: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحياً، ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة، فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها، ويقول: قد وعدني الله أن يغفر لي، وحذرني عقابه، فلم يبرح يرددها حتى بكى، ثم نزع، فأحسن النزوع، وحسنت توبته، فلما بلغ عمر قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زلَّ زلة، فسددوه، ووفقوه، وادعوا له الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعواناً للشياطين عليه. قلت: وما فعله عمر رضي الله عنه يجب أن يكون مثالاً يحتذى في حسن الأدب، وطريقة الهداية التي تهدي بالتي هي

أحسن، وتتفادى الغلظة والشدة في القول، وسوء التنديد بما يفعله المذنب.

٣ ـ الجدال مذموم إلا في الحق:

وفي قوله: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلماع إلى ما ينطوي عليه الجدال المذموم لادحاض الحق، وإطفاء نور الله، أما الجدال في الآيات لإزالة مشكلها، وحل ملتبسها، ومقارعة العلماء في استنباط معانيها، وطرق إعرابها، وحسن بيانها، فأمر محمود، بل هو مطلوب، مفروض، وعلى هذا الأساس ورد قوله ﷺ: «إن جدالاً في القرآن كفر» فقد أورده منكراً للتمييز بين جدال وجدال.

٤ ـ البدلية في قوله ﴿ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾:

أعربنا ﴿ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ بدلاً من ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، ولم نوضح نوع البدل، والظاهر: أنه يصح أن يكون بدلاً مطابقاً، أو بدل اشتمال فإذا نظرنا إلى اللفظ كان مطابقاً؛ لاتحاد مدلوله مع مدلول البدل، إذا اعتبرنا المعنى كان بدل اشتمال؛ لأن معناه: وعيده إياهم، وحكمه الأزلي بشقائهم.

﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾

○ الإعراب:

﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ﴾ الذين:

مبتدأ، وجملة يحملون العرش: صلة، ومن حوله: عطف على الذين، وحوله: ظرف متعلق بمحذوف صلة الذين، وجملة يسبحون بحمد ربهم: خبر الذين، وبحمد: متعلقان بمحذوف حال، أي: ملابسين للحمد، ويؤمنون به: عطف على يسبحون، والبحث في معنى حملة العرش، ومن هم، يرجع إليه في المطولات. ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ ويستغفرون: عطف على ما قبله، وللذين: متعلقان بيستغفرون، وجملة آمنوا: صلة، وربنا: منادى مضاف، حذف منه حرف النداء، وهو مقول قول محذوف في محل نصب على الحال، أي: قائلين، ووسعت: فعل، وفاعل، وكل شيء: مفعول به، ورحمة وعلماً: تمييزان، والتمييز هنا محول عن الفاعل، أي: وسعت رحمتك كل شيء، ووسع علمك كل شيء.

﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾ الفاء: الفصيحة، واغفر: فعل أمر، وفاعله: أنت، وللذين: متعلقان باغفر، وجملة تابوا: صلة، والمعنى: فاغفر للذين علمت منهم التوبة، واتباع السبيل القويمة، واتبعوا سبيلك: عطف على للذين تابوا، وقهم: قِ: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، والهاء: مفعول به أول، وعذاب الجحيم: مفعول به ثان. ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾ ربنا: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وأدخلهم: عطف على ما تقدم، وأدخلهم: فعل أمر للدعاء، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، والهاء: مفعول به أول، وجنات عدن: مفعول به ثان على السعة، والتي: صفة، وجملة وعدتهم: صلة التي، ومَنْ: في محل نصب عطف على مفعول أدخلهم، أو: على مفعول وعدتهم، وقال الفراء والزجاج: نصبه من مكانين؛ إن شئت على الضمير في أدخلهم، وإن شئت على الضمير في وعدتهم، وجملة صلح: صلة. والأول أرجح، ومن آبائهم، وما عطف عليه: في محل نصب حال.

﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ إنَّ، واسمها، وأنت: مبتدأ، أو: ضمير فصل، والعزيز الحكيم: خبران لأنت، والجملة: خبر إنَّك، أو: خبران لإن، وأنت: لا محل لها، كما تقدم. ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ﴾ الواو: عاطفة، وقهم: فعل أمر، وفاعل مستتر تقديره: أنت، ومفعول به، والسيئات: مفعول به ثان، والواو: عاطفة، ومَنْ: اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ، وتق: فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه: حذف حرف العلة، والسيئات: مفعول به، ويومئذ: الظرف متعلق بتق، وإذْ: مضاف ليوم، والتنوين: عوض من جملة محذوفة، وقصده من الكلام السابق، أي: يوم إذ تدخل من تشاء الجنة، ومن تشاء النار، والفاء: رابطة، والجملة: لا محل لها. ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ذلك: مبتدأ، وهو: مبتدأ ثان، والفوز العظيم: خبر، ويجوز إعراب هو: ضمير فصل لا محل له، والإشارة إلى ما ذكر من الرحمة، ووقاية السيئات.

□ البلاغة:

في قوله ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ ﴾ فن طريف من فنون البلاغة أطلق عليه: فن «الإسجال بعد المغالطة» وهو أن يقصد المتكلم غرضاً من ممدوح، فيأتي بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض، إسجالاً منه على الممدوح به، وبيان ذلك: أن يشترط شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض، ثم يخبر بوقوعه مغالطة، وإن لم يكن قد وقع بعد ليقع المشروط، وقد يقع الإسجال لغير مغالطة، وهذا النوع هو الذي وقع في الكتاب العزيز، وقد تقدّم بحثه ومثاله في آل عمران، أما النوع الأول: فيقع في الشعر، كقول ابن نباتة السَّعدي:

جـاء الشتـاءُ ومـا عنـدي لـه عـددٌ
إلا ارتعـادي وتصفيقـي بـأسنـانـي
فـإنْ هلكـتُ فمـولانـا يُكـفِّنـي
هبنـي هلكـتُ فهبنـي بعضَ أكفـانـي

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان أحوال الكفرة بعد دخولهم النار. وإنَّ، واسمها، وجملة كفروا: صلة الذين، وجملة ينادون: خبر إن، وينادون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، والمنادون هم الملائكة بعد أن مقت الكفار أنفسهم، وهم يكتوون بنار جهنم. واللام: لام الابتداء، ومقت الله: مبتدأ، والإضافة من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول به: محذوف، أي: إياكم، وأكبر: خبر، ومن مقتكم: متعلقان بأكبر، وأنفسكم: مفعول مقتكم. ﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ إذ: ظرف متعلق بمقت الله؛ وإن توسط بينهما الخبر؛ لأن الظروف يتوسع فيها مالا يتوسع في غيرها، ومنع ذلك أبو البقاء لما تقدم، وجعل الظرف متعلقاً بفعل محذوف، تقديره: مقتكم إذ تدعون، وجملة تدعون: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وتدعون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: هي نائب الفاعل، وإلى الإيمان: متعلقان بتدعون، فتكفرون: الفاء عاطفة، وتكفرون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والمعنى المتحصل من الآية: أنهم عندما يزجون في غيابات النار، ويذوقون الهول من احتراقهم بها؛ ينطلقون بالملامة بعضهم على بعض، ويتراشقون التهم، ويلقي كل واحد الملامة على الآخر، فيدعون من مكان سحيق: أن مقت الله إياكم، أو

أنفسكم الأمّارة بالسوء؛ إذ تدعون في الدنيا من جهة الأنبياء فلا تصيخون للسمع، ولا تبالون بالنصح والإرشاد، سادرين في مطاوعة أهواءكم الجموح.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، وربنا: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، وأمتنا: فعل ماض، والتاء: فاعل، ونا: ضمير متصل في محل نصب مفعول به، واثنتين: مفعول مطلق ناب عدده عن المصدر؛ أي: إماتتين اثنتين، وكذلك: وأحييتنا اثنتين، واعترفنا: فهل، وفاعل، وبذنوبنا: متعلقان باعترفنا، فهل: الفاء: عاطفة، وهل: حرف استفهام، وإلى خروج: خبر مقدم، ومن: حرف جر زائد، وسبيل: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر. ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ﴾ ذلكم: مبتدأ، والإشارة إلى العذاب، وبأنه: خبر، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة دعي: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والله: نائب فاعل، ووحده: حال، وجملة كفرتم: لا محل لها؛ لأنها جواب إذ، وجملة الشرط وجوابه: خبر أنه، والمراد كفرتم بالتوحيد. ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ الواو: عاطفة، وإن: شرطية، ويشرك: فعل الشرط مجزوم، وهو فعل مضارع مبني للمجهول، وبه: سد مسد نائب الفاعل، وتؤمنوا: جواب الشرط، والفاء: عاطفة؛ لأن هذا الكلام من جملة ما يقال لهم في الآخرة، والحكم: مبتدأ، والله: خبره، والعلي الكبير: صفتان.

□ البلاغة:

١ ـ المجاز المرسل:

في قوله ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ مجاز مرسل؛ لأن المراد بالميتتين الاثنتين: خلقهم أمواتاً أولاً، وإماتتهم عند انقضاء آجالهم ثانياً، والمراد بالإحياءتين: الإحياءة الأولى، وإحياءة البعث، وقد أوضح سبحانه ذلك بقوله:

﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ ففي تسمية خلقهم أمواتاً إماتة مجاز؛ لأنه باعتبار ما كان، وقد أوضح ذلك الزمخشري أبلغ إيضاح في فصله الممتع بهذا الصدد، ننقله بنصه لنفاسته، قال: فإن قلت: كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتاً إماتة؟ قلت: كما صح أن تقول: سبحان من صغر حجم البعوضة وكبر حجم الفيل، وقولك للحفار: ضيّق فم الركية، ووسّع أسفلها، وليس ثم نقل من صغر إلى كبر، ولا عكسه، ولا من ضيق إلى سعة، ولا عكسه، وإنما أراد الإنشاء على تلك الصفات، والسبب في صحته: أن الكبر والصغر جائزان معاً على المصنوع الواحد من غير ترجح لأحدهما، وكذلك الضيق والسعة، فإذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء؛ فقد صرف الموضوع عن الجائز الآخر، فجعل صرفه منه كنقله منه.

٢ ـ الاستفهام بمعنى اليأس:

وفي قوله: ﴿ فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ في هذا الاستفهام يأس مقنط، واستحالة مفرطة، كأنهم لفرط ما يكابدونه يتمنون الخروج من هذا الأسى المطبق من الهول المستحكم، ولكن أيَّ تمنٍّ؟ إنه تمني من غلب عليه اليأس والقنوط، وتنكير خروج للدلالة على أي خروج كان، سواء أكان سريعاً أم بطيئاً؛ وإنما يقولون ذلك تعللاً وتحيراً، ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك، وهو قوله: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ﴾ ومعناه: أن السبب يعود إلى كفركم، فلا تطمعوا في زوال ما أنتم فيه، لأنه جريرتكم، وعلى أنفسكم تقع الملامة، وقد تعلق الشعراء بأهداب هذا التعبير البديع فقال بعضهم:

هل إلى نجدٍ وصولُ وعلى الخَيْفِ نزولُ

وقصدهم: أن هذا أمر غلب فيه اليأس على الطمع، وحيل بين المتمني وما يتمناه.

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ
إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ
ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ
ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ
ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ
مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ ٱلْـَٔازِفَةِ ﴾: القيامة، سميت بذلك لأزوفها، أي: لقربها، من: أزف الرحيل، أي: قرب، وفي المصباح: أزف الرحيل أزفاً من باب: تعب، وأزوفاً: دنا، وقرب. وأزفت الآزفة: القيامة. وفي الأساس: أزف الرحيل: دنا، وعجل، ومنه: أقبل يمشي الأزفى، بوزن: الجمزى، وكأنه من الوزيف، والهمزة عن واو، وساءني أزوف رحيلهم، وأزَف رحيلهم. . . والآزفة: القيامة لأزوفها. قال هدبة:

وبادرها مضْرَ العشيّة قَرْمها
ذَر البيت يغشاه من القُرِّ آزِفُ

﴿ ٱلْحَنَاجِرِ ﴾: في المختار: والحنجرة بالفتح، والحنجور بالضم: الحلقوم. وفي القاموس: والحُنجور: السفط الصغير، وقارورة للذريرة، والحلقوم، كالحنجرة، والحناجر جمعه.

○ **الإعراب:**

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ﴾ كلام مستأنف، مسوق للتدليل على أن الحكم له سبحانه، وهو: مبتدأ، والذي: خبر،

وجملة يريكم: صلة، وآياته: مفعول به، وينزل لكم: عطف على يريكم، ومن السماء: متعلقان بينزل للدلالة على تجدد الإراءة والتنزيل، وديمومتهما، واستمرارهما. ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، ويتذكر: فعل مضارع مرفوع، وإلا: أداة حصر، ومن: فاعل، وجملة ينيب: صلة. ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إذا كان الأمر كما ذكر فادعوا، ولفظ الجلالة: مفعول به، ومخلصين: حال، وله: جار ومجرور متعلقان بمخلصين، والدين: مفعول به، والواو: حالية، ولو: شرطية، وكره الكافرون: فعل، وفاعل، والمفعول به: محذوف؛ أي: إخلاصكم، أو دعوتكم. ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ رفيع الدرجات: خبر لمبتدأ محذوف، وذو العرش: خبر ثان، وجملة يلقي الروح: خبر ثالث، أي: الله، ومن أمره: متعلقان بيلقي، أو بمحذوف حال من الروح، أي: الوحي، أي: حال كونه ناشئاً من أمره، والمراد بالروح: الوحي، وسيأتي السبب في تسميته بذلك في باب البلاغة، وعلى من: متعلقان بيلقي، وجملة يشاء: صلة، ومن عباده: حال، ولينذر: اللام: للتعليل، وينذر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور متعلقان بيلقي، وفاعل ينذر يجوز أن يكون الله، أو: الروح، أو: من يشاء، ويوم: مفعول به لينذر، والتلاق: مضاف إليه، وحذفت الياء اتباعاً لرسم المصحف، وقرىء بإثباتها، وسمي يوم القيامة بيوم التلاق لأن الخلائق تلتقي فيه.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ﴾ يوم: بدل من يوم التلاق بدل كل من كل، وهم: مبتدأ، وبارزون: خبر، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة الظرف إليها، فحركة يوم حركة إعراب على المشهور، وسيأتي تقرير ذلك في باب الفوائد، وجملة لا يخفى: حال من ضمير بارزون، أو: خبر ثان، وقيل: هي مستأنفة، ورجح الزمخشري الحالية، ولعله على الصواب، وعلى الله: متعلقان بيخفى، ومنهم: حال؛ لأنه كان في الأصل

صفة لشيء، وشيء: فاعل يخفى. ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به، فالجملة: مقول قول محذوف، أي: يقوله تعالى، ويجيب نفسه، والقول معطوف على ما قبله، أو: مستأنف في جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا يكون حينئذ؟ فقيل: يقال: لمن الملك؟ ولمن: خبر مقدم، والملك: مبتدأ مؤخر، واليوم: ظرف متعلقان بالملك، ولله: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: الملك لله، والواحد القهار: نعتان لله، وقال الزمخشري: ينادي مناد فيقول: لمن الملك اليوم؟ فيجيبه أهل المحشر: لله الواحد القهار.

﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ الظرف: متعلق بتجزى، والكلام تتمة للمقول، وتجزى: فعل مضارع مبني للمجهول، وكل نفس: نائب فاعل، وبما: متعلقان بتجزى، وما: موصولة، أو: ظرفية. ﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ لا: نافية للجنس، وظلم: اسمها المبني على الفتح، واليوم: ظرف متعلق بمحذوف خبر، وإنَّ، واسمها، وخبرها، والجملة: تعليل لعدم الظلم، أي: أنه تعالى لا يشغله حساب عن حساب، فهو سريع في حسابه عادل في حكمه. ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ الواو: عاطفة على ما تقدم، وأنذرهم: فعل أمر، وفاعل مستتر، ومفعول به أول، ويوم الآزفة: مفعول به ثان، وإذ: بدل من يوم الآزفة، والقلوب: مبتدأ، ولدى الحناجر: ظرف متعلق بمحذوف خبر، والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها، وكاظمين: حال من القلوب، وعوملت الحناجر في جمعها بالياء والنون معاملة أصحابها، وسيأتي تقرير الزمخشري في باب البلاغة. ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ الجملة حال من أصحاب القلوب، وما: نافية حجازية، أو: مهملة، وللظالمين: خبر مقدم، ومن: حرف جر زائد، وحميم: اسم ما المؤخر، أو: مبتدأ، ولا شفيع: عطف على حميم، وجملة يطاع: صفة لشفيع، وفي الكلام مجاز سيأتي تفصيله في باب البلاغة.

□ **البلاغة:**

١ ـ في قوله: ﴿يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ مجاز مرسل؛ لأن المراد بالروح: الوحي، وسمي الوحي روحاً لأنه يجري من القلوب مجرى الأرواح من الأجساد، فهو مجاز مرسل علاقته السببية، وجعله الزمخشري استعارة تصريحية وليس ببعيد.

٢ ـ التمثيل:

وفي قوله: ﴿إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾ استعارة تمثيلية؛ لتجسيد الهول في ذلك اليوم الذي تكون فيه مشارفتهم للنار؛ فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها، فتلصق بحناجرهم، فلا هي تخرج فيموتوا ويستريحوا، ولا هي ترجع إلى مواطنها فيتنفسوا الصعداء، ويتروحوا، ولكنها معترضة كالشجا.

٣ ـ عكس الظاهر:

وفي قوله: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ عكس الظاهر، وقد تقدم ذكر هذا الفن أكثر من مرة؛ إذ لا شفيع لهم أصلاً فضلاً عن أن يكون مطاعاً.

٤ ـ قول الزمخشري في كاظمين:

وقال الزمخشري: فإن قلت: بم انتصب كاظمين؟ قلت: هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى؛ لأن المعنى: إذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها. ويجوز أن يكون حالاً عن القلوب، وأنَّ القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر، وإنما جمع الكاظم جمع السلامة؛ لأنه وصفها بالكظم الذي هو من أفعال العقلاء، كما قال تعالى: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ وقال: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾.

* **الفوائد:**

إضافة الزمان إلى الجمل:

يجوز في الزمان إذا أضيف إلى جملة الإعراب على الأصل والبناء، فإن

كان ما وليه فعلاً مبنياً فالبناء أرجح للتناسب، أو لشبه الظرف حينئذ بحرف الشرط في جعل الجملة التي تليه مفتقرة إليه وإلى غيره، كقول النابغة الذبياني:

على حينَ عاتبتُ المشيبَ على الصِّبا
وقلتُ: ألمَّا أصحُ والشَّيبُ وازعُ

يروى على حين بالخفض على الإعراب، وعلى حين بالفتح على البناء، وهو الأرجح لكونه مضافاً إلى مبني أصالة، وهو: عاتبت، وقد يكون البناء حالة عارضة، فيجري الأمر كذلك كقوله:

لأجتذبنَّ منهنَّ قلبي تحلُّماً على حِيْنَ يستصبينَ كلَّ حليمِ

يروى بخفض «حين» على الإعراب، وفتحه على البناء؛ لكونه مضافاً إلى مبني، وهو يستصبين؛ فإنه مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون الإناث، وماضيه: استصبيت فلاناً: إذا جعلته في عداد الصبيان. وإن كان ما وليه فعلاً مضارعاً معرباً، أو جملة اسمية؛ فالإعراب أرجح من البناء، وهو واجب عند البصريين لعدم التناسب، وإنما قلنا بأرجحية الإعراب؛ لأن نافعاً وهو من كبار القراء قرأ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ﴾ بالفتح على البناء، لا على الإعراب، وأجاب جمهور البصريين بأن الفتحة فيه ليست فتحة بناء، وإنما هي فتحة إعراب، مثلها في: صمت يوم الخميس، والتزموا لأجل ذلك أن تكون الإشارة ليست لليوم، وإلا لزم كون الشيء ظرفاً لنفسه، ولهذا قال الفارسي، وابن مالك بأرجحية الإعراب، قال في الخلاصة:

وقبل فعلٍ معربٍ أو مُبتدا أعربْ ومَنْ بنى فَلَنْ يُفنَّدا

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ

مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

○ الإعراب:

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ الجملة: خبر رابع للمبتدأ المحذوف؛ الذي أخبر برفيع الدرجات وما بعده، أو: هو خبر من أخبار ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ﴾ أو: هي في محل نصب على الحال، أو: هي تعليلية لا محل لها. ويعلم: فعل مضارع، وفاعل مستتر، تقديره: هو؛ أي: الله تعالى، وخائنة الأعين: مفعول به، والإضافة بمعنى مِنْ؛ أي: الخائنة من الأعين، فعلى هذا تكون خائنة: نعت لمحذوف؛ أي: العين الخائنة، ويجوز أن تكون الخائنة: مصدراً، كالعاقبة، والكاذبة؛ أي: يعلم خيانة الأعين، وسيأتي مزيد بحث عن هذا التعبير في باب البلاغة، والواو: حرف عطف، وما: عطف على خائنة الأعين، وجملة تخفي الصدور: صلة ما. ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ الواو: حرف عطف، والله: مبتدأ، وجملة يقضي بالحق: خبره، وبالحق: متعلقان بيقضي، أو: بمحذوف حال؛ أي: متلبساً به. ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الواو: عاطفة، والذين: مبتدأ، وجملة يدعون: صلة، ومن دونه: متعلقان بيدعون، والعائد: محذوف، أي: يدعونهم من دونه، بمعنى: يعبدونهم، وجملة لا يقضون بشيء: خبر الذين، وإنَّ، واسمها، وهو: مبتدأ، أو: ضمير فصل، والسميع البصير: خبران لهو، أو: لإن.

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، أنكر عليهم عدم الاعتبار بأحوال غيرهم، والواو: عاطفة على مقدر يقتضيه المقام، أي: أغفلوا ولم يسيروا، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، ويسيروا: فعل مضارع مجزوم بلم، وفي

الأرض: متعلقان بيسيروا، فينظروا: الفاء: سببية، أو: عاطفة، وينظروا: منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، أو: مجزوم عطف على يسيروا، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر مقدم لكان، وعاقبة: اسمها، والجملة: في محل نصب على المفعولية لينظروا، وجملة كانوا: صلة الذين، ومن قبلهم: خبر كانوا. ﴿كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كان، واسمها، وهم: ضمير فصل لا محل له، وأشد: خبرها، وساغ دخول ضمير الفصل بين معرفة ونكرة، وهو لا يقع إلا بين معرفتين؛ لأن النكرة هنا ـ وهي أشد ـ بمثابة المعرفة؛ من حيث امتناع دخول أل عليها؛ لأن اسم التفضيل المقرون بمن لا تدخل عليه أل، ومنهم: متعلقان بأشد، وقوة: تمييز، وآثاراً: عطف على قوة، وفي الأرض: صفة لآثاراً، وجعله الزمخشري منصوباً بمقدر؛ أي: أكثر آثاراً على حد قوله: متقلداً سيفاً ورمحاً. ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ الفاء: عاطفة، وأخذهم الله: فعل، ومفعول به، وفاعل، وبذنوبهم: متعلقان بأخذهم، والباء: للسببية، أي: بسبب ذنوبهم، والواو: حرف عطف، وما: نافية، وكان: فعل ماض ناقص، ولهم: خبرها المقدم، ومن الله: متعلقان بواق، ومن: حرف جر زائد، وواق: مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه اسم كان المؤخر.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ذلك: مبتدأ، والإشارة للأخذ، والباء: حرف جر للسببية، وأنَّ، ومدخولها: في محل جر بالباء، والجار والمجرور: خبر ذلك، وأنَّ، واسمها، وجملة تأتيهم: خبر كانت، واسمها: مستتر، تقديره: هي، ورسلهم: فاعل تأتيهم، وبالبينات: متعلقان بتأتيهم؛ فكفروا: عطف على تأتيهم؛ فأخذهم الله: عطف على قوله: فكفروا.

﴿إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ تعليل للأخذ، وإنَّ، واسمها، وقوي: خبر أول، وشديد العقاب: خبر ثان.

□ **البلاغة:**

فن الفرائد:

في قوله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ فن الفرائد: وهو من فنون البديع، والمختص بالفصاحة دون البلاغة؛ لأنه عبارة عن إتيان المتكلم في كلامه بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من حبِّ العِقْد، وهي الجوهرة التي لا نظير لها على جزالة منطقه، وعظم فصاحته، وقوة عارضته، وأصالة عربيته؛ بحيث تكون هذه اللفظة لو سقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرابتها، وهي كثيرة في القرآن، وقد مر الكثير منها، وهي هنا في لفظة ﴿خَائِنَةَ﴾ فإنها بمفردها سهلة، مستساغة، كثيرة الجريان على الألسن، فلما أضيفت إلى الأعين حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الوقع؛ بحيث لا يتاح الإتيان بمثلها، ولا يكاد يقع ذو فكر سليم وذهن مستقيم على شبهها، وقد شغلت هذه الكلمة كبار العلماء، وأرباب الفصاحة، وسنورد أقوالاً منها: فقال ابن عباس: هو الرجل يكون جالساً مع القوم، فتمر المرأة، فيسارقهم النظر إليها. وقال مجاهد: هي مسارقة نظر الأعين إلى ما قد نهى الله عنه. وقال الضحاك: هي قول الإنسان ما رأيت وقد رأى. وقال السدي: إنه الرمز بالعين. وقال سفيان: هو النظرة بعد النظرة. وقال الفراء: خائنة الأعين: هي النظرة الثانية، وما تخفي الصدور: النظرة الأولى. وقال ابن عباس: وما تخفي الصدور؛ أي: هل يزني بها لو خلا بها، أو لا. وقيل: وما تخفي الصدور: تكنّه وتضمره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ
وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا
أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي
ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ

دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ الواو: استئنافية، والجملة: مستأنفة، مسوقة للشروع في قصة موسى مع فرعون، واللام: جواب القسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وأرسلنا: فعل، وفاعل، وموسى: مفعول به، وبآياتنا: متعلقان بأرسلنا، وسلطان: عطف على بآياتنا، ومبين: نعت، ولك أن تعلق بآياتنا بمحذوف حال، أي: متلبساً بآياتنا، ولعله أولى. ﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ إلى فرعون: متعلقان بأرسلنا، وهامان وقارون: عطف على فرعون. فقالوا: عطف على أرسلنا، وساحر كذاب: خبران لمبتدأ محذوف، أي: هو ساحر كذاب. ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ﴾ الفاء: استئنافية، ولما: ظرفية حينية، أو: رابطة حرفية، وجاءهم: فعل، ومفعول به، وفاعل مستتر، وبالحق: متعلقان بجاءهم، ومن عندنا: متعلقان بمحذوف حال، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وهو لما، واقتلوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والجملة: مقول القول، وأبناء الذين: مفعول به، وجملة آمنوا: صلة، ومعه: ظرف مكان متعلق بآمنوا، واستحيوا: عطف على اقتلوا؛ أي: استبقوا، ونساءهم: مفعول به.

﴿ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴾ الواو: حالية، وما: نافية، وكيد: الكافرين: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وفي ضلال: خبر كيد. ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ﴾ الواو: عاطفة، وقال فرعون: فعل ماض، وفاعل، وذروني: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، والجملة: مقول القول، وأقتل: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الطلب، وفاعل مستتر،

تقديره: أنا، يعود على القائل، وهو فرعون؛ لأن قومه كانوا يكفُّونه عن قتله تهويناً لأمره، واستصغاراً لشأنه، وليدع: الواو: عاطفة، واللام: لام الأمر، ويدع: فعل مضارع مجزوم بلام الأمر، والمقصود بالأمر هنا: التعجيز بزعمه، وربه: مفعول به. ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ الجملة: تعليل لمطالبته بقتل موسى، وإنَّ، واسمها، وأنْ، وما في حيزها: مفعول أخاف، وأن: حرف مصدري ونصب، ويبدل: فعل مضارع منصوب بأن، ودينكم: مفعول به، وأو: حرف عطف، وأنْ يظهر: عطف على أن يبدل، وفي الأرض: متعلقان بيظهر، والفساد: مفعول يظهر. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ﴾ الواو: عاطفة، وقال موسى: فعل، وفاعل، وإنَّ، واسمها، وجملة عذت: خبرها، والجملة: مقول القول، ومن كل متكبر: متعلقان بعذت، وجملة لا يؤمن: نعت لمتكبر، وبيوم الحساب: متعلقان بيؤمن.

﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ كلام مستأنف، مسوق لإيراد الحل الملائم للعقدة القصصية؛ بعد أن عاذ موسى بربه ليكفيه شر هذا اللعين. وقال رجل: فعل ماض، وفاعل، ومؤمن: نعت لرجل،

ومن آل فرعون: نعت ثان إن كان الرجل قبطياً، والتقدير: وقال رجل مؤمن منسوب من آل فرعون. وإن كان الرجل إسرائيلياً فمِنْ: متعلقة بيكتم في موضع المفعول الثاني ليكتم، والأول أرجح، وجملة يكتم إيمانه: صفة ثالثة لرجل، وسيأتي مزيد بحث عن هذا الرجل والإعراب في باب الفوائد. ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، وتقتلون: فعل مضارع مرفوع بثبوت النون، والواو: فاعل، ورجلاً: مفعول به، وأنْ، وما في حيزها: في محل نصب مفعول لأجله، أي: لأجل هذا القول من غير روية وتدبر وتأمل، وأجاز الزمخشري أن يكون ظرفاً على تقدير مضاف؛ أي: وقت أن يقول، وردّ المعربون ذلك: بأنه لا يجوز أن يطرد هذا التقدير في المصدر المؤول؛ قالوا: إن ذلك إنما يكون مع المصدر المصرح به، نحو: جئتك مقدم الحاج، وخفوق النجم، لامع المقدر، فلا تقول: أجيئك أن يصيح الديك، تريد وقت صياحه، وسيرد مزيد بحث في هذا الموضوع في باب الفوائد. وربي: مبتدأ، والله: خبره، أو: بالعكس، والجملة: مقول القول، والواو: حالية، وقد: حرف تحقيق، وجاءكم: فعل ماض، وفاعل مستتر، تقديره: هو، والكاف: مفعول به، وبالبينات: متعلقان بجاءكم، ومن ربكم: في موضع نصب على الحال.

﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ﴾ الواو: عاطفة، وإن: شرطية، ويك: فعل الشرط، وعلامة جزمه: السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمها: ضمير مستتر، تقديره: هو، وكاذباً: خبرها، فعليه: الفاء: رابطة لجواب الشرط، وعليه: خبر مقدم، وكذبه: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية: في محل جزم جواب الشرط، وجملة إن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم: عطف على الجملة السابقة، وبعض: فاعل يصبكم، وجملة يعدكم: صلة. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة لا يهدي: خبرها ومَنْ:

مفعول به، وهو: مبتدأ، ومسرف: خبر، وكذاب: خبر ثان، والجملة: صلة مَنْ. ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ هذا من تتمة كلام الرجل المؤمن، ويا: حرف نداء، وقوم: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، ولكم: خبر مقدم، والملك: مبتدأ مؤخر، واليوم: ظرف متعلق بما تعلق به الخبر، وظاهرين: حال من الضمير في لكم، وفي الأرض: متعلقان بظاهرين؛ أي: غالبين في الأرض.

﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ﴾ الفاء: الفصيحة، ومَنْ: اسم استفهام مبتدأ، وجملة ينصرنا: خبر، ومن بأس الله: متعلقان بينصرنا، وإن: شرطية، وجاءنا: فعل الشرط، والجواب: محذوف دل عليه ما قبله، أي: فمن ينصرنا، وفاعل جاءنا: يعود على بأس الله. ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ قال فرعون: فعل، وفاعل، وما: نافية، وأريكم: فعل مضارع، وفاعله: مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به، وإلا: أداة حصر، وما: اسم موصول مفعول أريكم، وجملة أرى: صلة الموصول، أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، ولا أعلمكم إلا ما علمت. ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ عطف على ما تقدم، وسبيل الرشاد: مفعول ثان لأهديكم، أو: نصب بنزع الخافض.

□ البلاغة:

الكلام المنصف:

في قوله تعالى: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ﴾ . . . الآية. الكلام المنصف وقد استوفاه الزمخشري في تحليله الممتع، وسنلخص ما قاله مع تعليق يقتضيه المقام: فقد استدرجهم هذا الرجل المؤمن باستشهاده على صدق موسى عليه السلام من عند من تنسب إليه الربوبية ببينات عدة لا ببينة واحدة، وأتى بها معرفة ليلين بذلك جماحهم، ويكسر من سورتهم، ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم، فقال: لا يخلو أن يكون صادقاً أو كاذباً؛ فإن يك كاذباً فضرر كذبه عائد عليه، أو صادقاً فأنتم مستهدفون

لإصابتكم ببعض ما يعدكم به، وإنما ذكر بعض مع تقدير أنه نبي صادق، والنبي صادق في جميع ما يعد به؛ لأنه سلك معهم طريق المناصحة لهم، والمداراة، فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم، وأدخل في تصديقهم له، ليسمعوا منه، فهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام ليريهم: أنه لم يتكلم كلام المتعصب له، المتحيز إلى جانبه، وكذلك قدم الكاذب على الصادق لهذا الغرض، ويشبه موقف هذا الرجل المؤمن إلى حد بعيد موقف أبي بكر، فقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت، فلقوه، فأخذوا بمجامع ردائه، وقالوا: أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا؟ فقال عليه السلام: «أنا ذلك» فجاء أبو بكر، فالتزمه، وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؛ رافعاً صوته، وعيناه تسفحان، حتى أرسلوه.

* الفوائـــد:

قد يجعل المصدر ظرفاً:

قد يجعل المصدر حيناً لسعة الكلام، فيقال: كان ذلك مقدم الحاج، وخفوق النجم، بمعنى: مغيبه، وخلافة فلان، وصلاة العصر، ومنه سير على ترويحتين، وانتظر به نحر جزورين، وقوله تعالى: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ وإنما يفعلون ذلك توسعاً وإيجازاً: فالتوسع بجعل المصدر حيناً، وليس من أسماء الزمان، والإيجاز الاختصار بحذف المضاف؛ إذ التقدير في قولك خفوق النجم، وصلاة العصر: وقت خفوق النجم، ووقت صلاة العصر، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، واختص هذا التوسع بالأحداث؛ لأنها منقضية كالأزمنة، وليست ثابتة كالأعيان، فجاز جعل وجودها وانقضائها أوقاتاً للأفعال، وظروفاً لها، كأسماء الزمان؛ ومعنى سير عليه ترويحتين: زمن ترويحتين، ومعنى: وانتظر به نحر جزورين: أي زمن نحر جزورين: والمراد: مدة هذا الزمن، والترويحتين: تثنية الترويحة واحدة التراويح في الصلاة، يقال: صلى ترويحتين، وصلى خمس ترويحات، وهي أزمنة موقتة تقع في جواب متى من حيث هي موقتة،

فيقال: متى سير عليه؟ فيقال: خفوق النجم، ومقدم الحاج، وصلاة العصر، وتقع في جواب كم من حيث كانت مدة معلومة، فإذا قيل: كم سير عليه؟ جاز أن يكون جوابه: مقدم الحاج، وخلافة فلان، إن شئت رفعته بفعل ما لم يسم فاعله، وإن شئت نصبته على الظرف، كل ذلك عربي جيد، فأما قوله: ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ قرىء بكسر الهمزة وفتحها، فمن كسر كانت مصدراً جعل حيناً توسعاً، فهو من باب: خفوق النجم، ومقدم الحاج، ومَنْ فتح الهمزة كانت جمع: دبر، على حد: قفل، وأقفال، أو: دبر، على: طنب، وأطناب، وقد استعمل ذلك ظرفاً، كقولك: جئتك في دبر كل صلاة، وفي أدبار الصلوات، قال الشاعر:

على دُبُر الشَّهر الحرامِ بأرضنا
وما حولَها جدّتْ عليه سِنون تلمّعُ

فقراءة من كسر الهمزة أدخل «في» الظرفية في قراءة من فتح، ولذلك يقّل ظهور «في» مع المكسورة بخلاف من فتح.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾﴾

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ الواو:

عاطفة، وقال الذي آمن: فعل ماض، وفاعل، وجملة آمن: صلة، وهو الذي قال: أتقتلون رجلاً . . الخ. ويا: حرف نداء، وقوم: منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة، وإنَّ، واسمها، وجملة أخاف: خبر، وعليكم: متعلقان بأخاف، ومثل: مفعول به، ويوم الأحزاب: مضاف إليه. ﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ مثل: عطف بيان، أو: بدل لمثل الأول، ودأب: مضاف إليه، ولا بد من تقدير مضاف محذوف، أي: مثل جزاء وعادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا، وما بعده عطف عليه، ومِنْ بعدهم: صلة الموصول. ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية حجازية، ولفظ الجلالة: اسمها، وجملة يريد: خبرها، وظلماً: مفعول به، والعباد: نعت لظلماً، يعني: أن تدميرهم كان استحقاقاً بما اجترحوه، واقترفوه من آثام. ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ عطف على إني أخاف، ويوم التناد: مفعول أخاف، وهو يوم القيامة، والتناد: بحذف الياء، وإثباتها في كل من الوصل والوقف، وذلك لفظاً، أما خطاً فهي محذوفة، وقد تقدم في الأعراف: أنه يكثر في ذلك اليوم العصيب نداء أصحاب الجنة النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها، وبالشقاوة لأهلها.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ يوم: بدل من يوم الأول، وجملة تولون: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ومدبرين: حال، وما: نافية حجازية، ولكم: خبرها المقدم، ومن الله: متعلقان بعاصم، ومن: حرف جر زائد، وعاصم: اسم ما، والجملة: في محل نصب على الحال، ولك أن تهمل ما لتقدم خبرها، ومن يضلل الله فما له من هاد: تقدم إعرابها بنصها قريباً، فجدد به عهداً. ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ كلام معطوف على ما تقدم، لأنه من تمام وعظ مؤمن آل فرعون، ذكّرهم بعتو آباءهم على الأنبياء، وقيل: هو من كلام موسى، فيكون مستأنفاً. واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف

تحقيق وجاءكم يوسف: فعل ماض، ومفعول به، وفاعل، ومن قبل: متعلقان بمحذوف حال، أي: من قبل موسى، فبناء الظرف على الضم؛ لأن المضاف إليه منويٌّ معناه، وبالبينات: متعلقان بجاءكم.

﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ الفاء: عاطفة، وما زلتم: فعل ماض ناقص، والتاء: اسمها، وفي شك: خبرها، ومما: صفة لشك، وجملة جاءكم: صلة، وبه: متعلقان بجاءكم. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ حتى: حرف غاية لقوله: ما زلتم، وإذا: ظرف متضمن معنى الشرط، وجملة هلك: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة قلتم: لا محل لها؛ لأنها جواب إذ، ولن: حرف نفي، ونصب، واستقبال، ويبعث: فعل مضارع منصوب بلن، ولفظ الجلالة: فاعل، ومن بعده: حال ورسولاً: مفعولاً به. ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ كذلك: نعت لمصدر محذوف، وقد تقدم كثيراً، ويضلل الله: فعل مضارع، وفاعل، ومَنْ: مفعول به، وهو: مبتدأ، ومسرف مرتاب: خبران له، والجملة الاسمية: صلة. ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ هذه الآية شغلت المعربين كثيراً، وتشعبت أقوالهم فيها، وأوصل السمين أوجه الإعراب فيها إلى عشرة؛ مما يضيع القارىء في متاهاته، ولعل أولاها بالذكر، وأقربها إلى المعقول ما ذكره أبو حيان، قال ما نصه: والأَولى في إعراب هذا الكلام أن يكون الذين: مبتدأ، وخبره: كبر، والفاعل: ضمير المصدر المفهوم من يجادلون، وهذه الصفة موجودة في فرعون وقومه، ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم إلى الاسم الغائب؛ لحسن محاورته لهم، واستجلاب قلوبهم، وأبرز ذلك في صورة تذكرهم، فلم يخصهم بالخطاب، وفي قوله: كبر ضرب من التعجب، والاستعظام لجدالهم.

ونورد فيما يلي الإعراب الذي اختاره الزمخشري، قال: الذين

يجادلون: بدل من ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ فإن قلت: كيف جاز إبداله منه وهو جمع، وذاك موحد؟ قلت: لأنه لا يريد مسرفاً واحداً، فكأنه قال: كلّ مسرف، وجاز إبداله على معنى مَنْ لا على لفظها، فإن قلت: فما فاعل كبر؟ قلت: ضمير من هو مسرف. فإن قلت: أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون؟ قلت: بل هو جمع في المعنى، وأما اللفظ فموحد، فحمل البدل على معناه، والضمير الراجع إليه على لفظه، وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى، وله نظائر، ويجوز أن نرفع الذين يجادلون على الابتداء، ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع إليه الضمير في «كبر» تقديره: جدال الذين يجادلون كبر مقتاً، ويحتمل أن يكون ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ مبتدأ، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ خبراً، وفاعل كبر: قوله: كذلك، أي: كبر مقتاً مثل ذلك الجدال، ويطبع الله: كلام مستأنف، ومن قال: كبر مقتاً عند الله جدالهم؛ فقد حذف الفاعل، والفاعل لا يصح حذفه.

أما أبو البقاء فقد قال ما نصه: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ فيه أوجه. أحدها: أن يكون خبر مبتدأ محذوف، أي: هم الذين، وهم يرجع على قوله: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ لأنه في معنى الجمع. والثاني: أن يكون مبتدأ، والخبر: ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ والعائد: محذوف، أي: على كل قلب متكبر منهم، وكذلك خبر مبتدأ محذوف، أي: الأمر كذلك، وما بينهما معترض مسدد. والثالث: أن يكون الخبر: كبر مقتاً، أي: كبر قولهم مقتاً. والرابع: أن يكون الخبر محذوفاً؛ أي: معاندون، ونحو ذلك. والخامس: أن يكون منصوباً بإضمار أعني. هذا وسنورد في باب الفوائد مناقشة سريعة لهذه الأقوال.

هذا؛ ومقتاً: تمييز محول عن الفاعل، أي: كبر مقت جدالهم، وفيما يلي عبارة السمين: كبر مقتاً: يحتمل أن يراد به التعجب والاستعظام، وأن يراد به الذم، كبئس، وذلك: أنه يجوز أن يبني فعل بضم العين مما يجوز

التعجب منه، ويجري مجرى نعم وبئس في جميع الأحكام، وفي فاعله ستة أوجه. إلى أن يقول: الثاني: أنه يعود على جدالهم المفهوم من يجادلون، كما تقدم. إلى أن يقول: الخامس: أن الفاعل: ضمير يعود على ما بعده، وهو التمييز، نحو: نعم رجلاً زيد، وبئس غلاماً عمرو، وعند الله: ظرف لكبر. وكذلك: نعت لمصدر محذوف، أي: مثل ذلك الطبع، ويطبع الله: فعل مضارع، وفاعل، وعلى كل قلب: متعلق بيطبع، وقلب: مضاف، ومتكبر: مضاف إليه، أي: على كل قلب شخص متكبر، وجبار: نعت ثان.

* الفوائـــد:

١ ـ مناقشة قيمة:

ذكر الزمخشري أنَّ «مَنْ» في ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ عوملت معاملة لفظها من بعد معاملة معناها، وقد استغرب أهل العربية هذا؛ لأن فيه إبهاماً بعد إيضاح، وهذا غير لائق ببيان القرآن؛ لأن البلاغيين يرون العكس، والصواب أن يجعل الضمير في قوله: كبر راجعاً إلى مصدر الفعل المتقدم، وهو قوله: يجادلون، تقديره: كبر جدالهم مقتاً، ويجعل الذين: مبتدأ على تأويل حذف المضاف، تقديره: جدال الذين يجادلون في آيات الله، والضمير في قوله كبر مقتاً: عائد إلى الجدال المحذوف، والجملة: مبتدأ، وخبر، ومثله في حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ على أحد تأويلاته، ومثله كثير.

٢ ـ كل قلب:

كل لعموم الضلال جميع القلب لا لعموم القلوب؛ أي: شملت الضلالة جميع أجزاء القلب، فلم يبق فيه محل للاهتداء، والمعروف: أن كلاًّ إذا دخلت على نكرة مطلقاً، أو على معرفة مجموعة تكون لعموم

الأفراد، وإذا دخلت على معرفة مفردة تكون لعموم الأجزاء، وهنا عوملت الإضافة غير المحضة معاملة الإضافة المحضة.

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ
ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ
سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ
ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا
يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ
أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ
بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا
تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ
ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ
أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ
وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ
تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾

☆ اللغة:

﴿صَرْحًا﴾: الصرح ـ كما في المصباح ـ: بيت واحد يبنى مفرداً طولاً ضخماً، وقال في الكشاف: الصرح: البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، اشتقوه من: صرح الشيء: إذا ظهر. وهذه المادة عجيبة في مدلولها؛ إنها تدل في جميع مشتقاتها على الظهور والإبانة، قالوا: لبن

صريح: ذهبت رغوته، وخلص. وعربي صريح، من: عرب صرحاء: غير هجناء، ونسب صريح، وكأس صُراح: لم تمزج، وصرّحت الخمرة: ذهب عنها الزبد، ولقيته مصارحة: مجاهرة، وصرّح النهار: ذهب سحابه وأضاءت شمسه. قال الطرماح في وصف ذئب:

إذا امتلَّ يَعْدو قلتُ ظلَّ طخاءة
ذرى الريحِ في أعقابِ يومٍ مُصَرَّحِ

وصرح بما في نفسه، وبني صرحاً، وصروحاً، وقعد في صَرْحة داره: في ساحتها.

﴿ٱلْأَسْبَٰبَ﴾: جمع: سبب، وأسباب السموات: مراقيها، أو: نواحيها، أو: أبوابها، والسبب أيضاً: الحبل، وما يتوصل به إلى غيره، وقد جمع زهير بينهما بقوله:

ومَنْ هابَ أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ
وإنْ يرقَ أسبابَ السَّماءِ بِسُلَّمِ

والسبب أيضاً من مقطعات الشعر: حرف متحرك، وحرف ساكن، أو: حرفان متحركان، والأول يسمى: خفيفاً، والثاني: ثقيلاً.

﴿تَبَابٍ﴾: خسار، وهوان، وفي القاموس: التَبّ، والتَّبب، والتّباب، والتبيب، والتتبيب: النقص، والخسار، وتبّاً له، وتبّاً تبيباً: مبالغة.

﴿لَا جَرَمَ﴾: تقدم بحثها، وسيأتي مزيد تفصيل عنها في باب الفوائد.

○ الإعراب:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾ الواو: عاطفة، وقال فرعون: فعل، وفاعل، ويا: حرف نداء، وهامان: منادى مفرد مبني على الضم، وابْنِ: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، والجملة: مقول قول فرعون، ولي: متعلقان بمحذوف حال، أوبابن، وصرحاً: مفعول به، ولعلَّ، واسمها، وجملة أبلغ

الأسباب: خبر لعلَّ. ﴿أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ أسباب السموات: بدل من الأسباب بدل كل من كل، وفائدة البدل: أنَّ الشيء إذا أبهم، ثم أوضح؛ كان تفخيماً لشأنه، وهذا هو مراد فرعون، فأطلع: الفاء: فاء السببية، وأطلع: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية جواباً للأمر، وهو: ابْنِ، أو: جواباً للترجي، وهو: لعلِّي أبلغ، وقرىء بالرفع على أنَّ الفاء عاطفة، فهو داخل في حيز الترجي، وسيأتي مزيد بحث عنه في باب الفوائد، وإلى إله موسى: متعلقان بأطلع، وإنِّي: الواو عاطفة، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وأظنه: فعل مضارع، والهاء: مفعول به أول، وكاذباً: مفعول به ثان، والجملة: خبر إن.

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الكاف: نعت لمصدر محذوف، وزين: فعل ماض مبني للمجهول، ولفرعون: متعلقان بزين، وسوء عمله، نائب فاعل، وصدَّ: عطف على زين، وصُدَّ: فعل ماض مبني للمجهول بضم الصاد وفتحها، وكلتا القراءتين سبعية، وعن السبيل: متعلقان بصد. ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ﴾ الواو: عاطفة، أو: حالية، وما: نافية، وكيد فرعون: مبتدأ، وإلا: أداة حصر، وفي تباب: خبر كيد. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ عطف على ما تقدم، وقال الذي: فعل ماض، وفاعل، وجملة آمن: صلة، ويا قوم: نداء تقدم إعرابه، واتبعون: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة لأنها من ياءات الزوائد: في محل نصب مفعول، وأهدكم: فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وعلامة جزمه: حذف حرف العلة، والفاعل: مستتر، تقديره: أنا، والكاف: مفعول به، وسبيل الرشاد: مفعول به ثان، أو: منصوب بنزع الخافض، والرشاد: اسم للمصدر لرشد.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ سيأتي

في باب البلاغة سر تكرير النداء، واقترانه بالواو في النداء الثالث، كما سيأتي. وإنما: كافة، ومكفوفة، وهذه: مبتدأ، والحياة: بدل، والدنيا: نعت، ومتاع: خبر، وإنَّ الآخرة: إنَّ، واسمها، وهي: ضمير فصل، أو: مبتدأ، ودار القرار: خبر إن، أو: خبر هي، والجملة: خبر إنَّ. ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ مَنْ: اسم شرط جازم مبتدأ، وعمل: فعل ماض في محل جزم فعل الشرط، وسيئة: مفعول به، والفاء: رابطة، ولا: نافية ويجزى: فعل مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل: مستتر، تقديره: هو، وإلا: أداة حصر، ومثلها: مفعول يجزى الثاني. ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ الواو: عاطفة، ومَنْ: شرطية لمبتدأ، وعمل: فعل ماض فعل الشرط، وصالحاً: مفعول به، أو نعت: لمصدر محذوف، أي: عملاً صالحاً، ومن ذكر: حال، أو أنثى: عطف على من ذكر، وهو مؤمن: الواو للحال، وهو: مبتدأ، ومؤمن: خبر، والجملة: نصب على الحال.

﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الفاء: رابطة، وأولئك: اسم إشارة مبتدأ، وجملة يدخلون الجنة: خبر أولئك، والجملة: في محل جزم جواب الشرط، وجملة يرزقون: حال، والواو: نائب فاعل، وفيها: حال، وبغير: نعت للمفعول به المحذوف، أي: يرزقون رزقاً واسعاً بلا حساب، ولا تبعة. ﴿۞ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ عطف على ما تقدم، وما: اسم استفهام مبتدأ، ولي: خبره، وجملة أدعوكم: حالية، وإلى النجاة: متعلقان بأدعوكم، وتدعونني إلى النار: عطف على أدعوكم إلى النجاة. ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ جملة تدعونني: بدل، وجملة وتدعونني: بمثابة التعليل، ولأكفر: اللام للتعليل، وأكفر: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل: مستتر، تقديره: أنا، وبالله: متعلقان بأكفر، وأشرك، عطف على لأكفر، وما: مفعول به، وجملة ليس لي به علم:

صلة، وليس: فعل ماض ناقص، ولي: خبرها المقدم، وبه: متعلقان بعلم، وعلم: اسم ليس المؤخر.

﴿وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ﴾ الواو: عاطفة، وأنا: مبتدأ، وجملة أدعوكم: خبر، وإلى العزيز الغفار: متعلقان بأدعوكم. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ لا: نافية، وجرم: فعل ماض بمعنى حق، ووجب، وأنَّ، وما في حيزها: فاعل جرم، أي: حق، ووجب بطلان دعوته، وأنَّ، واسمها، وحقها أن تكتب مفصولة؛ لأن ما اسم موصول بمعنى الذي، لكنها رسمت موصولة اتباعاً لسنة المصحف، وجملة تدعونني: صلة، وإليه: متعلقان بتدعونني، وجملة ليس: خبر أن، وله: خبر ليس المقدم، ودعوة: اسمها المؤخر، وفي الدنيا: نعت، ولا في الآخرة: عطف على في الدنيا. ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ عطف على ما تقدم، وأنَّ، واسمها، وإلى الله: خبرها، وأنَّ المسرفين: عطف أيضاً، وهم: ضمير فصل لا محل له، أو: مبتدأ، وأصحاب النار: خبر أن، أو: خبر هم، والجملة: خبر أن ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ الفاء: الفصيحة، والسين: حرف استقبال، وتذكرون: فعل مضارع، والواو: فاعل، وما: مفعول به، وجملة أقول: صلة، ولكم: متعلقان بأقول، وأفوض: عطف، وأمري: مفعول به، وإلى الله: متعلقان بأفوض، أي: إذا نزل بكم العذاب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ إنَّ، واسمها، وبصير: خبرها، وبالعباد: جار ومجرور متعلقان ببصير. ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ الفاء: عاطفة على محذوف يقتضيه السياق، أي: لما توعدوه بالقتل، وقصدوه به فعلاً؛ هرب منهم، ولاذ بالمغاور، وشعاب الجبال، فطلبوه، فلم يقدروا عليه، فوقاه الله. ووقاه الله: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وسيئات: مفعول به ثان، أو: نصب بنزع الخافض، وما: مصدرية، أو: موصولة، أي: سيئات مكرهم به، أو:

سيئات الذي مكروا به، وحاق: فعل ماض، وبآل فرعون: متعلقان بحاق، وسوء العذاب: فاعل. ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ النار: خبر مبتدأ محذوف، أي: هو، أي: سوء العذاب، ويجوز أن تعرب بدلاً من سوء العذاب، ويجوز أن تعرب مبتدأ، وجملة يعرضون: خبر، وعلى الوجهين الأولين تعرب جملة يعرضون: حالاً، وقرىء «النار» بالنصب على الاختصاص بفعل محذوف، وعليها: متعلقان بيعرضون، وغدواً وعشياً: ظرفان متعلقان بيعرضون أيضاً.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ الظرف: متعلق بقول محذوف؛ أي: يقال لهم يوم تقوم الساعة، وجملة أدخلوا: مقول القول، ويجوز أن يتعلق بأدخلوا، أي: أدخلوا يوم تقوم الساعة، وعلى هذين الوجهين يكون الوقف تاماً على قوله: ﴿وَعَشِيًّا﴾ ويجوز أن يكون معطوفاً على الظرفين قبله، فيكون متعلقاً بيعرضون، والوقف على هذا الوجه على قوله ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾ وأدخلوا: مقول القول مقدر؛ أي: يقال لهم كذا وكذا، وأدخلوا: فعل أمر من أدخل، وآل فرعون: مفعول به أول، وأشد العذاب: مفعول به ثان، وقرىء «ادخلوا» بهمزة الوصل، من: دخل، يدخل، فآل فرعون حينئذ: منادى حذف منه حرف النداء، وأشد العذاب: مفعول به.

□ البلاغة:

في تكرير نداء قومه مبالغة في التنبيه، والتحدي، وقرع العصا، وإمحاض النصيحة، والإيقاظ من سِنَةِ الغفلة، كأنما عز عليه أن يستهدفوا للمصير المحزن الذي سيصيرون إليه، وكأنه مترجح بين التلطف بهم؛ لأن ما يحزنهم يحزنه، وما يسوءهم يسوءه، فهم قومه على كل حال، وقد سدروا في متاهات الغفلة، وقد سبق تقرير هذا الموقف في مناصحة إبراهيم لأبيه؛ عندما كرر نصيحته إليه متلطفاً بقوله: «يا أبت» مكرراً.

هذا وقد جيء بالواو في النداء الثالث خلافاً؛ لأن النداء الثاني بمثابة بيان

للأول وتفسير له، فأعطي حكمه في عدم دخول الواو عليه، وأما الثالث: فداخل على كلام ليس بتلك المثابة.

* الفوائـــد:

١ ـ في نصب قوله: ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ ثلاثة أوجه:

أ ـ أنه جواب للأمر، وهو قوله ﴿ابْنِ لِي﴾ فنصب بأن مضمرة بعد الفاء في جوابه، ومثاله في الشعر قول أبي النجم العجلي:

يـا نـاقُ سيري عَنَقـاً فَسِيْحـا إلى سليمـانَ فَنَسْتَـريحـا

ب ـ إنَّه جواب للترجي، وإلى هذا نحا الزمخشري، قال: وقرىء: «فأطلعَ» بالنصب على أنه جواب الترجي تشبيهاً للترجي بالتمني.

جـ ـ إنَّه معطوف على التوهم؛ لأن خبر لعلَّ كثيراً ما جاء مقروناً بأن في النظم، والنثر، فمن نصب توهم: أن الفعل المرفوع الواقع خبراً منصوب بأنْ، والعطف على التوهم كثير، وإن كان غير مقيس.

٢ ـ لا جرم:

بسطنا القول في «هود» حول ﴿لَا جَرَمَ﴾ وأوردنا الأوجه المستفيضة فيها، وقد اخترنا في الإعراب ما ذهب إليه الخليل، وسيبويه، وجمهور البصريين، فتكون ﴿لَا﴾ رداً لما دعاه إليه قومه و﴿جَرَمَ﴾ بمعنى: كسب، أي: وكسب دعاؤهم إليه بطلان دعوته، أي: ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته، ويجوز أن يكون ﴿لَا جَرَمَ﴾ نظير «لا بد» من الجرم، وهو: القطع، فكما أنك تقول: لا بد لك أن تفعل، والبد: من التبديد الذي هو التفريق، ومعناه لا مفارقة لك من فعل كذا، فكذلك ﴿لَا جَرَمَ﴾ معناه: لا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام بل هي باطلة أبداً.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ

ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى
ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ
تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ
ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿يَتَحَآجُّونَ﴾: يتخاصمون يقال: حاجَّه، حِجاجاً، ومُحاجَّة، ومُحاجَة: خاصمه، والمِحجاج: الكثير الخصومة.

﴿تَبَعًا﴾: جمع: تابع، كخدم، جمع: خادم، أو: هو مصدر وصف به.

﴿جَهَنَّمَ﴾ سيأتي القول فيها في باب البلاغة.

○ **الإعراب:**

﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ﴾ الواو: استئنافية، وإذ: ظرف لما مضى متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر يا محمد لقومك، وجملة يتحاجون: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وفي النار: متعلقان بيتحاجون، والفاء: تفريعية لتفصيل التحاج والتخاصم، ويقول الضعفاء: فعل مضارع، وفاعل، وللذين: متعلقان بيقول، وجملة استكبروا: صلة. ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة كنا: خبرها، والجملة: مقول القول، وكان، واسمها، ولكم: متعلقان بمحذوف صفة لتبعاً، أو: متعلقان به إذا اعتبر مصدراً، فهل: الفاء: عاطفة، وهل: حرف استفهام، وأنتم: مبتدأ، ومغنون: خبره، وعنا: متعلقان بمغنون، ونصيباً: مفعول لمغنون، أي: دافعون عنا نصيباً من النار، وعبارة أبي البقاء: نصيباً: منصوب بفعلٍ دل

عليه مغنون، تقديره: هل أنتم دافعون عنا، أو: مانعون، ويجوز أن يكون في موضع المصدر، كما كان شيء كذلك، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ فشيئاً في موضع غنى، فكذلك نصيباً. ومن النار: صفة لنصيباً.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾ قال الذين: فعل ماض، وفاعل، وجملة استكبروا: صلة الذين، وإنا: إنَّ، واسمها، وكلٌّ: مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم، وفيها: خبر كل، والجملة: خبر إنَّ، وإنَّ، واسمها، وجملة قد حكم: خبر إنَّ، وبين العباد: ظرف متعلق بحكم. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ الواو: عاطفة، وقال الذين: فعل ماض، وفاعل، وفي النار: متعلقان بمحذوف صلة الذين، ولخزنة جهنم: متعلقان بقال، ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل، وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب البلاغة، وادعوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، وربكم: مفعول به، والجملة: مقول القول، ويخفف: فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب، وعنَّا: متعلقان بيخفف، ويوماً: ظرف متعلق بيخفف أيضاً، ومن العذاب: صفة لمحذوف، هو مفعول يخفف؛ أي: يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم.

﴿ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، والضمير: يعود لخزنة جهنم، والهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والواو: عاطفة على مقدر، أي: ألم تنتهوا عن هذا، ولم تك تأتيكم، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتك: فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه: السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف، واسم تك: مستتر، وجملة تأتيكم: خبر، ورسلكم: فاعل تأتيكم، وقد تنازعه كل من تك وتأتيكم، فأعطى فاعلاً للثاني، وأضمر في الأول، ويجوز العكس، وبالبينات: متعلقان بتأتيكم ﴿ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴾ قالوا:

فعل، وفاعل، وبلى: حرف جواب لإثبات النفي، وقالوا: فعل، وفاعل أيضاً، فادعوا: الفاء: الفصيحة، وادعوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والواو: للحال، وما: نافية، ودعاء: مبتدأ، والكافرين: مضاف إليه، وإلا: أداة حصر، وفي ضلال: خبر دعاء.

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴾ تعليل لضياع دعائهم؛ لأنه مسلوب الحجة، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وجملة ننصر رسلنا: خبر إنا، والذين: عطف على رسلنا، وجملة آمنوا: صلة، وفي الحياة الدنيا: متعلقان بننصر، ولا يقدح في هذا التأكيد ما يبدو أنهم يغلبون في بعض الأحيان ابتلاء، وامتحاناً، فإنَّ العبرة بالعواقب، والأمور بخواتيمها، ويوم يقوم الاشهاد: عطف على في الحياة الدنيا، أي: لننصرنهم في الحياة الدنيا، وفي يوم القيامة، وجملة يقوم الاشهاد: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والأشهاد: جمع شاهد كصاحب، وأصحاب. ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ يوم: بدل من يوم قبله، وجملة لا ينفع: في محل جر بإضافة الظرف إليها، والظالمين: مفعول به، ومعذرتهم: فاعل، والواو: عاطفة، ولهم: خبر مقدم، واللعنة: مبتدأ مؤخر، ولهم سوء الدار: عطف على لهم اللعنة.

□ البلاغـة:

في قوله: ﴿ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ فيه ـ كما قلنا ـ وضع الظاهر موضع المضمر للتهويل، ويحتمل أن جهنم هي أبعد النار غوراً، من قولهم: بئر جهنام، أي: بعيدة القعر، وكان النابغة يسمى الجهنام لبعد غوره في الشعر، والأول أظهر، والتفخيم فيه من وجهين. أحدهما: وضع الظاهر موضع المضمر، والثاني: ذكره، وهو شيء واحد بظاهر غير الأول أفظع منه، لأن جهنم أفظع من النار؛ إذ النار مطلقة، وجهنم أشدها، هذا وقد جاء في القاموس ما نصه: وركية جهنّام مثلثة الجيم، وجهنم، كعملّس: بعيدة القعر، وبه سميت جهنم، أعاذنا الله تعالى منها. قال شارحه: قوله: وبه سميت جهنم؛ جرى

على أنها عربية، لم تجر للتأنيث والتعريف، وجرى يونس وغيره على أنها أعجمية، لا تجري للتعريف والعجمة. وقوله: لم تجر بمعنى: لم تنصرف، وهي عبارة سيبويه، واصطلاح البصريين: المنصرف، وغير المنصرف، واصطلاح الكوفيين: المجري، وغير المجري.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۙ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لإيراد نموذج عظيم من نماذج النصر الذي وعد الله به أنبياءه، وأولياءه في الدنيا، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وآتينا: فعل، وفاعل، وموسى: مفعول به، والهدى: مفعول به ثان، وأورثنا: عطف على آتينا، وهو فعل، وفاعل، وبني إسرائيل: مفعول به أول، والكتاب: مفعول به ثان. ﴿ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ هدى وذكرى: نصب على أنهما مفعول من أجله، أي: لأجل الهدى، والذكرى، أو: على أنهما مصدران في موضع الحال، ولأولي الألباب: نعت لذكرى، أو:

هو متعلق بذكرى. ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إن عرفت هذه الحقيقة الثابتة، وهي: أن الله ينصر رسله، وأولياءه فاصبر يا محمد على أذى قومك، وإنَّ، واسمها، وخبرها، واستغفر لذنبك: عطف على فاصبر، أي: واستدرك المفرطات بذنبك، وقيل: الكلام على حذف مضاف؛ لذنب أمتك.

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ عطف أيضاً، وبحمد ربك: حال، وبالعشي والإبكار: متعلقان بسبح. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة يجادلون: خبر إنَّ، وفي آيات الله: متعلقان بيجادلون، وبغير سلطان: حال، أي: حال كونهم غير مستندين في جدالهم إلى حجة إلا المكابرة واللجاج، وهما سلاحان مغلولان، وجملة أتاهم: نعت لسلطان. ﴿إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ﴾ إنْ: نافية، وفي صدورهم: خبر مقدم، وإلا: أداة حصر، وكبر: مبتدأ مؤخر، والجملة: خبر إنَّ، وما: نافية حجازية، وهم: اسمها، وببالغيه: الباء: حرف جر زائد، وبالغيه: مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما، والجملة: نعت لكبر، أي: ببالغي مقتضى كبرهم، وهو التعاظم. ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الفاء: الفصيحة، واستعذ: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وبالله: متعلقان باستعذ، وإنَّ، واسمها، وهو ضمير فصل، أو: مبتدأ والسميع البصير: خبر إن.

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ اللام: لام الابتداء، وخلق السموات والأرض: مبتدأ، وأكبر: خبر، ومن خلق الناس: متعلقان بأكبر، ولكن: الواو: للحال، ولكنَّ، واسمها، وجملة لا يعلمون: خبرها، وسيأتي سر تلاحم هذا القول مع ما قبله في باب البلاغة. ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ الواو: عطف على

ما تقدم، وما: نافية، ويستوي الأعمى: فعل مضارع، وفاعل، والبصير: عطف على الأعمى، والذين آمنوا: عطف على الأعمى والبصير، وجملة آمنوا: صلة، وعملوا الصالحات: جملة معطوفة داخلة في حيز الصلة، ولا المسيء: الواو: عاطفة، ولا: زائدة للتوكيد، والمسيء: عطف على ما قبله، وسيأتي ترتيب هذه المنسوقات في باب البلاغة، وقليلاً: مفعول مطلق، أو: ظرف زمان، وما: زائدة، وتتذكرون: فعل مضارع مرفوع، وفاعله.

﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ إنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وآتية: خبرها، ولا: نافية للجنس، وريب: اسمها، وفيها: خبرها، والجملة: خبر ثان لأنَّ، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون: تقدم إعراب هذه الجملة قبل قليل، فجدد به عهداً.

□ البلاغة:

١ ـ فن الإلجاء:

في قوله ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ فن رفيع من فنون البلاغة، وهو فن الإلجاء، وهو أن يبادر المتكلم خصمه بما يلجئه إلى الاعتراف بصحته، وبهذا صح التحامه مع ما قبله من الكلام، فإن مجادلتهم في آيات الله كانت مشتملة على أمور كثيرة من الجدال، والمغالطة، واللجاج، والسفسطة، وفي مقدمتها: إنكار البعث، وهو في الواقع أصل المجادلة، ومحورها الذي عليه تدور، فبادر سبحانه إلى مبادهتهم بما يسقط في أيديهم، ويقطع عليهم طرق المكابرة والمعاندة، وهو خلق السموات والأرض، وقد كانوا مقرين بأن الله خالقها، وبأنها خلق عظيم، فخلق الناس بالقياس شيء هين، ومن قدر على خلقها مع عظمها كان ولا شك على خلق الإنسان الضعيف أقدر، وبه أقمن. هذا والأولوية في هذا الاستشهاد على درجتين. إحداهما: أنَّ القادر على العظيم هو على الحقير أقدر، وثانيهما: أن مجادلتهم

كانت في البعث، وهو الإعادة، وما من ريب في أن الابتداء أعظم وأبهر من الإعادة.

٢ ـ فن حسن النسق:

وفي قوله ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ . . الآية فن حسن النسق، وفي ترتيب النسق ثلاث طرق. إحداهما: أن يجاور المناسب ما يناسبه، كهذه الآية، فالأعمى يجاور البصير، وهذان الوصفان مستعاران لمن غفل عن معرفة الحق في مبدئه ومعاده، وقدم الأعمى في نفي التساوي لمجيئه بعد صفة الذم في قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: المحسن يجاور المسيء، وقدم الذين آمنوا لمجاورته للبصير، وناهيك بهذه المجاورة شرفاً للمؤمن، وثاني الطريقتين: أن يتأخر المتقابلان، كقوله تعالى: ﴿۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ وثالثتهما: أن يقدم مقابل الأول، ويؤخر مقابل الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ وهذه الطرق الثلاث يتخير المتكلم في إيرادها حسب مقتضى الحال، ووفق نواميس البلاغة وطرائقها، والله أعلم.

* الفوائـد:

لام الابتداء:

تفيد أمرين: أولهما: توكيد مضمون الجملة، ولهذا زحلقوها في باب إنَّ عن صدر الجملة كراهية ابتداء الكلام بمؤكدين، وثانيهما: تخليص المضارع للحال. وتدخل باتفاق في موضعين:

١ ـ على المبتدأ نحو: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾.

٢ ـ بعد إن، وتدخل في هذا الباب على ثلاثة باتفاق. الاسم: نحو: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ والمضارع لشبهه به، نحو: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾

والظرف، نحو: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وعلى ثلاثة باختلاف، الماضي الجامد، نحو: (إن زيداً لعسى أن يقوم) والماضي المقرون بقد، والماضي المتصرف المجرد من قد.

ومن لام الابتداء لام القسم نحو: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾ ونحو: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿دَاخِرِينَ﴾: صاغرين، وفي المصباح: دخر الشخص، يدخر بفتحتين، دخوراً: ذل، وهان، وأدخرته بالألف للتعدية.

○ **الإعراب:**

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ كلام مستأنف مسوق لبيان فضل الدعاء؛ أي: العبادة، وسيرد في باب البلاغة المجاز في هذه الكلمة. وقال ربكم: فعل ماض، وفاعل، وادعوني: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والنون: للوقاية، والياء: مفعول به، والجملة: مقول القول، وأستجب: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الطلب، ولكم: متعلقان بأستجب. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ إنَّ، واسمها، وجملة يستكبرون: صلة الذين، وعن عبادتي: متعلقان بيستكبرون، وجملة سيدخلون: خبر إنَّ، وجهنم: مفعول به على

السعة، وداخرين: حال. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ الله: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة جعل: صلة، ولكم: متعلقان بجعل؛ لأنه بمعنى خلق، والليل: مفعول به، ولتسكنوا: اللام: للتعليل، وتسكنوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والواو: فاعل، وفيه: متعلقان بتسكنوا، والنهار: عطف على الليل، ومبصراً: حال.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ إنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وذو فضل: خبر إنَّ، وعلى الناس: متعلقان بفضل، ولكن: الواو: عاطفة، ولكنَّ، واسمها، وجملة لا يشكرون: خبر لكن. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ اسم الإشارة: مبتدأ، والإشارة إلى المعلوم المتميز بالأفعال المقتضية لربوبيته، والله: خبر أول، وربكم: خبر ثان، وخالق كل شيء: خبر ثالث ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ تقدم إعراب كلمة الشهادة مفصلاً، فجدد به عهداً، والجملة: خبر رابع، والفاء: الفصيحة، وأنى: اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب حال، وتؤفكون؛ أي: تصرفون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، أي: فكيف تصرفون عن الإيمان بعد ما قامت البراهين على ربوبيته؟ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الكاف: نعت لمصدر محذوف، أي: مثل إفك هؤلاء إفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون، والذين: نائب فاعل، وجملة كانوا: صلة الموصول، وكان، واسمها، وبآيات الله: متعلقان بيجحدون، وجملة يجحدون: خبرها.

□ **البلاغة:**

١ - المجاز والمشاكلة:

في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ مجاز مرسل علاقته السببية؛ لأن الدعاء سبب العبادة، وفي قوله: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ مشاكلة؛ لأن الإثابة مترتبة عليها، وإنما جعلنا الكلام مجازاً بقرينة قوله بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى﴾ ويؤيد هذا المجاز حديث النعمان بن بشير

عن رسول الله ﷺ قال: «الدعاء هو العبادة» وقرأ هذه الآية، وقول ابن عباس: أفضل العبادة الدعاء. على أن بعضهم حمل الآية على الظاهر، وقال: إنَّ الدعاء هو السؤال والتضرع، وسيأتي في باب الفوائد مزيد بحث في هذا الصَّدد.

٢ ـ الإسناد المجازي:

وفي قوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ إسناد مجازي فقد أسند الإبصار إلى النهار؛ لأنه يبصر فيه، ولأن الإبصار في الحقيقة لأهل النهار، وقرن الليل بالمفعول لأجله، والنهار بالحال؛ لأن كل واحد منهما يؤدي مؤدّى الآخر؛ لأنه لو قيل: لتبصروا فيه فاتت الفصاحة الكامنة في الإسناد المجازي، ولو قيل: ساكناً ـ والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ـ لم تتميز الحقيقة من المجاز.

٣ ـ وضع الظاهر موضع المضمر:

وفي قوله: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر، فقد كان السياق يقتضي أن يقول: ولكن أكثرهم لا يشكرون، فلا يتكرر ذكر الناس، ولكن في هذا التكرير تخصيصاً لكفران النعمة بهم، وأنهم هم المتميزون بهذه الصفة المنبوّة على الطباع، تتوالى عليهم النعم، وتترادف الآلاء، ويتهيأ لهم كل ما يصبون إليه من مناعم العيش، وهم مصرون على الجحود والنكران، أليست هذه سمة الناس في مختلف الظروف والأحوال؟ وقد كرر سبحانه تقرير ذلك فقال: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ وقال: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

* **الفوائـد:**

١ ـ قال الإمام أبو القاسم القشيري في رسالته: اختلف الناس في أنَّ الأفضل: الدعاء، أم السكوت والرضا؟ فمنهم من قال: الدعاء عبادة للحديث: «ان الدعاء هو العبادة» ولأن الدعاء إظهار الافتقار إلى الله تعالى.

وقالت طائفة: السكوت والخمود تحت جريان الحكم أتم، والرضا بما سبق به القدر أولى. وقال قوم: يكون صاحب دعاء بلسانه، ورضا بقلبه، ليأتي بالأمرين جميعاً. قال القشيري: والأولى أن يقال: الأوقات مختلفة، ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت، وهو الأدب، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء، وهو الأدب، وإنَّما يعرف ذلك بالوقت، فإذا وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء فالدعاء أولى به، وإذا وجد إشارة إلى السكوت فالسكوت أتم.

فإن قيل: كيف قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ وقد يدعو الإنسان كثيراً فلا يستجاب له؟! وقيل في الجواب: الدعاء له شروط منها: الإخلاص في الدعاء، وأن لا يدعو وقلبه لاه ومشغول بغير الدعاء، وأن يكون المطلوب بالدعاء مصلحة للإنسان، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم؛ فإذا كان الدعاء بهذه الشروط كان حقيقاً بالإجابة، فإما أن يجعلها له، وإما أن يؤخرها له، يدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يؤخر له في الآخرة، وإما أن يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدعو بإثم، أو قطيعة رحم، أو يستعجل» قالوا: يا رسول الله! وكيف يستعجل؟ قال: «يقول: دعوت فما استجاب لي».

وأورد الغزالي سؤالاً آخر قال: فإن قيل: فما فائدة الدعاء مع أن القضاء لا مردّ له؟ فاعلم: أن من جملة القضاء ردّ البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لردّ البلاء، ووجود الرحمة، كما أن الترس سبب لدفع السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أنَّ الترس يدفع السهم فيتدافعان، فكذلك الدعاء والبلاء، وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ﴾ فقدر الله تعالى الأمر، وقدر سببه.

وهذا سؤال قد تكون الإجابة متقدمة عليه، وقد روينا في كتاب الترمذي:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يستجيب الله تعالى له عند الشدائد والكُرَب فليكثر الدعاء في الرخاء» ومعنى سرَّه: أعجبه، وأوقعه في الفرح والسرور، وأن يستجيب الله: فاعل سره، ومفعول يستجيب: محذوف، أي: دعاءه، وقوله عند الشدائد: ظرف للاستجابة، أي: حصول الأمور الشديدة من المكروهات، والكرب بضم ففتح جمع: كربة، وهي الغم يأخذ بالنفس، وقوله فليكثر الدعاء. . الخ: جواب الشرط، والرخاء بفتح الراء: سعة العيش، وحسن الحال، وإنما كان كذلك لأن إكثاره في وقت الرخاء يدل على صدق العبد في عبوديته والتجائه إلى ربه في جميع أحواله، وأنه يشكره في الرخاء كما يشكره في الشدة، ويتوجه إليه بكليته ليكون له عدة.

وقال الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء: آداب الدعاء عشرة. الأول: أن يترصّد الأزمان الشريفة، كيوم عرفة، وشهر رمضان، ويوم الجمعة، والثلث الأخير من الليل، ووقت الأسحار. الثاني: أن يغتنم الأحوال الشريفة، كحالة السجود، والتقاء الجيوش، ونزول الغيث، وإقامة الصلاة، وبعدها. الثالث: استقبال القبلة، ورفع اليدين: ويمسح بهما وجهه في آخره. الرابع: خفض الصوت بين المخافتة والجهر. الخامس: أن لا يتكلف السَّجع. السادس: التضرع، والخشوع، والرهبة. السابع: أن يجزم بالطلب، ويوقن بالإجابة. الثامن: أن يلح في الدعاء، ويكرره ثلاثاً، ولا يستبطىء الإجابة. التاسع: أن يفتتح الدعاء بذكر الله تعالى. العاشر هو الأصل في الإجابة، وهو: التوبة، ورد المظالم، والإقبال على الله تعالى.

٢ ـ لمحة عن القشيري:

اقتبسنا في هذا الفصل قبسة من الرسالة القشيرية، ولإتمام الفائدة يحسن بنا أن نورد لمحة موجزة عنها، وعن مؤلفها؛ لأنها تمدنا بصورة كاملة عن التصوف ورجاله منذ ظهر التصوف في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري حتى عصر المؤلف، وتعتبر على الرغم من صغر حجمها نسبياً أفضل وثيقة علمية وتاريخية في موضوعها، وقبل تلخيص الرسالة لا بد من الإشارة إلى

صاحبها، فهو: الشيخ عبد الكريم بن هوازن المعروف بزين الإسلام أبي القاسم القشيري، ولد سنة ٣٧٦هـ، ولد في بيت عربي قح، فقد كان أبوه قشيرياً من قبيلة قشير بن كعب التي وردت خراسان زمن الأمويين، وكانت أمه: سُلمية، وخاله: أبو عقيل السلمي، من وجوه دهاقين ناحية استوا قريباً من نيسابور، وفي هذه المنطقة عاش أجداده الأقربون، ونحن لا نعلم إلا القليل عن طفولته الأولى، ولكننا نعلم: أنَّ أباه مات وهو صغير، فعهد بأمر تربيته إلى أبي القاسم الأليماني الذي كان صديقاً لأسرة القشيري، فقرأ عليه الأدب، والعربية، ثم انتقل إلى نيسابور؛ حيث أخذ العلم عن بعض الأجلاء من علمائها، وحضر مجلس الأستاذ الشهير أبي علي الحسن بن علي الدقاق الذي كان من كبار مشايخ الصوفية في عصره، فأعجب القشيري به، واستحسن كلامه، وسلك طريقته، فقبله الشيخ، وأشار عليه بتعلّم العلم، فحضر دروس الشيخ أبي بكر محمد بن بكر الطوسي، ثم الأستاذ أبي بكر بن نورك الذي توفي سنة ٤٠٦هـ وكان أصولياً كبيراً، وبعد وفاته اختلف إلى الأستاذ أبي إسحاق الأسفراييني، وجمع بين طريقته وطريقة ابن نورك، ثم نظر بعد ذلك في كتب القاضي أبي بكر الباقلّاني المتوفى سنة ٤٠٣هـ، وهو مع كل هذا يداوم على حضور مجلس أبي علي الدقاق إلى أن اختاره لصحبته، وزوَّجه من ابنته، ولما مات الأستاذ أبو علي صحب الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي المؤرخ الصوفي الكبير، وأصبح شيخ خراسان غير منازع في الفقه على مذهب الإمام الشافعي، والكلام على مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري، كما كانت له الصدارة في الحديث والأدب واللغة، وقد وصف الباخرزي المتوفى سنة ٤٦٧هـ مقدرته على الوعظ المؤثر بقوله: ولو قُرِع الصخر بسياط تحذيره لذاب، ولو ربط إبليس في مجلس تذكيره لتاب، وله فصل الخطاب في فضل المنطق المستطاب.

ويبدو أن الشهرة الواسعة التي تمتع بها القشيري في نيسابور قد أثارت الحقد والحسد في نفوس فقهاء هذه المدينة، فشرعوا يعدُّون العدَّة للحطّ من

قدره، وذلك بتلفيق الاتهامات، وإذاعة الأكاذيب حوله، وقد نجحوا في مسعاهم، وحلت بالقشيري محنة شديدة، لقي فيها ألواناً من العنت والآلام والتشريد، ونحيل القارىء إلى «طبقات» السبكي ليقرأ تفاصيل تلك المحنة؛ التي دامت خمس سنين إلى أن ردَّ عليه عضد الدولة شرفه، والتأم شمل مجلسه كما كان.

خلاصة الرسالة القشيرية:

تتألف الرسالة من الأقسام الرئيسية الآتية:

١ ـ مقدمة يشرح فيها الباعث على تأليفه الرسالة، فقد لاحظ أن بعض صوفية عصره قد ضلوا سبل الرشاد، فعقد النية على وضع كتاب يرجع فيه بالتصوف إلى سيرته الأولى، ويخلصه من البدع التي تسربت إليه، وهذه هي عبارته نوردها بنصها لما فيها من روعة التصوير لهذه المأساة. يقول: اعلموا رحمكم الله: أنَّ المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم، ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم كما قيل:

أمَّـا الخيـامُ فـإنَّـهـا كخيـامِهِـمْ   وأرى نِساءَ الحيِّ غَيْرَ نِسائها

ويذكر القشيري في هذه المقدمة أيضاً بياناً بأصول العقائد الإيمانية التي دان بها أوائل الصوفية، وبنوا قواعد أمرهم في الطريق عليها، ثم يلخص وجهة نظره في تسع مسائل يرجع إليها من يشاء في رسالته.

٢ ـ وهو قسم يترجم فيه لطائفة من الصوفية، مبتدئاً بإبراهيم بن أدهم، ومنتهياً بأحمد بن عطاء.

٣ ـ وهو تفسير ألفاظ تدور بين الصوفية وبيان ما يشكل منها.

٤ ـ وهو في أدب الطريق وما يعرض للسالك من عقبات في سفره إلى الله.

٥ ـ خاتمة بها وصيته للمريدين.

هذا وقد كانت الرسالة موضع عناية الدارسين، وقد وضعت عليها عدة شروح، أشهرها شرح الشيخ زكريا الأنصاري.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ
فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ
ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ
ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟
أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا
مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا
يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾

○الإعراب:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان تفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان تفضله المتعلق بالزمان، والله: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة جعل: صلة، ولكم: متعلقان بمحذوف حال، والأرض: مفعول به أول، وقراراً: مفعول به ثان؛ لأن الجعل هنا بمعنى التصيير، وإذا اعتبرت بمعنى الخلق كانت قراراً: حالاً بمعنى: مستقرة، والسماء بناء: عطف على ما تقدم، وصوركم: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، فأحسن: عطف على صوركم، وصُوَرَكُم: مفعول به، ومعنى كون السماء بناء: أنها مبنية كالقبة المضروبة في نظر العين. ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ﴾ ورزقكم: عطف على ما تقدم، ومن الطيبات: متعلقان برزقكم، وذلكم: مبتدأ، والله: خبر، وربكم: خبر ثان.

﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الفاء: حرف عطف، وتبارك: فعل

ماض، والله: فاعل، ورب العالمين: نعت الله. ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ هو: مبتدأ، والحي: خبر، وكلمة الشهادة التي تقدم إعرابها: خبر ثان، فادعوه: الفاء الفصيحة، وادعوه: فعل أمر، وفاعل، ومفعول به، ومخلصين: حال، وله: متعلقان بمخلصين، والدين: مفعول لمخلصين. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ تقدم إعرابها في مستهل الكتاب، والجملة: مقول لقول محذوف هو حال من فاعل فادعوه، أي: قائلين: الحمد لله.. الخ ويجوز أن تكون الجملة: مستأنفة على أنها من كلامه ذاته سبحانه. ﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَـٰتُ مِن رَّبِّى﴾ إنَّ، واسمها، وخبرها: مقول القول، وجملة نهيت: خبر إنَّ، والتاء: نائب فاعل، وأن أعبد المصدر المؤول: في محل نصب بنزع الخافض؛ أي عن عبادة الذين تدعون، وجملة تدعون: صلة، ومن دون الله: حال، ولما: ظرف بمعنى حين، أو: رابطة، وجاءني البينات: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، وجملة جاءني: في محل جر بإضافة الظرف إليها.

﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ عطف على نهيت، وأن وما في حيزها: نصب بنزع الخافض، أي: بالإسلام، ولرب العالمين: متعلقان بأسلم. ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ هو: مبتدأ، والذي: خبر، وجملة خلقكم: صلة، ومن تراب: متعلقان بخلقكم، والكلام مستأنف مسوق لبيان كيفية تكون البدن، وما بعده عطف عليه. ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ عطف أيضاً، ويخرجكم: فعل مضارع، وفاعل، وطفلاً: حال من الكاف في يخرجكم. ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا﴾ عطف أيضاً، واللام: للتعليل، وتبلغوا: منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والجار والمجرور: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: ثم يبقيكم، وكذلك لتكونوا شيوخاً، وشيوخاً: خبر كان، وقرىء بضم الشين وكسرها. ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ﴾ الجملة: مستأنفة، ومنكم: متعلقان بمحذوف خبر لـ «من» ومن قبل: متعلقان بيتوفى ﴿وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الواو:

عاطفة، ولتبلغوا: الجار والمجرور متعلقان بمحذوف أيضاً، تقديره: ونفعل ذلك ونحوه، وأجلاً: مفعول به، ومسمى: نعت، ولعلكم تعقلون: عطف على قوله: لتبلغوا أشدكم.

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ هو: مبتدأ، والذي: خبره، وجملة يحيي ويميت: صلة، فإذا: الفاء عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة قضى: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وأمراً: مفعول به، فإنما: الفاء رابطة، وإنما: كافة، ومكفوفة، ويقول: فعل مضارع، والفاعل: مستتر، تقديره: هو، وله: متعلقان بيقول، وكن: فعل أمر تام، وفاعل مستتر، تقديره: أنت، والفاء: استئنافية، وجملة يكون: خبر لمبتدأ محذوف، أي: فهو يكون، وقرىء فيكون بفتحها على أن الفاء سببية، والفاعل: ضمير مستتر، تقديره: هو.

*** الفوائـد:**

كائناً ما كان:

اختلف في «كان، وكائناً» في قولك: لأضربنه كائناً ما كان. فقال الفارسي: هما تامان في الموضعين، وما: مصدرية، وهي وما بعدها: فاعل كائناً، أي: كونه، وقيل: هما ناقصان في الموضعين، وفي كائناً ضمير هو اسمه، وخبره: ما، وهي موصولة، وصلتها: كان، واسمها، وخبرها، واسمها: ضمير مستتر فيها، وخبرها: محذوف، تقديره: إياه، واسم كائن المستتر فيه، وخبر كان: عائدان على الشخص المضروب، وتقدير الكلام حينئذ: لأضربنه كائناً الذي كان إياه، وكائناً: حال من مفعول لأضربنه، وفيه اطلاق «ما» على العاقل، وهو جائز، ويجوز أن تكون «ما» نكرة موصوفة، وقد يقال: من كان، فيكون الكلام جارياً على وجهه.

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ

بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ
أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ
لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟
مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ
فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ﴾: جمع سلسلة وهي الدائرة من حديد ونحوه، تتصل أجزاؤها، أو حلقاتها بعضها ببعض، ومنه سلاسل البرق: أي ما استطال منه في عرض السحاب، وسلاسل الكتاب: سطوره، قال الراغب: وتسلسل الشيء: اضطرب، كأنه تصور منه تسلسل متردد، فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه، وماء سلسل؛ أي: متردد في مقره.

﴿يُسْجَرُونَ﴾: يوقدون، من: سجر التنور: إذا ملأه بالوقود.

○ **الإعراب:**

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري التعجبي، ولم: حرف نفي، وقلب، وجزم، وتر: فعل مضارع مجزوم بإلى، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، وإلى الذين: متعلقان بتر؛ أي: تنظر، وجملة يجادلون بآيات الله: صلة، وأنى: اسم استفهام في محل نصب حال، ويصرفون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل، ومتعلقه محذوف، أي: يصرفون عن الإيمان بالكلية. ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ الذين: بدل من الذين الأولى، وكذبوا: صلة، وبالكتاب: متعلقان بكذبوا، وبما: عطف على بالكتاب، وجملة أرسلنا: صلة، وبه: متعلقان بأرسلنا، ورسلنا: مفعول به،

والفاء: استئنافية، وسوف: حرف استقبال، ويعلمون: فعل مضارع مرفوع، والجملة: مستأنفة مسوقة للتهديد، هذا ويجوز أن تعرب الذين: خبراً لمبتدأ محذوف، فيكون محلها الرفع، أو منصوباً على الدم، ويجوز أن يكون مبتدأ، خبره: فسوف يعلمون، والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط. ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ إذ: ظرف لما مضى من الزمن متعلق بيعلمون، أو: هي في محل نصب مفعول به ليعلمون، ولا يتنافى كون الظرف ماضياً وسوف يعلمون مستقبلاً، ففي جعلها مفعولاً به تفاد من استحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي، ولك أن تقول: لا منافاة؛ لأن الأمور المستقبلة لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ ما كان، ووجد، والمعنى على الاستقبال.

وعبارة السمين: ولا حاجة لإخراج إذ عن موضوعها، بل هي باقية على دلالتها على المضي، وهي منصوبة بقوله: فسوف يعلمون، نصب المفعول به، أي: فسوف يعلمون يوم القيامة وقت الأغلال في أعناقهم، أي: وقت سبب الأغلال، وهي المعاصي التي كانوا يفعلونها في الدنيا؛ كأنه قيل: سيعرفون وقت معاصيهم التي تجعل الأغلال في أعناقهم، وهو وجه صحيح غاية ما فيه التصرف في إذ تجعلها مفعولاً به، ولا يضرنا ذلك، فإن المعربين غالب أوقاتهم يقولون: منصوب باذكر مقدراً، ولا تكون حينئذ إلا مفعولاً به لاستحالة عمل المستقبل في الزمن الماضي، وجوزوا أن تكون منصوبة باذكر مقدر؛ أي: اذكر لهم وقت الأغلال ليخافوا وينزجروا. فهذه ثلاثة أوجه؛ خيرها أوسطها.

وعبارة أبي البقاء: إذ: ظرف زمان ماض، والمراد بها الاستقبال هنا؛ لقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ والأغلال: مبتدأ، وفي أعناقهم: خبر، والسلاسل: عطف على الأغلال، والظرف في نية التأخير عنهما، فهو خبر عنهما معاً، وجملة يسحبون حال، أو مبتدأ، وخبره: جملة يسحبون،

والرابط: مقدر تقديره: بها، وقرىء بنصب السلاسل ويسحبون بفتح الياء، فهو مفعول مقدم ليسحبون.

وعبارة الزمخشري: وعن ابن عباس: ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ﴾ بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية، وعنه ﴿وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ﴾ بجر السلاسل، ووجهه: أنه لو قيل: إذ أعناقهم في الأغلال مكان قوله: ﴿إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ﴾ لكان صحيحاً مستقيماً، فلما كانتا عبارتين متعقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الأخرى ونظيره:

مشائيمُ ليسوا مُصْلحينَ عشيرةً ولا نـاعـبٌ إلا بَيْـنَ غُـرابِهـا

كأنه قيل: بمصلحين، وقرىء: بالسلاسل يسحبون. فهو على قراءة الجر من باب عطف التوهم، وقد تقدم بحثه. وعندئذ يكون فيه فن القلب، وهو كثير شائع في كلامهم، وقد تقدم بحثه، وفيه عطف التوهم بعد ذلك.

﴿فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ﴾ في الحميم: متعلقان بيسحبون، ثم: حرف عطف للتراخي، وفي النار: متعلقان بيسجرون، والجملة: عطف على ما قبلها. ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تُشۡرِكُونَ﴾ ثم قيل: أي: ثم يقال. أو يقولون، وصيغة الماضي لتحقق وقوع القول، ولهم: متعلقان بقيل، وأين: اسم استفهام في محل نصب على الظرفية المكانية، والظرف: متعلق بمحذوف خبر مقدم، وما: اسم موصول مبتدأ مؤخر، وجملة كنتم: صلة وجملة تشركون: خبر كنتم. ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ من دون الله: حال، وقالوا: فعل، وفاعل، وجملة ضلوا عنا: مقول القول ﴿بَل لَّمۡ نَكُن نَّدۡعُواْ مِن قَبۡلُ شَيۡـٔٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بل: حرف إضراب انتقالي، ولم: حرف نفي وقلب وجزم، ونكن: فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، واسمها: مستتر، تقديره: نحن، وجملة ندعو: خبرها، ومن قبل: حال وشيئاً: مفعول به، وكذلك: نعت لمصدر محذوف، ويضل الله الكافرين: فعل مضارع، وفاعل، ومفعول به. ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ اسم الإشارة: مبتدأ، والإشارة للإضلال، أو العذاب،

وبما: خبر، وجملة كنتم: صلة، وجملة تفرحون: خبر كنتم، وفي الأرض: متعلقان بتفرحون، وبغير الحق: حال. ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ عطف على قوله كنتم تفرحون، والمرح هو الفرح، أو: أشده، كما في المصباح. ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ادخلوا: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعل، والجملة: مقول قول محذوف، وأبواب جهنم: مفعول به على السعة، وخالدين: حال، وفيها: متعلقان بخالدين، والفاء: عاطفة، وبئس: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، ومثوى المتكبرين: فاعل بئس، والمخصوص بالذم: محذوف، أي: هي، ولم يقل: مدخل المتكبرين لإفادة الديمومة والخلود بلفظ الثواء.

* الفوائد:

رسمت «أين» مفصولة من «ما» في المصحف، ووصلت في مواضع أخرى، وعبارة ابن الجزري «فأينما كالنحل صل» أي: صل «أين» مع «ما» في قوله تعالى ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ﴾ بالبقرة كالنحل، أي: كما تصله بها في قوله ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ بالنحل «ومختلف في الأحزاب والنساء وصف» أي: والاختلاف في ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝﴾ في الشعراء و﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟﴾ في الأحزاب و﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾ في النساء، وصف؛ أي: ذكر؛ أي: ذكره أهل الرسم. وما عدا الثلاثة نحو: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟﴾ و﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ﴾ في الأعراف و﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ في غافر و﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ في المجادلة: مقطوع.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ

أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾

○ الإعراب:

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ الفاء: الفصيحة؛ أي: إن بدا لك منهم ما بدا من صد وإعراض فلا تبتئس واصبر؛ فإننا سننتقم لك منهم. واصبر: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وإنَّ، واسمها، وخبرها، تعليل للأمر بالصبر﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وإنْ: الشرطية مدغمة في ما الزائدة، ونرينك: فعل الشرط مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والكاف: مفعول به، وبعض الذي: مفعول به ثان، وجملة نعدهم: صلة الذي، أو نتوفينك: عطف على نرينك، والفاء: رابطة، وإلينا يرجعون: إلينا: متعلقان بيرجعون، والجملة جواب للشرط الثاني، وهو نتوفينك، وجواب الشرط الأول محذوف، والتقدير: فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب، وهو القتل، والأسر يوم بدر فذاك، أو إن نتوفينك قبل يوم بدر فإلينا يرجعون يوم القيامة، فننتقم منهم أشد الانتقام.

وإنما حذف جواب الأول محذوف دون الثاني؛ لأن الأول إن وقع فذاك غاية الأمل في إنكائهم، فالثابت على تقدير وقوعه معلوم، وهو حصول المراد على التمام، وأما إن لم يقع ووقع الثاني، وهو توفيه قبل حلول المجازاة بهم؛ فهذا هو الذي يحتاج إلى ذكره للتسلية، وتطمين النفس على أنه وإن تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة، ولا بد منه. ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ الواو: عاطفة، واللام: جواب للقسم المحذوف، وقد: حرف تحقيق، وأرسلنا: فعل، وفاعل، ورسلاً: مفعول به، ومن قبلك: نعت لرسلك، أو: متعلقان بأرسلنا، ومنهم: خبر مقدم، ومن: مبتدأ مؤخر، وجملة قصصنا: صلة، وعليك: متعلقان بقصصنا، ومنهم من لم

نقصص عليك: عطف على الجملة الأولى، وهي نعت لرسلاً، أو: مستأنفة.

﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ الواو: عاطفة، وما: نافية، وكان؛ فعل ماض ناقص، ولرسول: خبر كان المقدم، وأن وما في حيزها: اسمها المؤخر، وبآية: متعلقان بيأتي، وإلا: أداة حصر، وبإذن الله: استثناء من أعم الأحوال. ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاء أمر الله: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة قضي بالحق: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، ونائب فاعل قضي: مستتر، تقديره: هو: أي: الأمر، وبالحق: حال، أي: متلبساً بالحق، وخسر: فعل ماض، وهنالك: اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بخسر، والمبطلون: فاعل خسر.

* الفوائـــد:

ضمير النكرة نكرة أم معرفة؟

تساءل بعضهم عن الضمير في قوله ﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا﴾ والعائد على قولـه ﴿ رُسُلًا ﴾ أهـو نكرة أم معرفة؟ وأجاب بأنـه نكرة؛ لأن مدلوله كمدلول المرجوع إليه، وهو نكرة، فوجب أيضاً أن يكون الراجع نكرة، إذ التنكير والتعريف باعتبار المعنى، والصحيح: أنه معرفة؛ لأن الهاء في قولك: «جاءني رجل وضربته» ليست شائعة شياع رجل؛ لأنها تدل على الرجل الجائي خاصة، لا على رجل، والذي يحقق ذلك: أنك تقول جاءني رجل، ثم تقول: أكرمني الرجل، ولا تعني بالرجل سوى الجائي، ولا خلاف في أن الرجل معرفة، فوجب أن يكون الضمير معرفة أيضاً؛ لأنه بمعناه.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾

وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ
تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ
قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ
مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي
عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

○ الإعراب:

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتعديد بعض آلائه سبحانه، والله: مبتدأ، والذي: خبره وجملة جعل: صلة، ولكم: متعلقان بجعل؛ لأنها بمعنى: خلق، والأنعام: مفعول به، وقد تقدم تفسيرها في سورة الأنعام ولا معنى لتخصيص الإبل وحدها، ولتركبوا: اللام: للتعليل، وتركبوا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والجار والمجرور: متعلقان بجعل لأنها علة الخلق، ومنها: متعلقان بتركبوا، أي؛ من بعضها، فَمِنْ: للتبعيض، ولا معنى لجعلها ابتدائية، ومنها تأكلون: عطف على ما تقدم ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ ﴾ الجملة معطوفة. ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾ وعليها: متعلقان بتحملون، وعلى الفلك: عطف على وعليها. ﴿ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴾ ويريكم آياته: عطف على جعل لكم الأنعام، وآياته: مفعول به ثان، فأيَّ: الفاء: عاطفة، وأيَّ مفعول مقدم لتنكرون، وقدم وجوباً لأن لأسماء الاستفهام الصدارة، وتنكرون: فعل مضارع مرفوع، والاستفهام:

للتوبيخ، قال الزمخشري: وقد جاءت على اللغة المستفيضة، وقولك: فأية آيات الله قليل؛ لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات، نحو: حمار، وحمارة غريب، وهي في «أي» أغرب قلت وقد ورد تأنيثها كثيراً، ومنه قول الكميت:

بــأيِّ كتــابٍ أَمْ بــأيــةِ سُنَّــةٍ ترى حبَّهم عاراً عليَّ وتحسبُ

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في توبيخهم، والهمزة: للاستفهام الإنكاري التوبيخي، والفاء: عاطفة على مقدر، أي: أعجزوا فلم يسيروا في الأرض، أي: في نواحيها وأطرافها، والفاء: فاء السببية، وينظروا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية، والواو: فاعل، وكيف: اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم، وعاقبة: اسمها المؤخر، ومن قبلهم: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان مبدأ أحوالهم وعواقبها، وكان، واسمها، وأكثر: خبرها، ومنهم: متعلقان بأكثر، وقوة: تمييز وآثاراً: عطف على قوة، وفي الأرض: نعت لآثاراً. ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الفاء: عاطفة، وما: نافية، أو: استفهامية في محل نصب مفعول أغنى المقدم، وأغنى: فعل ماض، وعنهم: متعلقان بأغنى، وما الثانية: موصولة، أو: مصدرية، ومحلها: الرفع على الفاعلية؛ أي: لم يغن عنهم، أو: أي شيء أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم؟

﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ الفاء هذه: هي الفاء الثانية من أربع فاءات متعاقبة، فالأولى: للعطف، كما قلنا، بيّنت عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم. والثانية: عاطفة ايضاً تشير إلى تفصيل ما أبهم من عدم الإغناء، ولمَّا: ظرف بمعنى حين، أو: رابطة، وجاءتهم رسلهم: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وفاعل، وبالبينات: متعلقان بجاءتهم، وجملة فرحوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وعندهم: ظرف

متعلق بمحذوف صلة ما، ومن العلم: حال. ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وحاق: عطف على فرحوا، وبهم: متعلقان بحاق، وما: موصولة فاعل، وجملة كانوا: صلة، وكان واسمها، وبه: متعلقان بيستهزئون، وجملة يستهزئون: خبر كانوا، وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة. ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ وهذه هي الفاء الثالثة، وهي لمجرد العطف والتعقيب، أي: التي تجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها واقعاً عقبه، ولمَّا: حينية، ورأوا: فعل ماض، وفاعل، والجملة: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وبأسنا: مفعول به، وجملة قالوا: لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، وجملة آمنا: مقول القول، وبالله: متعلقان بآمنا، ووحده: حال.

﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ وكفرنا: عطف على آمنا، وبما: متعلقان بكفرنا، وجملة كنا: صلة ما، وكان، واسمها، وبه: متعلقان بمشركين ومشركين: خبر كنا. ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾ وهي الفاء الرابعة، وهي للعطف، وجملة يك: معطوفة على آمنّا، كأنه قيل: فآمنوا، فلم ينفعهم إيمانهم، وقد أفادت العطف مع التفسير، ويك: فعل مضارع ناقص مجزوم بلم، وعلامة جزمه السكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمها: مستتر، تقديره: هو، أي: الشأن، وجملة ينفعهم: خبرها وإيمانهم: فاعل ينفعهم، ويجوز رفع إيمانهم اسماً لكان، وجملة ينفعهم: خبرها المقدم، وليست المسألة من باب التنازع، ولمَّا: حينية، وجملة رأوا بأسنا: في محل جر بإضافة الظرف إليها. ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ سنة الله: مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه، أي: سن تعالى بهم سنة من قبلهم، ويجوز أن يكون منصوباً على التحذير، أي: احذروا سنة الله في المكذبين، والتي: صفة لسنة، وجملة قد خلت: صلة، وفي عباده: متعلقان بخلت، أي: مضت في عباده، والواو: استئنافية، وخسر: فعل ماض، وهنالك: اسم إشارة في محل نصب على

الظرفية المكانية متعلق بخسر، والكافرون: فاعل خسر، وقد استعير ظرف المكان للزمان، أي: وخسروا وقت رؤية اليأس، ويجوز ابقاؤه على أصله.

□ البلاغة:

فن التهكم

في قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ...﴾ الآية فن التهكم، وهو في الأصل تهدم البناء، يقال: تهكمت البئر: إذا انهدمت، والغضب الشديد، والتندم على الأمر الفائت، وهو في اصطلاح البيانيين: الاستهزاء، والسخرية من المتكبرين؛ لمخاطبتهم بلفظ الإجلال في موضع التحقير، والبشارة في موضع التحذير، والوعد في موضع الوعيد، والعلم في موضع الجهل، تهاوناً من القائل بالمقول له، واستهزاءاً به، وقد تقدمت الإشارة إلى هذا الفن كثيراً في كتابنا، قال الزمخشري: أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ وعلمهم في الآخرة: أنهم كانوا يقولون: لانبعث، ولا نعذب ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ وكانوا يفرحون بذلك، ويدفعون به البينات، وعلم الأنبياء كما قال عز وجل: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ وما أجمل قول الحماسي:

أتـانـي مـن أبـي أنـسٍ وعيـدٌ فثـلَّ تَغَيُّـظُ الضَّحـاك جِسْمـي

ثل: أهلك، والتغيظ: الغيظ، وكنى عن أبي أنس بالضحاك الذي كان ملكاً قصداً للاستهزاء.

* الفوائـد:

حذف نون مضارع كان المجزوم:

تقدم القول في حذف نون مضارع كان المجزوم، بشرط كونه مجزوماً

بالسكون، غير متصل بضمير نصب، ولا بساكن، وقد وقع ذلك في التنزيل في ثمانية عشر موضعاً، وقد سمع في الشعر حذفها إذ وليها ساكن، قال الخنجر بن صخر الأسدي:

فإنْ لم تكُ المرآةُ أبدتْ وَسامةً   فَقَدْ أبدَتِ المرآةُ جبهةَ ضَيْغَمِ

فحذف النون مع ملاقاة الساكن، والمرآة بكسر الميم ومدّ الهمزة: آلة الرؤية، فكأنه نظر وجهه فيها فلم يره حسناً، فتسلى بأنه يشبه الضيغم، وهو الأسد، والوسامة بفتح الواو: الحسن، والجمال، وحمله جمهور النحاة على الضرورة، واستشهدوا بقول النجاشي:

فَلَسْتُ بآتيهِ ولاأسْتطيْعُه

ولاكِ اسْقِني إنْ كان ماؤُكَ ذا فَضْلِ

فحذف نون لكن ضرورة، واستدل الفراء بهذا البيت على أن لكن المشددة مركبة، وأصلها: لكن إن، فطرحت الهمزة للتخفيف، ونون لكن للساكنين، ومن طريف ما يروى عن هذا البيت: أنَّ النجاشي الشاعر عرض له ذئب في سفره، فحكى: أنه دعا الذئب إلى الطعام، وقال له: هل لك من أخ ـ يعني نفسه ـ يواسيك بطعامه بغير منٍ، ولا بخلٍ؟ فقال له الذئب: دعوتني إلى شيء لم تفعله السباع قبلي من مؤاكلة بني آدم، ولست بآتيه، ولا أستطيعه، ولكن إن كان في مائك الذي معك فضل عما تحتاج إليه فاسقني منه.

* * *

سُورَةُ فُصِّلَتْ

ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا
فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا
عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟
إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ
كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾

○ الإعراب:

﴿حمٓ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حم: خبر لمبتدأ محذوف، وتنزيل: خبر لمبتدأ محذوف أيضاً؛ أي: هو تنزيل، ومن الرحمن الرحيم: متعلقان بتنزيل، وأجاز الزجاج أن يكون تنزيل: مبتدأ، وقوله: كتاب الآتي: خبره، وساغ الابتداء بتنزيل لأنه تخصص بالصفة، وعليه درج الجلال وشراحه، وما ذكرناه أولاً أولى ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ كتاب:

بدل من تنزيل، أو: خبر بعد خبر، وجملة فصلت آياته: صفة للكتاب؛ أي: ميزت، وجعلت تفاصيل في شتَّى المعاني، وآياته: نائب فاعل، وقرآناً: حال من كتاب، وعربياً: نعت، وأجاز الزمخشري إعراب قرآناً بالنصب على الاختصاص، ولقوم: متعلقان بفصلت، وجملة يعلمون: نعت لقوم، وأعرب الزمخشري لقوم بقوله: والأجود أن يكون صفة مثل ما قبله.

﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ يجوز أن يكونا نعتين لقرآناً، وأن يكونا حالين إما من كتاب، وإما من آياته، وإما من الضمير المنوي في قرآناً. فأعرض: الفاء: عاطفة على فصلت، وأكثرهم: فاعل، فهم: الفاء عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة لا يسمعون: خبر هم.

﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ الواو: عاطفة، أو استئنافية، وقالوا: فعل ماض، وفاعل، وقلوبنا: مبتدأ، وفي أكنة: خبر، أي: أغطية، ومما: متعلقان بمحذوف، أي: تمنعنا مما تدعونا، وقال أبو البقاء: «هو محمول على المعنى؛ إذ معنى ﴿ فِىٓ أَكِنَّةٍ ﴾ أنها محجوبة عن سماع ما تدعونا إليه، ولا يجوز أن يكون نعتاً لأكنةٍ؛ لأن الأكنة: الأغشية، وليست الأغشية مما يدعو إليه. وهذا كلام شامل لا يعين الإعراب، ولهذا جنحنا إلى تقدير: تمنعنا، وقريب من الوجه الذي اخترناه قول زاده في حاشيته على البيضاوي: في الكلام حذف تقديره: في أكنة تمنعنا من فهم ما تدعونا إليه، فحذف المضاف. فما يتعلق به مما هو النعت لأكنة. والواو: حرف عطف، وفي آذاننا: خبر مقدم، ووقر: مبتدأ مؤخر.

﴿ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ الواو: حرف عطف، ومن بيننا: خبر مقدم، وبينك: معطوف على بيننا، وحجاب: مبتدأ مؤخر، فاعمل: الفاء الفصيحة؛ أي: إن عرفت ما قلناه لك، ووعيته فاعمل، وإننا: إنَّ، واسمها، وعاملون: خبرها؛ أي: فاستمر على دعوتك؛ فإننا مستمرون على ديننا، وهو الإشراك، وسيأتي مزيد بسط لهذا الكلام في باب البلاغة. ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ إنما: كافة

ومكفوفة، وأنا: مبتدأ، وبشر: خبر، ومثلكم: نعت، وجملة يوحى: نعت ثان لبشر، وإليَّ: متعلقان بيوحى، ونائب الفاعل: أنَّ وما بعدها، وأنَّما: كافة ومكفوفة، وهي مع مدخولها: نائب فاعل يوحي، وإلهكم: مبتدأ، وإله: خبر، وواحد: نعت. ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ الفاء: الفصيحة، واستقيموا: فعل أمر، وفاعل، وهو متضمن معنى: توجهوا، ولذلك عدِّي بإلى، واستغفروه: عطف على فاستقيموا، وويل: الواو: عاطفة، وويل: مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى الدعاء، وللمشركين: خبر، والذين: نعت، وجملة لا يؤتون الزكاة: صلة، ولا يتنافى عطف الاسمية على الفعلية؛ لأن الأول متجدد، وهو: عدم إيتاء الزكاة، والثاني مستمر، وهو: الكفر ﴿وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ الواو: عاطفة، وهم: مبتدأ، وبالآخرة: متعلقان بهم، وهم الثانية: تأكيد للأولى، وكافرون: خبرهم.

□ البلاغة:

اشتملت الآية ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ إلى قوله ﴿عَـٰمِلُونَ﴾ على نكت بلاغية تستحق أن تكتب بذوب التبر، ففيها ثلاث استعارات تمثيلية لنبوِّ قلوبهم عن إدراك ما يدعوهم إليه، واعتقاده، ومج أسماعهم له، وامتناع مواصلتهم، وموافقتهم للرسول.

١ ـ فأولها: الحجاب الحائل الخارج؛ فقد شبهوا قلوبهم بالشيء المحوي المحاط بالغطاء المحيط له.

٢ ـ وثانيها: حجاب الصمم فقد شبهوا أسماعهم بآذان بها صمم من حيث أنها تمج الحق، ولا تميل إلى استماعه.

٣ ـ وثالثها وأقصاها: الحجاب الذي أكن القلب والعياذ بالله؛ فقد شبهوا حال أنفسهم مع الرسول بحال شيئين بينهما حجاب عظيم يمنع من وصول أحدهما إلى الآخر، فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة

بالحجاب، لا فراغ فيها، فلم تدع هذه الآية حجاباً مرتخياً إلا سدلته، ولم تبق لهؤلاء الأشقياء مطمعاً ولا صريخاً إلا استلبته.

هذا ولا بد من الإشارة إلى ما تضمنته من إشارات، فهي تفيد الابتداء، والمعنى: أن حجاباً ابتدأ منّا، وابتدأ منك. أما بين فقد تكررت، ومعناها واحد، وقد وهم الزمخشري فجعل بين الثانية غير الأولى؛ لأنه جعل الأولى بجهتهم والثانية بجهته، وليس الأمر كما ظنه، بل بين المضافين، وتكرارها إنما كان لأن المعطوف مضمر محفوظ، فوجب تكرار حافظه، وهو «بين» والدليل على هذا: أنه لا تفاوت بين أن تقول: جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد وبين عمرو، وإنما كان ذكرها مع الظاهر جوازاً، ومع المضمر وجوباً لما بيناه، فإذا وضح ذلك فموقعها من هاهنا كموقعها في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ وذلك للإشعار بأن الجهة المتوسطة مثلاً بينهم وبين النبي ﷺ مبدأ الحجاب.

* الفوائـد:

منع الزكاة وسرها:

تساءل المفسرون جميعاً: لم خص تعالى من أوصاف المشركين منع الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة، وأجابوا بأسئلة متشابهة، فحواها: أنَّ أحب شيء إلى الإنسان ماله، وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله؛ فذلك أقوى دليل على ثباته، واستقامته، وصدق نيته، ونصوع طويته. ونص عبارة الزمخشري في هذا الصدد: ألا ترى إلى قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: يثبتون أنفسهم، ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال. هذا ولو استعرضنا معنى اسم الزكاة؛ لوجدناه يرمز إلى أسمى الخصائص وأعلاها، فهي تطهر المال من الخبث، وتنقيه من الآفات، وتبعد النفس عن رذيلة البخل، وتنميها على فضيلة الكرم، وتستجلب بها البركة، وتزيد المتصدق ثناء ومدحاً، ويكفر

جاحدها، ويقاتل الممتنعون من أدائها، وتؤخذ منهم ـ وإن لم يقاتلوا ـ قهراً. وعن أنس بن مالك قال: أتى رجل من تميم إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني ذو مال كثير، وذو أهل ومال وحاضرة، فأخبرني كيف أصنع وكيف أنفق؟ فقال رسول الله ﷺ: «تخرج الزكاة من مالك، فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتصرف حق المسكين، والجار، والسائل».

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ
أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ
سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ
كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ
أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾

○ الإعراب:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لذكر ما أعد للصالحين؛ بعد ما ذكر ما أعد للجاهلين، وإنَّ، واسمها، وجملة آمنوا: صلة، وعملوا: عطف على آمنوا، والصالحات: مفعول به منصوب بالكسرة، ولهم: خبر مقدم، وأجر: مبتدأ مؤخر، وغير ممنون: نعت، والجملة الاسمية، خبر إن، ومعنى غير ممنون: غير مقطوع، وقيل: غير ممنون به عليهم. ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وجملة تكفرون: خبر إنَّ، وبالذي: متعلقان بتكفرون، وجملة خلق الأرض، صلة، وفي يومين: متعلقان بخلق، والمراد مقدار يومين، أو: في نوبتين، كل نوبة أسرع مما يكون في يوم. ﴿ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وتجعلون: عطف على تكفرون، وله: في محل

نصب مفعول تجعلون الثاني، وأنداداً: مفعوله الأول، وذلك: مبتدأ، والإشارة إلى الذي باعتبار اتصافه بما دلت عليه الصلة، ورب العالمين: خبره.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾ الواو: عاطفة على الأصح، فقد منع أبو البقاء وغيره العطف، قال: وجعل فيها: هو مستأنف غير معطوف على خلق؛ لأنه لو كان معطوفاً عليه لكان داخلاً في الصلة، ولا يجوز ذلك؛ لأنه فصل بينهما بقوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ﴾ إلى آخر الآية، وليس من الصلة في شيء. ويمكن أن يرد على ذلك: بأن قوله وتجعلون؛ وإن كان معطوفاً على تكفرون، فهو بمثابة الاعتراض بين المتعاطفين، والاعتراض كثيراً ما يأتي بينهما، فالحق الذي لا مرية فيه: أنه معطوف على خلق الأرض، فهو من جملة الصلة، وفيها: في محل المفعول الثاني، ورواسي: مفعول جعل الأول، ولك أن تعلق الجار والمجرور بجعل؛ على أنه بمعنى: خلق، فهو ينصب مفعولاً واحداً، ومن فوقها: نعت لرواسي، وما أجمل وقع هذا النعت؛ لئلا يتوهم أنها من تحتها، فتكون ممسكة لها، ومانعة من الميدان، ثم لتكون الجبال معروضة للناظرين؛ بحيث تحتاج هي والأرض إلى ممسك لها، وبارك فيها: عطف على جعل فيها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ وقدر فيها: عطف على ما تقدم؛ أي: أرزاق أهلها، ومعايشهم، وفي أربعة أيام: متعلقان بقدر؛ أي: في تمام ومقدار أربعة أيام، وسواء: نصب على المصدر، أي: استوت الأيام الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص، وقرىء بالجر على الوصف، وبالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، وللسائلين: متعلقان بسواء، بمعنى: مستويات للسائلين، أو بمحذوف؛ كأنه قيل: هذا الحصر لأجل من سأل: في كم يوم خلقت الأرض وما فيها؟ أو متعلقان بمقدر؛ اي: قدر فيها أقواتها لأجل الطالبين والمحتاجين إليها من المقتاتين. وأجاز أبو البقاء إعراب سواء: حالاً، بعد أن ذكر الأوجه المتقدمة، وهو جائز؛ على أنه حال من

الضمير في أقواتها، أو: فيها، أو: من الأرض.

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ ثم: حرف عطف للترتيب الإخباري لا الزماني، واستوى: فعل ماض، وفاعله: مستتر، تقديره: هو، وإلى السماء: متعلقان باستوى، من قولك: استوى إلى مكان كذا: إذا قصده، وتوجه إليه توجهاً مستقيماً، لا يلوي على شيء، والواو: للحال، وهي مبتدأ، ودخان: خبر، وسيأتي معنى هذا التشبيه في باب البلاغة. ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ الفاء: عاطفة، وقال: فعل ماض، وفاعله: مستتر يعود على الله تعالى، ولها: متعلقان بقال، وللأرض: عطف على لها، وائتيا: فعل أمر مبني على حذف النون، وألف الاثنين: فاعل، وطوعاً وكرهاً: مصدران في موضع الحال؛ أي: طائعتين، أو كارهتين، وسياتي مزيد بحث عن هذه الآية في باب البلاغة. ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ﴾ الفاء: عاطفة، وقضاهن فعل ماض، وفاعل مستتر، ومفعول به، وسبع سموات: مفعول ثان لقضاهن؛ لأنه ضمن معنى صير، ويجوز أن يكون منصوباً على الحال من مفعول قضاهن، فتكون قضى بمعنى: صنع؛ أي: معدودة، ويجوز أن يكون منصوباً على البدلية من الضمير، ويجوز أن يكون تمييزاً، وإليه جنح الزمخشري، قال: ويجوز أن يكون ضميراً مبهماً مفسراً لسبع سموات على التمييز. ويعني الزمخشري بقوله: مبهماً: أنه لا يعود على السماء لا من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى، بخلاف كونه حالاً، أو مفعولاً ثانياً، وأوحى: عطف على فقضاهن، وفي كل سماء: متعلقان بأوحى، وأمرها: مفعول به.

﴿ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ وزينا: عطف على ما تقدم على طريق الالتفات، كما سيأتي في باب البلاغة، وزينا: فعل وفاعل، والسماء: مفعول به، والدنيا: نعت، وبمصابيح: متعلقان بزينا؛ أي: بنجوم، وحفظاً: مفعول مطلق لفعل محذوف، أي:

وحفظناها حفظاً من استراق الشياطين السمع بالشهب، وأجاز الزمخشري أن يكون مفعولاً لأجله على المعنى، كأنه قال: وخلقنا المصابيح زينة، وحفظاً، وذلك: مبتدأ، والإشارة إلى ما ذكر كله بتفاصيله، وتقدير العزيز العليم: مضاف إليه.

□ **البلاغة:**

١ ـ التشبيه البليغ الصوري:

في قوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ تشبيه بليغ صوري؛ لأن صورتها صورة الدخان في رأي العين، والمراد بالدخان: البخار الذي تتشكل منه الطبقات الهوائية، فلا منافاة مع أحدث نظريات العلم.

٢ ـ الاستعارة المكنية:

وفي قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ استعارة مكنية، فالمستعار: الاستواء، والمستعار منه: كل جسم مستو، والمستعار له: هو الحق عز وجل، وقد تقدم تفصيل هذه الاستعارة كثيراً فتدبره.

٣ ـ وفي قوله ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ فنونٌ شتَّى، نجملها بما يلي:

أ ـ إسناد القول للأرض والسماء، وتوجيه الخطاب لهما، من باب المجاز العقلي، والقصد من هذا المجاز: تصوير قدرته سبحانه، واستحالة امتناعهما من ذلك، لا إثبات الطوع والكره لهما، ويجوز أن يكون هذا من باب الاستعارة المكنية، فقد شبههما بكائنين حيين عاقلين، ثم حذف المشبه به، وأثبت شيئاً من لوازمه؛ لتمثيلهما بأمر المطاع وإجابة الطائع، كما تقول: نطقت الحال بكذا بدل: دلت، فيجعل الحال كالإنسان الذي يتكلم في الدلالة والبرهان، ثم يتخيل له النطق الذي هو من لازم المشبه به، وينسب إليه.

ب ـ الطباق بين طوعاً وكرهاً.

ج ـ تغليب المذكر العاقل على المؤنث، أو التنزيل منزلته في قوله: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾.

٤ ـ الالتفات:

وفي قوله: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ . .﴾ الآية التفات من الغيبة إلى التكلم، فقد أسند التزيين إلى ذاته سبحانه؛ لإبراز مزيد العناية بالتزيين المذكور.

﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿صَرۡصَرٗا﴾: قال الزمخشري: الصرصر: العاصفة التي تصرصر، أي: تصوت في هبوبها، وقيل: الباردة التي تحرق بشدة بردها، تكرير لبناء الصر، وهو البرد الذي يصر، أي: يجمع ويقبض. وفي القاموس: الصرة بالكسر: شدة البرد، أو البرد كالصرّ فيهما، وأشد الصياح، وبالفتح: الشدة من الكرب، والحرب، والحرّ. . وصرَّ، يصرُّ من باب: ضرب، صرّاً وصريراً: صوّت، وصاح شديداً. وقال ابن قتيبة: صرصر يجوز أن يكون من الصرّ، وهو البرد، ويجوز أن يكون من صر الباب، وأن يكون من

الصرة، وهي الصيحة، ومنه: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ وقال الراغب: صرصر لفظه من الصر، وذلك يرجع إلى الشدِّ لما في البرودة من التعقّد.

وللصاد مع الراء، فاء وعيناً للكلمة معنى: الشدة، والظهور والنصوع، فصرب: جاء بضربة تزري الوجه، وتقول: جزى الله بضربة من جاءنا بصربة، وصرح بما في نفسه، وبنى صرحاً، وصروحاً، وقعد في صرحة داره، أي: في ساحتها، وصرحت الخمرة: ذهب عنها الزبد، والصراخ: صوت المستغيث، وصوت المغيث إذا خرج بقومه للإغاثة، قال سلامة:

إنَّـا إذا مـا أتـانـا صَـارِخٌ فَـزِعٌ كان الصُّراخ له قَرْعَ الظَّنابيبِ

اي: كان الغياث له، وهذا يومٌ صردٍ، وصردٍ، ويوم صرد، وقد صرد يومنا، وليلة صردة، ورجل صرد، وريح مصراد: باردة، شديدة البرد، وصرعته: تركته صريعاً، وتركتهم صرعى، وصرعهم ريب المنون وليس أشد من ذلك، وبات صريع الكأس، قال مسلم بن الوليد صريع الغواني:

هـل العيـشُ إلا أن أروح مـع الصّبـا
وأغدو صريع الراح والأعينِ النُّجلِ

وحفظك الله من صرف الزمان وصروفه وتصاريفه، وزرعٌ صريم، ومصرومٌ: مجزوز، وصرم النخل، واصطرمه، وماء صريّ: مجموع. ولا يجتمع إلا ليظهر، قال ذو الرمة:

صَرى آجنٌ يزوي له المرءُ وجهَهُ
ولـو ذاقـهُ ظمـآن فـي شهـرِ نـاجـر

وهذا من الغريب الذي يبز اللغات.

﴿نَّحِسَاتٍ﴾: بكسر الحاء وسكونها، وهما قراءتان سبعيتان؛ أي مشؤومات عليهم، فأما الكسر فهو صفة على فعل وفعله بكسر العين أيضاً، يقال: نحس فهو نحس، كفرح فهو فرح، وأشر فهو أشر، وأما السكون: فهو مصدر وصف به، كرجل عدل، ولكن يشكل على هذه القراءة جمعه،

فإن الفصيح في المصدر الموصوف به أن يوحد، وكأن المسوغ له اختلاف أنواعه في الأصل.

○ الإعـراب:

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ كلام مستأنف على طريق الالتفات، مسوق لتحذيرهم بعد إعراضهم، وللالتفات سر بليغ، نورده في باب البلاغة، وإنْ: شرطية، وأعرضوا: فعل ماض، والواو: فاعل، والفعل في محل جزم فعل الشرط، فقل: الفاء رابطة، وقل: فعل أمر، وفاعله: مستتر، تقديره: أنت، وأنذرتكم: فعل ماض، وفاعل، ومفعول به، وعبّر بالماضي وسياق الكلام يقتضي الاستقبال للدلالة على تحقق الإنذار، وصاعقة: مفعول به ثان، ومثل: نعت لصاعقة. ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ الظرف: متعلق بصاعقة، لأنها بمعنى العذاب، وجملة جاءتهم الرسل: في محل جر بإضافة الظرف إليها، ومن بين أيديهم: متعلقان بجاءتهم، ومن خلفهم: عطف عليه، أي: من جميع جوانبهم، أو: من جهة الزمان الماضي بالإنذار، ومن جهة المستقبل بالتحذير، وأعربه بعضهم: متعلقاً بمحذوف حال من الرسل؛ أي: حال كون الرسل من بين أيدي عاد وثمود، ومن خلفهم، ورجح الزمخشري الأول في تفسيره لمعناه، قال: أي: أتوهم من كل جانب، واجتهدوا بهم، وأعملوا فيهم كل حيلة، وتقول: استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لي فيه حيلة.

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ يجوز في أنْ هذه ثلاثة أوجه. أحدها: أن تكون مخففة من الثقيلة، أصله: أنه لا تعبدوا، أي: بأن الشأن والحديث قولنا لكم: لا تعبدوا، وأن، وما في حيزها: نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور: متعلقان بمحذوف، تقديره: قائلين، وهو حال من الرسل، ولا: ناهية، وتعبدوا: فعل مضارع مجزوم بلا، وإلا: أداة حصر، ولفظ الجلالة: مفعول به، والوجه الثاني: أن تكون مصدرية، تنصب الفعل

المضارع، ولا: نافية، وتعبدوا: فعل مضارع منصوب بأن قبل لا النافية، فإن لا النافية لا تمنع عمل العامل فيما بعدها. والوجه الثالث: أن تكون مفسرة؛ لأن مجيء الرسل يحمل القول، وتكون الجملة: لا محل لها؛ لأنها مفسرة. ﴿قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ قالوا: فعل ماض، وفاعل، ولو: حرف شرط غير جازم، وشاء ربنا: فعل، وفاعل، والمفعول به: محذوف، تقديره: إرسال الرسل، والأحسن أن يقدر من جنس جوابها؛ أي: لو شاء ربنا إنزال ملائكة بالرسالة إلى الإنس لأنزل إليهم بها ملائكة، والفاء: الفصيحة، وإنَّ، واسمها، وبما: متعلقان بكافرون، وجملة أرسلتم به: صلة، وكافرون: خبر إنَّ، والمعنى: فإذ أنتم بشر ولستم ملائكة فإننا لا نؤمن بكم.

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ الفاء: استئنافية، والكلام مستأنف، مسوق للشروع في حكاية ما يختص به كل واحد منهما، وأما: حرف شرط وتفصيل، وعاد: مبتدأ، والفاء: رابطة لجواب أما، وجملة استكبروا: خبر عاد، وفي الأرض: متعلقان باستكبروا، وبغير الحق: حال. ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وقالوا: عطف على فاستكبروا، ومن: اسم استفهام مبتدأ، وأشد: خبر، والجملة: مقول القول، ومنا: متعلقان بأشد، وقوة: تمييز. ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والواو: حرف عطف، وجملة: لم يروا: معطوفة على مقدر يقتضيه السياق، أي: أغفلوا، وضلوا، ولم يروا، وأنَّ، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي يروا؛ لأنها بمعنى العلم، وأنَّ، واسمها، والذي: نعت، وجملة خلقهم: صلة، وهو: مبتدأ، وأشد: خبر، ومنهم: متعلقان بأشد، وقوة: تمييز، والجملة: خبر أن.

﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ عطف على قوله: فاستكبروا أيضاً، والجملة المعطوفة والمعطوف عليه المقدر: اعتراض، وبآياتنا: متعلقان بيجحدون؛ لأنه متضمن معنى يكفرون. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ

نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الفاء: عاطفة، وأرسلنا: فعل، وفاعل، وعليهم: متعلقان بأرسلنا، وريحاً: مفعول به، وصرصراً: نعت، وفي أيام: نعت ثان، أو: حال، ونحسات: نعت لأيام، ولنذيقهم: اللام للتعليل، ونذيقهم: فعل مضارع منصوب بأن بعد لام التعليل، والهاء: مفعول به، والجار والمجرور: متعلقان بأرسلنا، وعذاب الخزي: مفعول به ثان لنذيقهم، وهو من إضافة الموصوف إلى صفته، وسيأتي تفصيله في باب البلاغة، وفي الحياة: متعلقان بنذيقهم، والدنيا: نعت للحياة. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ الواو: استئنافية، واللام: للابتداء، وعذاب الآخرة: مبتدأ، وأخزى: خبر، والواو: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة لا ينصرون: خبر، وينصرون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل.

□ البلاغة:

اشتملت هذه الآيات على أفانين متعددة من البلاغة نوردها فيما يلي:

١ ـ الالتفات في قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ . . الآية، فقد خاطبهم أولاً بقوله: ﴿أئنكم﴾ بيد أنهم لم يأبهوا لخطابه، ولم يستوعبوا نصحه، فالتفت من الخطاب إلى الغيبة؛ لأنهم فعلوا الإعراض، فليس له إلا أن يعرض عن خطابهم؛ ليصح التلاؤم، ويناسب اللفظ المعنى، وهذا من أرفع أنواع البلاغة، وأرقاها، وكم للالتفات من أسرار.

٢ ـ العدول عن المضارع المستقبل إلى الماضي بقوله: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ للدلالة على أن ما ينذرهم به أمر متحقق، لا مندوحة عنه.

٣ ـ الإسناد المجازي في قوله: ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ فإنه أضاف العذاب إلى الخزي؛ الذي هو الذل، والخزي الذي هو الذل والاستكانة في الأصل صفة المعذب، ولكنه جنح إلى وصف العذاب به للمبالغة، فهو كما قلنا في الإعراب: من إضافة الموصوف إلى صفته.

٤ ـ المشاركة في قوله: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ وجعل الخزي هذه

المرة خبراً للمشاكلة، على حد قول الشاعر:

... ... قلتُ اطبخوا لي جبةً وقميصا

وقد تقدم بحث هذا الفن.

٥ ـ الطباق بين العمى الهدى، وقد تقدم.

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ
ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ
وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟
أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا
كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ
أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ
فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا
هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يُوزَعُونَ ﴾: يحبس أولهم على آخرهم؛ أي: يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم، وتشير إلى معنى الكثرة. وفي معاجم اللغة: وزع يزع، من باب: فتح، ووزع يزع، من باب: ضرب فلان وبفلان: كفَّه، ومنعه، ووزع الجيش: حبس أولهم على آخرهم، يقال: رأيته يزع الجيش، أي: يرتبهم، ويسويهم، ويصفهم للحرب. وقد تقدم ذكر هذه المادة.

﴿ يَسْتَعْتِبُوا ﴾ : يطلبوا العتبى، أي: الرضا، والرجوع لهم إلى ما يحبون جزعاً مما هم فيه.

﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا ﴾ : هيأنا، وأصل التقييض: التيسير، والتهيئة، والمقايضة: المعاوضة.

○ الإعراب:

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ عطف على قوله: ﴿فأما عاد﴾ وأما: حرف شرط وتفصيل، وثمود: مبتدأ، وجملة فهديناهم: الخبر، والفاء: عاطفة، واستحبوا: عطف على هديناهم، والعمى: مفعول به، وعلى الهدى: متعلقان باستحبوا؛ لأنه متضمن معنى: آثروا ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ الفاء: عاطفة، وأخذتهم: فعل ماض، ومفعول به مقدم، وصاعقة العذاب: فاعل مؤخر، والهون: نعت للعذاب، أو: بدل منه، وبما: متعلقان بأخذتهم، والباء معناها السببية، وما: موصولة، وجملة كانوا: صلة، وكان، واسمها، وجملة يكسبون: خبرها والعائد: محذوف؛ أي: بالذي كانوا يكسبونه من شركهم وتكذيبهم نبيهم صالحاً.

﴿ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ الواو: حرف عطف، ونجينا: فعل، وفاعل، والذين: مفعول به، وجملة آمنوا: صلة، وكانوا: عطف على آمنوا، وكان، واسمها، وجملة يتقون: خبرها. ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ الواو: استئنافية، ويوم: مفعول لفعل محذوف، تقديره: اذكر يوم، وجعله أبو البقاء ظرفاً لما دل عليه بعده، وهو قوله تعالى ﴿ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ كأنه قال: يمنعون يوم نحشر، وليس ببعيد، وجملة يحشر: في محل جر بالإضافة، وأعداء الله: نائب فاعل، وإلى النار: متعلقان بيحشر، والفاء: عاطفة، وهم: مبتدأ، وجملة يوزعون: خبر ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ حتى: حرف غاية، وإذا:

ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بجوابه، وهو: شهد، وما: زائدة لتأكيد الشهادة، وما المزيدة تؤكد معنى ما اتصلت به في النسبة التي تعلقت به، وهنا أكدت ظرفية الوقت المحدد للشهادة، وجملة جاؤوها: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وجملة شهد: لا محل لها، وعليهم: متعلقان بشهد، وسمعهم: فاعل، وأبصارهم وجلودهم: معطوفان على سمعهم، وبما: متعلقان بشهد أيضاً، وجملة كانوا: صلة ما، وجملة يعملون: خبر كان.

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ الواو: عاطفة، وقالوا: فعل، وفاعل، ولجلودهم: متعلقان بقالوا، واللام: حرف جر، وما: اسم استفهام مجرور بما، ولذلك حذفت ألفها، والجار والمجرور: متعلقان بشهدتم، وعلينا: متعلقان بشهدتم، والجملة: مقول القول، والاستفهام هنا للتوبيخ، والتعجب من هذا الأمر ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ قالوا: فعل، وفاعل، وأنطقنا الله: فعل ماض، ومفعول به، وفاعل، والجملة: مقول القول، والذي: صفة لله، وجملة أنطق كل شيء: صلة الذي. ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ الواو: عاطفة، وهو: مبتدأ، وجملة خلقكم: خبر، وأول مرة: ظرف متعلق بخلقكم، وإليه: متعلقان بترجعون، وترجعون: فعل مضارع مبني للمجهول، والواو: نائب فاعل. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ عطف على ما تقدم، وما: نافية، وكنتم: كان، واسمها، وجملة تستترون: خبرها، وأنْ، وما في حيزها: نصب بنزع الخافض، والجار والمجرور: متعلقان بتستترون؛ أي: من أن يشهد عليكم؛ لأنَّ تستترون لا يتعدى بنفسه، وقيل: هو مفعول لأجله، أي: لأجل أن يشهد عليكم سمعكم، وعليكم: متعلقان بيشهد، وسمعكم: فاعل، ولا أبصاركم، ولا جلودكم: عطف على سمعكم، أي: ما كان استتاركم خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم؛ لأنكم لم تكونوا تتصورون شهادتها، بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلاً.

﴿ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ الواو: عاطفة ولكن: حرف استدراك مهمل، وظننتم: فعل، وفاعل، وأنَّ، وما في حيزها: سدت مسد مفعولي ظننتم، وأنَّ، واسمها، وجملة لا يعلم: خبرها، وكثيراً: مفعول به، ومما: نعت لكثير، وجملة تعلمون: صلة، والعائد: محذوف؛ أي تعلمونه.

﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وذلكم: مبتدأ، وظنكم: خبر، والذي ظننتم: نعت، أو: بدل، وبربكم: متعلقان بظننتم، وجملة أرداكم: خبر ثان، ويجوز إعراب ظنكم بدلاً من ذلكم، أو: ظنكم: خبر، وجملة أرداكم: حال، فأصبحتم: عطف على أرداكم، وأصبح، واسمها، ومن الخاسرين: خبرها. ﴿ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾ الفاء: استئنافية، وإن: شرطية، ويصبروا: فعل الشرط، والفاء: رابطة، والنار: مبتدأ، ومثوى: خبر، ولهم: نعت لمثوى. ﴿ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ عطف على الجملة السابقة، وما: نافية حجازية، وهم: اسمها، ومن المعتبين: خبرها. ﴿ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ فعل، وفاعل، ولهم: متعلقان بقيضنا، وقرناء: مفعول به، أي: يلازمونهم، ويستولون عليهم استيلاء القيض على البيض، والقيض: قشر البيض الأعلى اليابس على البيضة، أو: هي التي خرج ما فيها من فرخ أو ماء، وموضعهما: المقيض، فزينوا: فعل، وفاعل، ولهم: متعلقان بزينوا، وما: مفعول به، والظرف: متعلق بمحذوف صلة ما، وأيديهم: مضاف إليه، وما خلفهم: عطف على ما بين أيديهم.

﴿ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ الواو: عاطفة، وحق: فعل ماض، وعليهم: متعلقان بحق، والقول: فاعل، وفي أمم: متعلقان بمحذوف حال، أي: كائنين في جملة أمم، أو مندرجين، وهو حال من الضمير في عليهم، ومثل هذا التعبير قول عروة بن أذينة:

إنْ تـكُ عـن أحسنِ الصَّيعـة مأ فوكـاً ففـي آخريـنَ قَـدْ أُفِـكُـوا

يقول: إن تكن مأفوكاً، أي: مصروفاً، ومنقلباً عن أحسن العطاء فلا عجب؛ فأنت في جملة أناس آخرين قد أفكوا، وصرفوا عن الإحسان. وجملة قد خلت: صفة لأمم، ومن قبلهم: متعلقان بخلت، ومن الجن والإنس: نعت ثان لأمم، أو: حال؛ لأنها وصفت، وإنَّ، واسمها، وجملة كانوا: خبرها، وكان، واسمها، وخاسرين: خبر كان، وجملة إنَّ، وما بعدها: تعليلية لاستحقاقهم العذاب.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله: ﴿ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ استعارة تصريحية، فقد شبه الكفر بالعمى؛ لأن الكافر ضال عن القصد، متعسف الطريق كالأعمى، وشبه الإيمان بالهدى؛ لأن المؤمن مهتد إلى محجة القصد وسواء السبيل، ثم حذف المشبه في كليهما، وأثبت المشبه به.

٢ ـ الكناية:

في قوله: ﴿ شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم ﴾ كناية عن موصوب، فقد كنى عن الفروج بالجلود، وقيل: أراد بالجلود الجوارح عامة، والعطف من عطف العام على الخاص، فليس في الكلام كناية إذاً، فالجلود هنا تفسّر حقيقة ومجازاً، أما الحقيقة: فيراد بها الجلود مطلقاً، وأما المجاز: فيراد بها الفروج خاصة، وهذا هو الجانب البلاغي الذي يرجح جانب المجاز على الحقيقة لما فيه من لطف الكناية عن المكنى عنه.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾
فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ
جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾

☆ **اللغة:**

﴿وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ فعل أمر، من لغي بالكسر، يلغى بالفتح، وفيها معنيان: أحدهما: أنه من لغى: إذا تكلم باللغو، وهو ما لا فائدة فيه، والثاني: أنَّه من لغي بكذا: إذا رمى به فتكون في بمعنى الباء؛ أي: ارموا به، وانبذوه، وإما أن يكون من لغى بالفتح، يلغي بالفتح أيضاً، حكاه الأخفش، وكان قياسه الضم، كغزا يغزو، ولكنه فتح لأجل حرف الحلق، وقرىء بضم الغين، من: لغا يلغو، كدعا يدعو، هذا ما قرره السمين، وعبارة الزمخشري: والغوا فيه بفتح الغين وضمها، يقال: لغى يلغى، ولغا يلغو، واللغو: الساقط من الكلام؛ الذي لا طائل تحته.

○ **الإعراب:**

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتقرير حالهم، ومكابرتهم عند قراءة القرآن، وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة كفروا: صلة، ولا: ناهية، وتسمعوا: فعل مضارع مجزوم بلا، والجملة: مقول القول، ولهذا: متعلقان بتسمعوا، والقرآن: بدل، والغوا: فعل أمر، وفاعل، وفيه: متعلقان بالغوا، ولعلَّ، واسمها، وجملة تغلبون: خبرها، والمراد بالغلبة: حمله على السكوت عن القراءة، لئلا يستهوي القلوب ويستميلها بقراءة ما لم يعهده من بيان. ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ الفاء: الفصيحة، أي: إن استمرؤوا ذلك، واستمروا فيه فلنذيقن، واللام: موطئة للقسم، ونذيقن: فعل مضارع مبني على الفتح واجب التأكيد، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والذين: مفعول به، وجملة كفروا: صلة، وعذاباً مفعول به، وشديداً: نعت. ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ

ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ عطف على ما تقدم، وأسوأ الذي كانوا يعملون: مفعول ثان لنجزينهم.

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ﴾ ذلك: مبتدأ، والإشارة إلى المذكور من الأمرين، وهما قوله: فلنذيقن، وقوله: ولنجزينهم، وجزاء أعداء الله: خبر، والنار: بدل، أو: عطف بيان من جزاء، واعترض بعضهم على هذا الإعراب بأن علامة البدل صحة حلوله محل المبدل منه، فيصير التقدير: ذلك النار، وهذا لا يصح، ولذلك ينبغي العدول عن الإعراب الأرجح إلى المرجوح، وهو أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف، أو: مبتدأ خبره سيأتي فيما بعد. ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ لهم: خبر مقدم، وفيها: حال، ودار الخلد: مبتدأ مؤخر، والجملة: إما خبر النار بناء على إعرابها مبتدأ، أو في محل نصب حال، أو مستأنفة مستقلة مقررة لما قبلها، وهذا أقعد بمكان البلاغة، كما سيأتي، وجزاء: مفعول مطلق منصوب بفعل مقدر، وهو مصدر مؤكد، أي: يجزون جزاء، أو منصوب بالمصدر المذكور قبله، والمصدر ينصب بمصدر مثله، وقد تقدمت له نظائر، ولك أن تجعل جزاء: مصدراً واقعاً موقع الحال، وبما: متعلقان بجزاء الثاني، أو الأول، وجملة كانوا: صلة، وجملة يجحدون: خبر كانوا، وبآياتنا: متعلقان بيجحدون؛ لتضمنه معنى: يكفرون، وذلك خير من جعلها زائدة.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ الواو: استئنافية، وقال الذين: فعل، وفاعل، وجملة كفروا: صلة، وربنا: منادى مضاف، محذوف منه حرف النداء، وأرنا: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، ونا: مفعول به أول، واللذين مفعول به ثان؛ لأن الرؤية بصرية، وقد عديت إلى اثنين بالهمزة، وجملة أضلّانا: صلة، ومن الجن والإنس: حال، قيل: هما إبليس، وقابيل، الأول: سن الكفر، والثاني: سن القتل بغير حق، لأنه قتل أخاه كما تقدم. ﴿نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ

ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ نجعلهما: فعل مضارع مجزوم؛ لأنه جواب الطلب، والفاعل: مستتر، تقديره: نحن، والهاء: مفعول به أول، وتحت أقدامنا: الظرف في موضع المفعول الثاني، ليكونا: اللام: للتعليل، ويكونا: فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والألف، اسمها، ومن الأسفلين: خبرها، والجار والمجرور: متعلقان بفعل الرؤية؛ لأنه تعليل لها.

□ البلاغة:

١ ـ في قوله: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ استعارة مكنية، وقد تقدم إجراؤها كثيراً.

٢ ـ وفي قوله: ﴿لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ﴾ تجريد، وهو أن ينتزع من أمر ذي بال صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة لكماله فيها، فقد انتزع من النار داراً أخرى سماها دار الخلد.

أقسام التجريد:

واعلم أن للتجريد أقسام ذكرها علماء البيان، وسنحاول أن نورد ما قالوه فيها على سبيل الإيجاز:

١ ـ فمنه ما يكون بمِنْ التجريدية كقولهم: لي من فلان صديق حميم؛ أي: قد بلغ فلان حداً من الصداقة يصح معه أن يستخلص منه آخر مثله فيها، ومثاله من الشعر قول القاضي الفاضل:

تمـدُّ إلـى الأعـداءِ منهـا معـاصمـاً
فتـرجـعُ مـن مـاءِ الكِلَـى بـأسـاورِ

٢ ـ ومنه ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه، نحو قولهم: لئن سألت فلاناً لتسألنَّ به البحر، بالغ في اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحراً في السَّماحة.

٣ ـ ومنه ما يكون بدخول باء المعية والمصاحبة في المنتزع، كقول ابن هانىء:

وضربتمْ هامَ الكُماةِ ورُعْتُمْ بيض الخدورِ بكل ليثٍ مُخدَّرِ

وقول أبي تمام :

هتكَ الظلامَ أبو الوليدِ بغرَّةٍ فتحتْ لنا بابَ الرَّجاء المُقْبِلِ
بأتمَّ مِنْ قَمَرِ السَّماءِ إذا بَدَا بدراً وأحسنِ في العيونِ وأجملِ
وأجلّ مِنْ قيسٍ إذا اسْتَنْطَقْتَهُ رأياً وألطفِ في الأمورِ وأجزلِ

هذا والمراد بأتم من قمر السماء نفس أبي الوليد، كما لا يخفى.

٤ ـ ومنه أن يكون بدخول في على المنتزع منه، أو مدخول ضميره، كالآية التي نحن بصددها ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: في جهنم، وهي دار الخلد، لكنه انتزع منها داراً أخرى مبالغة، وقول المتنبي :

تمضي المواكبُ والأبصارُ شاخصةً
مِنْها إلى الملكِ المَيمْونِ طائرُهُ
قد حِرْنَ في بشرٍ في تاجهِ قمرٌ
في دِرْعِه أسدٌ تُدمى أظافِرُه

فإن الأسد هو نفس الممدوح، لكنه انتزع منه أسداً آخر تهويلاً لأمره، ومبالغة في اتصافه بالشجاعة.

٥ ـ ومنه أن يكون بدخول بين كقول ابن النبيه :

يهتزُّ بين وشاحيها قضيبُ نقا
حمائمُ الحلي في أفنانه صَدَحَت

٦ ـ ومنه أن يكون بدون توسط شيء، كقول قتادة بن سلمة الحنفي :

فَلَئِنْ بقيتُ لأرحلنَّ بعزةٍ تحوي الغنائمَ أَوْ يموتَ كريمُ

يعني بالكريم نفسه، فكأنه انتزع من نفسه كريماً مبالغة في كرمه، ولذا لم يقل: أو أموت، وقول أبي تمام :

ولَوْ تراهمْ وإيَّانا وموقفنا
في مأتمِ البَيْنِ لاستهلاكنا زجلُ

مـن حُـزْقـةٍ أطلقتهـا فـرقـةٌ أسـرت
قلبـاً ومِـنْ غـزلٍ فـي نَحْـرِه عـذلُ
وقد طوى الشوقُ في أحشائنا بقراً
عينـاً طـوتْهُـنَّ فـي أحشـائهـا الكلـلُ

ومراده بالبقر: العين الذين أخبر عنهم أولاً بقوله: ولو تراهم، فكأنه انتزع منهم موصوفين بهذه الصفة مبالغة فيها.

٧ ـ ومنه أن ينتزع الإنسان من نفسه شخصاً آخر مثله في الصفة التي سيق لها الكلام، ثم يخاطبه، كقول أبي الطيب المتنبي:
لا خَيْـلَ عِنْـدكَ تهْـدِيهـا ولا مـالُ
فليسعدِ النُّطْقُ إنْ لَمْ تَسْعَدِ الحالُ

أراد بالحال: الغنى، فكأنه انتزع من نفسه شخصاً آخر مثله في فقد الخيل، والمال، والحال. ومنه قول الأعشى:
وَدِّعْ هـريـرةَ إنَّ الـركـبَ مُـرْتَحِـلُ
وهـل تُطِيـقُ وداعـاً أيُّهـا الـرَّجُـلُ

وقول أبي نواس الممتع:
يـا كثيـرَ النَّـوحِ فـي الـدمـن لا عليهـا بـل علـى السَّكـنِ
سُنَّـةُ العشَّـاقِ واحـدةٌ فـإذا أحْبَبْـتَ فـاسْتَنِـنِ

ومراده الخطاب مع نفسه، ولذلك قال بعده:
ظـنَّ بـي مَـنْ قَـدْ كلفـتُ بـه فهـو يجفـونـي علـى الظَّـنِّ
بـات لا يعنيـه مـا لَقِيَـتْ عَيْـنُ ممنـوع مِـنْ الـوسَـنِ
رشـأ لـولا مـلاحَتُـهُ خلـتِ الـدُّنيَـا مِـنْ الفتـنِ

تقسيم آخر للتجريد:

وقسمه آخرون إلى قسمين فقط، وهما: تجريد محض، وتجريد غير محض. فالأول، وهو المحض: أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك، وأنت

تريد به نفسك، كقول الحيص بيص في مطلع قصيدة له:

إلامَ يـراكَ المجـدُ فـي زيِّ شـاعـرٍ
وقـدْ بَخِلْـتَ شـوقـاً فـروعَ المنـابِـر
كَتَمْتَ بعيبِ الشِّعر حلماً وحكمةً
ببعضهمـا ينقـادُ صَعْـبَ المفـاخـرِ
أَمَـا وأبيـكَ الخيـر إنَّـك فـارسُ
المقـالِ ومُحيـي الدارسـاتِ الغوابـرِ
وأنَّـك أعْيَيْـتَ المسـامـعَ والنُّـهـى
بقـولـكَ عمَّـا فـي بطـونِ الـدفـاتـرِ

فهذا من محاسن التجريد، ألا ترى أنَّه أجرى الخطاب على غيره، وهو يريد نفسه، كي يتمكن من ذكر ما ذكره من الصفات الفائقة، وعدَّ ما عدّه من الفضائل التائهة، وكل ما يجيء من هذا القبيل فهو التجريد المحض.

وأما القسم الثاني، وهو غير المحض: فإنه خطاب لنفسك لا لغيرك، وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر، وذاك أولى بأن يسمى تجريداً، لأن التجريد لائق به، وهذا هو نصف تجريد؛ لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئاً، وإنما خاطبت نفسك بنفسك، كأنك فصلتها عنك، وهي منك، ومما جاء منه قول عمرو بن الإطنابة:

أقـولُ لهـا وقَـدْ جَشَـأَتْ وجـاشَـتْ
مَكَـانَـكِ تُحْمَـدِي أو تَسْتَـرِيحـي

وقول الآخر وقد قتل أخواه ابناً له، فقدم إليه أخوه ليقتاد منه، فألقى السيف من يده، وأنشأ يقول:

أقـولُ للنَّفـسِ تـأسـاءً وتعـزيـةً
إحـدى يـديَّ أصـابتنـي ولـم تُـرِدِ

كـلاهمـا خلـفٌ مِـنْ فَقْـدِ صـاحبـه
هـذا أخـي حيـنَ أدعـوهُ وذا ولـدي

وذكر أبو علي الفارسي كلاماً جميلاً بصدد التجريد، فقال: إن العرب تعتقد أن في الإنسان معنى كامناً فيه، كأنه حقيقته ومحصوله، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الإنسان، كأنه غيره، وهو هو بعينه، نحو قولهم: لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد، ولئن سألته لتسألن به البحر، وهو عينه الأسد والبحر، لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه، أو متميزاً به. ثم قال وعلى هذا النمط كون الإنسان يخاطب نفسه، حتى كأنه يقاول غيره، كما قال الأعشى:

وَدِّعْ هـريـرةَ إنَّ الـركـبَ مـرتحـلُ
وهـلْ تُطِيـقُ وداعـاً أيُّهـا الـرَّجُـلُ

وهو الرجل نفسه لا غيره.

وقد عقب ابن الأثير على ما ذكره أبو علي فقال: والذي عندي: أنه أصاب في الثاني، ولم يصب في الأول؛ لأن الثاني هو التجريد، ألا ترى: أن الأعشى جرد الخطاب عن نفسه، وهو يريدها، وأما الأول، وهو قوله: لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد، ولئن سألته لتسألن به البحر، فإن هذا تشبيه مضمر الأداة؛ إذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه. إلى أن يقول: ويبطل على أبي علي قوله أيضاً من وجه آخر، وذاك أنه قال: إنَّ العرب تعتقد أنَّ في الإنسان معنى كامناً فيه، كأنه حقيقته ومحصوله، فتخرج ذلك المعنى إلى ألفاظها مجرداً من الإنسان، كأنه غيره، وهو هو، وهذا ينتقض بقولنا: لئن رأيت الأسد لترين منه هضبته، ولئن لقيته لتلقينَّ منه الموت، فإن الصورة التي أوردها في الإنسان، وزعم أن العرب تعتقد: أن ذلك معنى كامن فيه، قد أوردنا مثلها في الأسد، فتخصيصه بالإنسان باطل، وكلا الصورتين ليس بتجريد، وإنما هو تشبيه مضمر الأداة.

والذي نراه: أنَّ ابن الأثير تحامل على أبي علي؛ لأن كون هذا المثال من

التشبيه المضمر الأداة، لا يمنع كونه تجريداً في وقت واحد. وحسبنا ما تقدم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ يَنزَغَنَّكَ ﴾: النزغ، والنسغ، بمعنى، وهو شبه النخس، والشيطان ينزغ الإنسان كأنه ينخسه ببعثه على ما لا ينبغي، والمراد: الوسوسة، وفي معاجم اللغة: نزغ، ينزغ، من باب: ضرب، نزغاً بين القوم: أفسد، ويقال: نزغ الشيطان بينهم؛ أي: أغرى بعضهم ببعض، ونزغه الشيطان إلى المعاصي؛ أي: حثه، ونزغ الشيطان وساوسه، وما يحمل الإنسان على المعاصي.

○ **الإعراب:**

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ كلام مستأنف، مسوق للشروع في بيان حال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان حال الكافرين. وإنَّ، واسمها، وجملة قالوا: صلة، وربنا: مبتدأ، والله:

خبر، والجملة: مقول القول، وثم: حرف عطف للتراخي في الزمان، واستقاموا: فعل ماض، وفاعل، وجملة تتنزل عليهم الملائكة: خبر إنَّ.
﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أنْ: مصدرية، أو: مخففة، فعلى الأول يصح أن تكون لا: ناهية، وأن تكون نافية، وتخافوا: منصوب بأن، وعلى الثاني لا يصح إلا أن تكون مخففة، ولا: ناهية، وعلى كل حال هي ومدخولها منصوب بنزع الخافض، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في موضع الحال، أي: قائلين، وعلى هذا لا يبعد احتمال كونها مفسرة؛ لأن التنزيل فيه معنى القول، ولا تحزنوا: عطف على لا تخافوا، وأبشروا: فعل أمر معطوف على ما قبله، وبالجنة: متعلقان بأبشروا، والتي: نعت، وجملة كنتم: صلة، وكان، واسمها، وجملة توعدون: خبر كنتم.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ تتمة مقول قول الملائكة، ونحن: مبتدأ، وأولياؤكم: خبر، وفي الحياة الدنيا: متعلقان بأولياؤكم؛ لأنه جمع ولي من الولاية، وهي الحفظ، أي: نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا، وفي الآخرة، ويجوز تعليقه بمحذوف حال، وفي الآخر: عطف.
﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ الواو: عاطفة، ولكم: خبر مقدم، وفيها: متعلقان بمحذوف حال، والضمير: يعود على الجنة، وما: مبتدأ مؤخر، وجملة تشتهي أنفسكم: صلة، ولكم فيها ما تدعون: عطف على الجملة السابقة، وتدّعون: من الدعاء، بمعنى الطلب والتمني، وفي المصباح: ادعيت الشيء: تمنيته، وادعيته: طلبته.
﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ نزلاً: حال مما تدعون، والنزل: تقدم شرحه، وهو القِرى الذي يهيأ لإكرام الضيف، وسمي به المكان مجاز، فهو مصدر، وقال أبو البقاء: نزلاً: فيه وجهان، أحدهما: هو مصدر في موضع الحال من الهاء المحذوفة، أو: من ما، أي: لكم الذي تدعونه معداً، وما أشبهه، ومن: نعت له، والثاني: هو جمع نازل، مثل: صار، وصبر، فيكون حالاً من الواو في تدعون، أو: من الكاف في لكم، فعلى هذا يتعلق «مِنْ»

بتدعون، أي: يطلبونه من غفور، أو: بالظرف؛ أي: استقر ذلك من غفور، فيكون حالاً من ما. هذا وقد نصبه الجلال بجعله مقدراً.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ الواو: عاطفة، ومَنْ: اسم استفهام مبتدأ، ومعناه: النفي، أي: لا أحد أحسن، وأحسن: خبر، وقولاً: تمييز، وممن: متعلقان بأحسن، وجملة دعا إلى الله: صلة مَنْ، وجملة وعمل صالحاً: عطف على دعا إلى الله، وجعلها أبو حيان حالية، وليس ثمة ما يمنع ذلك، وصالحاً: مفعول به، أو: نعت لمصدر محذوف؛ أي: عمل عملاً صالحاً، وقال: عطف على ما قبله، وإنني من المسلمين: إنَّ، واسمها، وخبرها في موضع نصب؛ لأنها مقول القول. ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتشريع المعاملة بين البشر، بعد بيان حسن المعاملة بين العبد وبين ربه، ولا: نافية، وتستوي الحسنة: فعل مضارع، وفاعل، ولا السيئة: عطف على الحسنة، وادفع: فعل أمر، وبالتي: متعلقان بادفع، والتي: صفة لموصوف محذوف، أي: بالخصلة، وهي: مبتدأ، وأحسن: خبر، والجملة: صلة، وفي هذا الكلام تأويلان ألمع إليهما البيضاوي تبعاً للكشاف، قال: أي: ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي أحسن منها، وهي الحسنة، على أن المراد بالأحسن: الزائد مطلقاً، أو: ادفع بالتي هي أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات. واختار الجلال الأول، ومثَّل له بقوله: كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو.

﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ قالوا: إنَّ الفاء هي التعليلية الدالة على أنَّ ما بعدها علة ما قبلها، وأرى أنَّ الفصيحة هنا أولى؛ لأنها جواب شرط مقدر، والتقدير: أي إذا دفعت بالتي هي أحسن فإذا الذي، وإذا: للمفاجأة، ولا بد من جعلها ظرفاً للمكان لمعنى التشبيه، وهذا مبني على القول باسميتها، وجاز تقدم هذا الظرف على عامله المعنوي؛ لأنه يتسع في الظروف ما لا يتسع في غيرها، والذي: مبتدأ،

وبينك: ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، وعداوة: مبتدأ مؤخر، والجملة الإسمية: صلة، وكأنه: كان، واسمها، وولي حميم: خبران لِكأنَّ، والجملة التشبيهية في رفع خبر الذي، وعبارة أبي البقاء: كأنه ولي: فيه وجهان؛ أحدهما: حال من الذي بصلته، والذي: مبتدأ، وإذا: للمفاجأة، وهي خبر المبتدأ، أي: فبالحضرة المعادي مشبهاً للولي الحميم، والفائدة تحصل من الحال، والثاني: أن يكون خبر المبتدأ، وإذا: ظرف لمعنى التشبيه، والظرف يتقدم على العامل المعنوي.

﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ﴾ الواو: حرف عطف، وما: نافية، ويلقاها: فعل مضارع مبني للمجهول، والهاء: مفعول به ثان، والضمير يعود على الخصلة الحسنة، وهي مقابلة السيئة بالحسنة، وإلا: أداة حصر، والذين: نائب فاعل يلقاها، وجملة صبروا: لا محل لها؛ لأنها صلة. ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ عطف على سابقتها مماثلة لها في إعرابها. ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ الواو: عاطفة، وإِنْ: شرطية، أدغمت نونها في ما الزائدة، وينزغنك فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم فعل الشرط، والكاف: مفعول به مقدم، ومن الشيطان: حال؛ لأنه كان في الأصل صفة لنزغ، ونزغٌ: فاعل مؤخر، فاستعذ: الفاء رابطة، واستعذ: فعل أمر، والفاعل: مستتر، تقديره: أنت، وبالله: متعلقان باستعذ، وإنَّ، واسمها، وهو: ضمير فصل، أو: مبتدأ، والسميع العليم: خبران لإن، أو: لهو، والجملة: خبر إنَّ.

□ البلاغة:

في قوله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ ﴾ إيجاز بليغ؛ لأن الاستقامة كلمة شملت جميع صفات التقوى؛ قال عمر: الاستقامة: أن تستقم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب، وأنت تعلم ما ينطوي تحت الأمر والنهي من أوامر ومناه. وأقل انحراف عن الطريق المستقيم

يخرجه عن استقامته، ذلك لأنَّ الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين، فهو لا يحتمل الانحراف ولو كان أدنى من اليسير.

وفي الآيات من الطباق وجناس الاشتقاق ما لا يخفى، فلذلك اكتفينا بالإشارة إليها.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

☆ **اللغة:**

﴿ وَرَبَتْ ﴾: انتفخت، وعلت قبل أن تنبت، ويقال للموضع المرتفع: ربوة، ورابية، وسيأتي مزيد من شرحه في باب البلاغة.

○ **الإعراب:**

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾ كلام مستأنف، مسوق لإيراد أربع آيات من آياته تعالى، ومن آياته: خبر مقدم، والليل: مبتدأ مؤخر، وما بعده عطف عليه. ﴿ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ لا: ناهية، وتسجدوا: فعل مضارع مجزوم بلا، وللشمس: متعلقان بتسجدوا، ولا للقمر: عطف، واسجدوا لله: عطف آخر، والذي: نعت لله، وجملة خلقهن: صلة، والضمير يعود إلى الآيات، ولذلك عبَّر عن الأربع بضمير الإناث، مع أنَّ فيها ثلاثة مذكرة، والعادة تغليب المذكر على المؤنث؛ لأنه لما قال: ومن آياته، فنظم الأربعة في سلك الآيات صار كلٌّ واحدٍ منها آية، فعبّر عنها

بضمير الإناث، وإنْ: شرطية، وكنتم: فعل ماض ناقص، والتاء: اسمها، وهو فعل الشرط، وإياه: مفعول مقدم لتعبدون، وجملة تعبدون: خبر كنتم، وجواب الشرط: محذوف تقديره: فاسجدوا له.

﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩﴾ الفاء: عاطفة، وإن: شرطية، واستكبروا: فعل ماض، وفاعله، وهو في محل جزم فعل الشرط، فالذين: الفاء: تعليل لجواب الشرط المحذوف، وتقديره: فدعهم وشأنهم، والذين: مبتدأ، وعند ربك: الظرف: متعلق بمحذوف صلة الذين، والظرفية هنا مكانة وتشريف، وهي تعبير عن الزلفى والكرامة، وجملة يسبحون: خبر الذين، وله: متعلقان بيسبحون، والليل والنهار: متعلقان بيسبحون أيضاً، والواو: عاطفة، أو: حالية، وهم: مبتدأ، وجملة لا يسأمون: خبر. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ الواو: عاطفة على ما سبق، ومن آياته: خبر مقدم، وأنَّ، وما في حيزها: مبتدأ مؤخر، وأنك: إن، واسمها، وجملة ترى الأرض: خبر، وخاشعة: حال؛ أي: يابسة لا نبات فيها، وسيأتي مزيد من هذا البحث في باب البلاغة، ولك أن تجعل الرؤية علمية، فتكون خاشعة: مفعولاً به ثانياً، فإذا: الفاء: عاطفة، وإذا: ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة أنزلنا: في محل جر بإضافة الظرف إليها، وعليها: متعلقان بأنزلنا، والماء: مفعول به، وجملة اهتزت: لا محل لها، وربت: عطف على اهتزت.

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ تعليل لاهتزاز الأرض اليابسة وربوها، وإنَّ، واسمها، وجملة أحياها: صلة، واللام: المزحلقة، ومحيي الموتى: خبر إنَّ، وإنَّ، واسمها، وعلى كل شيء: متعلقان بقدير، وقدير: خبرها.

□ البلاغة:

في قوله: ﴿أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ استعارة مكنية، فقد استعير

الخشوع، وهو التذلل، والتقاصر لحال الأرض عند قحطها وجفافها، كما استعير الهمود لها في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ وكذلك يسري القول على الاهتزاز والربو، يقال: اهتز الإنسان، أي: تحرك، وربت؛ أي: انتفخت، وعلت قبل أن تنبت، وعلى هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتأخير، وتقديره: ربت، اهتزت، والاهتزاز والربو قد يكونان قبل الخروج من الأرض، وقد يكونان بعد خروج النبات إلى وجه الأرض، فربوها ارتفاعها، وقيل: اهتزت؛ أي: تحركت حركة عظيمة، فكان كمن يعالج ذلك بنفسه، وربت؛ أي: تشققت، فارتفع ترابها، وخرج منها النبات، وسما في الجو مغطياً لوجهها، وتزخرفت بذلك النبات، كأنها بمنزلة المختال في زيه؛ لما كانت قبل ذلك كالذليل.

* الفوائـــد:

١ ـ تأثير القرآن في نفس عتبـة:

أدركت قريش أن أساليبها في صدِّ الدعوة الإسلامية عن المضي في طريقها لم تنجح، وأنَّه لا بد من اللجوء إلى عمل آخر، فتشاوروا على عادتهم، وانتدبوا عتبة بن ربيعة لكي يذهب إلى النبي ﷺ يفاوضه في ترك الدعوة؛ على أن يجمعوا له الأموال؛ حتى يصير أغنى قريش، ثم يجعلوا له الرياسات التي يصبح بها أرفعهم مقاماً، وأعزهم ملكاً، أو يلتمسوا له الطب حتى يبرأ من هذا الذي يأتيه فينطقه بكلام عجيب، وقد استمع النَّبيُّ إلى عتبة صابراً، فلما انتهى قال له: «أفرغت يا أبا الوليد»؟ فقال: نعم، قال له النبي: «فاستمع مني»، ثم أخذ يتلو عليه قوله تعالى: «حم تنزيل من الرحمن الرحيم» ومضى رسول الله يتلو على زائره سورة فصلت حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْـلُ وَٱلنَّهَـارُ﴾ . . الآية، ولما تلا هذه الآية سجد لربه سجوداً طويلاً، ثم رفع رأسه واستوى في مجلسه، وأخذ يكمل السورة، حتى إذا فرغ منها نظر إلى عتبة فإذا هو ملق يديه خلف ظهره يصغي في هدوء، وقد بلغت الآيات منه مبلغاً عظيماً، قال له النبي:

ـ قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك.

فلم يعقب عتبة بكلمة، وانصرف مهموماً يفكر أعمق تفكير في هذا الذي سمع، فما أن رأت قريش صاحبها حتى قال بعضهم لبعض:

ـ نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا له:

ـ ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال:

ـ ورائي: أني سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط! والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة! يا معشر قريش أطيعوني وخلّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه! فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم! فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزُّه عزُّكم، وكنتم أسعد الناس!

فقالت قريش:

ـ سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه! فأشاح عنهم، وقال:

ـ هذا رأيي فيكم فاصنعوا ما بدا لكم.

٢ ـ موضع السجدة:

اختلف في موضع السجدة، فهو عند الشافعي: ﴿تَعۡبُدُونَ﴾ لذكر لفظة السجدة قبلها. وعند أبي حنيفة ﴿يسأمون﴾ لأنها تمام المعنى.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن
يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ
خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ
رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ

ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾

☆ **اللغة:**

﴿يُلْحِدُونَ﴾ : بضم الياء مضارع ألحد في دين الله؛ أي: جار، وعدل. وقرىء بفتح الياء مضارع لحد، من باب: قطع لغة فيه، وقال في الكشاف: يقال: ألحد الحافر، ولحد: إذا مال عن الاستقامة، فحفر في شق، فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة. ولم يصب الزمخشري في تقييد المستعار له بقوله: في آيات القرآن، فإنها في الآية الكريمة مستعارة للانحراف من جهة الصحة والاستقامة مطلقاً، لا للانحراف عنها في آيات الله، وإلا لما احتيج إلى قوله في آياتنا، ومن هنا يبدو الفرق بين الملحد، والزنديق، والدَّهري، والمنافق.

﴿أَعْجَمِيًّا﴾ : تقدم بحث هذه الكلمة، ونضيف هنا ما قالوه في يائه، قال أبو حيان: الياء للمبالغة في الوصف، وليس النسب فيه حقيقياً. وقال الرازي في لوامحه: فهي كياء كرسي. والأعجمي: هو الذي لا يفصح، ولا يفهم كلامه.

○ **الإعراب:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ﴾ كلام مستأنف، مسوق لبيان حال الملحدين، وإنَّ، واسمها، وجملة يلحدون: صلة الموصول، وفي آياتنا: متعلقان بيلحدون، وجملة لا يخفون علينا: خبر إن.

﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ﴾ الهمزة: للاستفهام التقريري، والفاء: عاطفة على مقدر يقتضيه السياق، ومَنْ: اسم موصول مبتدأ، وجملة يلقى في النار: صلة مَنْ، وخير: خبرها، وأم: حرف

عطف، ومَنْ: عطف على مَنْ الأولى، وجملة يأتي: صلة، وآمناً: حال، وكان السياق يقتضي أن يقول: أم من يدخل الجنة، ولكن عدل عن مقتضى السياق ليصرح بأمنهم، وانتفاء الخوف عنهم، وذلك أثلج لصدورهم، وأقر لعيونهم، ويوم القيامة: متعلق بيأتي، أو: بآمناً.

﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ اعملوا: فعل أمر، والمراد به التهديد لهم، والواو: فاعل، وما: مفعول به، وجملة شئتم: صلة ما، وجملة إنه: تعليل للأمر، وإن، واسمها، وبما تعملون: متعلقان ببصير، وبصير: خبر إنَّ.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾ الجملة بدل من جملة إنَّ السابقة، وإنَّ، واسمها، وجملة كفروا بالذكر: صلة، ولما: حينية، أو: رابطة، وجاءهم: فعل، وفاعل مستتر، ومفعول به، وفي خبر إنَّ وجوه، أظهرها: أنه محذوف، تقديره: لا يخفون علينا، ويؤيد هذا الوجه كون إنَّ الثانية بدلاً من إنَّ الأولى، فيسري عليها ما يسري على الأولى، والقاعدة: أنَّ المحكوم به على البدل محكوم به على المبدل منه، وذكر المعربون أوجهاً أخرى، نورد خلاصتها فيما يلي:

١ ـ إنَّه محذوف لفهم المعنى، وتقديره: معذبون، أو: مهلكون، وهو وجه سديدٌ أيضاً.

٢ ـ إنَّه محذوف، قدره الجلال بقوله: نجازيهم.

٣ ـ إنَّه موجود مذكور، وهو قوله فيما بعد: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ ﴾.

٤ ـ إنَّه موجود مذكور، وهو قوله: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ والعائد محذوف، أي: لا يأتيه الباطل منهم، نحو: الشمس منوان بدرهم؛ أي: منوان منه، وتكون أل عوضاً من الضمير في رأي الكوفيين، تقديره: إن الذين كفروا بالذكر لا يأتيه باطلهم.

٥ ـ إنَّ الخبر قوله: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ ﴾ والعائد: محذوف، تقديره: إن الذين

كفروا بالذكر ما يقال لك في شأنهم إلا ما قد قيل للرسل من قبلك.

وإنه: الواو: حالية، وإنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وكتاب: خبرها، وعزيز: نعت، والجملة: نصب على الحال، أي: ممتنع عن أن ينال منه أحد بحماية الله وكلاءته، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ فلا يستطيع أحد أن يبطله، أو يخرمه، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ الجملة: نعت ثان للكتاب، ولا: نافية، ويأتيه الباطل: فعل، ومفعول به مقدم، وفاعل مؤخر، ومن بين يديه: متعلقان بيأتيه، ولا من خلفه: عطف على من بين يديه، وتنزيل: خبر رابع، ومن حكيم: متعلقان بتنزيل، وحميد: نعت لحكيم.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ كلام مستأنف، مسوق لتسليته ﷺ على ما يناله من أذاهم، وما: نافية، ويقال: فعل مضارع مبني للمجهول، ولك: متعلق بيقال، وإلا: أداة حصر، وما: نائب فاعل، أي: إلا مثل الذي، وقد: حرف تحقيق، وقيل للرسل: صلة، ومن قبلك: حال.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ إنَّ، واسمها، واللام: المزحلقة، وذو مغفرة: خبرها، وعقاب أليم: عطف على ما تقدم.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ كلام مستأنف، مسوق للرد على تساؤلهم: هلا أنزل القرآن بلغة العجم؟ ولو: شرطية، وجعلناه: فعل، وفاعل، ومفعول به، وقرآناً: مفعول به ثان، وأعجمياً: نعت، واللام: واقعة في جواب الشرط، وجملة قالوا: لا محل لها، ولولا: حرف تحضيض، أي: هلا، وفصلت: فعل ماض مبني للمجهول، وآياته: نائب فاعل، والمعنى: بينت بلسان نفهمه ونفقهه، أأعجمي: الهمزة للاستفهام الإنكاري، وأعجمي: خبر لمبتدأ محذوف، أي: أهو؛ أي: القرآن أعجمي، والمرسل به عربي، وفيه قراءات: بتحقيق الهمزة الثانية وقبلها ألفاً ممدودة، ويقرأ بهمزة واحدة وفتح العين على

النسب إلى عجم، ويجوز أن يعرب أأعجمي: مبتدأ، والخبر: محذوف، تقديره: أأعجمي، وعربي يستويان.

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ قل: فعل أمر، وفاعل مستتر، تقديره: أنت، أي: قل في الرد عليهم، وهو مبتدأ، وللذين آمنوا: حال؛ لأنه كان نعتاً، وتقدم، وهدى وشفاء: خبر هو، أي: إنَّه هاد لهم، وشاف لما في صدورهم، وكاف في درء الشبه، ولهذا ورد معجزاً بلسانهم، وسيأتي تفصيل وافٍ لهذا الموضوع في باب البلاغة.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ والذين: الواو: عاطفة، والذين: مبتدأ، وجملة لا يؤمنون: صلة، والعائد: محذوف؛ أي: به، وفي آذانهم: خبر مقدم، ووقر: مبتدأ مؤخر، ولا بد من تقدير رابط، أي: منه، والجملة: خبر الذين، وهو مبتدأ، وعليهم: متعلقان بمحذوف حال، ولا يتعلق بالمصدر لتقدمه عليه، وعمى: مبتدأ مؤخر، وأولئك: مبتدأ، وجملة ينادون: خبر، ومن مكان: متعلقان بينادون، وبعيد: نعت لمكان، وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة.

□ البلاغة:

١ ـ الطباق:

﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ طباق بديع يحتمل معنيين؛ أولهما: أنَّ الإنكار واقع على كون القرآن أعجمي، والرسول عربي، وثانيهما: أنَّ القرآن أعجمي والمرسل إليهم، أو إليه عربي، وإنما جاء مفرداً والمرسل إليهم هم أمة العرب؛ لأن مبنى الإنكار على تنافر حالتي الكتاب والمكتوب إليه، لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة، فوجب أن يجرد لما سبق إليه من الغرض، ولا يوصل به ما يخل غرضاً آخر، ألا تراك تقول وقد رأيت لباساً طويلاً على امرأة قصيرة: اللباس طويل واللابس قصير، ولو قلت:

واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنةٌ وفضول قول؛ لأن الكلام لا يقع في ذكورة اللابس وأنوثته، وإنما وقع في غرضٍ وراءهما فصح الطباق.

٢ ـ التشبيه البليغ:

وفي قوله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ تشبيه بليغ، جعل القرآن نفس الهدى، ونفس الشفاء، يهديهم إلى سبل الرشاد، ويشفيهم من أوصاب الجنون والالتياث.

٣ ـ الاستعارة التمثيلية:

وفي قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ استعارة تمثيلية شبهت حالهم في النبوّ عن قبول مواعظ القرآن ودلائله بحال من ينادى من مكان بعيد، فكما أنه لا يفهم، ولا يقبل قول المنادي، فكذلك هؤلاء لا يقبلون دعوة من دعاهم إلى الرشد والصلاح؛ لاستيلاء الضلالة عليهم.

* * *

فهرس الآيات

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة يس

سورة الصافات

سورة صٓ

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت